مَعَارِجُ القَبُولِ

بشرح سُلَّمِ الوُصُولِ إلَى عِلْمِ الأُصُولِ

في التَّوحِيدِ

تأليف

الشيخ العلَّامة حافظ بن أحمد الحكمي

رحمه الله

(١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)

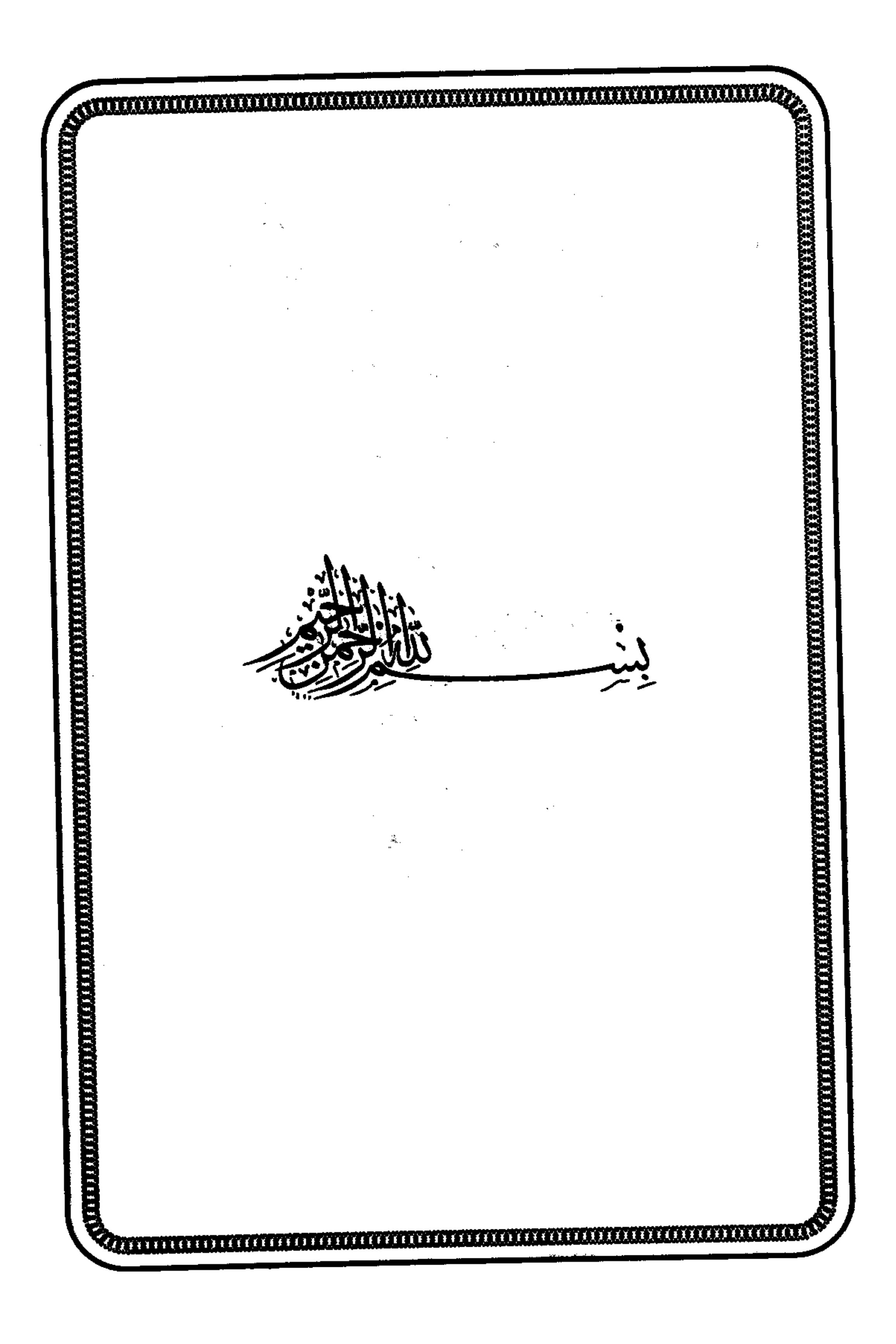
حققه وعلق عليه وضبط نصه

وخرج أحاديثه وآثاره

محمد صبحي بن حسن حلاق

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

مَعارِجُ القَبُول

بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ

فِي التَّوحِيدِ

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص.ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٢٣١٢٢
جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩
الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

[ال] فصلُ: [الثاني]

في بيان النَّوع الثاني من نوعي التوحيد

وهو توحيدُ الطَّلب والقَصْدِ، وأنه معنى لا إلٰه إلّا الله



(هـذا وثـانـي نـوعَـي الـتـوحـيـدِ　　إفـرادُ ربِّ الـعـرشِ عـن نـديـد)

(أن تَـعـبُـدَ الـلَّـهَ إلٰـهـاً واحـداً　　مـعـتـرفـاً بـحـقـه لا جـاحـداً)

(هذا) أي الأمرُ والإشارةُ إلى ما تقدم من تحقيق النوعِ الأولِ من نوعَي التوحيد[1] **(وثاني نوعي التوحيد)** هو **(إفرادُ ربِّ العرش عن نديد)** شريكٍ مساوٍ، وتفسيرُ ذلك هو **(أن تعبدَ الله)** سبحانه وتعالىٰ **(إلهاً)** حالٌ من لفظ الجلالةِ **(واحداً)** **لا شريكَ له في إلٰهيته كما لا شريكَ له في ربوبيته وأسمائِه وصفاتِه**، فإن توحيدَ الإثباتِ هو أعظمُ حجةً على توحيد الطلبِ والقصدِ الذي هو توحيدُ الإلٰهيّة، وبه احتج الله تعالىٰ في كتابه في غير موضع على وجوب إفرادِه تعالىٰ بالإلٰهية لتلازُم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهاً مستحِقاً للعبادة إلاّ مَن كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرّفاً مدبّراً لجميع الأمور، حياً قيّوماً سميعاً بصيراً عليماً حكيماً موصوفاً بكل كمالٍ منزّهاً عن كل نقص، غنياً عمّا سواه، مفتقراً إليه كلُّ ما عداه، فاعلاً مختاراً لا مُعقّبَ لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ولا يُعْجِزُه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض، ولا يعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفاتُ الله عزّ وجلّ، لا تنبغي إلاّ له، ولا يُشرِكُه فيها غيرُه.

فكذلك لا يستحق العبادةَ إلاّ هو ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرّداً بالخلق والإنشاءِ والبدءِ والإعادةِ لا يُشركه في ذلك أحدٌ وجب إفرادُه بالعبادة دون من سواه، لا يُشرَك معه في عبادته أحدٌ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ

---

(١) تقدم النوع الأول في الجزء الأول.

فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (٣٢)﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ (٣٤) قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ (٣٥)﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ (٤) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٥)﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ (٣)﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ (٦٢) قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ (٦٤)﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤ ـ ١٦٥] إلى آخرها.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل] إلى آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طـه]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ

لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الروم] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ﴾ [فاطر] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ

أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وغير ذلك من الآيات التي يقرّر الله تعالىٰ فيها ربوبيّته ويمتنُّ بنعمه وتفرّده بأنواع التصرفات.

وعُبّادُ الأوثانِ يُقِرّون بها لله عزّ وجلّ، ويُقِرّون بأن أوثانَهم التي يدعون من دونه مخلوقةٌ لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً، ولا تَسمع ولا تُبصر ولا تُغني عنهم شيئاً، ويُقِرّون أن الله هو المتفرّدُ بالخلق والرزقِ والضُرِّ والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا

إلى أوثانهم من ذلك شيءٌ، بل هو الخالقُ وما عداه مخلوقٌ، وهو الربُّ وما عداه مربوبٌ، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاءَ سوّوهم به في استحقاق العبادةِ وأنكروا أن يكون تفرّدَ بها، وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلاّ الله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فألزمهم الله تعالىٰ بما أقرّوا به من التفرّد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمَه من توحيد الإلٰهية، وأن يكفُروا بما اتخذوا من دونه، كما أقرّوا بعجزهم وعدمِ اتّصافِهم بشيء يستحقون به العبادةَ. بل هم أقلُّ وأذلُّ وأحقرُ وأعجزُ عن أن يخلُقوا ذباباً أو أن يستنقذوا منه شيئاً سَلَبه.

ومن تدبّر هذه الآياتِ التي ذكرنا وما في معناها حقَّ التدبرِ علم يقيناً أن عُبّادَ الأوثانِ مُقِرّون بتوحيد الربوبيةِ وشاهدون بتفرد الله بذلك، وأنهم إنما أشركوا بالله تعالىٰ في الإلٰهية حيث عبدوا معه غيرَه، هذا في الظاهر وإلاّ فأنواعُ التوحيد متلازمةٌ، من أشرك غيرَ الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ بيانه في بيان الشرك.

ومما يقدّر ذلك غايةَ التقديرِ حديثُ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال لأبيه حصينٍ قبل إسلامِه: «كم تعبُد اليوم من إله؟»، قال: سبعةً آلهةً، ستةً في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: «فمن تُعِدّ لرغبتك ورهبتِك»؟ قال: الذي في السماء. وتقدم أيضاً في هذه الآية أنهم إنما كان شركُهم بالله في إلٰهيّته في حالة الرخاء.

وأمّا في الشدة، فكانوا يُخلِصون الدينَ لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيرُه، وأن آلهتَهم لا تضرُّ ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾ [العنكبوت].

وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا، ومما لم نذكر.

---

(١) وهو حديث ضعيف.
أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٩ رقم ٣٤٨٣).
قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حُصين من غير هذا الوجه.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٢٤) وقال: شبيب ضعيف، وضعّفه الألباني.

والمقصودُ أن الربوبيةَ والإلٰهية متلازمان لا ينفكّ نوعٌ منهما عن الآخر، وأن توحيدَ الربوبيةِ لم يُنكره أحدٌ إلاّ مكابرةً كفرعونَ ونمرودَ، والثَّنَويةُ الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين، تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

(معترفاً) حال من فاعلِ تعبُدَ **(بحقّه)** تعالىٰ عليك وعلى جميع عبادِه **(لا جاحداً)** وحقُّهُ عليك أن تعبدَه لا تُشرك به شيئاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وغيرُها من الآيات سنذكر ما تيسّر منها قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

وفي الصحيحين[(١)] عن معاذ بن جبلٍ ﷺ قال: كنت رديفَ النبيِّ ﷺ على حمار، فقال لي: **«يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله تعالىٰ على العباد، وما حقُّ العبادِ على الله؟»**، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«حق الله على العباد أن يعبُدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ من لا يشركُ به شيئاً»**، الحديث.

[توحيد الإلٰهية أرسل الله به الرسل]

(وهو الذي به الإلٰهُ أرسلا رُسْلَه يَدعون إليه أولا)

(وأنزل الكتابَ والتِّبيانا من أجله وفَرقَ الفُرقانَا)

(وهو) أي توحيدُ الإلٰهيّة **(الذي به الإلٰهُ)** عزّ وجلّ **(أرسلا رسلَه)** من أولهم إلى آخرهم **(يدعون إليه أولاً)** قبلَ كلِّ أمرٍ، فلم يدعوا إلى شيءٍ قبله، فهم وإن اختلفت شرائعُهم في تحديد بعضِ العباداتِ والحلالِ والحرامِ لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفرادُ الله سبحانه بتلك العباداتِ افترقتْ أو اتّفقت، لا يُشرَك معه فيها غيرُه؛ كما قال ﷺ: **«نحن معاشرَ الأنبياءِ أولادُ عَلاَّتٍ، دينُنا واحدٌ»**[(٢)]، وقد

---

(١) البخاري (١٣/٣٤٧ رقم ٧٣٧٣)، ومسلم (١/٥٨ رقم ٣٠).

(٢) البخاري (٦/٤٧٧ رقم ٣٤٤٢)، ومسلم (٤/١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة.
* أولاد علات: قال العلماء: أولاد العلّات هم الإخوة لأب من أمّهات شتى.
وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.
قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف. =

أخبر الله عزّ وجلّ عن اتفاق دعوةِ رسلِه إجمالاً وتفصيلاً، فقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيُّنا محمدٌ ﷺ، وكذلك بقية الرسل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وفي الصحيح[١] عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعدُ بنُ عُبادةَ رضي الله عنه: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتهُ بالسيف غير مُصْفَح، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: **«تعجبون من غَيرة سعدٍ، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غَيرة الله حرم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن. ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحةُ من الله، ومن أجل ذلك وعدَ الله الجنة»**.

وأمّا في مقامات التفصيلِ، فقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ

= * ديننا واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالىٰ وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعاً.

(١) تقدم تخريجه.

أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام].

وهذا في مقام مناظرتِه (عليه الصلاة والسلام) لعُبّاد الكواكبِ على سبيل الاستدراج أوِ التوبيخ ليبينَ لهم سخافَتهم وجهلَهم وضعْفَ عقولِهم في عبادتهم هذه الكواكبَ المخلوقةَ لحكمة الله عزّ وجلّ، المسخَّرةَ بقدرته، وغفْلَتهم عن خالقها ومُسخِّرِها والمتصرِّفِ فيها، وتَرْكهم عبادتَه، أو إشراكهم معه فيها غيرَه عزّ وجلّ، فلما أقام عليهم الحجةَ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، أي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني صدّقوا ووحّدوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شِرك؛ إذ هو الظلمُ الذي لا يغفره الله عزّ وجلّ.

وفي الصحيح[1] عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال أصحابُ رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم نفسَه؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

---

(١) البخاري (١/ ٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٢٤).

[لقمان: ١٣]، فالذين آمنوا الإيمانَ التامَّ الذي لم تَشُبْه شوائبُ الشِّركِ الأكبرِ المنافي لجميعه، ولا الشركُ الأصغرُ المنافي لكماله، ولا معاصي الله المُحبطةُ لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمنُ التامُّ من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التامُّ في الدنيا والآخرة.

وبحسب ما ينقُص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداءِ، فباجتناب الشركِ الأكبرِ والأصغرِ يحصُل مطلقُ الأمنِ والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامُهما.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]، فبيّن لأبيه أن آلهتَه لا تسمع ولا تُبصر ولا تضرُّ ولا تنفع ولا تقدِر على جلب خيرٍ ولا دفعِ شرٍّ، ولا تُغني عنه شيئاً.

فتبيّن بذلك أن عبادةَ مثلِ هذا جهلٌ وضلالٌ، ثم بيَّن له أن عنده دواءَ ذلك الداءِ، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالىٰ: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، وبيَّن أن فعلَه ذلك عبادةٌ للشيطان، موجبٌ لعذاب الرحمٰنِ وولاية الشيطان، عياذاً بالله من ذلك. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، [الزخرف].

وقال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف] الآيات وغيرها.

وكذلك قصّ الله تعالىٰ علينا عن جميع الرسلِ من نوح إلى محمد ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾ [إبراهيم]، الآيات.

ولو ذهبنا نذكر قصصَ الرسلِ ومحاورتَهم مع قومهم وعواقبَ ذلك لطال الفصلُ.

وأما نبيُنا محمد ﷺ وسيرتُه في قومه وصبرُه على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآنُ كلُّه من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

[من أجل توحيد الإلٰهية أنزل الله الكتب]

(وأنزل) الله عزّ وجلّ **(الكتاب)** اسمُ جنسٍ لكل كتابٍ أنزله الله عزّ وجلّ على رسله وأشهرُها الأربعةُ، وهي:

التوراة: على موسى موعظةً وتفصيلاً لكل شيء.

والإنجيل: على عيسى فيه هدىً ونورٌ ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين.

والزّبورُ: على داود الذي كان إذا قرأه أوّبتْ معه الجبالُ والطيرُ.

والقرآنُ: المنزّلُ على نبيّنا محمدٍ ﷺ بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه.

(والتبيانا) من عطف التفسيرِ الذي هو أعمُّ من المفسَّر، لأن التبيانَ منه المتعبَّدُ بتلاوته والعملُ به وهو الكتابُ. ومنه المتعبَّدُ بالعمل به فقط وهو السنةُ وما في معناها.

(من أجله) أي من أجل التوحيدِ (وفَرَق الفرقانا)؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، الآيات.

وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ أصلَ عبادةِ الأصنام وغيرِها في فصل بيانِ ضدِّ التوحيدِ الذي هو الشركُ، وبالله التوفيق.

[أمر الله رسوله بقتال من تولى عنه وأبى]

(وكلفّ اللّهُ الرسولَ المجتبى — قتالَ مَن عنه تولى وأبى)

(حتى يكونَ الدينُ خالصاً له — سراً وجهراً دِقُّه وجِلُّه)

(وهكذا أمّتُه قد كُلّفوا — بذا وفي نص الكتابِ وُصِفوا)

(وكلف الله) تعالىٰ أي أمرَ أمْرَ افتراضٍ (الرسول المجتبى) نبيَّنا محمداً ﷺ (قتالَ) مفعولُ كلف الثاني (من عنه) عن التوحيد (تولّى وأبى) أي أعرض وامتنع (حتى) غايةٌ للقتال (يكونَ الدينُ خالصاً له) أي الله عزّ وجلّ (سراً وجهراً) لا معارضَ له ولا مُشاقّ (دقُّه وجلُّه) أي قليلُ العبادة وكثيرُها وصغيرُها وكبيرُها.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن

تَابُواْ﴾ [التوبة: ٥]، يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥]، وغيرُ ذلك من الآيات في البقرة وآلِ عمرانَ والنساء والأنفالِ والتوبة والقتالِ والحديدِ والصف وغيرها.

وقال ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحق الإسلام وحسابُهم على الله عزّ وجلّ»، الحديث في الصحيح[1].

ولو ذهبنا نذكر آياتِ الجهاد وأحاديثَه لطال الفصلُ، وليس هذا موضعَ بسطِها.

(وهكذا) كما كُلِّف ﷺ بجهاد الكفارِ (أمتُه) المستجيبون له (قد كُلفوا بذا) أي الذي كُلِّف به (وفي نصِّ الكتاب) القرآنِ (وُصِفوا) أي بذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الفتح:

---

(١) وهو حديث متواتر له طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١ ـ سعيد بن المسيب عنه،
أخرجه مسلم (١/ ٥٢ رقم ٢٣/ ٢١)، والنسائي (٦/ ٤ ـ ٥، ٦، ٧)، وابن حبان (١/ ٢٢٠ رقم ٢١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٥٨ رقم ١٢٩٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٢١٣)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ١٦٢ رقم ٢٣) و(١/ ٣٥٩ رقم ١٩٩) و(١/ ٣٦٠ رقم ٢٠٠) من طريق الزهري عنه.
قال ابن منده (١/ ١٦٣): «هذا حديث غريب من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رواه جماعة عنه غير يونس، فيهم مقال».
٢ ـ عبيدُ اللّهِ بنُ عبد الله بن عتبة، عنه:
أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ رقم ١٣٩٩) و(١٢/ ٢٧٥ رقم ٦٩٢٤) و(١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤ و٧٢٨٥)، ومسلم (١/ ٥١ رقم ٣٢/ ٢٠)، وأبو داود (٢/ ١٩٨ رقم ١٥٥٦)، والنسائي (٥/ ١٤ ـ ١٥) و(٦/ ٥)، والترمذي (٥/ ٣ رقم ٢٦٠٧)، وقال: **حديث حسن صحيح**. وأحمد (٢/ ٤٢٣، ٥٢٨)، وأبو عبيد في «الأموال» (ص٢٣ رقم ٤٤، ٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٥١٢ رقم ٩٤٥)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ١٦٤ رقم ٢٤) و(١/ ٣٨٠ رقم ٢١٥) و(١/ ٣٨٢ رقم ٢١٦) من طريق الزهري عنه.
قال ابن منده: (١/ ١٦٥): «هذا إسناد مجمع على صحته، من حديث الزهري، وعنه مشهور».
وانظر باقي الطرق في تخريج «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» للصنعاني (ص٦٦ ـ ٦٨ بتحقيقنا).

٢٩] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، والآيات قبلها وبعدها.

ولو لم يكن في ذلك إلاّ قول ربّي عزّ وجلّ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، لكانت هذه الآيةُ كافيةً في نعش القلوب وتهييجِ النفوسِ وتشويقِها وحَمْلِها على تلك البَيْعةِ الرابحة التي لا خطرَ لها ولا يُحاط بعِظَم فَضْلِها، والله المستعان.

[فضل شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله]

(وقد حَوَتْه لفظةُ الشهادَةْ	فَهيَ سبيلُ الفوزِ والسعادَةْ)
(من قالها معتقِداً معناها	وكان عاملاً بمقتضاها)
(في القول والفعلِ ومات مؤمنا	يُبعث يومَ الحشرِ ناجٍ آمنا)

(وقد حَوَتْه) أي جمعَتْه واشتملت عليه (لفظةُ الشهادة) أي شهادةِ أن لا إلٰهَ إلاّ الله (فهي) أي هذه الكلمةُ (سبيلُ الفوز) بدخول الجنةِ والنجاةِ من النار، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(و) هي سبيلُ (السعادة) في الدارين أي طريقُهما لا وصولَ إليهما إلاّ بهذه الكلمةِ، فهي الكلمةُ التي أرسل الله بها رسلَه وأنزل بها كتبَه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنار، وفي شأنها تكون الشقاوةُ والسعادةُ، وبها تُؤخذ الكتبُ باليمين أو الشمال، ويَثْقُل الميزانُ أو يخِفُّ، وبها النجاةُ من النار بعد الورودِ، وبعدم التزامها البقاءُ في النار وبها أخذ الله الميثاقَ، وعليها الجزاءُ والمحاسبة وعنها السؤالُ يوم التلاقِ؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فأمّا سؤالُه تعالىٰ الذين أُرسل إليهم ـ يوم القيامة ـ فمنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ

﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، والآياتُ قبلها وبعدها وغيرُ ذلك.

وأمّا سؤالُه المرسلين، فمنه قولُه تعالىٰ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وهي أعظمُ نعمةٍ أنعم الله عزّ وجلّ بها على عباده أنْ هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحلِ التي هي سورةُ النِّعَم، فقدمها أولاً قبل كلِّ نعمةٍ، فقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وهي كلمةُ الشهادة ومفتاحُ دارِ السعادة، وهي أصلُ الدينِ وأساسُه ورأسُ أمرِه وساقُ شجرتِه وعَمودُ فُسطاطِه وبقيةُ أركانِ الدين وفرائضِه متفرّعةٌ عنها، مُتشعّبةٌ منها، مُكمّلاتٌ لها، مقيّدةٌ بالتزام معناها والعملِ بمقتضاها، فهي العُروةُ الوثقى التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ[(١)] والضحاك[(٢)]، وهي العهدُ الذي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال ذلك عبدُ الله بنُ عباس[(٣)] رضي الله عنهما قال: هو شهادةُ أن لا إله إلاّ الله، والبراءةُ من الحول والقوةِ إلاّ بالله، وأنْ لا يرجوَ إلاّ الله عزّ وجلّ. وهي الحسنى التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل] الآيات.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/ ٤٢١ رقم ٥٨٥٠ و٥٨٥١) شاكر.
وأبو السوداء، هو «عمرو بن عمران النهدي» ثقة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/ ٤٢٢ رقم ٥٨٥٢) شاكر.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٨) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة. انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥).

قاله أبو عبدِ الرحمٰن السّلميُّ[1] والضحاكُ[2]، ورواه عطيةُ عن ابن عباس[3] وهي كلمةُ الحقِّ التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال ذلك البغويّ[4]. وهي كلمةُ التقوى التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

روى ذلك ابنُ جرير[5] وعبد الله بنُ أحمد[6] والترمِذيُّ[7] بأسانيدهم إلى أُبيّ بن كعبٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ، وهي القولُ الثابتُ الذي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخرجاه في الصحيحين[8] عن البراء بن عازبٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ.

وهي الكلمةُ الطيبةُ المضروبةُ مثلاً قبل ذلك؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، قاله

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠).
وقال البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٤٤٥): «وصدق بالحسنى» قال أبو عبد الرحمٰن والضحاك: وصدق بلا إلٰه إلاّ الله، وهي رواية عطية ـ العوفي ـ عن ابن عباس» اهـ.
قلت: عطية العوفي: ضعيف، انظر: «المجروحين» (٢/ ١٧٦)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٢)، و«التقريب» (٢/ ٢٤)، و«لسان الميزان» (٧/ ٣٠٦).

(٤) في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٢٤).

(٥) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٠٤).

(٦) في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٨).

(٧) في «السنن» (٥/ ٣٨٦ رقم ٣٢٦٥) وفي سنده: ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث الحسن بن قَزَعَة. قال: وسألتُ أبا زُرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه» اهـ.
وقال الألباني في «صحيح الترمذي» عنه: صحيح.

(٨) البخاري (٨/ ٣٧٨ رقم ٤٦٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

عليُّ بنُ طلحةَ عن ابن عباس[1]، أصلُها ثابتٌ في قلب المؤمنِ، وفَرعُها العملُ الصالحُ في السماء صاعدٌ إلى الله عزّ وجلّ.

وكذا قال الضحاكُ وسعيدُ بنُ جبير وعِكرمة ومجاهدٌ وغيرُ واحد[2]، وهي الحسنةُ التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

قال ذلك زينُ العابدين وإبراهيمُ النخعيُّ، وعن أبي ذر[3] مرفوعاً: «هي أحسنُ الحسنات، وهي تمحو الذنوبَ والخطايا»، وهي المثلُ الأعلى الذي ذكر الله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ذلك قَتادةُ[4] ومحمدُ بنُ جريرٍ[5]، ورواه مالكٌ عن محمد بنِ المنكدرِ[6].

وهي سببُ النجاة كما في صحيح مسلم[7] أن النبيَّ ﷺ سَمِع مؤذناً يقول: «أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله»، فقال ﷺ: «**خرجتَ من النار**». وفيه[8] عن عُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**».

وفي حديث الشفاعةِ الآتي[9] إن شاء الله تعالىٰ: «**أخرِجوا من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمان**».

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩) عنهم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥/ج٨/ ١١٠) بسند ضعيف، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٤)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج٢١/ ٣٨) عنه.

(٥) في «جامع البيان» (١١/ج٢١/ ٣٨).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٤١) فقال: «وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالىٰ: ﴿وله المثل الأعلى﴾ قال: لا إلٰه إلاّ الله».
قلت: وإسناده صحيح.

(٧) (١/ ٢٨٨ رقم ٣٨٢) من حديث أنس.

(٨) أي في صحيح مسلم (١/ ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٢٩).

(٩) سيأتي تخريجه.

وهي سببُ دخولِ الجنةِ كما في الصحيحين[1] عن عُبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ الله وابنُ أمتِه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، وأن الجنةَ حقٌّ وأن النارَ حقٌّ، أدخله الله الجنةَ من أي أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاء**»، وفي رواية: «**أدخله الله الجنةَ على ما كان من عمل**».

وهي أفضلُ ما ذُكر الله عزّ وجلّ به، وأثقلُ شيءٍ في ميزان العبدِ يوم القيامةِ كما في المسند[2] عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ: «**أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موتِه: آمُرك بلا إله إلاّ الله، فإن السمٰواتِ السبعَ والأرضين السبعَ لو وُضِعْن في كِفّة ووُضِعَتْ لا إله إلاّ الله في كِفة لرجَحتْ بهنّ لا إله إلاّ الله، ولو أن السمٰوات السبعَ والأرضينَ السبعَ كلٌّ حلقةٌ مبهمةٌ لفصَمَتْهنّ لا إله إلاّ الله**».

وفيه[3] عنه أيضاً عن النبيّ ﷺ: «**أن موسى عليه الصّلاة والسّلام قال: يا ربِّ علّمني شيئاً أذكرُك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلاّ الله. قال موسى: يا ربِّ كلُّ عبادِك يقولون هذا، قال: يا موسى قل: لا إله إلاّ الله، قال: لا إله إلاّ الله، إنما أُريد شيئاً تخصّني به. قال: يا موسى لو أن السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ وعامرُهن غيري في كِفة ولا إله إلاّ الله في كِفّة مالتْ بهن لا إله إلاّ الله**».

وفي التِّرمذي[4] والنّسائيِّ في المسند[5] عن عبد الله بنِ عمروِ بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس**

---

(١) البخاري (٦/ ٤٧٤ رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (١/ ٥٧ رقم ٢٨).

(٢) في المسند (٢/ ٢٢٥) بسند صحيح.

(٣) أي في مسند أحمد، ولكنني لم أجده فيه. ولم يعزه الهيثمي في «المجمع» لأحمد، بل عزاه لأبي يعلى فقط. وقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢/ ٥٢٨ رقم ١٣٩٣/٤٢٠) بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢) وقال: «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف».

(٤) في السنن (٥/ ٢٤ ـ ٢٥ رقم ٢٦٣٩) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٥) لم أعثر عليه.

قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩)، وأحمد (٢/ ٢١٣).

=

الخلائقِ يومَ القيامة فينشُر عليه تسعةً وتسعين سِجِلاً كل سِجلٍ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقول: أتنكِر مِن هذا شيئاً، أظلَمَك كَتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظُلمَ عليك اليوم، فَيَخرَجُ بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، فيقول: احضُرْ وزنَك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلاتِ؟ فقال: فإنك لا تُظلَم، قال: فتوضع السِّجلاتُ في كِفة والبِطاقةُ في كفة، فطاشَتْ السجلاتُ وثَقُلت البِطاقةُ، ولا يثقُل مع اسم الله تعالىٰ شيءٌ».

قال التِّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

وهي التي لا يحجبُها شيءٌ دون الله عزّ وجلّ كما في الترمذي[1] عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنه قال: **«لا إلٰه إلاّ الله ليس لها دون الله حجابٌ حتى تصلَ إليه»**، وفيه[2] أيضاً عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«ما من عبد قال لا إلٰه إلاّ الله مخلصاً إلاّ فُتحتْ لها أبوابُ السماءِ حتى تُفضِيَ إلى العرش»**.

وهي الأمانُ من وَحشة القُبور وهَولِ الحشرِ كما في المسند[3] وغيره[4] عن

= قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٥/٥٣٦ رقم ٣٥١٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي» اهـ.
وهو حديث ضعيف، وقد ضعّفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٧٠٠)، وضعيف الجامع رقم (٢٥٠٩).

(٢) أي في «سنن الترمذي» (٥/ ٥٧٥ رقم ٣٥٩٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ.
وهو حديث حسن، وقد حسّنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٨٣٩).

(٣) لم أعثر عليه في المسند.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٨٧)، وفي «الدعاء» (٣/ ١٤٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٨٢) من طريق يحيى الحماني ـ به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢ ـ ٨٣) وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٤٥) من طريق مجاشع بن عمرو ـ به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٣) وفيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.
قلت: بل هو متروك.

النبيِّ ﷺ، قال: «ليس على أهل لا إله إلاّ الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلاّ الله وقد قاموا ينفُضون الترابَ عن رؤوسهم يقولون: الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحَزَن».

واعلم أن النصوصَ الواردةَ في فضل هذه الشهادةِ كثيرةٌ لا يُحاط بها، وفيما ذكرنا كفايةٌ، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ عند ذكر شروطِها ما تيسّر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلاّ الله إخبارُ النبيِّ ﷺ أنها أعلى جميعِ شُعَبِ الإيمان، كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون ـ أو بضعٌ وستون ـ شُعبةً فأفضلُها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» الحديث، وهذا لفظ مسلم.

[حسن عاقبة من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها]

(من قالها) أي قال هذه الكلمةَ حال كونهِ (معتقداً) أي عالماً ومُتيقّناً (معناها) الذي دلّت عليه نفياً وإثباتاً (وكان) مع ذلك (عاملاً بمقتضاها) على وَفْق ما عَلِمَه منها وتيقّنه فإن ثمرةَ العلم العملُ به (في القول) أي قولِ القلبِ واللسانِ (والفعل) أي عملِ القلبِ واللسانِ والجوارح، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

(ومات مؤمناً) أي على ذلك، وهذا شرطٌ لا بدّ منه، فإنما الأعمال بالخواتيم، قال ﷺ: «ما من عبدٍ قال لا إله إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنةَ»، الحديثُ في الصحيحين[2] عن أبي ذرّ بطوله.

(يُبعث يوم الحشر) أي يوم الجَمْع (ناج) من النار (آمناً) مِن فزع يوم القيامة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ

---

(١) البخاري (١/ ٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥).

(٢) البخاري (١٠/ ٢٨٣ رقم ٥٨٢٧)، ومسلم (١/ ٩٥ رقم ١٥٤).

ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

[معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله]

(فإن معناها الذي عليه	دلّتْ يقيناً وهدتْ إليه)
(أنْ ليس بالحقّ إلهٌ يُعبدُ	إلاّ الإلٰهُ الواحدُ المنفردُ)
(بالخلق والرزقِ وبالتدبيرِ	جلّ عن الشريك والنظيرِ)

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمةِ (الذي عليه) متعلّقٌ بقوله (دلت) بصريح لفظِها (وهدت) أي أرشدت (إليه) هو (أنْ ليس بالحق) متعلق بيُعْبَد (إله) هو اسمُ ليس ومَنْفيُّها، والنكرةُ في سياق النفي تعُمّ، والحكمُ المَنْفيُّ (يعبد) الذي هو متعلّقٌ بالحق والاستحقاق فيخرُج ما عُبد بباطل، ولذا سمّاه المشركون إلٰهاً، فتسميتُه بذلك باطلةٌ فلا يستحق أن يُعْبَد.

فمعنى لا إله إلاّ الله: لا معبودَ بحقٍّ إلاّ الله، لا إلٰهَ ـ نافياً جميعَ ما يُعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلاّ الله ـ مثبتاً العبادةَ لله فهو الإلٰهُ الحقُّ المستحِقُّ للعبادة، فتقديرُ خبرِ لا المحذوفِ بحق هو الذي جاءت به نصوصُ الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديرُه بموجود فيفهم منه الاتحادُ، فإن الإلٰهَ هو المعبودُ، فإذا قيل لا معبودَ موجودٌ إلاّ الله، لزم منه أن كلَّ معبودٍ عُبِد بحق أو باطل هو الله، فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمرِ والنجومِ والأشجارِ والأحجارِ والملائكةِ والأنبياءِ والأولياءِ وغيرِ ذلك هي الله، فيكونَ ذلك كلُّه توحيداً، فما عُبد على هذا التقديرِ إلاّ الله إذ هي هو، وهذا والعياذُ بالله أعظمُ الكفرِ وأقبحُه على الإطلاق، وفيه إبطالٌ لرسالات جميعِ الرسلِ، وكفرٌ بجميع الكتب وجحودٌ لجميع الشرائِع، وتكذيبٌ بكل ذلك، وتزكيةٌ لكل كافرٍ من أن يكون كافراً، إذ كلُّ ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

فإذا فهِمنا هذا، فلا يجوز تقديرُ الخبرِ موجودٌ، إلاّ أن يُنْعَتَ اسمُ لا (بحق) فلا بأس، ويكون التقديرُ لا إلٰهَ حقاً موجودٌ إلاّ الله، فبقيد الاستحقاقِ ينتفي المحذورُ الذي ذكرنا.

(إلا الإلٰهُ الواحدُ المنفردُ. بالخلق والرزق وبالتدبير. الخ)، وهو الله سبحانه وتعالىٰ، أي هو الإلٰهُ الحقُّ، فكما تفرَّد تعالىٰ بالخلق والرزقِ والإحياءِ والإماتةِ والإيجاد والإعدامِ والنفعِ والضُّر والإعزازِ والإذلالِ والهدايةِ والإضلالِ وغيرِ ذلك من معاني ربوبيتِهِ ولم يُشركه أحدٌ في خلق المخلوقاتِ ولا في التصرّف في شيء منها، وتفرّد بالأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى ولم يتصف بها غيرُه ولم يُشبِهْه شيءٌ فيها، فكذلك تفرّد سبحانه بالإلٰهية حقاً فلا شريكَ له فيها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص].

[سبعة شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة]

(وبشروط سبعةٍ قد قُيِّدت … وفي نصوصِ الوَحْيِ حقاً وردت)

(فإنه لم ينتفعْ قائلُها … بالنُّطق إلاّ حيث يستكملها)

(وبشروط سبعة) متعلّقٌ بقيدت **(قد قيدت)** أي قُيِّد بها انتفاعُ قائِلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوزِ بالجنّة والنجاةِ من النار.

(وفي نصوص الوحي) من الكتاب والسنةِ **(حقاً وردت)** صريحةً صحيحةً **(فإنه)** أي الشأنَ وذلك علةُ تقييدِها بهذه الشروطِ السبعة **(لم ينتفع قائلُها)** أي قائلُ لا إله إلاّ الله **(بالنطق)** أي بنطقه بها مجرّداً **(إلاّ حيث يستكملها)** أي هذه الشروطَ السبعةَ، ومعنى استكمالها اجتماعُها في العبد والتزامُه إياها بدون مناقضةٍ منه لشيء منها، وليس المرادُ من ذلك عدَّ ألفاظِها وحِفظها، فكم من عامي اجتمعتْ فيه والتزَمَها ولو قيل له اعدُدْها لم يُحسن ذلك. وكم من حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيقُ بيد الله، والله المستعان.

(العلمُ واليقينُ والقبولُ … والانقيادُ فادرِ ما أقولُ)

(والصدقُ والإخلاصُ والمحبّةْ … وفّقكَ اللهُ لما أحبّهْ)

هذا تفصيلُ الشروطِ السبعةِ السابقِ ذكرُها التي قُيّدت بها هذه الشهادةُ، فأصْغِ سمعَك وأحضِرْ قلبَك لإملاء أدلّتِها وتفهُّمِها وتعلقها، ثم اعمَلْ على وَفق ذلك، تفُزْ بسعادة الدنيا والآخِرة إن شاء الله عزّ وجلّ، كما وعد الله تعالىٰ ذلك أنه لا يخلف الميعاد.

[١ ـ العلم بمعناها نفياً وإثباتاً]

الأولُ **(العلمُ)** بمعناها المرادِ منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله

عزّ وجلّ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بلا إلٰه إلاّ الله، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي الصحيح[1] عن عثمانَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ ماتَ وهو يعلمُ أنّهُ لا إلٰه إلاّ الله دخل الجنّة»**.

[٢ ـ اليقين المنافي للشك]

(واليقين) أي والثاني اليقينُ المنافي للشك بأن يكون قائلُها مستيقِناً بمدلول هذه الكلمةِ يقيناً جازماً، فإن الإيمانَ لا يُغني فيه إلاّ علمُ اليقين لا علم الظنِّ، فكيف إذا دخله الشكُّ؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صِدق إيمانهم بالله ورسوله كونَهم لم يرتابوا، أي لم يشكّوا، فأمّا المرتاب فهو من المنافقين ـ والعياذ بالله ـ الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وفي الصحيح[2] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسولُ الله، لا يَلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلاّ دخل الجنّة»**.

---

(١) في صحيح مسلم (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦).

(٢) في صحيح مسلم (١/ ٥٥ ـ ٥٦ رقم ٤٤/ ٢٧).

وفي رواية[1]: «**لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما فيُحجَبُ عن الجنّة**».

وفيه[2] عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبيّ ﷺ بعثه بنعليه، فقال: «**مَن لَقِيتَ مِن وراء هذا الحائطِ يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقِناً بها قلبُه فبشِّرْه بالجنّة**» الحديث، فاشترط في دخول قائلِها الجنةَ أن يكون مستيقِناً بها قلبُه، غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرطُ انتفى المشروط.

[٣ ـ قَبول مقتضاها بالقلب والإقرار به باللسان]

(و) الثالث (القَبولُ) لما اقتضتْه هذه الكلمةُ بقلبه ولسانِه، وقد قصّ الله عزّ وجلّ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامِه ممن ردّها وأباها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف]، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدّه لمن ردّها من العذاب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

فجعل الله تعالىٰ عِلّةَ تعذيبِهم وسبَبه هو استكبارُهم عن قول لا إله إلاّ الله، وتكذيبُهم مَن جاء بها، فلم ينفُوا ما نَفَتْه ولم يُثبتوا ما أثبتتْه، بل قالوا إنكاراً واستكباراً: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [صٓ]، وقالوا

---

(١) في صحيح مسلم (١/٥٦ ـ ٥٧ رقم ٤٥/٢٧).
(٢) أي في صحيح مسلم (١/٥٩ ـ ٦٠ رقم ٥٢/٣١).

هٰهنا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، فكذّبهم الله عزّ وجلّ وردّ ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾ [الصافات] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وفي الصحيح[1] عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**مثلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضاً فكان منها نقيةٌ قبِلت الماءَ فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناسَ فشَرِبوا وسقَوْا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قِيعانٌ لا تُمسِك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به**».

[٤ ـ الانقياد لما دلّت عليه]

(و) الرابع (الانقياد) لما دلّت عليه، المنافي لترك ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: بلا إلٰه إلاّ الله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومعنى يسلم وجهَه أي ينقاد، وهو محسنٌ موحد، ومن لم يسلم وجهَه إلى الله ولم يكُ محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعنيُّ بقوله عزّ وجلّ بعد ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان].

وفي حديث صحيح[2] أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئتُ به**»، وهذا هو تمامُ الانقيادِ وغايتُه.

---

(١) البخاري (١/ ١٧٥ رقم ٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧ رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٥)، والبيهقي في «المدخل» (ص١٨٨)، وابن=

[٥ ـ الصدق المنافي للكذب]

(و) الخامسُ (الصِّدقُ) فيها، المنافي للكَذِب، وهو أن يقولَها صدقاً من قلبه يواطئ قلبُه لسانَه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة].

وكم ذكر الله تعالىٰ من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارَهم وهتكها وأبدى فضائحَهم في غير ما موضعٍ من كتابه كالبقرة وآلِ عمرانَ والنساءِ والأنفالِ والتوبةِ وسورة كاملةٍ في شأنهم وغيرِ ذلك.

= بطة في «الإبانة» (١/ ٣٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٢ ـ ٢١٣ رقم ١٠٤)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٨)، والحسن بن سفيان النَّسوي في «الأربعين» له رقم (٩).

كلهم عن نعيم بن حماد، وهو ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم.

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٤): «تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جداً من وجوه: (منها): أنه حديث يتفرّد به نُعيمُ بن حماد المروزي، ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرّج له البخاري، فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظنّ، لِصلابته في السنة، وتشدُّده في الرّدِّ على أهل الأهواء، وكانوا ينسبونه إلى أنه يَهِمُ ويُشبّه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثُرَ عثورُهم على مناكيره، حكموا عليه بالضَّعف. . .

(ومنها): أنه قد اختلف على نُعيم في إسناده، فروي عنه، عن الثقفي، عن هشام، ورُوي عنه عن الثقفي، حدَّثنا بعضُ مشيختنا هشام أو غيره، وعلى هذه الرواية، فيكون شيخ الثقفي غير معروف عينه، ورُوي عنه، عن الثقفي، حدَّثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، فعلى هذه الرواية، فالثقفي رواه عن شيخٍ مجهولٍ، وشيخه رواه عن غير مُعَيَّن، فتزدادُ الجهالةُ في إسناده.

(ومنها): أن في إسناده (عُقبة بن أوس السدوسي البصري) ويقال فيه يعقوب بن أوس أيضاً، وقد خرّج له أبو داود والنسائي وابن ماجه حديثاً عن عبد الله بن عمرو ويقال: عبد الله بن عمرو، وقد اضطرب في إسناده، وقد وثقه العجلي، وابن سعد، وابن حبان، وقال ابن خزيمة: روى عنه ابن سيرين مع جلالته، وقال ابن عبد البر: هو مجهول. . .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي الصحيحين[1] عن معاذ بن جبلٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إلٰهَ إلاّ الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه صِدْقاً من قلبه إلاّ حرمّه الله على النار»**، فاشترط في إنجاء مَن قال هذه الكلمةَ من النار ـ أن يقولَها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجردُ التلفظِ بدون مواطأةِ القلب.

وفيهما[2] أيضاً من حديث أنس بن مالكٍ[3] وطلحةَ بن عبيد الله[4] رضي الله عنهما من قصة الأعرابيِّ وهو ضِمامُ بنُ ثعلبةَ وافدُ بني سعدِ بنِ بكرٍ لما سأل رسولَ الله ﷺ عن شرائع الإسلامِ فأخبره، قال: هل عليّ غيرُها؟ قال: **«لا، إلاّ أن تَطوّع»**، قال: والله لا أزيد عليها ولَا أنقُص منها، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أفلح إن صدق»**، وفي بعض الرواياتِ[5]: **«إن صدق ليدخُلنّ الجنة»**، فاشترط في فلاحه ودخولِ الجنةِ أن يكون صادقاً.

[٦ ـ الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك]

(و) السادس (الإخلاصُ) وهو تصفيةُ العملِ بصالح النيةِ عن جميع شوائبِ الشِّرك، قال تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيح[6] عن أبي هريرةَ عن النبيّ ﷺ: **«أسعدُ الناسِ بشفاعتي من قال لا إلٰه إلاّ الله خالصاً من قلبه أو نفسِه»**.

---

(١) البخاري (١/ ٢٢٦ رقم ٢٨)، ومسلم (١/ ٦١ رقم ٣٢).
(٢) أي في الصحيحين.
(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٦٣)، ومسلم (١/ ٤١ ـ ٤٢ رقم ١٢).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٠ ـ ٤١ رقم ١١).
(٥) أخرجها مسلم رقم (١٢) من حديث أنس.
(٦) البخاري (١/ ١٩٣ رقم ٩٩) و(١١/ ٤١٨ رقم ٦٥٧٠).

وفي الصحيح[1] عن عتبانَ بنِ مالكٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلاّ الله يبتغي بذلك وجهَ الله عزّ وجلّ».

وفي جامع الترمذي[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما قال عبدٌ قطُّ لا إله إلاّ الله مخلصاً إلاّ فُتحت له أبوابُ السماء حتى تُفضِي إلى العرشِ ما اجتُنبت الكبائرُ»، قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وللنّسائي في اليوم والليلة[3] من حديث رجلين من الصحابة عن النبيّ ﷺ: «من قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ، مخلِصاً بها قلبُه يُصدِّق بها لسانُه إلاّ فَتق الله لها السماءَ فتقاً حتى ينظُرَ إلى قائلها من أهل الأرض، وحُقَّ لعبدٍ نظر الله إليه أن يُعطِيَه سُؤْلَه».

[٧ ـ محبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلّت عليه ومحبة أهلها العاملين بها]

(و) السابع (المحبةُ) لهذه الكلمةِ ولما اقتضتْه ودلّتْ عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبُغضُ ما ناقض ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبرنا الله عزّ وجلّ أن عبادَه المؤمنين أشدُّ حباً له، وذلك لأنهم لم يُشركوا معه في محبّته أحداً كما فعل مُدَّعو محبتِه من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونه كحبه، وعلامةُ حبِّ العبدِ ربَّه تقديمُ مَحابِّه وإن خالفت هواه، وبغضُ ما يُبغض ربُّه وإن مال إليه هواه، وموالاةُ من والى الله ورسولَه ومعاداةُ من عاداه، واتباعُ رسولِهِ ﷺ واقتفاءُ أثرِه وقَبولُ هداه.

---

(١) البخاري (١/٥١٩ رقم ٤٢٥)، ومسلم (١/٤٥٥ ـ ٤٥٦ رقم ٢٦٣/٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ص١٥٠ رقم ٢٨ بسند ضعيف فيه: محمد بن عبد الله بن ميمون بن مُسَيْكة. قال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٦٠٥١): مقبول.
وفيه أيضاً: يعقوب بن عاصم، قال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٨٢٠): مقبول.

وكلُّ هذه العلاماتِ شروطٌ في المحبة لا يُتصوَّر وجودُ المحبةِ مع عدم شرطٍ منها، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فكلُّ من عبدَ مع الله غيرَه فهو في الحقيقة عبدٌ لهواه، بل كلُّ ما عُصيَ الله به من الذنوب فسببُه تقديمُ العبدِ هواه على أوامر الله عزّ وجلّ ونواهيه، وقال تعالىٰ في شأن الموالاة والمعاداةِ فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الآياتُ، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة] الآيتين. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالىٰ في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلاّ لله، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار»**، أخرجاه(١) من حديث أنسٍ ﷺ.

وفيهما(٢) عنه وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يؤمن**

(١) البخاري (١/ ٧٢ رقم ٢١)، ومسلم (١/ ٦٦ رقم ٦٨/ ٤٣).

(٢) البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٧٠/ ٤٤) من حديث أنس. =

أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالدِه والناسِ أجمعين».

وفي كتاب الحجة[1] بسند صحيحٍ عن عبد الله بن عمرو بنِ العاص ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئتُ به»**، وذلك الذي جاء به الرسولُ ﷺ هو الخبرُ عن الله، والأمرُ بما يحبه الله ويرضاه، والنهيُ عما يكرهه ويأباه، فإذا امتثل العبدُ ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه، وإن كان ذلك مخالفاً لهواه كان مؤمناً حقاً، فكيف إذا كان لا يهوَى سوى ذلك، وفي الحديث: **«أوثقُ عُرى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغضُ فيه»**[2].

وقال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: (من أحبَّ في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك).

وقد أصبح غالبُ مواخاةِ الناسِ اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً.

وقال الحسن البصري[4] وغيرُه من السلف: (ادعى قومٌ محبةَ الله عزّ وجلّ فابتلاهُم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

= * البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٤) من حديث أبي هريرة.

(١) كتاب «الحجة» لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تارك المحجة» يتضمن أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة. انظر «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣) لابن رجب.
وقد تقدم تخريج الحديث قريباً وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، و«الأوسط» رقم (٤٤٧٩) و«الكبير» رقم (١٠٥٣١)، و«الطيالسي» (١/ ٢٣ ـ منحة المعبود) ومن طريقه البيهقي في «الآداب» رقم (٢٢٨) من طريق الصعق بن حزن، عن عقيل بن الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٩٠) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث» اهـ.
قلت: وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٠٨): «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلاّ به»، ثم أورد ما قاله البخاري.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٨ رقم ١٦٦١٩) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٢٠) من طريق سفيان عن ليث.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٦٨٤٥) و(٦٨٤٦) عنه وهو مرسل.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران].

وقال البخاري[1] رحمه الله تعالىٰ: حدّثنا محمدُ بنُ سِنان قال: حدثنا فُلَيْحٌ قال: حدّثنا هلالُ بنُ عليٍّ عن عطاء بن يسارٍ عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «كلُّ أمتي يدخُلون الجنةَ إلاّ من أبى»، قالوا: يا رسولَ الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبى».

قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبادةَ أخبرنا يزيدُ حدثنا سليمٌ ـ وأثنى عليه ـ حدثنا سعيدُ بنُ مِيناء حدثنا ـ أو سمعتُ ـ جابرُ بنُ عبد الله ﷺ يقول: جاءت ملائكةٌ إلى النبيّ ﷺ وهو نائمٌ فقال بعضُهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضُهم: إنه نائمٌ، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن مثله كمثل رجلٍ بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعيَ دخل الدارَ وأكل من المأدُبة، ومن لم يُجب الداعيَ لم يدخل الدارَ ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوّلوها له يفقَهْها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ. فقالوا: فالدارُ الجنةُ والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمّداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فَرْقٌ بين الناس[2].

ومن هنا يُعلم أنه لا تتمّ شهادةُ أن لا إلٰه إلاّ الله إلا بشهادة أن محمداً رسولُ الله ﷺ، فإذا عُلم أنه لا تتم محبةُ الله عزّ وجلّ إلاّ بمحبّةَ ما يحبه وكراهةِ ما يكرهه، فلا طريقَ إلى معرفة ما يحبه تعالىٰ وما يرضاه، وما يكرهه ويأباه إلاّ باتّباع ما أمر به رسولُ الله ﷺ واجتنابِ ما نهى عنه، فصارت محبتُه مستلزمةً لمحبة

---

(١) في صحيحه (١٣/٢٤٩ رقم ٧٢٨٠).
ووهم الحاكم فاستدركه (١/٥٥) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/٢٤٩ رقم ٧٢٨١).
فرّق: بتشديد الراء فعلاً ماضياً.
وفرْق: بسكون الراء والتنوين، وكلاهما متجه. قاله ابن حجر في «الفتح» (١٣/٢٥٦).
والمعنى: أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

رسولِ الله وتصديقِه ومتابعتِه، ولهذا قرَن محبّتَه بمحبة رسولِ الله ﷺ في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن؛ كقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات.

[أحاديث أن الشهادتين سبب دخول الجنة لا تنافي أحاديث الوعيد]

ثم اعلم أن الأحاديث الدالةَ على أن الشهادتين سببٌ لدخول الجنةِ والنجاةِ من النار لا تناقُضَ بينها وبين أحاديثِ الوعيدِ التي فيها: من فعل ذنبَ كذا فالجنةُ عليه حرامٌ، أو لا يدخل الجنةَ من فعل كذا، لإمكان الجمعِ بين النصوصِ بأنها جنانٌ كثيرةٌ كما أخبر النبيُّ ﷺ، وبأن أهلَ الجنةِ أيضاً متفاوتون في دخولِ الجنةِ في السَّبْقِ وارتفاعِ المنازل، فيكون فاعلُ هذا الذنبِ لا يدخل الجنةَ التي أُعِدَّتْ لمن لم يرتكبْه، أو لا يدخُلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنبَ، وهذا واضحٌ مفهومٌ للعارف بلغة العرب.

وكذلك لا تناقُضَ بين الأحاديث التي فيها تحريمُ أهلِ هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديثِ التي فيها إخراجُهم منها بعد أن صاروا حُمَماً، لإمكان الجمعِ بأن تحريمَ من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمَه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياةِ ويدخُلون الجنة، فحينئذ قد حُرّموا عليها فلا تَمَسُّهم بعد ذلك، أو أن يكون المرادُ أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أُعِدّت للكافرين التي لا يَخرُج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقةَ العليا من النار التي يدخلها بعضُ عصاةِ أهل التوحيدِ ممن شاء الله تعالىٰ عقابَه وتطهيرَه بها على قدْر ذنبِه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارةٌ كافيةٌ في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ بسطَ ذلك في موضعه عند ذكرِ الشفاعات، ونذكر الأحاديثَ التي فيها هذا وهذا، والأحاديثَ التي يكون بها الجمعُ بين ذلك.

وقد ذكر الحافظُ ابنُ رجب رحمه الله تعالىٰ في هذا الباب كلاماً حسناً بعد

سياقِه حديثَ معاذٍ وحديثَ عَتبانَ وحديثَ أبي ذر وحديثَ عُبادةَ، وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث.

قال: وأحاديثُ هذا البابِ نوعان: أحدُهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنةَ ولم يُحْجَب عنها، وهذا ظاهرٌ، فإن النارَ لا يخلّد فيها أحدٌ من أهل التوحيدِ الخالصِ، بل يدخل الجنةَ ولا يُحجب عنها إذا طَهُر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنةَ بلا عقابٍ قبلُ.

وحديثُ أبي ذرٍّ معناه أن الزنا والسرقةَ لا يمنعانِ دخولَ الجنةِ مع التوحيد، وهذا حقٌّ لا مِرْية فيه، وليس فيه أن لا يُعذَّبَ عليها مع التوحيد، وفي مسند البزارِ[1] عن أبي هريرةَ ﷺ مرفوعاً: **«من قال لا إله إلاّ الله نفعته يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصابه»**.

الثاني: فيه أن يُحرَّم على النار، وقد حمله بعضُهم على الخلود فيها أو على ما يُخلَّد فيها أهلُها، وهي ما عدا الدركَ الأعلى من النار، فإن الدركَ الأعلى يدخله كثيرٌ من عصاة الموحِّدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي الصحيحين[2]: **«أن الله تعالىٰ يقول: وعزتي وجلالي لأُخرِجَنَّ من النار من قال لا إله إلاّ الله»**.

---

(1) (١/ ١٠ رقم ٣)، وقال البزار: وهذا لا نعلمه يروى عن النبيّ ﷺ إلاّ بهذا الإسناد، ورواه عيسى بن يونس عن الثوري عن منصور أيضاً، وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً ورفعه أصح.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧) وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» ـ رقم (٤و٥ مجمع البحرين) والصغير ـ (١/ ١٤٠) ـ ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٠٥) من طريق سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف عن الأغرّ، عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وذكره السيوطي في جامعه (٦/ ١٨٨) ورمز لحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٣٤)، وأورده في «الصحيحة» رقم (١٩٣٢).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(2) البخاري (١٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ١٩٣).
من حديث أنس الطويل في الشفاعة، وقد ذكر في عدة مواطن من هذا الكتاب.

وقالت طائفةٌ من العلماء[1]: المرادُ من هذه الأحاديثِ أن لا إله إلاّ الله سببٌ لدخول الجنةِ والنجاةِ من النار ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضيَ لا يعمل عملَه إلاّ باستجماع شروطِه وانتفاءِ موانعهِ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرطٍ من شروطه أو لوجود مانعٍ، وهذا قولُ الحسنِ ووهبِ بنِ منبه وهو أظهرُ.

وقال الحسنُ للفَرَزْدق وهو يدفِن امرأتَه: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةَ أن لا إله إلاّ الله منذ سبعين سنةً. قال الحسن: نِعْمَ العِدّةُ، لكنّ للا إله إلاّ الله شروطاً، فإياك وقذفَ المحصَنات.

وقيل للحسن[2]: «إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلاّ الله فأدّى حقّها وفرضَها دخل الجنة».

وقال وهبُ بن منبِّه[3] لمن سأله: «أليس مفتاحُ الجنةِ لا إله إلاّ الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلاّ له أسنانٌ، فإن أتيتَ بمفتاح له أسنانٌ فُتح لك، وإلاّ لم يُفتحْ لك».

وهذا الحديثُ: «إن مفتاحَ الجنة لا إله إلاّ الله»، أخرجه الإمام أحمدُ[4]

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٢٢).

(٢) أخرج الطبراني في «الكبير» رقم (٥٠٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤) من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً: «من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخلَ الجنّة»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «إخلاصُهُ أن يحجزَهُ عمّا حَرّم الله عليه».
وفي إسناده أبو داود نفيع متروك وقد كذّبه ابن معين.
والهيثم بن جماز: ضعيف.
وأخرج الطبراني في «الأوسط» رقم (١٢٣٥) من طريق آخر وفيه عبد الرحمٰن بن غزوان، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨)) «وهو وضاع» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» معلقاً (٣/ ١٠٩)، وقد وصله البخاري في «التاريخ» (١/ ٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦).

(٤) لم أجده في المسند بهذا اللفظ.
بل وجدته في المسند (٥/ ٢٤٢)، والبزار (١/ ٩ رقم ٢ ـ كشف)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٥٦) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلاّ الله» بسند منقطع ضعيف.
شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ.
وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها.

بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«إذا سألك أهلُ اليمنِ عن مفتاح الجنةِ فقل لا إله إلاّ الله»**.

ويدلّ على هذا كونُ النبيّ ﷺ رتّب دخولَ الجنةِ على الأعمال الصالحةِ في كثير من النصوص، كما في الصحيحين[1] عن أبي أيوبَ أن رجلاً، قال: يا رسول الله، أخبِرني بعملٍ يُدخلني الجنة، قال: **«تعبد الله لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاةَ وتؤتي الزكاةَ وتصِل الرحِم»**.

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، دُلّني على عمل إذا عَمِلْتُه دخلتُ الجنة، قال: **«تعبد الله لا تُشرِك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبةَ، وتؤدّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصوم رمضان»**، فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أَزيدُ على هذا شيئاً ولا أنقُص منه، فقال النبيُّ ﷺ: **«من سرّه أن ينظُرَ إلى رجل من أهل الجنةِ فلينظُر إلى هذا»**.

وفي المسند[3] عن بشير بنِ الخصاصيةِ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأُبايعَه، فاشترط عليَّ شهادةَ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وأن أقيم الصلاةَ وأن أُوتيَ الزكاةَ وأَحُجَّ حَجةَ الإسلام وأن أصومَ رمضان وأن أجاهدَ في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله ما أُطيقُهما، الجهادُ والصدقة. فقبض رسولُ الله ﷺ ثم حركها وقال: **«فلا جهاد، ولا صدقة! فبمَ يدخُل الجنةَ إذاً؟»** قلت: أبايِعُك، فبايعتُه عليهن كلِّهنّ.

ففي الحديث أن الجهادَ والصدقةَ شرطٌ في دخول الجنةِ مع حصولِ التوحيد والصلاةِ والصيامِ والحج.

ونظيرُ هذا أن النبيَّ ﷺ قال: **«أُمِرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله**

---

(١) البخاري (١٠/ ٤١٤ رقم ٥٩٨٣)، ومسلم (١/ ٤٢ ـ ٤٣ رقم ١٣).

(٢) في صحيحه (١/ ٤٤ رقم ١٤). قلت: وأخرجه البخاري (٣/ ٢٦١ رقم ١٣٩٧).

(٣) أي في مسند أحمد (٥/ ٢٢٤) بسند حسن.

وفيه أبو المثنى العبدي واسمه (مؤثر بن عفارة العبدي الكوفي) لم يجرحه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان. وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله ﷺ[1]، ففهم عمرُ وجماعةٌ من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرّد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاةِ، وفهِم الصديقُ رضي الله عنه أنه لا يمتنع قتالُه إلاّ بأداء حقوقِها لقوله ﷺ: **«فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءَهم وأموالهم إلاّ بحقِّها وحسابُهم على الله»**، وقال: الزكاةُ حقُّ المال. وهذا الذي فهمه الصديقُ رضي الله عنه قد رواه عن النبيّ ﷺ صريحاً غيرُ واحدٍ من الصحابة منهم ابنُ عمرَ وأنسٌ وغيرُهما[2] رضي الله عنهم، وأنه قال: **«أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»**، ودلّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، ولا تثبُت إلاّ بأداء الفرائضِ مع التوحيد، ولما قرّر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجَعوا إلى قوله ورأَوْه صواباً، فإذا عُلم أن عقوبةَ الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقَب بإخلاله بحقٍّ من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبةُ الآخرة.

وقد ذهبت طائفةٌ إلى أن هذه الأحاديثَ المذكورةَ أولاً وما في معناها كانت قبل نزولِ الفرائضِ والحدود، منهم الزهريُّ والثوريُّ وغيرُهما، وهذا بعيدٌ جداً، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزولِ الفرائضِ والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوةَ تبوكَ وهي في آخر حياةِ النبيِّ ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديثُ منسوخةٌ، ومنهم من يقول هي محكمةٌ ولكن ضُمّ إليها شرائطُ، ويلتفت هذا إلى أن زيادةَ النصّ هل هي نسخٌ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهورٌ، وقد صرح الثوريُّ بأنها منسوخةٌ، وأنه نسخَتْها الفرائضُ والحدود.

وقد يكون مرادُهم بالنسخ البيانَ والإيضاحَ، فإن السلفَ كانوا يطلقون النسخَ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادُهم أن آياتِ الفرائضِ والحدودِ تبين توقفَ دخولِ أهلِ الجنة والنجاةِ من النار على فعل الفرائضِ واجتنابِ المحارمِ، فصارت

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢) من حديث ابن عمر.
* وأخرجه البخاري (١/ ٤٩٧ رقم ٣٩٢) من حديث أنس.
* وقد تقدم حديث أبي هريرة قريباً مع بيان طرقه.

(٢) تقدم تخريجها آنفاً.

النصوصُ منسوخةً أي مبينةً مفسرةً، ونصوصُ الحدودِ والفرائضِ ناسخةً أي مفسرةً لمعنى تلك النصوصِ موضحةً لها.

وقالت طائفةٌ: تلك النصوصِ المطلقةِ قد جاءت مقيدةً في أحاديثَ أُخَرَ، ففي بعضها: **«من قال لا إلٰه إلا الله مخلصاً دخل الجنة»**[1]، وفي بعضها: **«مستيقناً»**[2]، وفي بعضها: **«مصدقاً بها قلبُه لسانَه»**[3]، وفي بعضها: **«يقولها من قلبه»**[4]، وفي بعضها: **«قد ذلّ بها لسانه واطمأنّ بها قلبُه»**[5].

وهذا كلّه إشارةٌ إلى عملِ القلبِ وتحقّقِه بمعنى الشهادتين، فتحققُه بمعنى شهادةِ أن لا إلٰه إلاّ الله أن لا يَأْلَهَ قلبُه غيرَ اللّٰهِ حباً ورجاءً وخوفاً وطمعاً وتوكّلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابةً وطلباً.

وتحقُّقه بشهادة أن محمداً رسولُ الله ﷺ أن لا يُعْبَدَ بغير ما شرعه على لسان نبيِّه محمدٍ ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ أنّه قال: **«من قال لا إلٰه إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة»**، قيل: ما إخلاصها يا رسولَ الله؟ قال: **«أن تحجُزَك عما حرّم الله عليك»**، وهذا يُروى من حديث أنسِ بن مالكٍ[6] وزيدِ بنِ أرقمَ[7]، ولكنْ إسنادُهما لا يصح.

وجاء أيضاً من مراسيلِ الحسنِ نحوُه، وتحقيقُ هذا المعنى وإيضاحُه أن قولَ العبد «لا إلٰه إلاّ الله» يقتضي أن لا إلٰهَ غيرُ الله، والإلٰهُ الذي يطاع ولا يُعصى هيبةً وإجلالاً ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكّلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٦٤)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢١)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.
(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٦٤) وفي سنده محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان كان يضع الحديث، فهو حديث موضوع.
(٧) تقدم تخريجه قريباً.

كلُّه لغير الله عزّ وجلّ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمورِ التي هي من خصائص الإلٰهيةِ كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إلٰه إلاّ الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوقِ بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فروع الشركِ، ولهذا ورد إطلاقُ الكفر والشركِ على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غيرِ الله عزّ وجلّ أو خوفِه أو رجائِه أو التوكّل عليه أو العمل، كما ورد إطلاقُ الكفرِ والشركِ على الرِّيا، وعلى الحِلِف بغير الله عزّ وجلّ، وعلى التوكّل على غير الله والاعتمادِ عليه، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثلُ أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلاّ الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرُّدِ الله بالنفع والضرّ كالطِيَرة[1] والرُّقى المكروهة[2] وإتيان الكُهّان وتصديقِهم بما يقولون[3].

---

(١) الطِّيَرة: بكسر المهملة وفتح التحتانية، وقد تسكن ـ هي: التشاؤم بالشين ـ وهو مصدر تطير مثل تحيُّر خِيَرة. قال بعض أهل اللغة: لم يجئ من المصادر هكذا غير هاتين. [فتح الباري: (١٠/ ٢١٢)].
وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٧٨): «الشؤم في كلام العرب النحس، وكذلك قال أهل العلم بتأويل القرآن، في قوله عزّ وجلّ: ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت: ١٦] قالوا: مشائيم.
قال أبو عبيدة: نحسات ذوات نحوس مشائيم، انتهى.

(٢) (منها): الرقى التي فيها الاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بالجن ونحوها. والاستعانة بالروحانيات مما يُضاد العقيدة، ويؤدّي بالإنسان إلى الشرك.
(ومنها): الرقى التي يعتمد عليها بعض الناس اعتماداً كلياً، ويظن أنها مؤثرة بذاتها، ولم يقف بها عند مرحلة السببية التي لا تؤثر إلاّ بقدرة الله ومشيئته.
(ومنها): الرقى التي يعتقد بها بعض الناس أنها هي الشافية، وهذا معارض للعقيدة الصحيحة التي ذكرها الله في كتابه وعلى ألسنة رسله.

(٣) «الكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادّعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم: ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. وقال في «المحكم»: الكاهن القاضي بالغيب. وقال في «الجامع»: العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً.
وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. =

وكذلك اتباعُ هوى النفسِ فيما نهى الله عنه قادحٌ في تمام التوحيد وكمالِه، ولهذا أطلق الشرعُ على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفسِ أنها كفرٌ وشركٌ كقتال المسلم ومن أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرها، ومن شرب الخمرَ في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه من الملّة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفرٌ دون كفر، وشِركٌ دون شركٍ، وقد ورد إطلاقُ الإله على الهوى المتبَّعِ، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال الحسنُ[١] رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئاً إلاّ رَكِبه.

وقال قتادة[٢]: هو الذي كلما هوِيَ شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجُزه عن ذلك ورَعٌ.

ورُوي من حديث أبي أُمامةَ مرفوعاً بإسناد ضعيف: «**ما تحت ظلِّ السماءِ إلهٌ يعبد أعظمُ عند الله من هوىً مُتّبع**»[٣].

وفي حديث آخرَ: «**لا تزال لا إله إلاّ الله تدفع عن أصحابها حتى يُؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك رُدّت عليهم ويقال لهم كذبتم**»[٤].

= وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوّة فيهم...» اهـ. (فتح الباري ١٠/٢١٦ ـ ٢١٧).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣) بإسناد مسلسل بالمتروكين.
عيسى بن إبراهيم وهو ابن طهمان الهاشمي، وابن دينار وهو الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي، والخصيب وهو ابن جحدر، وهذا أو الذي قبله كذبهما جماعة.
قال ذلك الألباني في «ظلال الجنة» (١/٨).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٨) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».
وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٣٩) وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل» اهـ.
وانظر: الآلئ المصنوعة (٢/ ٣٢٢)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٩٥ رقم ١٢٧٩/ ٤٠٣٤) من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف جداً. =

ويشهد لهذا الحديثِ الصحيحِ[1] عن النبيّ ﷺ: **«تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تعس عبدُ القَطيفة، تَعِس عبد الخميصة، تَعِس وانتكَس وإذا شيك فلا انْتَقَشَ»**، فدلّ هذا على أن من أحبّ شيئاً وأطاعه، وكان من غاية قصدِه ومطلوبِه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبدُه، وكان ذلك الشيءُ معبودَه وإلٰهه.

ويدلّ عليه أيضاً أن الله تعالىٰ سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادةً للشيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقال تعالىٰ حاكياً عن خليله إبراهيمَ عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]، فمن لم يتحقق بعبودية الرحمٰن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلُصْ من عبادة الشيطان إلاّ من أخلص عبوديةَ الرحمٰنِ وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فهم الذين حقّقوا قولَ لا إلٰه إلاّ الله وأخلصوا في قولها وصدّقوا قولَهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاءً وخشيةً وطاعةً وتوكّلاً، وهم الذين صدقوا في قول لا إلٰه إلاّ الله، وهم عبادُ الله حقاً. فأمّا من قال لا إلٰه إلاّ الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصيةِ الله ومخالفتهِ فقد كذّب قولَه فعلُه، ونقص من كمال توحيدِه بقدر معصيةِ الله في طاعة الشيطان والهوى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صۤ: ٢٦].

ثم قال رحمه الله: فيا هذا كُنْ عبداً لله لا عبداً للهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

«تَعِسَ عبدُ الدرهم، تَعِس عبد الدينار»[2]، والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلاّ من حقق عبوديةَ الله وحده، ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلٰهه ومعبودَه فردٌ فليُفرِدْه بالعبودية ولا يشركْ بعبادة ربّه أحداً، انتهى كلامه رحمه الله تعالىٰ.

= وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/٢٠٨، ٢٤٦ رقم ٣٢٧٤، ٣٣٩٦) وعزاه إلى أبي يعلى.
وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عمر بن حمزة».

(١) أخرجه البخاري (٦/٨١ رقم ٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة.
(٢) وهو حديث صحيح، وقد تقدم آنفاً.

[ال] فصل: [الثالث]

في تعريف العِبَادة: وذكرِ بَعض أنواعِهَا
وأن مَن صرَف منها شيئاً لغير الله فقد أشرَك



[تمهيد]

قد عرفت مما قدّمنا في معنى لا إله إلاّ الله أن الإله هو المألوهُ الذي تألَهُه القلوبُ، أي تعبُده محبةً وتذلّلاً وخوفاً ورجاءً ورغباً ورهَباً وتوكّلاً عليه واطّراحاً بين يديه، واستعانةً به، والتجاءً إليه، وافتقاراً إليه. وذلك لا ينبغي إلاّ لله عزّ وجلّ خالقِ كلِّ شيءٍ ومُصوِّره ومُصرِّفه ومُدبّره، مُبْدي الخلقِ ومعيدهِ، ومُحْييه ومُبيدهِ، الفعالُ لما يريد، الذي هو على كل شيءٍ شهيد، الذي لا ملجأ ولا مَنْجى منه إلاّ إليه، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر].

والعبدُ إن أُريد به المُعبَّدُ أي المُذلّلُ المسخّرُ دخل فيه جميعُ المخلوقات من جميع العالم العلويِّ والسُّفليِّ من عاقل وغيره ومن رطب ويابسٍ ومتحركٍ وساكنٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وبَرّ وفاجر، وغيرُ ذلك، الكلُّ مخلوقٌ لله عزّ وجلّ مسخّرٌ بتسخيره مدبرٌ بتدبيره، ولكل منها رسمٌ يقف عليه وحَدٌ ينتهي إليه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، كلٌّ يجري لأجل مسمًّى لا يتجاوزه مثقالَ ذرةَ، ذلك تقديرُ العليم، وتدبير العدل الحكيم.

وإن أريد به العابدُ خُصَّ ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثرُ المشركين يعبدون الله عزّ وجلّ ويتقرّبون إليه بكثير من العبادات، لكن لمّا عبدوا مع الله غيرَه وأشركوه معه في إلٰهيته كانت أعمالُهم هباءً منثوراً: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، و﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، و﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ

﴿ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ذلك بأنهم: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠]، و﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وتولّوا الطاغوتَ فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطانَ وقد عَهِد الله إليهم أن لا يعبُدوه، وبيّن لهم عداوتَه، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فخالفوا أمرَ الله وتولّوا أعداءَه وكذّبوا رسلَه وأنبياءَه وحاربوا حزبه وأولياءَه. وأرادوا تشييدَ الكفرِ وإعلاءَه وردَّ الحقِّ وإباءَه، فأبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يُتمَّ نورَه ويُظهِرَ دينَه ويُعليَ كلمتَه وينصُرَ أولياءَه ويُحقَّ الحقَّ بكلماته ويقطعَ دابرَ الكافرين، ويجعل حزبَه هم الغالبين، ويجعلَ العاقبةَ للمتقين، ولا عدوانَ إلاّ على الظالمين.

لكنْ المؤمنون هم عبادُه حقاً، الذين أفردوه بإلٰهيته وربوبيتِهِ، وأسمائِه وصفاتِه ولم يُشبِّهوه بشيء من خلقه، ولم يسوُّوا شيئاً من خلقه به. أولئك الذين تُضاعف لهم الحسنةُ بعشر أمثالِها إلى سَبعِمائةِ ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة؛ كما قال تعالىٰ في الأولى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال في الثانية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال في الثالثة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

تولّوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفرِ إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلالِ إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهلِ إلى نور العلم، ومن ظلمات الغيِّ إلى نور الرشاد.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ملأ الله قلوبَهم بنورِ معرفتِهِ ومحبّتِه والشوقِ إلى لقائه، فلم تتّسع لغيره، دنا الشيطانُ من قلوبهم فاحترق بنور إيمانِهم فنكَص على عقِبه خاسئاً حسيراً، وأيِسَ منهم أن يُطِيعوه فانقلب مذموماً مدحوراً، فعند ذلك عزّى نفسَه اللعينُ وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، حفِظوا الله فحفِظَهم وصدَقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكُثوا أيمانَهم، تعرّفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرَفهم في الشدّة بالفرج، صدّقوا رسلَه وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره، وانكفّوا عما نهى عنه، ثم تجرّدوا لنُصْرة دينِه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيله، ودخل الناسُ بذلك في دين الله أفواجاً طوعاً وكرهاً، وقادوهم إلى الجنّة بالسلاسل، نصروا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرَفوا ما خُلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يَغنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقَى على ما يفْنى، وتعلقت أرواحُهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصّةُ الله من خلقه والمُصْطَفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبُه الغالبون، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، ليُوفِّيهم أجورَهم ويزيدَهم من فضله إنه غفورٌ شكور.

[معنى العبادة]

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلقَ، وأخذ بها عليهم الميثاقَ، وأرسل بها رسلَه وأنزل كتبَه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنار.

(هي اسمٌ جامعٌ لكل ما) يُحب و(يرضى) مبنيٌ للمعروف، فاعلُه (الإله السامعُ) وهو الله عزّ وجلّ، من الأقوال والأعمال الظاهرةِ والباطنة، فالظاهرةُ كالتلفّظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ، والصوم والحجِّ، والجهادِ في سبيل الله، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، وإغاثةِ الملهوف، ونصر المظلومِ، وتعليم الناسِ الخيرَ، والدعوةِ إلى الله عزّ وجلّ وغيرِ ذلك.

والباطنةُ كالإيمان بالله وملائكتهِ وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر والقدرَ خيرِه وشرّه، وخشيةِ الله وخوفِه ورجائِه والتوكّلِ عليه والرغبةِ والرهبةِ إليه، والاستعانةِ به، والحبِّ والبغضِ في الله والموالاةِ والمعاداةِ فيه، وغيرِ ذلك.

ثم اعلم أنها لا تُقبل الأعمالُ الظاهرةُ ما لم يساعدها عملُ القلب. ومناطُ العبادةِ هي غايةُ الحبِّ مع غاية الذلّ، ولا تنفع عبادةٌ بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: «من عبد الله بالحب وحدَه فهو زِنْديقٌ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مُرْجِئٌ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروريٌّ، ومن عبده

بالحب والخوفِ والرجاء فهو مؤمنٌ موحد»[1] اهـ.

قلت: وبيانُ كلامِهم هذا أن دعوى الحبِّ لله بلا تذلّل ولا خوفٍ ولا رجاءٍ ولا خشيةٍ ولا رهبةٍ ولا خضوعٍ دعوَى كاذبةٌ. ولذا ترى من يدّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عزّ وجلّ ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونيةِ وأنه مطيعٌ لها، وهذا شأنُ المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وغير ذلك. وإمامُهم في ذلك الاحتجاجِ هو إبليسُ؛ إذ قال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. وإنما المحبةُ نفسُ وِفاقِ العبدِ ربَّه: فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه.

وإنما تتلقى معرفة محابِّ الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصُل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه الله تعالىٰ: ادَّعى قومٌ محبةَ الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران؛ ٣١]، فمن ادّعى محبةَ الله ولم يكُ متبعاً رسولَه فهو كاذبٌ.

وقال الشافعيُّ[2] رحمه الله تعالىٰ: (إذا رأيتم الرجلَ يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدِّقوه حتى تعلموا متابعتَه لرسول الله ﷺ).

وكذلك الرجاءُ وحده إذا استرسل فيه العبدُ تجرأ على معاصي الله وأمِنَ مكْرَ الله، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكذلك الخوفُ وحده إذا استرسل فيه العبدُ ساء ظنُّه بربه وقَنِط من رحمته ويَئِس من رَوْحه، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فالأمنُ من مكرِ الله خُسرانٌ، واليأسُ من رَوحه كفرانٌ، والقنوطُ من رحمة الله ضلالٌ وطُغيان، وعبادةُ الله عزّ وجلّ بالحب والخوفِ والرجاءِ توحيدٌ وإيمانٌ، فالعبدُ المؤمنُ بين الخوف والرجاء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾

---

(١) انظر كتاب «العبودية» لابن تيمية (ص٣٨ ـ ٥٦).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي «١/ ٤٥٣»، و«آداب الشافعي» (ص١٨٤).

[الزمر: ٩]، وبيّن الرغبةِ والرهبة، كما قال تعالىٰ في آل زكرياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فتارةً يمُدّه الرجاءُ والرغبةُ فيكاد أن يطيرَ شوقاً إلى الله، وطوراً يقبِضه الخوفُ والرهبةُ فيكاد أن يذوبَ من خشية الله تعالىٰ، فهو دائبٌ في طلب مرضاةِ ربِّه، مقبلٌ عليه، خائفٌ من عقوباته ملتجئٌ منه إليه، عائذٌ به منه، راغبٌ فيما لديه.

وكذلك هو في صفات الله عزّ وجلّ لا نافٍ ولا مُشبِّهٌ، وفي أفعال العبادِ لا جَبْريٌّ ولا قدَريٌّ، وفي أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهلِ بيته ليس بذي النصْبِ ولا التشيّع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجيّ ولا مُرجئ.

فدينُ الله بين الغُلوِّ والجفاء، والتفريطِ والإفراط، وخير الأمور الأوساط.

وللعبادة ركنان لا قِوَامَ لها إلاّ بهما وهما: الإخلاصُ والصدق، وحقيقةُ الإخلاصِ أن يكون قصدُ العبدِ وجهَ الله عزّ وجلّ والدارَ الآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا

ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة].

وفي الصحيحين[1] عن عمرَ بنِ الخطاب ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنِّيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرته إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكِحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**».

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله لا ينظُر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظُر إلى قلوبكم**».

وعن أبي موسى ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حَميَّةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، متفق عليه[3].

ولو ذهبنا نذكر أحاديثَ الإخلاصِ لطال الفصلُ.

وأما الصدقُ فهو بذلُ العبد جهدَه في امتثال ما أمر الله به، واجتنابِ ما نهى الله عنه، والاستعدادُ للقاء الله، وتركُ العَجْزِ، وتركُ التكاسلِ عن طاعة الله، وإمساكُ النفسِ بلجام التقوى عن محارم الله، وطردُ الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كلّه ما استطاع.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) البخاري (١/٩ رقم ١)، ومسلم (٣/١٥١٥ رقم ١٩٠٧).
(٢) في صحيحه (٤/١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤).
(٣) البخاري (٦/٢٧ رقم ٢٨١٠)، ومسلم (٣/١٥١٢ رقم ١٩٠٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي الصحيح[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«المؤمنُ القويُ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خيرٌ. احرِص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عملَ الشيطان»**.

وفي الحديث الآخرِ: **«الكيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنَّى على الله»**[(٢)].

---

(١) في صحيح مسلم (٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٢٤)، والترمذي (٤/٦٣٨ رقم ٢٤٥٩) وقال: حديث حسن.
وابن ماجه (٢/١٤٢٣ رقم ٤٢٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/٣٠٨ رقم ٤١١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٣٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٧) وقال: صحيح على شرط البخاري.
وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله أبو بكر واه
والطبراني في «الكبير» (٧/٢٨٤ رقم ٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٧) و(٨/١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٥٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص٥٥ ـ ٥٦ رقم ١٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/٤٧٢) كلهم من حديث شداد بن أوس.
وهو حديث ضعيف؛ لأن مداره على أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي وهو ضعيف جداً.

وإذا اجتمعت النيةُ الصالحةُ والعزيمةُ الصادقةُ في هذا العبدِ قام بعبادة الله عزّ وجلّ.

ثم اعلم أنه لا يُقبل منه ذلك إلاّ بمتابعته الرسولَ ﷺ فيعبد الله بوَفْق ما شرَع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالىٰ من أحد سواه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الصحيحين[١] عن عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»، وفي رواية لمسلم[٢]: «**من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**».

فهذه الثلاثةُ الأركانُ شروطٌ في العبادة لا قِوامَ لها إلاّ بها، فالعزيمةُ الصادقةُ شرطٌ في صدورها، والنيةُ الخالصةُ وموافقةُ السنة شرطٌ في قبولها، فلا تكون عبادةً مقبولةً إلاّ باجتماعها، فإخلاصُ النية بدون صدقِ العزيمة هوَسٌ وتطويلُ أملٍ وتَمنٍّ على الله وتسويفٌ في العمل وتفريطٌ فيه، وصدقُ العزيمة بدون إخلاصٍ فيه يكون شِركاً أكبرَ أو أصغرَ بحسب ما نقص من الإخلاص.

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادةَ غيرِ الله فنفاقٌ، وإن كان دخَل الرياءُ في تزيين العمل، وكان الباعثُ عليه أولاً إرادةَ الله والدارِ الآخرةِ كان شِركاً أصغرَ بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحَقَ بالأكبر.

وإخلاصُ النية مع صدق العزيمةِ إن لم يكن العملُ على وَفق السنةِ كان بدعةً وحدَثاً في الدِّين وشَرْعَ ما لم يأذن الله به، فيكون ردّاً على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العملُ من العبد إلاّ بصدق العزيمة، ولا يُقبل منه ذلك إلاّ بإخلاص النيةِ واتباعِ السنة، ولذا قال الفضيلُ بنُ عياضٍ في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال: أخلصُه وأصوبُه[٣]، يعني خالصاً من شوائب الشِّرك، موافقاً للسنّة.

---

(١) البخاري (٥/٣٠١ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/١٣٤٣ رقم ١٧/١٧١٨).

(٢) في صحيحه (٣/١٣٤٣ رقم ١٨/١٧١٨).

(٣) وتمامه: «قيل له: يا أبا علي أما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً =

[الدعاء مخ العبادة]

(وفي الحديث مُخُّها الدعاءُ	خوفٌ توكلٌ كذا الرجاءُ)
(ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ	وخشيةٌ إنابةٌ خضوعُ)
(والاستعاذةُ والاستعانهْ	كذا استغاثةٌ به سبحانهْ)
(والذبحُ والنذرُ وغيرُ ذلكْ	فافهم هُديتَ أوضحَ المسالكْ)
(وصرفُ بعضِها لغيرِ اللَّهِ	شِركٌ وذاك أقبحُ المناهي)

(و) ثبت (في الحديث) الذي في السنن كما سنذكره (مُخها) أي مُخُّ العبادة ولُبُّها (الدعاء)، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وغير ذلك من الآيات.

وفي جامع الترمذي[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «ليس شيء أكرمَ على الله من الدعاء».

وفيه[2] عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الدعاءُ مخُّ العبادة»،

= صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة» اهـ.
كما في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٦٠٠).

(١) (٥/ ٤٥٥ رقم ٣٣٧٠).
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٢)، والطيالسي (١/ ٢٥٣ ـ منحة المعبود)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٩)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٠) ووافقه الذهبي.
وصححه ابن حبان رقم (٨٧٠).
وهو حديث حسن، والله أعلم.

(٢) أي في سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦ رقم ٣٣٧١) قال الترمذي: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعة.
وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

وقال غريبٌ من هذا الوجهِ لا نعرِفه إلاّ من حديث ابنِ لَهيعةَ، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها.

وفيه[1] عن النُّعمان بنِ بشير رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«الدعاءُ هو العبادة»**، ثـم قـرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفيه[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنه من لم يسأل الله يغضبْ عليه»**.

وفيه[3] من حديث ابن عباس مرفوعاً: **«إذا سألت فاسأل الله»**، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أي في سنن الترمذي (٥/ ٣٧٤ رقم ٣٢٤٧)، قال الترمذي: حسن صحيح.
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، والحاكم (١/ ٤٩٠، ٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي.
والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٣٨٤) من طريق سفيان عن منصور، عن ذر، عن يُسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير.
* وأخرجه الطيالسي رقم (٨٠١)، وأبو داود رقم (١٤٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٤) من طريق شعبة عن منصور به.
وصححه الحاكم (١/ ٤٩١) ووافقه الذهبي.
* وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، والترمذي رقم (٣٣٧٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨)، والطبري في «جامع البيان» (٢٤/ ٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٠) كما في «تحفة الأشراف»، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٠) من طرق عن الأعمش، عن ذرّ، به.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي في سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦ رقم ٣٣٧٣).
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٥٨)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٧)، والحاكم (١/ ٤٩١)، وأحمد (٢/ ٤٤٢ و٤٧٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٥)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٧٩٦ رقم ٢٣) من طرق كثيرة.
وهو حديث حسن، والله أعلم.
وانظر: «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (٢٦٥٤).

(٣) أي في السنن (٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦)، قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠ رقم ٢٢٩/ ٢٥٥٦)، **وهو حديث صحيح.**

[من أنواع العبادة الخوف من الله]

(**خوف**) أي ومن أنواع العبادةِ الخوفُ من الله عزّ وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تبارك اسمُه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] الآية، وغيرُها من الآيات.

وقال النبيّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحِكتم قليلاً ولَبَكَيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساء على الفرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون**»، رواه أحمد[1] وابنُ ماجه[2] والترمذي[3] عن أبي ذرّ وحسنه الترمذي.

وفي البخاري[4] عن أم العلاءِ الأنصارية ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**والله لا أدري، والله لا أدري ـ وأنا رسولُ الله ﷺ ـ ما يُفعل بي ولا بكم**».

وفي الترمذي[5] عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما رأيتُ مثلَ النارِ نام هاربُها، ولا مثلَ الجنةِ نام طالبُها**».

---

(١) في المسند (٥/١٧٣).

(٢) في السنن (٢/١٤٠٢ رقم ٤١٩٠).

(٣) في السنن (٤/٥٥٦ رقم ٢٣١٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب.
وهو حديث حسن. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٧٢٢).

(٤) في صحيحه (٣/١١٤ رقم ١٢٤٣).

(٥) في السنن (٤/٧١٥ رقم ٢٦٠١) وقال الترمذي: «هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، وهو ضعيف عند أكثر أهل الحديث».
قلت: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٧٩١ و٧٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٦٦٠).
وقال أبو نعيم: «لم يروه عن عبد الله بن موهب إلاّ ابنه يحيى».
قلت: وهو متروك، وأبوه مجهول.
وللحديث شاهدين مرفوعين يتقوى بهما:
(الأول): عن عمر بن الخطاب مرفوعاً به.
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/٢٥٧ ـ ٢٥٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٠٢ وص٣٣٥)، بسند لا بأس به في الشواهد.
(والثاني): عن أنس مرفوعاً به. =

وفيه[1] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلَ، ألا إن سلعة الله غاليةٌ، ألا إن سلعةَ الله الجنة**».

وله[2] عن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**يقولُ الله جلّ ذكرُه: أخرجوا مَن ذكرني يوماً أو خافني في مقامي**».

= أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٢) وقال: «وفيه محمد بن مصعب القرقساني، وهو ضعيف بغير كذب»، وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٠)، وانظر: «الصحيحة» رقم (٩٥٣).

والخلاصة إن الحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء الله.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٣٣ رقم ٢٤٥٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث أبي النَّضر.

قلت: وفي سنده أبو فروة يزيد بن سنان التميمي الرهاوي وهو ضعيف.

وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان.

ولكن للحديث شاهد عن أبي نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧) عن وكيع.

والحاكم (٤/ ٣٠٨) من طريق عبد الله بن الوليد العدني؛ كلاهما عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ، ألا إن سلعةَ الله تعالىٰ غاليةٌ، إلا إن سلعة الله الجنةُ، جاءتِ الراجفةُ تتبعُها الرادفةُ، جاء الموت بما فيه**».

قال أبو نعيم: «غريب تفرد به وكيع عن الثوري بهذا اللفظ».

قلت: كلا؛ فقد تابعه العدني كما سبق.

وتابعه أيضاً قبيصة عن سفيان به دون الإدلاج والسلعة.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٦)، والحاكم (٢/ ٤٢١، ٥١٣) من طريق قبيصة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: وإنما هو حسن الإسناد فقط للخلاف المعروف في ابن عقيل، وانظر: الصحيحة رقم (٩٥٤).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) أي وللترمذي في «السنن» (٤/ ٧١٢ رقم ٢٥٩٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٣٣)، والحاكم (١/ ٧٠) وابن خزيمة.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) «حديث ضعيف ورجاله ثقات»، غير أن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعنه، لكنه قد صرح بالتحديث في بعض الروايات...

قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وأقول: إنما هو حسن فقط للكلام الذي في المبارك بن فضالة علاوة على كونه مدلساً.

وقد صرّح بالتحديث في هذه الرواية، ولكن المؤمل وهو ابن إسماعيل البصري سيء =

وله[1] هو وابنُ ماجه[2] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هم الذين يشربون الخمرَ ويسرقون؟ قال: **«لا يا ابنةَ الصّدّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدّقون وهم يخافون أن لا يُقبل منهم»**، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وفيه[3] من حديث أبي جُحيفةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله قد شِبتَ قال: **«شيّبَتْني هودُ وأخواتُها»**.

= الحفظ كما قال الحافظ، فلا يحتج بزيادته التحديث لا سيما مع مخالفته لأبي داود الطيالسي وهو من الحفاظ، وقد تابعه الخصيب بن ناصح عند ابن خزيمة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) أي وللترمذي في «السنن» (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ رقم ٣١٧٥).

(٢) في «السنن» (٢/ ١٤٠٤ رقم ٤١٩٨).

قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وأحمد (٦/ ١٥٩ و٢٠٥)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٤٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ج١٨/ ٣٤).

قال الترمذي: «وقد روي هذا الحدث عن عبد الرحمٰن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ نحو هذا».

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: بل إسناده منقطع بين عبد الرحمٰن وعائشة، فإنه لم يدركها، كما في «جامع التحصيل» رقم (٤٢٩).

قال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ط. المعارف: «لكن يقوّيه حديث أبي هريرة الذي أشار إليه الترمذي فإنه موصول، وقد وصله ابن جرير ـ (١٠/ج١٨/ ٣٣) ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير قال: ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمٰن بن سعيد بن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قالت عائشة: الحديث نحوه.

وهذا سند رجاله ثقات، غير ابن حميد، وهو محمد بن حميد بن حيان الرازي وهو ضعيف مع حفظه.

لكن لعله توبع، فقد أخرج الحديث ابن أبي الدنيا، وابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/ ١١)، وابن أبي الدنيا في «طبقة شيوخ ابن جرير»، فأستبعد أن يكون رواه عن شيخه هذا، والله أعلم.

وله طريق آخر عند ابن جرير (١٠/ج١٨/ ٣٤) عن ليث وهشيم عن العوام بن حوشب جميعاً عن عائشة.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) أي في سنن الترمذي. =

ومن حديث أبي بكر[1] ﷺ: «**شيّبتني هودُ والواقعةُ والمرسلاتُ وعمّ يتساءلون وإذا الشمسُ كُوّرت**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة التوكل على الله]

(**توكلٌ**) أي ومن أنواع العبادةِ التوكلُ على الله عزّ وجلّ، وهو اعتماد القلب

= قلت: لم أجده عنده بهذا اللفظ.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٨٦ رقم ٧٩٠) من طريق أبي الخير عن عقبة بن عامر مرفوعاً به.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٦) وقال: ورجاله رجال الصحيح.

وقال الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٤١): «وسنده جيد، ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير شيخ الطبراني: محمد بن محمد التمار البصري؛ ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٥٣) وقال: «ربما أخطأ».

وأقرّه الحافظ في «اللسان» (٥/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وقال: «أرّخ ابن المنادي وفاته سنة (٢٨٩)».

وقد روى له الطبراني في «الأوسط» نحو ستين حديثاً (٦٠٤١ ـ ٦١٠٠)، ولذا قال الهيثمي (٧/ ٣٧): «ورجاله رجال الصحيح» يعني باستثناء شيخ الطبراني كما هي عادته، فاعلمه.

وأخرجه أيضاً من حديث سهل بن سعد مرفوعاً به وزاد:

«الواقعة»، و«الحاقة»، و«إذا الشمس كورت» اهـ.

قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٣٥، ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، عن قتادة مرفوعاً مختصراً بلفظ: «**شيّبتني هود وأخواتها**»، وإسناده صحيح لولا أنه مرسل.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ رقم ٣٢٩٧)، وفي «الشمائل» رقم (٤١) ورجال إسناده ثقات غير معاوية بن هشام القصار فهو صدوق له أوهام، شيبان هو ابن عبد الرحمٰن النحوي، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي، وقد اختلط وهو أيضاً مدلس وقد عنعن.

وفيه علة أخرى وهي الاختلاف على أبي إسحاق، والاختلاف في إرساله ووصله.

وقد قال المصنف في «السنن»: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلاّ من هذا الوجه، وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا، وروى عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلاً...».

قلت: رواية علي بن صالح أخرجها الترمذي في «الشمائل» رقم (٤٢) وقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١١٠ رقم ١٨٢٦) و(٢/ ١٣٤ رقم ١٨٩٤) وصوّب أبو حاتم الإرسال.

وقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ٤٣٥)، والمروزي في مسند أبي بكر رقم (٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٤٣) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٣٩).

وللحديث شواهد، فهو صحيح بشواهده.

عليه وثقته به وأنه كافيه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله تعالىٰ شرطاً في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهلُه؛ إذ قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣].

وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [يونس: ٨٤] الآيات.

وقال تعالىٰ عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تعالىٰ عن نبيّه هودٍ عليه السلام: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ﴾ [هود: ٥٦] الآية.

وكذلك عن نبيّه نوح عليه السلام؛ إذ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١] الآية.

وقال تعالىٰ عن شعيبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالىٰ لنبيّنا محمّدٍ ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال تعالىٰ في مدح عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، الجواب: بلى، والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ.

وقال ابنُ عباس[١] ﷺ في هذه الآية: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقيَ في النار، وقالها محمّد ﷺ وأصحابُه حين: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وفي الصحيح[٢] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يدخل الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يَسْترقون ولا يتطيّرون وعلى ربّهم يتوكّلون»**.

وفي السنن[٣]: **(«الطِّيَرةُ شِركٌ، الطيِرةُ شرك»**. قال ابن مسعود: وما مِنّا إلاّ[٤] ولكن الله يُذْهِبه بالتوكّل).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٢٢٩ رقم ٤٥٦٣) عنه.

(٢) البخاري (١١/ ٣٠٥ رقم ٦٤٧٢)، ومسلم (١/ ١٩٨ رقم ٢١٨).

(٣) أخرجه ابن حبان رقم (٦١٢٢)، وأبو داود رقم (٣٩١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨) و(٢/ ٣٠٤) من طريق محمد بن كثير العبدي، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كُهيلٍ، عن عيسى بن عاصم الأسدي، عن زرّ بن حُبيشٍ، عن ابن مسعود، فذكر الحديثَ.
وأخرجه أحمد (١/ ٣٨٩، ٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٠٩)، والترمذي رقم (١٦١٤)، وفي «العلل الكبير» رقم (٤٨٥)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى (٨/ ١٣٩)» من طرق عن الثوري، به.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلاّ من حديث سلمة بن كهيل.
وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨) و(٢/ ٣٠٤)، وفي «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢)، والطيالسي في «المسند» رقم (٣٥٦)، والبغوي رقم (٣٢٥٧)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، والحاكم (١/ ١٧ ـ ١٨، ١٨) من طرق عن شعبة، عن سلمة بن كُهيل به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته، ولم يخرجاه.
وخلاصة القول: إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٧/ ٦٣٠): «وما مِنّا إلاّ» في هذا الكلام محذوف، =

وفي جامع الترمذيّ[1] وغيره[2] من حديث عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تَوكّلون على الله حقَّ توكُّلِه لرزقكم كما يرزُق الطيرَ، تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً**».

وفي حديث الإيمان بالقدر: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن لِيُخطِئَك، وما أخطأَكَ لم يكن لِيُصيبَك**»[3].

وفي مسند أحمدَ[4] وسننِ ابنِ ماجه[5] والدرامي[6] عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إني لأعلم آيةً في كتاب الله عزّ وجلّ لو أخذ الناسُ بها لكفَتْهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ**

= تقديره: وما منا إلاّ ويعتريه التَّطيُّرُ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وقد جاء في «كتاب الترمذي» (٤/١٦١): أن هذا من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث، والله أعلم .اهـ.
قلت: وانظر كلام الحافظ في «فتح الباري» (١٠/٢١٣).

(١) (٤/٥٧٣ رقم ٢٣٤٤)، وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٢) كابن ماجه (٢/١٣٩٤ رقم ٤١٦٤)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٢٥٤٨ ـ موارد)، والحاكم (٤/٣١٨)، وأحمد (١/٣٠، ٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٤١٠٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٤ و١٤٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (٥٥٩).
قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي.
وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٣١٠): «وأقول: بل هو صحيح على شرط مسلم، فإن رجاله رجال الشيخين غير ابن هبيرة وأبي تميم؛ فمن رجال مسلم وحده».
وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في «المسند» (٥/١٧٨ ـ ١٧٩).

(٥) في السنن (٢/١٤١١ رقم ٤٢٢٠).

(٦) في السنن (٢/٣٠٣).
قلت: وأخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٦٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٦٦) كلّهم من حديث كَهْمس عن أبي السُّليل عن أبي ذر ـ به.
بسند رجاله ثقات إلاّ أنه منقطع، فإن أبا السليل ضريب بن نفير ـ ثقة ـ لم يسمع من أبي ذر كما في «تهذيب التهذيب» (٢/٢٢٨).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

ولابن ماجه[1] عن عمرو بنِ العاص ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن قلبَ ابنِ آدمَ لكل وادٍ شُعبةٌ، فمن أتبع قلبَه الشُّعَبَ كلَّها لم يبالِ الله بأيِّ وادٍ هلك، ومن توكل على الله كفاه الشُّعَب**»، وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديث.

(من أنواع العبادة رجاء الله ولقائه)

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادةِ الرجاءُ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الحديث: «**أنا عند ظنّ عبدي بي فليظُنّ بي ما شاء**»[2].

وفي صحيح البخاريّ[3] من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالىٰ خلق الرحمةَ يوم خلقها مائةَ رحمةٍ فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدة، فلو يعلم الكافرُ بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنّة، ولو يعلم المؤمنُ بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النارَ**».

وقال ﷺ في دعاء المكروب: «**اللّهمّ رَحمتك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفةَ عينٍ**»، الحديث رواه أبو داود[4] عن أبي بكر.

---

(١) في السنن (٢/ ١٣٩٥ رقم ٤١٦٦).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٨٥ رقم ١٤٧٨/ ٤١٦٦): «هذا إسناد ضعيف، صالح بن زريق ليس له إلا هذا الحديث». قال في الميزان: «حديثه منكر».
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في صحيحه (١١/ ٣٠١ رقم ٦٤٦٩).

(٤) في السنن (٥/ ٣٢٥ رقم ٥٠٩٠).

[من أنواع العبادة الرغبة إلى الله والرهبة منه والخشوع له]

(ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ) أي ومن أنواع العبادةِ الرغبةُ فيما عند الله عزّ وجلّ من الثواب، وهي راجعةٌ إلى معنى الرجاءِ، والرهبةُ مما عند الله من العقاب، وهي راجعةٌ إلى معنى الخوف.

والخشوعُ هو التذلُّلُ لله عزّ وجلّ، قال تعالىٰ في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي حديث الدعاءِ عند النوم: «**اللّهمّ إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوّضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك**»، الحديث في الصحيحين[١].

ولابن أبي حاتم[٢] في خطبة أبي بكر ﷺ: أما بعدُ، فإني أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، وتُثْنوا عليه بما هو أهلُه، وتخلِطوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة، فإن الله عزّ وجلّ أثنى على زكريا وأهلِ بيتهِ، فقال تعالىٰ:

= قلت: وأخرجه أحمد (٥/٤٢).
في إسناده عبد الجليل هو ابن عطية القيسي أبو صالح البصري، وجعفر بن ميمون هو التميمي وكلاهما صالحان لكن لهما أوهام وأخطاء، **فسند الحديث حسن، والله أعلم**.

(١) البخاري (١٣/٤٦٢ رقم ٧٤٨٨)، ومسلم (١٤/٢٠٨١ رقم ٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب.

(٢) في تفسيره ـ كما في تفسير ابن كثير (٣/٢٠٣) بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٨٣ ـ ٣٨٤)، وقال: صحيح الإسناد.
وعارضه الذهبي بقوله: «عبد الرحمٰن بن إسحاق كوفي ضعيف».
وخلاصة القول إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي الصحيح[1] من حديث دعاءِ النبيِّ ﷺ في الركوع والسجود: «**خشع لك سمعي وبصري ومُخّي وعظمي وعصبي**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة خشية الله]

(وخشيةٌ) أي ومن أنواع العبادةِ الخشيةُ، وهي مرادفةٌ للخوف. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالىٰ في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] الآيات، وقال تعالىٰ في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [يس: ١١] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [قٓ] الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى] وغيرُ ذلك من الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾ [لقمان: ٣٣] الآية.

وفي جامع الترمذيِّ[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) في السنن (٤/ ١٧١ رقم ١٦٣٣) وقال: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

قلت: وأخرجه النسائي (٦/ ١٢)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، والحاكم (٤/ ٢٦٠) وقال: حديث =

رسولُ الله ﷺ: «لا يلِج النارَ رجلٌ بكَى من خشية الله تعالىٰ حتى يعودَ اللبنُ في الضَّرْع».

وفيه[1] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «ليس شيءٌ أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثَرين: قطرة دموعٍ من خشية الله، وقطرةِ دمٍ تُهراقُ في سبيل الله. وأما الأثرانِ فأثرٌ في سبيل الله، وأثرُ فريضةٍ من فرائض الله تعالىٰ». وقال: حديث حسن.

وفي الصحيح[2]: «إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا» الحديث، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة الإنابة إلى الله]

(إنابةٌ) أي ومن أنواع العبادةِ الإنابةُ وهي التوبةُ النَّصوحُ، والرجوعُ إلى الله تعالىٰ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالىٰ في ذكر شعيبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ في شأن عبادِه المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

= صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٤/ ١٩٠ رقم ١٦٦٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.
وقال الألباني: وهو حديث حسن.

(٢) البخاري (٩/ ١٠٤ رقم ٥٠٦)، ومسلم (٢/ ٧٧٩ رقم ١١٠٨) من حديث أنس بن مالك.

وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وفي ذلك آياتٌ كثيرةٌ سنذكر إن شاء الله ما تيسّر منها في بابه.

[من أنواع العبادة الخضوع لله]

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوعُ، وهو والخشوعُ والتذلّلُ بمعنى، وتقدمت الآياتُ والأحاديثُ فيه.

(والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذةُ، وهي الامتناعُ بالله عزّ وجلّ والالتجاءُ إليه، قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق] السورة. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس] السورة.

وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]. وقال تعالىٰ عنه عليه السلام: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

وقال النبيُّ ﷺ: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريمِ، وبسلطانه القديمِ، من الشيطان الرجيم، من هَمْزِه ونفخِه ونَفْثِه»**[1].

---

(١) الحديث مركب من حديثين:
(الأول): أخرجه أبو داود (١/٣١٨ رقم ٤٦٦)، ولفظه: **«أعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»**.
قال النووي في «الأذكار» رقم (٦٩/٨٧) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد.
وقال الألباني: حديث صحيح.
(والثاني): أخرجه أبو داود (١/٤٨٦ رقم ٧٦٤) ولفظه: «أعوذ بالله من الشيطان، من=

وقال: «أعوذ بكلمات اللهِ التامّاتِ من شرّ ما خلق»[1].

وقال: «اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»[2].

وقال: «تعوّذوا بالله من الفِتن»[3].

واستعاذ ﷺ من الهمّ والحزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والبُخْلِ والجُبن وضَلَع الدين وغَلَبة الرجال[4]، ومن الردّ إلى أرذل العُمُر[5]، ومن المأثم والمغرَم، ومن فتنة القبرِ وعذابِ القبر، ومن فتنة النارِ وعذابِ النار، ومن شرّ فتنةِ الغِنى، ومن شرّ فتنةِ الفقرِ، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيحِ الدجال[6]، وغيرُ ذلك.

[من أنواع العبادة الاستعانة بالله وحده]

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادة الاستعانةُ، وهي طلبُ العونِ من الله عزّ

= نفخِه ونَفْثِه وهَمْزِه».
قال الألباني: حديث ضعيف، انظر: «الإرواء» (٣٤٢).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨)، والترمذي (٥/ ٤٦٢ رقم ٣٤٣٧) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١٥٠ رقم ٥٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٨٦، ١١٨٧، رقم ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣) من طرق، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرج البخاري رقم (٢٧٣٦ ـ البغا) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ:
«اللّهمّ إني أعوذُ بكَ من الهَمِّ والحَزَنِ، والعجزِ والكسلِ، والبخْلِ والجُبنِ، وضلَعِ الدَّينِ، وغلبةِ الرِّجالِ».

(٥) أخرج البخاري (١١/ ١٩٢ رقم ٦٣٩٠) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كان النبيّ ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما نُعلِّم الكتابة:
«اللّهمّ إني أعوذُ بكَ من البخلِ، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذلِ العمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدنيا وعذاب القبر».

(٦) أخرج البخاري (١١/ ١٨١ رقم ٦٣٧٥).
عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان يقول: «اللّهمّ إني أعوذ بك من الكسل والهرَم، والمغرَم والمأثم، اللّهمّ إني أعوذ بك من عذابِ النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشرّ فتنة الغنى، وشرّ فتنة الفقر، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال...».

وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي لا نعبدُ إلاّ إياكَ ولا نستعين إلاّ بك، ونبرأُ من كل معبودٍ دونك ومن عابديه، ونبرَأ من الحولِ والقوةِ إلاّ بك، فلا حولَ لأحد عن معصيتك، ولا قوةَ على طاعتك إلاّ بتوفيقك ومعونتِك.

وقال عن نبيّه يعقوبَ عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وفي الترمذي[١] من حديث وصيّةِ النبيِّ ﷺ لابن عباسٍ ﵄: «**إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله**» الحديث، وقال فيه: حسنٌ صحيح.

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث أبي هريرةَ ﵁ عن النبيّ ﷺ الحديث وفيه: «**احرِص على ما ينفَعُك، واستعن بالله**».

وفي الترمذي[٣] من حديث معاذِ بنِ جبلٍ ﵁ عن النبيّ ﷺ: «**اللّهمّ أعِنّي على ذكرك وشكرِك وحُسْنِ عِبادتِك**»، وغير ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة الاستغاثة بالله]

(**كذا استغاثة به سبحانهْ**) أي ومن أنواع العبادةِ الاستغاثةُ بالله عزّ وجلّ، وهي طلب الغوثِ منه تعالىٰ من جلب خيرٍ أو دفع شرٍّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٣) لم يخرجه الترمذي.

بل أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠ رقم ١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وأحمد (١٦/ ٢٠٤ رقم ٢٢٠١٨)، والحاكم (١/ ٢٧٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وهو حديث صحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية.

ومن دعاء النبيِّ ﷺ: **«يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديعَ السمواتِ والأرض، برحمتك أستغيث»**[١].

وفي الطبراني[٢] بإسناده من حديث ثابتِ بنِ الضحاكِ أنه كان في زمن النبيِّ ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: **«إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»**.

وفي الصحيح[٣] من حديث أنسِ بن مالكٍ ﷺ في الاستسقاء: فرفع رسولُ الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللّهمّ أغِثْنا، اللّهمّ أغِثْنا، اللّهمّ أغِثْنا»**، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

---

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٩) عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ قال: **«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»**.
قال الحاكم: **صحيح الإسناد** ولم يخرجاه.
واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «عبد الرحمٰن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمٰن ومن بعده ليسوا حجة».
وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٥/ ١٦٣ رقم ٦٨٠٩) وعزاه للحاكم ورمز لصحته.
واعترض عليه المناوي في «فيض القدير» وذكر كلام الذهبي السابق.
قلت: الراجح سماع عبد الرحمٰن من أبيه. انظر: «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦)
وقد قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٨٨): ثقة، وقد سمع من أبيه، لكن شيئاً يسيراً.
وأمّا قول الذهبي عبد الرحمٰن ومن بعده ليسوا حجة فهو كما قال.
فعبد الرحمٰن بن إسحاق بن الحارث فهو ضعيف، والنضر بن إسماعيل ليس بالقوي، ووضاح بن يحيى النهشلي ضعيف.
وأورد الحديث الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٤٧٩١) وقال: **حديث حسن**.
ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أنس أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٣٧) لكن فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف.
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت.
وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة **وهو حسن الحديث**.

(٣) تقدم تخريجه.

[من أنواع العبادة الذبح نسكاً لله]

(**والذبح**) أي ومن أنواع العبادةِ الذبحُ نُسُكاً لله تعالىٰ من هَدْيٍ وأُضحيةٍ وعَقيقة وغير ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦] الآيات.

وفي صحيح مسلم[1] عن عليٍّ ﷺ قال: حدّثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، الحديث.

وفي مسند الإمام أحمد[2] رحمه الله عن طارق بن شهاب[3] ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب**»، قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**مرّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجاوزه أحدٌ حتى يقرِّبَ له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّبُ. فقالوا له: قرِّبْ ولو ذباباً، فقرّب ذباباً فخلّوا سبيلَه فدخل النار. فقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنت لأقربَ لأحد شيئاً دون الله عزّ وجلّ، فضربوا عنقَه فدخل الجنّة**».

[من أنواع العبادة النذر لله دون غيره]

(**والنَّذْرُ**) أي ومن أنواع العبادةِ النَّذْرُ لله عزّ وجلّ، قال الله تبارك وتعالىٰ:

---

(١) (٣/١٥٦٧ رقم ١٩٧٨).

(٢) عزاه إليه ابن القيم كما في «فتح المجيد» (ص١٥٩).
قلت: وأخرجه أحمد في «الزهد» رقم (٨٤) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي، وهو موقوف صحيح.
* في كتاب «الزهد» «سليمان» بدل «سلمان» وهو خطأ.

(٣) طارق بن شهاب: هو البَجَلي الأحمسي، أبو عبد الله، رأى النبيّ ﷺ وهو رجل.
قال البغوي: نزل الكوفة، وقال أبو داود: رأى النبيّ ﷺ ولم يسمع منه شيئاً.
قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبيّ ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته ـ على ما جزم به ابن حبان ـ سنة ثلاث وثمانين. (فتح المجيد ص١٥٩).

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ قال: «**من نذر أن يُطيعَ الله فليُطِعْه، ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يَعْصِه**»، رواه الجماعة إلاّ مُسلماً[1].

وعن عمرَ رضي الله عنه قال: نذرت نذراً في الجاهلية، فسألت النبيَّ ﷺ بعد ما أسلمت، فأمرني أن أُوفيَ بنذري، رواه ابن ماجه[2].

وقال البخاري رحمه الله تعالىٰ: بابُ إثمِ من لا يفي بالنذر[3]، وذكر حديثَ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[4] رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**خيرُكم قَرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». قال عمرانُ: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثاً بعد قَرنِهِ، «**ثم يجيء قومٌ ينذِرون ولا يوفون، ويخونون ولا يُؤتمنون، ويشهَدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السِّمَنُ**».

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن عمرَ قال: يا رسولَ الله، إني نذَرت في الجاهلية أن أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام، قال: «**أَوْفِ بنذرك**»، وهو في الصحيح[5] أيضاً.

ولعلّه هو النذرُ الذي في رواية ابن ماجه مُبْهماً فسّرتْه روايةُ الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبيَّ ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحُجَّ وإنها ماتت، فقال النبيّ ﷺ: «**لو كان عليها دينٌ أكنت قاضِيَهُ؟**» قال: نعم، قال: «**فاقضِ الله،**

---

(١) البخاري (١١/ ٥٨١ رقم ٦٦٩٦)، وأبو داود (٣/ ٥٩٣ رقم ٣٢٨٩)، والترمذي (٤/ ١٠٤ رقم ١٥٢٦)، والنسائي (٧/ ١٧)، وابن ماجه (١/ ٦٨٧ رقم ٢١٢٦).

(٢) في السنن (١/ ٦٨٧ رقم ٢١٢٩).

قلت: وأخرجه البخاري (٤/ ٢٧٤ رقم ٢٠٣٢)، ومسلم (٣/ ١٢٧٧ رقم ١٦٥٦)، وأبو داود (٣/ ٦١٦ رقم ٣٣٢٥)، والترمذي (٤/ ١١٢ رقم ١٥٣٩)، والنسائي (٧/ ٢١ ـ ٢٢)، وأحمد (١/ ٣٧، ٤١٩)، والحميدي (٢/ ٣٠٤ رقم ٦٩١)، والبيهقي (٤/ ٣١٨) و(١٠/ ٧٦، ٨٣، ٨٤)، والدارمي (٢/ ١٨٣).

(٣) البخاري (١١/ ٥٨٠) رقم الباب (٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٠ ـ ٥٨١ رقم ٦٦٩٥).

(٥) البخاري (٤/ ٢٧٤ رقم ٢٠٣٢)، ومسلم (٣/ ١٢٧٧ رقم ١٦٥٦) وقد تقدم آنفاً.

فاللهُ أحقُّ بالقضاء»[1]، وغيرُ ذلك من أحاديث الأمرِ بوفاء النذرِ عن النبيّ ﷺ.

[شروط النذر لله]

ومن شرطِ النذرِ لله تعالىٰ أن يكون طاعةً، وأن يكون مما يُطيقه العبدُ، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يُعبد فيه غيرُ الله تعالىٰ، أو ذريعةً إلى عبادة غيرِ الله تعالىٰ، ولمن كان معلّقاً بحصول شيءٍ، فلا يعتقد الناذرُ تأثيرَ النذرِ في حصوله.

أما الأولُ، فلقوله ﷺ: **«لا نذرَ في معصية الله ولا في قطيعة رَحِم»**، الحديث رواه أبو داود[2]، وكذا حديثُ عائشةَ السابقُ وغيرُه.

وأما الثاني، فلحديثُ عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال: نذرت أختي أن تمشيَ إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتيَ لها رسولَ الله ﷺ، فاستفتيته، فقال: **«لتمشِ ولتركَبْ»** متفقٌ عليه[3].

وعن ابن عباس[4] ﷺ قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطُب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيلَ نذر أن يقومَ فلا يقعُد ولا يستظلَّ ولا يتكلمَ ويصومَ، فقال النبيّ ﷺ: **«مُرْه فليتكلم وليستظِلَّ وليقعُد وليُتِمَّ صومه»**، فأمر ﷺ بترك ما لم

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٤ رقم ٦٦٩٩).

(٢) في «السنن» (٣/ ٥٨٢ رقم ٣٢٧٤).
قلت: وأخرجه النسائي (٧/ ١٢).
قال المنذري في «المختصر» (٤/ ٣٦٦): «وأخرجه النسائي، وقد تقدم الكلام على اختلاف الأئمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب، وذكر أبو بكر البيهقي: أن حديث عمرو - هذا - لم يثبت».
وحديث أبي هريرة: «فليأت الذي هو خير، فهو كفارة» لم يثبت.
قال أبو داود: الأحاديث كلها عن النبيّ ﷺ «وليكفّر عن يمينه» إلاّ ما لا يُعبأ به اهـ.
وقال المحدث الألباني في ضعيف أبي داود: «حسن - إلاّ قوله ومن حلف. . .» فهو منكر. الضعيفة رقم (١٣٦٥)»اهـ.

(٣) البخاري (٤/ ٧٨ رقم ١٨٦٦)، ومسلم (٣/ ١٢٦٤ رقم ١٦٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٤)، وأبو داود (٣/ ٥٩٩ رقم ٣٣٠٠)، وابن ماجه (١/ ٦٩٠ رقم ٢١٣٦)، وابن الجارود رقم (٩٣٨)، والدارقطني (٤/ ١٦٠ رقم ٧)، والبيهقي (١٠/ ٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٢٤) وغيرهم.

يكن مُطيقَه ولم يكن مشروعاً، وأمره بإتمام الصومِ لكونه يُطيقه ولكونه مشروعاً.

وأما الثالثُ، فلقوله ﷺ: **«لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملِك ابنُ آدم»**، رواه أبو داود[1] وغيرُه[2] وإسنادُه صحيحٌ.

وأمّا الرابعُ، فلحديث ثابتِ بنِ الضحاك أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إني نذرتُ أن أنْحَرَ إبلاً ببُوانةَ[3]، فقال: **«كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد»**؟ فقالوا: لا، قال: **«فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟»** قالوا: لا، قال: **«أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملِك ابنُ آدم»**، رواه أبو داود[4].

وفي سدِّ الذرائع إلى ذلك حديثُ النهي عن اتخاذ القبورِ مساجدَ، ولَعْنِ من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وأمّا الخامس، فعن ابن عمرَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن النذرَ لا يقدم شيئاً ولا يؤخِّره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل»**، وهو في الصحيح[5].

وفيه[6] في رواية عنه نَهى النبيُّ ﷺ عن النذر، وقال: **«إنه لا يردُّ شيئاً، ولكنه يستخرج به البخيل»**.

وفيه[7] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ بشيء، ولكن يُلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّر له، فيَستخرج الله به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»**، وغيرُ ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) في «السنن» (٣/٦٠٩ رقم ٣٣١٦) بسند صحيح.

(٢) كمسلم في «صحيحه» (٣/١٢٦٢ رقم ١٦٤١)، والنسائي (٧/٢٨) من حديث عمران بن حصين.

وهو حديث صحيح.

(٣) ببوانة: اسم موضع بأسفل مكة، أو وراء ينبع أو موضع بين الشام وديار بكر.

(٤) في «السنن» (٣/٦٠٧ رقم ٣٣١٣) بسند صحيح.

(٥) البخاري (١١/٥٧٥ رقم ٦٦٩٢)، ومسلم (٣/١٢٦١ رقم ٣/١٦٣٩).

(٦) البخاري (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٨)، ومسلم (٣/١٢٦٠ رقم ٢/١٦٣٩).

(٧) البخاري (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٩)، ومسلم (٣/١٢٦٢ رقم ٧/١٦٤٠).

[أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة]

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرةِ والباطنةِ والتسبيحِ والتحميدِ والتمجيد والتهليلِ والتكبير، وتلاوةِ القرآنِ وتدبّرهِ وتعلّمهِ وتعليمه، وسائرِ الأذكارِ المشروعة ومحبةِ الله ورسولِه والمؤمنين، والحبُّ في الله والبغضِ فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغيرُ ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادةَ اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرة، وأن مناطَها الذي لا قِوامَ لها إلاّ به هو كمالُ الحبِّ وغايتُه مع غاية الذلّ، ولا تسمّى عبادةً إلاّ مع ذلك كلِّه.

فالمحبةُ وحدها التي لم يكن معها خوفٌ ولا تذلّلٌ كمحبة المطعم والمشربِ والأهلِ والمال والولد وغيرُ ذلك ليست بعبادة.

وكذلك الخوفُ بدون محبةٍ للمخوف منه، كالخوف من عدوٍّ أو غرقٍ أو حرقٍ ونحو ذلك لم يكن عبادةً، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادةً، إن كانت لله فهو التوحيدُ الذي هو أشرفُ المطالب، وإن كانت لغيره فالشركُ الأكبرُ المخلدُ صاحبَه في النار والعياذُ بالله.

ولذا قلنا **(وصرفُ بعضِها)** أيَّ شيءٍ منها قلَّ أو كَثُر **(لغير الله)** كائناً من كان من ملَك أو نبيٍّ أو ولي أو قبرٍ أو جنيّ أو شجر أو حجر أو غيره، كلُّ ذلك **(شرك)** أكبرُ، **(وذاك)** إشارةٌ إلى الشرك هو **(أقبح المناهي)** على الإطلاق، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيات، أي لا أحدَ أضلُّ منه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالشركُ أعظمُ الظلم، لأن الظلمَ هو وضعُ الشيءِ في غير موضعِه، ولا أعظم ظلماً من شكاية العبدِ ربَّه ـ الذي هو أرحمُ الراحمين فيما أصابه من ضُرٍّ أو فاته من خير ـ إلى من لا يرحمه ولا يَسمعه ولا يُبصره ولا يعلمه، ولا يملِك لنفسه ولا لداعيه من ضرٍّ ولا نفعٍ ولا موتٍ ولا حياةٍ ولا نشور، ولا يغني عنه مثقالَ ذرّة، وعُدولِه عمّن بيده ملكوتُ كل شيءٍ وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزَع

في قضاءِ حوائِجه إلى من لا قدرَة له على شيء البتّة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر].

وصرْفِه عبادَة خالقِه - الذي خلقه لعبادته وتوحيدِه، ورباه بنعمه الظاهرة والباطنةِ وحَفِظَه وكَلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوفِ والأخطار - لمخلوق مثلِه خلقه الله بقدرته ولم يكُ من قبل شيئاً، بل هو مسخّرٌ مدبرٌ مربوبٌ متصرّفٌ فيه الله تعالىٰ بما شاء من أنواع التصرفِ، لا يُبدي حَراكاً ولا ينفكّ من قبضة الله عزّ وجلّ، بل هو خَلْقُه ومُلْكه، مخلوقٌ لعبادته فيرفعه من درجة العبوديةِ والتألّه إلى جَعْله مألوهاً معبوداً: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ [الروم: ٢٨] الآية.

هذا واللّهِ أظلمُ الظلم وأقبحُ الجهل وأكبرُ الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسلُ إلى شيء قبل التوحيد، ولم تَنْه عن شيء قبلَ التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبرَ مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد.

وفي الصحيح[1] عن ابن مسعود ﷺ عنه: قلت: يا رسولَ الله أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ قال: **«أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقَك»**.

وسنذكر إن شاء الله من الآيات والأحاديثِ قريباً ما تَقَرُّ به أعينُ الموحدين، وتدحض شُبهة المعاندين، ويدمَغُ باطلَ الملحدين.

والله المستعانُ وبه التوفيقُ.

---

(١) البخاري (٨/١٦٣ رقم ٤٤٧٧)، ومسلم (١/٩٠ رقم ٨٦).

[ال] فَصْل: [الرابع]:
في بيان ضد التوحيد، وهو الشركُ
وكونِه ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر، وبيان كل منهما



قد قدَّمنا انقسامَ التوحيد إلى قسمين: توحيدِ المعرفة والإثباتِ، وهو توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفات، وتوحيدُ الطلب والقصد، وهو توحيدُ الإلٰهية والعبادة.

ولكنْ من هذه الأنواعِ ضدٌّ يُفهم من تعريفه، فإذا عرفتَ أن توحيدَ الربوبيةِ هو الإقرارُ بأن الله تعالىٰ هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ المدبّرُ لجميع الأمورِ المتصرفُ في كل مخلوقاتهِ لا شريكَ له في ملكه، فضِدُّ ذلك هو اعتقادُ العبدِ وجود متصرّفٍ مع الله غيرِه فيما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ.

وإذا عرفتَ أن توحيدَ الأسماءِ والصفات هو أن يُدعَى الله تعالىٰ بما سمّى به نفسَه، ويوصَفَ بما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُه محمدٌ ﷺ، وينفي عنه التشبيهَ والتمثيلَ، فضِدُّ ذلك شيئان ويعُمّهما اسمُ الإلحادِ:

(أحدهما): نفيُ ذلك عنْ الله عزّ وجلّ وتعطيلُه عن صفات كمالِه ونعوتِ جلاله الثابتةِ بالكتاب والسنة.

(ثانيهما): تشبيهُ صفات الله تعالىٰ بصفات خلقِه، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفتَ أن توحيدَ الإلهيةِ هو إفرادُ الله تعالىٰ بجميع أنواعِ العبادةِ ونفيُ العبادةِ عن كلِّ ما سوى الله تبارك وتعالىٰ، فضدُّ ذلك هو صرفُ شيءٍ من أنواع العبادةِ لغير الله عزّ وجلّ، وهذا هو الغالبُ على عامة المشركين، وفيه الخصومةُ بين جميعِ الرسلِ وأممِها.

[أول ما ظهر من الشرك في قوم نوح]

وأولُ ما ظهر الشركُ في قوم نوحٍ على المشهور، وقد كان بنو آدمَ على ملّة أبيهم عليه السلام نحوَ عشرةِ قرونٍ كما قدمنا، وبه قال ابنُ عباس[1] وغيره في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨)، والحاكم (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧) وقال=

تفسير قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وذلك لأن الشيطانَ لعنه الله لم يزل دائباً جاداً مشمِّراً في عداوة بني آدمَ عليه السلام منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفخ الله فيه الروحَ وعلّمه الأسماءَ كلَّها، وأمر الملائكةَ بالسجود له فسجدوا كلُّهم إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

فلما سأله الله عزّ وجلّ عن سبب امتناعِه من السجود واستكباره عن أمر ربّه ـ والله تعالى أعلمُ به ـ فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٢]، فأجاب الخبيثُ مفتخراً بأصله، طاعناً على ربّه تعالىٰ في حكمته وعدلهِ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فعامله الجبارُ بنقيض ما قصده، وأذاقه وبالَ حسَدِه، وأثمر له استكبارُه الذلَّ الأبديَّ الذي لا عزَّ بعده: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨] الآية، وقال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر].

فطلب الإنظارَ ليأخُذَ بزعمه من آدمَ وذريتِهِ بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيلَ له إلاّ على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامُهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبارِ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [صۤ]، أجابه الله تعالىٰ إلى طلبته ليمتحنَ عبادَه اختباراً وابتلاءً: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

فقابل النعمةَ بالكفران، وجدّد صفقةَ الخسران، وأقسم ليستعمِلنّ مُدّتَه

= الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

قلت: الأثر صحيح عن ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلاّ من كتاب أو سنة.

وليستغرقَنّ حياتَه في إغواء ذريةِ آدمَ، الذين كان طردُه وأبعادُه بسببهم إذ لم يسجدْ لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربِّه، بل قدّس نفسَه اللئيمةَ، وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمةً ومحادّةً ومشاقةً: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ولم يقل اللعينُ «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالىٰ من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤١ ـ ٤٢].

وقد علم الرجيمُ ذلك فقال آيساً منهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، ثم لما سعى إلى آدمَ وحواءَ وزوجِه في الجنة ودلّهما على تلك الشجرةِ التي نهاهم الله عزّ وجلّ عنها أن يَقْرَبوها، وأباح لهم ما سواها من الجنّة، فاستدرجهم اللعينُ بخِداعه وحيلتِه البائرة، وغرّهم بتلك اليمينِ الفاجرة: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

فنفذ قضاءُ الله تعالىٰ وقدرُه بأكلهما منها: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وظنّ اللعينُ أنه قد أخذ بثأره من آدمَ، وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عزّ وجلّ وسعَةَ رحمتِه، الذي لا يقدر أحدٌ على شيء منه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، فلما عاتبهما الله تبارك وتعالىٰ على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

لم يعترضا على قضاء اللّهِ وقدَرِه ولم يحتجّا بذلك على ارتكاب ما نهى اللّهُ عنه، ولم يخاصِما به؛ كما قال اللعينُ مواجهاً ربَّه بقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].

بل اعترفا بقُدرة الله عليهما وأقرّا بظُلمهما لأنفسهما، وصرّحا بافتقارهما إلى ربِّهما وبكمال غِناه عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه هي الكلماتُ التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ثم أراد الله سبحانه أن يُهبطهم إلى دار أخرى هي دارُ الامتحان والابتلاءِ ليتبيّن حزبَه الذين يتبعون رسلَه ويقاتلون أعداءَه، ويغرِسَ لهم بصالح الأعمالِ ما لا عينٌ رأت ولا أذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبيّنَ حزبَ عدوِّه الذين اتّبعوه وأطاعوه وصاروا من خَيله ورَجِلِه وقد أعدّ لهم جهنّمَ وساءت مصيراً، وألقى العداوةَ ونصَب الحربَ بين هذين الحزبينِ في هذه الدار: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، فقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].

ثم كان من كيد الشيطان مما قصّ الله عزّ وجلّ من إلقائه الفتنةَ بين ابنَي آدمَ، وقَتْلِ أحدِهما الآخرَ كما في سورة المائدةَ[1].

ولما مات آدمُ عليه السلام كان وصيُّه شَيثاً عليه السلام، ومضت تلك المدةُ التي ذكرنا والناسُ كلُّهم على شريعة من الحق؛ كما قال ابنُ جرير[2] رحمه الله تعالىٰ.

حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا أبو داودَ أخبرنا همامٌ عن قَتادةَ عن عِكرمةَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوحٍ وآدمَ عشرةُ قرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين، وزيّن الشيطانُ لعنه الله لقوم نوح عبادةَ الأصنامِ وكان أولَ ذلك أن زيّن لهم تعظيمَ القبورِ والعُكوف عليها، وبيانُ ذلك ما روى البخاري[3] رحمه الله تعالىٰ عن ابن عباس قال في ودٍّ وسُواعٍ ويَغوثَ ويَعوقَ ونَسرٍ: (**هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلِسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسِيَ العلمُ عُبدت**) اهـ.

(١) الآية (٢٧ ـ ٣١).
(٢) أثر صحيح تقدم تخريجه قريباً.
(٣) في صحيحه (٨/ ٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

فلو جاءهم اللعينُ وأمرهم من أول مرةٍ بعبادتهم لم يقبلوا ولم يُطيعوه، بل أمر الأوّلين بنصب الصورِ لتكون ذريعةً للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادةُ الله عندها ذريعةً إلى عبادتها ممن يخلُفهم.

فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام فلبِث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالىٰ وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالىٰ بالطوفان.

ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهةً مع الله منها هدا وصدى وصمودا، فأرسل الله عزّ وجلّ إليهم هوداً عليه السلام فلبث فيهم ما لَبِثَ يدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ، فلما حقّ عليهم العذابُ أهلكهم الله تعالىٰ بالرّيح.

ثم ثمودُ كذلك، وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكذّبوه فأُهلِكوا بالصيحة.

ثم قومُ إبراهيمَ، وعبدوا الشمسَ والقمرَ والنجومَ وعبدوا الأصنامَ وغيرَ ذلك، وقد قصّ الله تعالىٰ في كتابه كلَّ ذلك مفصّلاً عن الأمم ورسلِهم. وعبد أولُ بني إسرائيلَ العجلَ وآخِرُهم عبدوا عُزيراً، وعبدت النصارى المسيحَ، وعبدت المجوسُ النارَ، وعبد قومٌ الماءَ، وعبد كلُّ قوم ما زيّنه الشيطانُ لهم على قَدْر عقولِهم، هذا في الأمم الأولى، وكلٌّ منها له وارثٌ من الأمم المتأخرة، فالأصنامُ التي في قوم نوحٍ قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرِو بنِ لُحيٍّ قبحه الله تعالىٰ، كما ذكره ابنُ عباس فيما رواه البخاريُّ[1] عنه ﷺ قال: أما وَدٌّ فكانت لكلْب بدُومة الجندل، وسُواعٌ كانت لهُذيل، وأما يَغوثُ فكانت لمراد، ثم لبني غُطيفٍ بالجَوف عند سَبأ، وأما يعوقُ فكانت لهمدانَ، وأما نسرٌ فكانت لحِمْير لآل ذي الكُلاع، انتهى.

[دخول الوثنية بلاد العرب على يد:
عمرو بن لحي الخزاعي]

وتفسيرُ ذلك ما ذكره الكلبيُّ حيث قال: وكان عمرُو بنُ لُحي كاهناً وله رِئيٌّ من الجنِّ، فقال له: عجل السيرَ والظعنَ من تِهامة، بالسعد والسلامة، ائتِ جُدّة، تجد فيها أصناماً مُعَدة، فأورِدْها تهامةَ ولا تهبْ، ثم ادعُ العربَ إلى عبادتها تُجَب.

---

(١) في صحيحه (٨/٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

فأتى نهر جُدّة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تِهامة وحضر الحجّ فدعا العربَ إلى عبادتها قاطبةً، فأجابه عوفُ بنُ عدن بنِ زيدِ اللاتِ فدفع إليه وَداً فحمله، فكان بوادي القُرى بدُومة الجندلِ وسمى ابنَه عبدَ وَد، فهو أولُ من سُمّي به، وجعل عوفٌ ابنَه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام.

قال الكلبي: فحدّثني مالكُ بنُ حارثةَ أنه رأى وَداً. قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقِه إلَهك فأشربه. قال: ثم رأيت خالدَ بنَ الوليد ﷺ كسّره فجعله جُذاذاً، وكان رسولُ الله ﷺ بعثَ خالدَ بنَ الوليد لهَدْمه فحالت بينه وبين هدمِه بنو عُذرةَ وبنو عامرٍ فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسّره.

قال الكلبي: فقلتُ لمالك بنِ حارثةَ: صف لي وَداً كأني أنظرُ إليه، قال: كان تمثالَ رجلٍ كأعظمِ ما يكون من الرجال، قد ذَبر - أي نُقش - عليه حُلّتان، متّزرٌ بحُلّة، مُرتدٍ بأخرى، عليه سيفٌ قد تقلّده وقد تنكّب قوساً وبين يديه حَربةٌ فيها لواءٌ وقبضةٌ فيها نَبْلٌ بغير جُعبة. وأجابت عَمرو بنَ لُحيّ مُضرُ بنُ نزار، فدفع إلى رجل من هُذيل - يقال له الحارثُ بنُ تَمِيم بنِ سعدِ بنِ هُذَيلِ بنِ مُدركَةَ بنِ إلياس بنِ مُضَرَ - سُواعاً - فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجلٌ من العرب:

تراهم حولَ قِبلتِهم عُكوفاً ... كما عكَفتْ هذيلُ على سُواع

وأجابته مَذحِجُ فدفع إلى أنعمَ بنِ عمرٍو المُراديّ يغوثَ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته هَمْدانُ فدفع إلى مالكِ بنِ زيدِ بنِ جُشَمَ يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدانُ ومن والاها من اليمن، وأجابته حِميرُ فدفع إلى رجل من ذي رُعَيْن يقال له مَعْدِي كَرِبُ نسراً، فكان بموضع من أرض سَبأ يقال له بَلْخعُ تعبُده حِميرٌ ومن والاها، فلم يزل يعبدونه حتى هوّدهم ذو نُواس، فلم تزل هذه الأصنامُ تُعبد حتى بعث الله النبيَّ ﷺ فهدمها وكسرها.

وفي صحيح البخاريّ[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

---

(١) في صحيحه رقم (٣٣٣٣ ـ البغا).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٩١ رقم ٢٨٥٦).

«رأيتُ عَمْرو بنَ لُحَيٍّ الخزاعيَّ يجُرُّ قُصْبَه في النار، وكان أول من سيَّب السوائبَ»، وفي لفظ: «وغيَّر دينَ إبراهيم»[١].

وروى ابنُ إسحاقَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأكثمَ بنِ الجوفِ الخزاعيِّ: «يا أكثمُ، رأيت عمرَو بنَ لُحيِّ بنِ قَمعةَ بن خِنْدِفٍ يجُرُّ قُصْبَه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبهَ برجل منك به ولا بك منه»، فقال أكثم: عسى أن يضُرَّني شَبَهُه يا رسولَ الله، قال: «لا، إنك مؤمنٌ وهو كافر، إنه كان أولَ من غيَّر دينَ إسماعيلَ، فنصب الأوثانَ وبحر البحيرةَ وسيَّب السائبةَ وحمّى الحاميَ»[٢].

قال ابن هشام[٣]: (حدثني بعضُ أهلِ العلم أن عَمْرو بنَ لُحيٍّ خرج من مكةَ إلى الشام في بعض أمورِه، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاءِ - وبها يومئذ العماليقُ، وهم ولدُ عِملاقَ ويقال عَمليقُ بنُ لاوذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ - رآهم يعبدون الأصنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنامُ نعبُدها فنستمطِرُها فتُمطِرنا، ونستنصِرُها فتنصُرُنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العربِ فيعبدونه، فأعطَوْه صنماً يقال له هُبَلٌ، فقدِم به مكّةَ فنصبَه وأمر الناسَ بعبادته وتعظيمِه).

وقال ابنُ إسحاقَ[٤]: (واتخذوا إسَافاً ونائلةَ على موضع زمزمَ ينحَرون عندهما، وكان إسافُ ونائلةُ رجلاً وامرأةً من جُرْهُم، هو إسافُ بنُ بغي ونائلةُ بنتُ ديك، فوقع إسافُ على نائلةَ في الكعبة فمسخهما الله حَجَرين... قال: وقال أبو طالب:

وحيثُ يُنيخ الأشعرون رِكابَهم ... بمُفْضِي السيولِ من إسافٍ ونائلِ

---

(١) لم أجده في الصحيحين ولا في أحدهما.
ومعناه عند أحمد (٣/ ٣٥٣) من حديث جابر.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٢١) بسند صحيح وابن إسحاق صرّح بالتحديث.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٥٣ و٥/ ١٣٧) من حديث جابر.

(٣) في السيرة النبوية (١/ ١٢١).

(٤) ابن إسحاق بسند صحيح (١/ ٨٢ - ٨٣) عن عائشة موقوفاً.
وذكره ابن هشام في السيرة (١/ ١٢٧).

واتخذوا حول الكعبةِ نحوَ ثلاثمائةٍ وستين صنماً).

قال ابنُ إسحاق[1]: (وكان لخَولانَ صنمٌ يقال له «عم أنس»[2] بأرض خَولانَ، يقسِمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثِهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق «عم أنس»[2] من حق الله تعالىٰ الذي سمَّوْه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالىٰ من حق «عم أنس»[2] ردُّوه عليه، وهم بطنٌ من خولانَ يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالىٰ فيما يذكُرون: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال[3]: (وكان لبني مِلْكان بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ صنمٌ يقال له سعد: صخرةٌ بفلاة من أرضهم طويلةٌ، فأقبل رجلٌ من بني ملكان بإبل له مُؤبّلة لِيقِفَها عليه التماسَ بركتِه فيما يزعُم، فلما رأته الإبلُ ـ وكانت مَرْعِيةً لا تُركب، وكان يُهرَاقُ عليه الدماءُ ـ نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغَضِب ربُّها الملكاني فأخذ حجراً فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليَّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أَتَينا إلى سَعْدٍ ليجمعَ شَملَنا ... فشتَّتنا سعدٌ فلا نحن من سَعْدِ

وهل سعدُ إلاّ صخرةٌ بَتنوفةٍ[4] ... من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

وكان لِدَوسٍ صنمٌ لعَمْرِو بنِ حُمَمة الدَّوسيّ).

قال[5]: (وكان لقريشٍ وبني كِنانةَ العُزَّى بنخلةَ وكانت سدنتُها وحجّابُها بنو شيبانَ من سُليم حلفاءُ أبي طالب).

---

(١) في السيرة النبوية (١/ ١٢٥).

(٢) في السيرة النبوية: «عُمْيَانِس».

(٣) في السيرة النبوية (١/ ١٢٦).

(٤) التنوفة: القفر الذي لا ينبت شيئاً.

(٥) في السيرة النبوية (١/ ١٢٨).

قلت: فبعث إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد رضي الله عنه فهدمها[1].

قال[2]: (وكانت اللاتُ لثقيفٍ بالطائف، وكان سدنتُها وحُجابُها بني مُعَتِّب من ثقيف).

قال[3]: (وكان مَناةُ للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرِبَ على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقديد).

وقال ابن هشام[4]: (فبعث رسولُ الله ﷺ إليها أبا سفيان بنَ حَرْبٍ رضي الله عنه فهدمها، ويقال عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه).

قال ابن إسحاق[5]: (وكان ذو الخَلَصة لدَوسٍ وخَثْعَم وبَجيلةَ ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبالةَ، فبعث إليها رسولُ الله ﷺ جريرَ بنَ عبدِ الله البَجَليَّ رضي الله عنه فهدمها. قال: وكانت فَلْسُ لطَيءٍ ومن يليها بجَبَلَيْ طيّءٍ بين سَلْمى وأجأ).

قال ابنُ هشام[6]: (فحدّثني بعضُ أهلِ العلم أن رسولَ الله ﷺ بعث إليها عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له، فهما سيفا عليّ رضي الله عنه).

قال[7]: (وكان لحِمْيَرَ وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له رِئام).

قال[8]: (وكانت رُضاءُ بيتاً لبني ربيعةَ بنِ كعبٍ وفيها يقول المستوغرُ بنُ ربيعةَ حين هدمها في الإسلام:

---

(١) أوردها ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٥٧ - ٢٥٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف يرسل.

(٢) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٢٩).

(٣) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٢٩).

(٤) في السيرة النبوية (١/١٣٠).

(٥) كما في سيرة ابن هشام (١/١٣٠).

(٦) في السيرة (١/١٣١) وقد أبهم من حدثه.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٦٤) معلقاً.
والواقدي في «المغازي» (٣/٩٨٥ - ٩٨٨) مرسلاً.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٧) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٣١).

(٨) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/١٣١).

ولـقـد شـددتُ عـلـى رُضـاءِ شـدّةً ... فتركتُها قَفْراً بقاعٍ[1] أسحما[2])

(وكان ذو الكَعباتِ لبكرٍ وتغلِبَ ابني وائلٍ وإيادٍ بِسَنْداد، وله يقول أعشى بني قيس:

بينَ الخَوَرْنَقِ[3] والسُدَيْرِ[4] وبارق[5] ... والبيتِ ذي الشُرفاتِ من سنداد[6])[7]

قال ابنُ إسحاق[8]: (وكان عمرُو بنُ الجَموحِ سيّداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يقال له مَناةُ، فلما أسلم فتيانُ بني سلمةَ ـ معاذُ بنُ جبلٍ، وابنُه معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَموحِ، وغيرُهم ـ ممن أسلم وشهد العقبةَ، وكانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرٍو ذلك فيحمِلونه فيطرحونه في بعض حُفرِ بني سلمةَ وفيها عَذِراتُ الناسِ مُنكّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم مَن عدا على آلهتنا هذه الليلةَ؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهّره وطيّبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأُخزِيّنه. فإذا أمسى ونام غَدَوا ففعلوا بصنمه مثلَ ذلك، فيغدوا يلتمسه فيجد به مثلَ ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهّره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقَوه فغسله وطهّره وطيّبه ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع فهذا السيفُ معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من

---

(١) القاع: المنخفض من الأرض.

(٢) الأسحم: الأسود.

(٣) الخورنق: قصر بالكوفة بناه النعمان بن المنذر في ستين سنة. [مراصد الاطلاع (١/ ٤٨٩)].

(٤) السُدَيْر: قاع بين البصرة والكوفة، وموضع في ديار غطفان. [معجم البلدان (٣/ ٢٠٢)].

(٥) بارق: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. [معجم البلدان (١/ ٣١٩)].

(٦) سنداد: قصر بالعذيب. وقيل: نهر، وقيل: هو أسفل سواد الكوفة. [معجم البلدان (٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)].

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ١٣٢).

(٨) كما في «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، و«إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرَنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمةَ فيها عُذَرُ الناسِ، وغدا عمرٌو فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من قومه فأسلم وحَسُن إسلامُه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن	أنت وكلبٌ وسْطَ بئرٍ في قَرَنْ[1]
أفٍّ لمُلقاكَ إلهاً مُستَدن	تُهان أو تسأل عن سوء الغَبَن[2]
الحمدُ للّه العليِّ ذي المننْ	الواهبِ الرازقِ ديّانِ الدِّيَنْ
هو الذي أنقذني من قبل أن	أكونَ في ظلمة قبرٍ مُرتهَنْ)

قال ابنُ إسحاق[3]: (واتّخذ أهلُ كل دارٍ في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سَفَراً تمسَّح به، فيكون آخرَ عهدِه وأولَ عهده، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وكانت العربُ قد اتّخذت مع الكعبة طواغيتَ، وهي بيوتٌ تعظّمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنةٌ[4] وحُجّابٌ ويُهدى لها كما يُهدى للكعبة، ويطاف بها كما يطاف بالكعبة، ويُنْحَر عندها كما ينحر عند الكعبة).

(وكان الرجلُ إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعةَ أحجارٍ فنظر إلى أحسنها فاتّخذه رباً وجعل الثلاثةَ أثافيَّ لقِدْره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثلَ ذلك)[5].

وقال أبو رجاءِ العُطاردي[6]: (لما بُعث النبيُّ ﷺ فسمعنا به سمعنا بمُسَيْلِمةَ

---

(١) القَرَن: الحبل الذي يشدّ به الأسير.
(٢) الغَبَن: الخديعة.
(٣) كما في السيرة النبوية (١/١٢٨).
(٤) السَّدنة: الخَدَمة الذين يخدمونها.
(٥) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦١).
(٦) أبو رجاء العُطَاردي: عِمران بن مِلْحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبيّ ﷺ.
[«سير أعلام النبلاء» (٤/٢٥٣ ـ ٢٥٧ رقم ٩٣)، و«الحلية» (٢/٣٠٤)].

الكذاب فلحِقنا بالنار، قال: وكنا نعبد الحجرَ في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسنُ منه نُلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حَثْيةً من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طُفْنا به، قال: وكنّا نعمِد إلى الرمل فنجمعُه ونحلِب عليه فنعبده، وكنا نعمِد إلى الحجر الأبيضِ فنعبده زماناً ثم نُلقيه)[1].

وقال أبو عثمانَ النهديُّ: (كنّا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي يا أهلَ الرِّحال إن ربَّكم قد هلك فالتمسوا ربًّا، قال: فخرجنا على كل صَعْبٍ وذَلول، فبينما نحن كذلك نطلبُه إذا نحن بمنادٍ ينادي: إنا قد وجدنا ربَّكم أو شِبْهه، فإذا حجرٌ فنحَرْنا عليه الجَزورَ)[2].

وقال عمرُو بنُ عبسةَ: (كنت ممن يعبد الحجارةَ فينزل الحيُّ ليس معهم إلهٌ، فيخرج الرجلُ منهم فيأتي بأربعة أحجارٍ فينصُب ثلاثةً لِقِدره، ويجعل أحسنَها إلٰهاً يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسنُ منه قبل أن يرتحلَ فيتركُه ويأخذ غيره)[3].

(ولما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ وجد حول البيتِ ثلُثمائةٍ وستين صنماً، فجعل يطعن بِنَشَبة قوسِه في وجوهها وعيونِها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحُرّقت)[4].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في خاتمة كتابِه الإغاثة[5]:

[أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام]

(فصل): (وتلاعبُ الشيطانِ بالمشركين في عبادة الأصنام له أسبابٌ عديدة، تلاعَبَ بكل قومٍ على قدر عقولِهم.

فطائفةٌ دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيمِ الموتى الذين صوّروا تلك الأصنامَ على صورهم كما تقدم عن قوم نوحٍ عليه السلام، ولهذا لعن النبيُّ ﷺ المتّخذين

---

(١) أورده ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٢) مسنداً من طريق حنبل وسنده صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٥٩ رقم ١٥٧٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٠٤) من طريق ابن أبي شيبة، بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢١٧) بسند ضعيف.
(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٢).
(٥) (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

على القبور المساجدَ والسُّرُجَ[1]، ونهى عن الصلاة إلى القبور[2]، وسأل ربَّه سبحانه أن لا يجعل قبرَه وثناً يُعبد[3]، ونهى أمتَه أن يتخذوا قبرَه عيداً[4]، وقال: **«اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»**[5]، وأمر بتسوية القبورِ وطَمْسِ التماثيل[6].

قلت: وسنذكر الأحاديثَ المسندةَ في ذلك قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

قال: فأبى المشركون إلاّ خلافَه في ذلك كلِّه إمّا جهلاً وإمّا عناداً لأهل

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣/٥٥٨ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (٢/١٣٦ رقم ٣٢٠)، وقال: **حديث حسن**.
والنسائي (٤/٩٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (١/٥٠٢ رقم ١٥٧٥) عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجدَ والسُّرُج».
انظر: «الإرواء» (٣/٢١٣)، و«الضعيفة» رقم (٢٢٥).
وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ: «السُّرُج».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢/٦٦٨ رقم ٩٧٢) عن أبي مَرْثَد الغَنَوي أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها»**.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/١٨٥ ـ ١٨٦ ـ تنوير الحوالك) مرسلاً.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠ ـ ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلاً **بسند صحيح**.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلاً.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/٣٤٥) عن زيد بن أسلم مرسلاً **بسند صحيح**.
وأخرجه أحمد في «المسند» موصولاً (٢/٢٤٦)، والحميدي (٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٨٣ و٧/٣١٧) عن أبي هريرة **بسند حسن**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/١٨٦ رقم ٢١٤٠) عن علي بن حسين.

(٥) تقدم تخريجه آنفاً **وهو حديث صحيح**.

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢/٦٦٦ رقم ٩٣/٩٦٩)، وأبو داود (٣/٥٤٨ رقم ٣٢١٨)، والترمذي (٣/٣٦٦ رقم ١٠٤٩)، والنسائي (٤/٨٨ رقم ٢٠٣١)، وأحمد (١/٨٩).
عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع تمثالاً إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سوّيته».
* وأخرج مسلم (٢/٦٦٦ رقم ٩٢/٩٦٨)، وأبو داود (٣/٥٤٩ رقم ٣٢١٩)، والنسائي (٤/٨٨ رقم ٢٠٣٠)، وأحمد (٦/١٨) عن ثُمَامَةَ بنَ شُفَي نحو ذلك.

التوحيد، ولم يضُرّهم ذلك شيئاً، وهذا السببُ هو الغالبُ على عوامّ المشركين، وأما خواصُّهم فإنهم اتّخذوها بزعمهم على صور الكواكبِ المؤثّرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسَدَنةً وحُجّاباً وحَجّاً وقُرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيتٌ على رأس جبلٍ بأصبهانَ، كانت به أصنامٌ أخرجها بعضُ ملوكِ المَجوسِ وجعله بيتَ نار.

ومنها بيتٌ ثانٍ وثالثٌ ورابعٌ بصنعاءَ، بناه بعض المشركين على اسم الزُّهْرة، فخرّبه عثمان رضي الله عنه.

ومنها بيتٌ بناه قابوسُ الملكُ على اسم الشمسِ بمدينة فرَغانَةَ فخرّبه المعتصم، وأشدُّ الأممِ في هذا النوع من الشرك الهندُ.

قال يحيى بنُ بِشرٍ: إن شريعةَ الهندِ وضعها لهم رجلٌ يقال بَرْهَمَنْ ووضع لهم أصناماً وجعل أعظمَ بيوتِها بيتاً بمدينة من مدائنِ السِّنْدِ، وجعل فيه صَنمهم الأعظمَ، وزعم أنه بصورة الهَيولى الأكبر، وفُتحت هذه المدينةُ في أيام الحجاجِ واسمُها المَلْتان.

إلى أن قال رحمه الله: وأصلُ هذا المذهبِ من مشركي الصابئةِ[١] وهم قومُ إبراهيمَ عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشركِ وكسَر حجّتَهم بعلمه، وآلهتَهم بيده، فطلبوا تحريقَه[٢].

وهو مذهبٌ قديمٌ في العالم، وأهلُه طوائفُ شتّى، فمنهم عُبادُ الشمس،

---

(١) الصابئة: الصبوة في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ. وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة.
وكانوا في مبدأ أمرهم يسجدون للكواكب، لكن لما كانت الشمس تغيب أو تختفي وراء الغيوم لذلك اخترعوا صوراً للكواكب وسمّوها بأسماء الكواكب...
وقيل: إن الصابئة من ولد صابئ بن لامك أخي نوح، وهؤلاء الصابئة هم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام حتى جرت بينه وبين ملكهم النمرود القصة المشهورة والتي وردت في القرآن، وفيها تكسير إبراهيم للأصنام.
انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» فخر الدين الرازي (ص١٤٣ ـ ١٤٤)، ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر الآيات (٤١ ـ ٤٩) من سورة مريم، والآيات (٦١ ـ ٧٠) من سورة الأنبياء.

زعموا أنها مَلَكٌ من الملائكة لها نَفْسٌ وعقلٌ، وهي أصلُ نورِ القمرِ والكواكبِ، وتكوُّنُ الموجوداتِ السُّفليةِ كلِّها عندهم منها، وهي عندهم مَلَكُ الفَلَكِ يستحق التعظيمَ والسجودَ والدعاءَ.

ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتّخذوا لها صنماً بيده جوهرٌ على نوع النار، وله بيتٌ خاصٌ قد بنَوه باسمه وجعلوا له الوقوفَ الكثيرةَ من القُرى والضِّياع، وله سَدَنَةٌ وقُوّامٌ وحَجبةٌ يأتون البيتَ، ويصلّون فيه لها ثلاثَ كرّاتٍ في اليوم، ويأتيه أصحابُ العاهاتِ فيصومون لذلك الصنمِ ويصلّون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمسُ سجدوا كلُّهم وإذا غرَبت، وإذا توسطت الفلَكَ.

ولهذا يقارفها الشيطانُ في هذه الأوقات الثلاثةِ لتقع عبادتُهم وسجودُهم له[1]، ولهذا نهى النبيُّ ﷺ عن تحرّي الصلاةِ في هذه الأوقات[2] قطعاً لمشابهة الكفارِ ظاهراً وسدّاً لذريعة الشركِ وعبادةِ الأصنام)اهـ.

قلت: وقد ذكر الله عزّ وجلّ عبادةَ الشمسِ عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بَلْقِيسَ، كما حكى قولَ الهُدهدِ حيث قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالىٰ إلى الإسلام على يد نبيِّه سليمانَ عليه السلام حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، ثم قال ابنُ القيّم[3] رحمه الله تعالىٰ:

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم رقم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة ـ في حديث طويل ـ قال فيه للنبيّ ﷺ: أخبرني عن الصلاة؟ قال: «**صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاةِ حتى تَطْلُعَ الشمس حتى ترتفعَ، فإنها تطلُع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجُدُ لها الكفّار، ثُمَّ صَلِّ، فإنَّ الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ حتى يستقلَّ الظلُّ بالرُّمح، ثم اقصر عن الصلاةِ، فإنَّ حينئذٍ تُسْجَرُ جهنّم، فإذا أقبَلَ الفيءُ فصَلِّ، فإن الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ حتى تُصلِّي العصر، ثم أقصر عن الصلاةِ حتى تغرُبَ الشمسُ فإنها تغرُبُ بينَ قرني شيطانٍ، وحينئذٍ يسجُدُ لها الكفارُ**».

(٢) أخرج البخاري (٦/ ٣٣٥ رقم ٣٢٧٢)، ومسلم (١/ ٥٦٨ رقم ٢٩١ رقم ٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا طَلَعَ حاجبُ الشمسِ فدَعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجبُ الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب**».

(٣) في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨).

[طائفة اتّخذت للقمر صنماً]

(**فصل**): وطائفةٌ أخرى اتّخذت للقمر صنماً وزعَموا أنه يستحق التعظيمَ والعبادةَ وإليه تدبيرُ هذا العالم السُفليِّ، ومن شريعة عُبادِه أنّهم اتّخذوا لهم صنماً على شكل عِجْلٍ ويجرّه أربعة، وبيد الصنمِ جوهرةٌ، ويعبدونه ويسجُدون له ويصومون له أياماً معلومةً من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشرابِ والفرحِ والسرورِ، فإذا فرَغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناءِ وأصواتِ المعازفِ بين يديه.

[طائفة اتّخذت على صورة الكواكب أصناماً]

ومنهم من يعبد أصناماً اتّخذوها على صور الكواكبِ وروحانياتها بزعمهم، وبنَوْا لها هياكلَ، ومُتعبَّدات لكل كوكب منها هيكلٌ يخصّه وصنمٌ يخصّه وعبادةٌ تخصّه، ومتى أردت الوقوفَ على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الريّ[1] تعرِفْ عبادةَ الأصنامِ وكيفيةَ تلك العبادةِ

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري... المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الري، (أبو عبد الله، فخر الدين، أبو المعالي)، مفسّر، متكلّم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية والحكمية والرياضية... ولد بالري من أعمال فارس، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وأخذ عنه خلق كثير وكان ينال من «الكرامية» وينالون منه سباً وتكفيراً حتى قيل: إنهم سمّوه، وتوفي بهراة وخلف تركة ضخمة.
من تصانيفه الكثيرة: «مفاتيح الغيب في تفسير القرآن» و «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» وغيرهما...
[معجم المؤلفين (٣/٥٥٨ ـ ٥٥٩)].
وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/٤٢٦): «الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري من الآثار وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا.
وله كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله» اهـ.
وقال الشيخ «محمد شريف الدين» في تعليقه على اللسان «عند قول الحافظ عن كتاب «السر المكتوم»... «أنه سحر صريح ما نصه»... فلم يصح أنه له، وقيل: إنه مختلق عليه وبتقدير نسبته إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر. وعليه ردّ للشيخ «زين الدين =

وشرائطَها، وكلُّ هؤلاءِ مرجعُهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقٌ إلاّ بشخص خاصٍّ على شكل خاص ينظرون إليه ويعكُفون عليه، ومن هنا اتّخذ أصحابُ الروحانياتِ والكواكبِ أصناماً زعَموا أنها على صورها، فوضعُ الصنمِ إنما كان في الأصل على شكل معبودٍ غائبٍ، فجعلوا الصنمَ على شكله وهيأتِه وصورتِه ليكون نائباً مَنابَه وقائماً مقامَه، وإلاّ فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبةً أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلٰهُه ومعبودُه.

ومن أسباب عبادتِها أيضاً أن الشياطينَ تدخُل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيباتِ عنهم، وتدلّهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطانَ، فجَهلُتهم وسَقَطُهم يظنّون أن الصنمَ نفسَه هو المتكلّمُ المخاطِب، وعُقلاؤُهم يقولون إن تلك روحانياتُ الأصنامِ، وبعضُهم يقول إنها الملائكة، وبعضُهم يقول إنها هي العقولُ المجرّدة، وبعضُهم يقول هي روحانياتُ الأجرام العلوية، وكثيرٌ منهم لا يسأل عما عهِد، بل إذا سمع الخطابَ من الصنم اتّخذه إلٰهاً ولا يسأل عمّا وراءَ ذلك.

وبالجملة فأكثرُ أهلِ الأرضِ مفتونون بعبادة الأصنامِ والأوثانِ، ولم يتخلّص منها إلاّ الحنفاءُ أتباعُ ملةِ إبراهيمَ عليه السلام، وعبادتُها في الأرض من قَبل نوحٍ عليه السلام كما تقدم، وهياكلُها ووقوفُها وسَدَنتُها وحُجّابُها والكتبُ المصنفةُ في شرائع عبادتِها طبق الأرض.

قال إمامُ الحنفاء: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

والأممُ التي أهلكها الله تعالىٰ بأنواع الهلاكِ كلُّهم يعبدون الأصنامَ، كما قصّ الله عزّ وجلّ ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسلَ وأتباعَهم من الموحدين.

ويكفي في معرفة كثرتِهم وأنهم أكثر أهلِ الأرض، ما صحّ عن النبيّ ﷺ:

= الملطي» المتوفى سنة (٧٨٨هـ) وسماه «انقضاض البازي في انقضاض الرازي».
وفي «الفوائد البهية» أن «السر المكتوم...» ليس من مؤلفاته وإنما هو من وضع بعض الملاحدة نسبه إليه ليروّجه بين الناس.
وقد تبرأ الرازي نفسه من هذا الكتاب في بعض مصنفاته، فالظاهر أنه نسب إليه وهو حي» اهـ.

«أن بَعْثَ النارِ من كل ألفٍ تسعُمائة وتسعةٌ وتسعون»[1].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

ولو لم تكن الفتنةُ بعبادة الأصنامِ عظيمةً لما أقدم عُبّادُها على بذل نفوسِهم وأموالِهم وأبنائِهم دونها، فهم يشاهدونَ مصارعَ إخوانِهم وما حلَّ بهم، ولا يزيدهم ذلك إلاّ حباً لها وتعظيماً، ويوصي بعضُهم بعضاً بالصّبر عليها، وتحمُّل أنواعِ المكارِه في نُصرتها وعبادتِها، وهم يسمعون أخبارَ الأمم التي فُتِنت بعبادتها وما حلَّ بهم من عاجلِ العقوبات، ولا يَثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنةُ عبادةِ الأصنام أشدُّ من فتنة عشقِ الصُوَر وفتنةِ الفجور بها، والعاشقُ لا يَثنيهِ عن مُراده خشيةُ عقوبةٍ في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحِلُّ بأصحاب ذلك من الآلام والعقوباتِ والضربِ والحبسِ والنَّكالِ والفقر، غيرَ ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلاّ إقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته.

فهكذا الفتنةُ بعبادةِ الأصنامِ وأشدُّ، فإن تألُّه القلوبِ لها أعظمُ من تألُّهها للصور التي يريد منها الفاحشةَ بكثير، والقرآنُ بل وسائرُ الكتبِ الإلٰهيةِ من أوّلها إلى آخرها مصرِّحةٌ ببطلان هذا الدين وكُفرِ أهلِه، وأنهم أعداءُ الله وأعداءُ رسلِه، وأنهم أولياءُ الشيطانِ وعبّادُه، وأنهم هم أهلُ النارِ الذين لا يخرُجون منها، وهم الذين حلّت بهم المَثُلاتُ، ونزلت بهم العقوبات، وأن الله سبحانه بريءٌ منهم هو وجميعُ رسلِه وملائكتِه، وأنه سبحانه لا يغفِر لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلومٌ بالضرورة من الدين الحنيفِ، وقد أباح الله عزّ وجلّ لرسوله وأتباعِه من الحنفاء دماءَ هؤلاء وأموالهم ونساءَهم وأبناءَهم، وأمرهم بتطهير الأرضِ منهم حيث وُجدوا، وذمّهم بسائر أنواعِ الذمِّ، وتوعّدهم بأعظم أنواعِ العقوبة.

فهؤلاء في شِقٍّ ورسلُ الله في شقٍ. ثم قال رحمه الله تعالىٰ[2]:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٢ رقم ٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أي ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٩).

«(فصل): **ومن أسباب عبادةِ الأصنامِ الغلوُّ في المخلوق، وإعطاؤُه فوق منزلتِه حتى جعلوا فيه حظاً من الإلٰهية وشبَّهوه بالله تعالىٰ**، وهذا هو التشبيهُ الواقعُ في الأمم الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسلَه وأنزل كُتبَه بإنكاره والردِّ على أهله، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يُجعلَ غيرُه مِثْلاً له ونِداً وشَبَهاً له، لا أن يُشبَّهَ هو بغيره إذ ليس في الأمم أمةٌ جعلته سبحانه مِثْلاً لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوقَ أصلاً وشبّهت به الخالقَ، فهذا لا يُعرف في طائفة من طوائف بني آدمَ، وإنما الأولُ هو المعروفُ في طوائفِ أهلِ الشِّرك غلوّاً فيمن يُعظمونه ويحبونه حتى شبّهوه بالخالق وأعطَوه خصائصَ الإلٰهية، بل صرّحوا أنه إلٰهٌ وأنكروا جَعْلَ الآلهةِ إلهاً واحداً، وقالوا: اصْبِروا على آلهتكم، وصرّحوا بأنه إلٰهٌ معبودٌ يُرجى ويخاف ويُعظم ويُسجَد له ويُحْلَف باسمه ويقرَّب له القرابينُ، إلى غير ذلك من خصائص العبادةِ التي لا تنبغي إلاّ لله تعالىٰ»اهـ.

ثم ذكر رحمه الله تعالىٰ في ذلك بحثاً نفيساً فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقي طوائفِ المشركين من عبّاد النارِ والماءِ والحيواناتِ والملائكةِ وغيرِهم من الثَّنوية والدهريةِ والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائِعهم الباطلةِ وأصولِها وكيفيةِ عبادتِهم لما ألّهوه، ونقض ذلك عليهم أتمَّ نقْضٍ[1]، تغمّده الله برحمته.

[أكثر شرك الأمم في الإلهية، لا بجحود الصانع]

والمقصودُ أن أكثرَ شركِ الأممِ التي بعث الله إليها رسلَه وأنزل كتبَه غالبهُم إنما أشرك في الإلٰهية، ولم يُذكر جحودُ الصانعِ إلاّ عن الدهرية[2] والثَّنوية[3]، وأما

(١) انظر ذلك في كتابه «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٩ ـ . . . إلى آخر الجزء الثاني).

(٢) **الدهرية**: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي، والرسالة من الله تعالىٰ، ويقولون: هذا مستحيل في العقول، ويقولون: بقدم العالم، وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل يدلّ على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر.
انظر: «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: أحمد إبراهيم الحاج (ص٥٢)، ط. دار التراث العربي طبعة أولى (١٤٠٠هـ).
و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١/ ٩ وما بعدها)، ط. دار المعرفة طبعة ثانية (١٣٩٥هـ).

(٣) **الثَّنوية**: هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبِّرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر=

غيرُهم ممن جحدها عِناداً كفرعونَ ونمرودَ وأضرابِهم فهم مُقِرُّون بالربوبية باطناً كما قدمنا، وقال الله عزّ وجلّ عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤]، وبقيةُ المشركين يُقِرُّون بالربوبية باطناً وظاهراً؛ كما صرّح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشركَ في الربوبية لازمٌ لهم من جهة إشراكِهم في الإلٰهية، وكذا في الأسماء والصفاتِ، إذْ أنواعُ التوحيد متلازمةٌ لا ينفكّ نوعٌ منها عن الآخر، وهكذا أضدادُها فمن ضادَّ نوعاً من أنواع التوحيدِ بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثالُ ذلك في هذا الزمن عُبّاد القبور إذا قال أحدُهم يا شيخُ فلان ـ لذلك المقبورِ ـ أغثني أو افعل لي كذا ونحوَ ذلك يناديه من مسافة بعيدة، وهو مع ذلك تحت الترابِ وقد صار تراباً، فدعاؤُه إياه عبادةٌ صَرَفها له من دون الله؛ لأن الدعاءَ مُخُّ العبادة، فهذا شركٌ في الإلٰهية. وسؤاله إيّاه تلك الحاجةَ من جلب خيرٍ، أو دفع ضُرٍّ، أو ردِّ غائبٍ أو شفاءِ مريضٍ، أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلاّ الله معتقداً أنه قادرٌ على ذلك هذا شركٌ في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرِّفٌ مع الله تعالىٰ في ملكوته.

ثم إنه لم يَدْعُه هذا الدعاءَ إلاّ مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب، في أيِّ وقتٍ كان، وفي أي مكان، ويصرِّحون بذلك، وهذا شركٌ في الأسماء والصفاتِ، حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعاتِ لا يحجبُه قربٌ ولا بُعْدٌ، فاستلزم هذا الشِّركُ في الإلٰهية الشركَ في الربوبية والأسماءِ والصفات.

[الكلام على الشرك الأكبر]

(والشركُ نوعان: فشركٌ أكبر ... به خلودُ النار إذ لا يُغفر)
(وهو اتخاذُ العبدِ غيرَ اللّٰهِ ... نِدّاً به مسوِّياً مُضاهي)

(والشرك) الذي هو ضدُّ التوحيد (نوعان) أي ينقسم إلى نوعين (فشرك أكبر) ينافي التوحيدَ بالكلية ويخرج صاحبُه من الإسلام (به خلودُ) فاعلِه في (النار) أبداً

= والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والثاني: الظلمة. ويزعمون أن الظلمة والنور يختلفان في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.
المجوس: أثبتوا أصلين أيضاً إلاّ أنهم قالوا: بحدوث الظلام.
انظر «الملل والنحل» للشهرستاني على هامش الفصل (٢/ ٧٢ ـ ٧٤) ط. دار المعرفة.

(إذ) تعليلٌ لأبدية الخلودِ أي لكونه (لا يغفر) قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

وقال لصفوة خلقِه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

فالشركُ أعظمُ ذنبٍ عُصِيَ الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضلُّ من فاعله، وأنه مخلدٌ في النار أبداً لا نصيرَ له ولا حميمَ ولا شفيعَ يطاع، وأنه لو قام لله تعالىٰ قيامَ الساريةِ ليلاً ونهاراً، ثم أشرك مع الله تعالىٰ غيرَه لحظةً من اللحظات ومات على ذلك فقد حَبِط عملُه كلُّه بتلك اللحظةِ التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوعِ المُحالِ وهو كثيرٌ في اللغة العربية، أي لو قُدِّرَ وقوعُ ذلك من ملك أو رسولٍ لكان كغيره من المشركين في حبوط عملِه وحلولِ غضبِ الله عليه، وإلاّ فلم يُرسل الله تعالىٰ رسولاً إلاّ معصوماً من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والآياتُ في بيان عِظَم الشركِ ووعيدِ فاعله أكثرُ من أن يُحيطَ بها هذا

المختصرُ، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسّر فنقول وبالله التوفيق:

في الصحيح[1] عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من مات يشركُ بالله شيئاً دخل النارَ»**، وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة.

وفيه[2] عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله ما الموجبتانِ؟ فقال: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»**.

وفيه[3] عنه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من لقيَ الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنّة، ومن لقيَ الله يشرك به شيئاً دخل النار»**.

وفيه[4] من حديث أبي ذرٍّ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«أتاني جبريلُ عليه السلام فبشّرني أنه من مات من أمّتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»**.

وفيه[5] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: **«أن تجعلَ لله نِدّاً وهو خلقك»**، الحديث.

وفيه[6] عن أبي بكرةَ ﷺ قال: كنّا عند رسولِ الله ﷺ فقال: **«ألا أنبئُكم بأكبرِ الكبائر (ثلاثاً): الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور»**، الحديث.

وروى أحمد[7] عن عائشة ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«الدواوينُ**

---

(١) البخاري (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٨)، ومسلم (١/ ٩٤ رقم ٩٢).
(٢) في صحيح مسلم (١/ ٩٤ رقم ١٥١/ ٩٣).
(٣) في صحيح مسلم (١/ ٩٤ رقم ١٥٢/ ٩٣).
(٤) البخاري (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٧)، ومسلم (١/ ٩٤ رقم ٩٤).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) البخاري (٥/ ٢٦١ رقم ٢٦٥٤)، ومسلم (١/ ٩١ رقم ٨٧).
(٧) في المسند (٦/ ٢٤٠).
قلت: وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦). =

عند الله ثلاثة: ديوانٌ لا يعبأ الله به شيئاً، وديوانٌ لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوانُ الذي لا يغفره الله فالشركُ بالله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال: **﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾** [المائدة: ٧٢].

= قال الحاكم: صحيح، واعترض عليه الذهبي بقوله: «فيه صدقة بن موسى ضعَّفوه، ويزيد بن بابَنوس فيه جهالة».

قلت: صدقة بن موسى ضعيف، كما قال الذهبي.

أما يزيد بن بابَنوس بالراجح أنه لا بأس به، انظر كتاب: «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٧٦ رقم ٥٠٨).

وللحديث شواهد من حديث سلمان، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

* أما حديث سلمان فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٣١٠ رقم ٦١٣٣)، و«الصغير» (١/ ٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٠٢) عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذنب لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر. فأما الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فذنب العبد بينه وبين الله عزّ وجلّ، وأما الذي يترك، فظلم العباد بعضهم بعضاً».**

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: «فيه يزيد بن سفيان بن عبد الله بن رواحة، وهو ضعيف، تكلم فيه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات».

* وأما حديث أنس فأخرجه البزار في «مسنده» (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩ رقم ٣٤٣٩) عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: **«الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره، فالشرك. قال الله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾»** [لقمان: ١٣].

وأما الظلم الذي يغفره الله: فظلم العباد لأنفسهم، فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله: فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين لبعضهم من بعض».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: «رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم» اهـ.

قلت: حديث أنس ضعيف جداً.

* وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٥٩٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذنبٌ يغفرُ، وذنبٌ لا يغفرُ، وذنبٌ يجازي بهِ، فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذنبُ الذي يغفر فعملكُ فيما بينك وبين ربِّكَ، وأما الذي تُجازى به فظُلمكَ أخاك».**

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه طلحة بن عمرو، وهو متروك.

قلت: فحديث أبي هريرة ضعيف جداً.

أما حديث أنس وأبي هريرة لا يصلحان للاستشهاد.

وخلاصة القول: أن حديث عائشة يرتقي بحديث سلمان إلى الحسن لغيره، والله أعلم.

وأما الديوانُ الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلمُ العبدِ نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركَه أو صلاة، فإن الله تعالىٰ يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوانُ الذي لا يَترك الله منه شيئاً فظلمُ العباد بعضَهم بعضاً، القصاص لا محالة»، تفرّد به أحمدُ.

وله[1] عن معاويةَ ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفِرَه، إلاّ الرجلَ يموت كافراً، أو الرجلَ يقتل مؤمناً متعمّداً»، رواه النسائي[2] أيضاً.

ولأحمد[3] عن أبي ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ يقول: يا عبدي، ما عبدْتَني ورجَوتني فإني غافرٌ لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تشرك بي شيئاً لَقِيتُك بقُرابها مغفرةً».

وللترمذي[4] وقال حسنٌ صحيح عن أنس ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/ ٩٩).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٥١١): أبو عون هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وقد ترجمه ابن أبي حاتم (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) في «السنن» (٧/ ٨١ رقم ٣٩٨٤).
وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه أبو داود رقم (٤٢٧٠) وابن حبان رقم (٥١ ـ موارد)، والحاكم (٤/ ٣٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٣).
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» رقم (٥١١).
وخلاصة القول: أن حديث معاوية صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «المسند» (٥/ ١٧٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٢) كليهما من طريق شهر بن حوشب عن عمرو بن معدي كرب عن أبي ذر.
وفيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٢٨٣٠).
وله شاهد من حديث أبي ذر عند الحاكم (٤/ ٢٤١) وأحمد (٥/ ١٠٨)، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٢٨).
والخلاصة فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٤) في «السنن» (٥/ ٥٤٨ رقم ٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. =

يقول: «قال الله تعالىٰ: يا ابنَ آدمَ، إنك ما دعَوتني ورجَوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُك عِنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك. يا ابنَ آدم، لو أتيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة».

ولابن أبي حاتم[1] عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من نفس تموتُ لا تُشرك بالله شيئاً إلاّ حلَّت لها المغفرةُ، إن شاء الله عذَّبها وإن شاء غَفر لها»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأبي يعلى[2] عنه ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تزال المغفرةُ على العبد ما لم يقع الحجابُ». قيل: يا نبيَّ الله وما الحجابُ؟ قال: «الإشراك بالله»، قال: «ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئاً إلاّ حلَّت لها المغفرةُ من الله تعالىٰ، إن شاء أن يعذبَها وإن شاء أن يغفرَ لها»، ثم قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأحمدَ[3] عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

= قلت: وفيه كثير بن فائد. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٢٠): مقبول. ويشهد له حديث أبي ذر المتقدم آنفاً. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٢٧).
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(١) كما في تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٢) بسند ضعيف منقطع.
فموسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وعبد الله بن عبيدة لم يسمع من جابر.
قاله ابن معين، كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٨٠) ط.الرسالة.
وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) لم أجده في المسند المطبوع.
وعزاه إلى أبي يعلى في «مسنده» الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٢٢) وسنده كالذي قبله من ضعف وانقطاع.
وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٣) في «المسند» (٣/ ٧٩) بسند ضعيف.
فيه عطية العوفي: ضعيف.
والحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

ولابن أبي حاتم[1] عن أبي أيوبَ ﷺ قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إن لي ابنَ أخٍ لا ينتهي عن الحرام، قال: **«وما دينُه»**؟ قال: يصلي ويوحّد الله، قال: **«استوهِبْ منه دينَه، فإن أبى فابتَعْه منه»**. فطلب الرجلُ ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: وجدتُه شحيحاً على دينه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وللطبراني[2] عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«قال الله عزّ وجلّ: من عَلِم أني ذو قُدرةٍ على مغفرة الذنوبِ غفرتُ له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً»**.

ولابن مردويه[3] عن عِمرانَ بن حُصينٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«أخبركم**

---

(١) كما في تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٢).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧٧ رقم ٤٠٦٣).
فيه واصل بن السائب: قال البخاري وأبو حاتم منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: «التاريخ الكبير» (٨/ ١٧٣) و«الجرح والتعديل» (٩/ ٣٠ - ٣١).
وأبو سورة: قال البخاري: منكر الحديث يروي عن أبي أيوب أحاديث لا يتابع عليه.
وانظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٥٣٥) ط. الرسالة.
والخلاصة أن الحديث ضعيف جداً.

(٢) في «الكبير» (١١/ ٢٤١ رقم ١١٦١٥).
قلت: وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٨ رقم ٤١٩١).
كلاهما من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس.
وإبراهيم بن الحكم هذا: ضعيف. انظر: «الكامل» (١/ ٢٤١ - ٢٤٢)، و«التقريب» (١/ ٣٤ رقم ١٩٠).
وأخرج الحديث الحاكم (٤/ ٢٦٢) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.
وحفص بن عمر العدني هذا ضعيف. انظر: «الكامل» (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٤) و«التقريب» (١/ ١٨٨ رقم ٤٥٨).
أما الحكم بن أبان العدني: أبو عيسى ثقة صاحب سنة كما في «الكاشف» (١/ ٢٤٤ رقم ١١٨١).
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٣) مسنداً.
فيه سعيد بن بشير: ضعيف. كما في «التقريب» رقم (٢٢٧٦). =

بأكبرِ الكبائر: الإشراك بالله»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، «وعقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وللإمام أحمد[١] عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسولَ الله أيُنا لا يظلِم نفسَه؟ قال: **«إنه ليس الذي تَعنون، ألم تسمعوا ما قال العبدُ الصالحُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»** الحديث في الصحيحين[٢].

ولابن مردويه[٣] من حديث عُبادةَ وأبي الدرداءِ ﷺ: **«لا تشركوا بالله شيئاً وإن قُطّعتم أو صُلّبتم أو حُرّقتم».**

= والحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما في «المراسل» لابن أبي حاتم (ص٣٨ رقم ١٢٣)، وقال في (ص٤٥ رقم ١٥٢): «وسمع من عمران بن حصين شيئاً». ولكن العلائي في «جامع التحصيل» (ص١٩٥) نفى سماعه من عمران بن حصين، وهو الأقوى، والله أعلم.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند ولكنه حسن بشواهده.

(١) في «المسند» (٣/٥٠١ رقم ٣٥٨٩ ـ شاكر) **وإسناده صحيح.**

(٢) البخاري (١/٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٢٤).

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/١٩٥) **بدون سند.**

* وأخرجه ابن ماجه (٢/١٣٣٩ رقم ٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٥٠ رقم ١٤٢١/٤٠٣٤): «هذا إسناد حسن، شهر مختلف فيه...».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٦ ـ ٢١٧) وقال: «رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث أبي الدرداء حسن، والله أعلم.

* وأخرجه الطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٦) ـ من حديث عبادة بن الصامت.

وقال الهيثمي: وفيه سلمة بن شريح.

قال الذهبي: لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وخلاصة القول: أن حديث عبادة حسن لغيره.

* وأخرجه أحمد (٥/٢٣٨) والطبراني في الكبير ـ كما في «مجمع الزوائد» (٤/٢١٥) من حديث معاذ. =

ولابن أبي حاتم(١) عن عُبادةَ بن الصامتِ ﷺ قال: أوصانا رسولُ الله ﷺ بسبع خصالٍ: «**لا تشركوا بالله شيئاً وإن حُرّقتم وقُطعتم وصُلّبتم**».

وفي الصحيحين(٢) عن معاذ بنِ جبلٍ ﷺ قال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على الله عزّ وجلّ؟**»، قلت: الله ورسولُه أعلَمُ. قال: «**حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذّبَ من لا يشركُ به شيئاً**».

وللبخاريّ(٣) عن سعيد بنِ المسيَّبِ عن أبيه ﷺ قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ دخل عليه النبيُّ ﷺ وعنده أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أيْ عمّ، قل لا إله إلاّ الله أُحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أميةَ: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبدِ المطلب؟ وقال النبيُّ ﷺ: «**لأستغفرَنّ لك ما لم أُنهَ عنك**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

والأحاديثُ في عِظم ذنبِ الشركِ وشِدةِ وعيدِه أكثرُ من أن تُحصى، وقد قدَّمنا من أحاديثِ التوحيدِ جملةً وافيةً عند الكلامِ على لا إله إلاّ الله وغيرَ ذلك.

والمقصودُ أن الشركَ أعظمُ ما نهى الله عنه، كما أن التوحيدَ أعظمُ ما أمر الله به، ولهذا كان أولُ دعوةِ الرسلِ كلِّهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ ونَفْيِ الشركِ، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم يَنْهَوا عن شيء قبل الشركِ كما قدمنا بَسْطَ ذلك. وما ذكر الله تعالىٰ التوحيدَ مع شيء من الأوامر إلاّ جعله أوّلَها، ولا ذكر الشركَ مع شيء من النواهي إلاّ جعله أولَها، كما في آية النساء: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

= وقال الهيثمي: «ورجال أحمد ثقات إلاّ أن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ. وإسناد الطبراني متصل وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث معاذ حسن لغيره، والله أعلم.

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) مسنداً.

فيه يزيد بن قوذر، مجهول. وسلمة بن شريح: مجهول.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) البخاري (١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٣)، ومسلم (١/ ٥٨ رقم ٣٠) وقد تقدم.

(٣) البخاري (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٤)، ومسلم (١/ ٥٤ رقم ٢٤).

بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وكما في آية الأنعام التي طلب النبيُّ ﷺ البَيْعة عليها، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٩]، فابتدأ تلك الأوامرَ والنواهيَ بالأمر بالتوحيد والنَّهي عن الشِّرك، وختمها بذلك.

وكما في آيات الفُرقان في الثناء على عباده المؤمنين في اجتنابهم الفواحشَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات، وغيرُ ذلك من الآيات.

وكذلك في أحاديث النبيِّ ﷺ الجامعةِ للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائرِ المتقدم، وكما في حديثِ مَن سأل النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يقرّبني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: **«لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه: تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً»**[(١)]، وذكر الحديث.

وكذا في أحاديث أركانِ الإسلام، كحديث جبريلَ المشهورِ[(٢)]، وحديث ابنِ

---

(١) البخاري (٣/ ٢٦١ رقم ١٣٩٦)، ومسلم (١/ ٤٣ رقم ١٤/ ١٣) من حديث أبي أيوب.
(٢) البخاري (١/ ١١٤ رقم ٥٠)، ومسلم (١/ ٣٩ ـ ٤٠ رقم ٩ و١٠) من حديث أبي هريرة.

عمرَ[1]، وحديث وفدِ عبدِ القيس[2] وغيرِها يبدأ فيها بالشهادتين.

ومن تتبع القرآنَ والسنةَ وتدبّر نصوصَهما تبيّن له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلقَ إلاّ لذلك.

[تعريف الشرك]

(وهو) أي الشركُ الذي تقدم ذكرُه في المتن وذِكرُ النصوصِ فيه في الشرح: **(اتخاذُ العبدِ غيرَ الله)** من نبي أو وليّ أو ملَكٍ أو قبرٍ أو جِنّيٍّ أو شجرٍ أو حجرٍ أو حيوان أو نار أو شمسٍ أو قمر أو كوكبٍ أو غيرِ ذلك، **(نِدّاً)** من دون الله **(مسوّياً به)** الله، يحبّه كحب الله، ويخافه ويخشاه كخشية الله، ويتبعه على غير مرضاةِ الله ويطيعه في معصية الله ويُشركه في عبادة الله **(مضاهِي)** به الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وحكَى عنهم في اختصامهم في النار: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ أنهم لم يسوُّوهم به في خلق ولا رزقٍ ولا إحياء ولا إماتة، ولا في شيء من تدبير الملكوتِ بل أخبرنا أنهم مُقِرّون لله تعالىٰ بالرّبوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديثِ التي تقدّمت، ولكنهم سوّوْهم بالله تعالىٰ في حبّهم إياهم كحبّ الله ولم يجعلوا المحبةَ لله وحده في خوفهم منهم وخشيتِهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشيةَ لله والخوفَ من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يُفرِدوا الله بالعبادة دون سواه، مع أنهم لم يعبدونهم استقلالاً بل زعموهم شفعاءَ لهم عند الله ليقرّبوهم إلى الله زُلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعةَ والتقريبَ مِلْكاً للمخلوق ويطلبونه منه، وأن له أن يشفعَ بدونَ إذن الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ولهذا سمّى الله تعالىٰ استشفاعَهم ذلك شركاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

---

(١) البخاري (١/٤٩ رقم ٨)، ومسلم (١/٤٥ رقم ١٦).

(٢) البخاري (١/١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/٤٦ رقم ١٧) من حديث ابن عباس.

يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

(الأول): عبادتُهم إياهم من دون الله عزّ وجلّ.

(والثاني): جَعلهم شفعاءَ بدون إذنِ الله عزّ وجلّ.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ۚ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وأيضاً فقد أخبرنا الله تعالىٰ أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيرَه في الرخاء، وأمّا في الشدة فكانوا يخلصون العبادةَ لله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾ [يونس: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام]، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث حُصينٍ[1] المتقدم لما قال له النبيّ ﷺ: **«كم تعبُدِ اليومَ من إله»**؟ قال: سبعةً ستةً في الأرض وواحداً في السماء. قال: **«فمن تُعِدُّ لرغبتك ورهبتِك»**؟ قال: الذي في السماء. ولما ركب بعضُ مشركي قريش[2] فارّاً من النبيّ ﷺ حين فتح مكةَ، فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا، فقال بعضُهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم مِن هذا إلاّ هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلاّ هو فإنه لا ينفع في البرّ إلاّ هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبنّ إلى رسولِ الله ﷺ فلأضَعَنّ يدي في يده[3].

وهذا بخلاف مشركي زمانِنا اليوم من عُبّاد القبورِ وغيرِها، فإنهم يشركون في الشدة أضعافَ شركِهم في الرخاء، حتى إن كانوا يَنْذِرون لهذا الوليّ في الرخاء ببعير أو تَبيعٍ أو شاةٍ أو دينارٍ أو درهم أو نحو ذلك، فأصابتهم الشدةُ زادوا ضعفَ ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غيرَ ذلك.

وأيضاً فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبيةِ وأنهم متصرِّفون فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، وغلا بعضُهم حتى جعل منهم المتصرِّفَ في تدبير الكونِ على سبيل الاستقلالِ ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرةٌ ولا تسكُن إلاّ بإذن فلانٍ، تعالىٰ الله وتقدّس وجلّ وعلا عن أن يكون معه إلٰهٌ غيرُه أو يكون له شريكٌ في الملك أو وليٌّ من الذل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾

---

(١) وهو حديث ضعيف أخرجه الترمذي (٥/٥١٩ رقم ٣٤٨٣) وقد تقدم.

(٢) وهو عكرمة بن أبي جهل، وقد أسلم. انظر: «الإصابة» رقم (٥٦٥٤)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٥٧)، و«أسد الغابة» رقم (٣٧٤١).

(٣) أخرجه النسائي (٧/١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٤٠٦٧)، وأبو داود (٣/١٣٣ رقم ٢٦٨٣) و(٤/٥٢٧ رقم ٤٣٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٠)، والبزار (٢/ ٣٤٣ رقم ١٨٢١ ـ كشف)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي. وأبو يعلى في «المسند» رقم (٧٥٧) من حديث سعد بن أبي وقاص.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٦٨ ـ ١٦٩) وقال: «رواه أبو داود وغيره باختصار ورواه أبو يعلى والبزار. . . ورجالهما ثقات» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

[المؤمنون]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وغيرُ ذلك من الآيات.

(يقصِدُه عند نزولِ الضُرّ	لجلب خيرٍ أو لدفع الشرّ)
(أو عند أيِّ غرضٍ لا يقدرُ	عليه إلا المالكُ المقتدرُ)
(مع جعله لذلك المدعوّ	أو المعظَّم أو المَرْجُوّ)
(في الغيب سلطاناً به يطّلعُ	على ضمير مَن إليه يفزَعُ)

(يقصده) أي المتّخذُ ذلك النِدَّ من دون الله يقصد نِدَّه **(عند نزول الضر)** به من خير فاته أو شرٍّ دَهَمه **(لجلب خير)** له **(أو لدفع الشر)** عنه **(أو عند)** احتياج **(أي غرض)** من الأغراض، والحالُ أنه **(لا يقدر عليه)** أي على ذلك الغرضِ **(إلا المالكُ المقتدر)** وهو الله سبحانه وتعالىٰ **(مع جعله)** أي العبدِ **(لذلك المدعوّ أو المعظم أو المرجوّ)** من ملَك أو نبيٍّ أو وليٍّ أو قبرٍ أو شجرٍ أو حجر أو كوكب أو جِنيّ **(في الغيب سلطاناً)** أي يعتقد أن له سلطاناً غيبياً فوق طوق البشرِ **(به يطلع)** أي بذلك السلطانِ الذي اعتقده فيه **(على ضمير من إليه)** إلى ذلك النِدِّ **(يفزع)** في قضاء أي حاجةٍ من شفاء مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو غيرِ ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه، ويرى مكانَه ويعلم حاجتَه، ويقضيها بقدرةٍ اعتقدها فيه مع الله، والمقصودُ أنه يُثبت له من صفات الربوبيةِ ما يرفعه عن درجة العبوديةِ إلى درجة المعبودية، ويجعله مستحِقاً العبادةَ مع الله.

ومن هنا يتبيّن لك ما قدَّمنا من أن الشركَ في الألوهيّة يستلزم الشركَ في الربوبية والأسماءِ والصفات ولا بد، ويتبيّن لك عِظَمُ ذنبِ الشركِ وأنه أقبح الذنوبِ وأظلمُ الظلمِ وأكبرُ الكبائر، وأن الله تعالىٰ لا يغفِره ولا يقبل لأحد معه عملاً، وأنه لا أشدُّ هلَكةً منه، وما أرسل الله الرسلَ وأنزل الكتبَ إلاّ بالنذارة عن الشرك والدعوةِ إلى التوحيد، وما هلكت الأممُ الغابرةُ وأُعِدّت لهم النيرانُ في الآخرة إلاّ بالشرك والإباءِ عن التوحيد، ولا نجا الرسلُ وأتباعُهم من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة إلا بالتزام التوحيدِ والبراءةِ من الشرك، فما هلك قومُ نوح بالطوفان، ولا

عادٌ بالريح العقيم، ولا ثمودُ بالصيحة، ولا أهلُ مَدْيَنَ بعذاب يوم الظُّلَّة إلاّ بالشرك وعبادةِ الأصنام، وهكذا الأممُ مِن بعدِهم بأنواع العذاب، ولم يخرُج عصاةُ الموحِّدين من النار في الآخرة إلاّ بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبّداً إلاّ بالشرك.

ثم اعلم أن ما عُبد من دون الله إما عاقلٌ أو غيرُ عاقل، فالعاقلُ كالآدمي والملائكةِ والجنّ. وينقسمون إلى قسمين:

راضٍ بالعبادة له، وغيرُ راضٍ بها. فالأوّلُ كفرعونَ وإبليسَ وغيرِهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ في شأن إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صَ: ٨٥]، وقال في شأن فرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

والقسمُ الثاني وهو من كان مطيعاً لله وغيرَ راضٍ بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريمَ وعُزيرٍ والملائكةِ وغيرِهم، فهم بُرَآءُ ممن عبَدهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال الله تعالىٰ عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ في شأن كل من عُبد من دون الله تعالىٰ من الملائكة وعيسى وأمّه وعُزيرٍ وغيرِهم من أولياء الله مطلقاً إلى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٩] الآية، وغيرها من الآيات.

وأمّا غيرُ العاقل من الأشجار والأحجارِ وغيرِها مما لا يعقِل، فيشملها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء]، ولكن الأحجارَ لا أرواحَ فيها، وإنما يُعذَّب بها مَن عبدها من دون الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، الآية.

وكما يُعذَّب عبدُ الدينارِ والدرهم بهما؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وفي الصحيح[(١)] من حديث أبي سعيدٍ في الشفاعة بطوله، وفيه: **«ينادي منادٍ: ليذهبْ كُلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحابُ الصليبِ مع صليبهم، وأصحابُ الأوثانِ مع أوثانهم، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم»**.

وفيه[(٢)] في حديث أبي هريرة ﷺ: **«يجمع الله الناسَ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعْه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ»** الحديث، وفي حديث الصُّوَر الطويل[(٣)]: **«ألا لِيَلْحَقَ كلُّ قومٍ بما كانوا يعبُدون من دون الله، فلا يبقى**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه عند الكلام على «الإيمان بالنفخ في الصور».

أحدٌ عَبَد من دون الله إلاّ مُثِّلتْ له آلهتُه بين يديه، ويُجعل يومئذ ملكٌ من الملائكة على صورة عُزيرٍ ويُجعل ملكٌ من الملائكة على صورة عيسى ابنِ مريمَ، ثم يتبع هذا اليهودُ وهذا النصارىٰ، ثم قادتهم آلهتُهم إلى النار»، وهو الذي يقول تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

وفي حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه عند الدارَقُطنيِّ والطبرانيِّ وعبد الله بنِ أحمدَ وغيرِهم من المصنّفين في السنّة عن رسولِ الله ﷺ الحديث بطوله[١]، وفيه: «ثم ينادَى أيها الناسُ ألم ترضَوا من ربّكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدُوه ولا تشركوا به شيئاً أن يُوليَ كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولَّون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربّكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويتولَّون في الدنيا. قال: فينطلقون ويُمثّل لهم أشباهُ ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباهِ ما كانوا يعبدون، قال: ويُمثّل لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطانُ عزيرٍ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمتُه» الحديث.

قلت: وقوله: «يمثل لهم أشباهُ ما كانوا يعبدون» الخ، هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عَبدةُ الطاغوتِ فتقودهم طواغيتُهم حقيقةً لا أشباهُها كما صرّح به الكتابُ والسنةُ، والله أعلم.

[الكلام على الشرك الأصغر]

(والثانِ شركٌ أصغرٌ وهو الريا   فسّره به خِتامُ الأنبيا)

(و) النوع الثاني (الثان) من نوعي الشركِ (شركٌ أصغر) لا يُخرج من المِلّة، ولكنه يَنقُص ثوابَ العمل، وقد يُحبِطه إذا زاد وغلَب (وهو الريا) اليسيرُ في تحسين العمل (فسّره به) أي فسّر الشركَ الأصغرَ بالرياء (ختامُ الأنبيا) محمدٌ ﷺ في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغرُ»، قالوا: يا رسولَ الله وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «الرياء»[٢].

---

(١) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه.

(٢) وهو حديث حسن.

وبذلك فُسّر قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن شهر بنِ حَوشبٍ قال: جاء رجلٌ إلى عبادةَ بن الصامتِ فقال: (أنبئني عما أسألك عنه، أرأيتَ رجلاً يصلي يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحْمَدَ، ويصوم يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويتصدّق ويبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويحجّ يبتغي وجهَ الله ويحب أن يحمد؟ فقال عُبادةُ: ليس له شيءٌ، إن الله تعالىٰ يقول: أنا خيرُ شريكٍ، فمن كان له معي شِرْكٌ فهو له كلُّهُ لا حاجةَ لي فيه)[1].

وعن أبي سعيد الخُدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح عندي؟»**، قال: قلنا: بلى، قال: **«الشِّرْكُ الخفيُّ أن يقوم الرجلُ يصلي لِمَقام الرجل»** رواه أحمد[2].

وفيه رواية[3]: **«يقوم الرجلُ فيصلي فيزيِّن صلاتَه لما يرى من نظر رجلٍ إليه»**.

= أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٣٣ رقم ٦٨٣١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/٣٢٣ رقم ٤١٣٥) من حديث محمود بن لبيد.
وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٧) وعزاه لأحمد بإسناد جيد، وابن أبي الدنيا والبيهقي في «الزهد».
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٠٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» رقم (٣١١١): «رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث محمود بن لبيد، وله رواية ورجاله ثقات. ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج» اهـ.

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/١١٤) وهو حديث مرسل.
وشهر بن حوشب: لا بأس به، قاله أبو زرعة. وقال ابن عدي: ليس بالقوي. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/٢٥٨)، و «الجرح والتعديل» (٤/٣٨٢)، و«التقريب» (١/٣٥٥) و«تهذيب التهذيب» (٤/٣٢٤) و«لسان الميزان» (٧/٢٤٤).

(٢)و(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٤، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٣٢).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٩٦ رقم ١٤٩٨/٤٢٠٤): «هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمٰن مختلف فيهما...».
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

وله[1] عن شدّاد بنِ أوسٍ ﷺ قال: إن أخوفَ ما أخاف عليكم أيها الناسُ لما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من الشهوة الخفيةِ والشرك**»، فقال عبادةُ بنُ الصامت وأبو الدرداءِ: اللّهمّ غفراً، ألم يكن رسولُ الله ﷺ قد حدّثنا أن الشيطانَ قد يئس أن يُعبدَ في جزيرة العرب.

أما الشهوةُ الخفيةُ فقد عرَفناها، هي شهواتُ الدنيا من نسائها وشهواتِها، فما هذا الشركُ الذي تخوفنا به يا شدادُ؟ فقال شدادُ: أرأيتَكم لو رأيتم رجلاً يصلِّي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدّق، أترَوْن أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلّى لرجل أو صام أو تصدّق له لقد أشرك. فقال شدادُ: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من صلّى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدّق يرائي فقد أشرك**».

قال عوفُ بنُ مالكٍ عند ذلك: أفلا يعمِدُ الله إلى ما ابتُغِي به وجهُه من ذلك العملِ كلِّه فيقبلَ ما خلَص منه، ويدعَ ما أشركَ به؟ فقال شدادُ عند ذلك: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالىٰ يقول: أنا خيرُ قسيم لمن أشرك بي ومن أشرك بي شيئاً، فإن عملَه قليلَه وكثيرَه لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غنيٌّ**».

وله[2] عنه ﷺ أنه بكى فقيل: ما يُبكيك؟ قال: شيءٌ سمعتُه من رسولِ الله ﷺ فأبكاني، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أتخوّف على أمّتي الشركَ والشهوةَ الخفيةَ**»، قلت: يا رسولَ الله أتُشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أما إنهم لا يعبُدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم.**

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦) بسند رجاله ثقات، وشهر بن حوشب وإن تكلّم فيه بعضهم فقد وثّقه ابن معين والإمام أحمد، وقال يعقوب: شهر وإن قال ابن عون تركوه فهو ثقة. وقال ابن معين: ثبت. كذا في «الخلاصة».
وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(٢) أي وللإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤) من حديث شداد بن أوس، بسند ضعيف.
وفيه: عبد الواحد بن زيد: منكر الحديث قاله البخاري في «التاريخ الصغير» (٢/ ١٤٤).
وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث.
انظر: «الميزان» (٢/ ٦٧٢)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٢٠) و«اللسان» (٤/ ٨٠) و «المجروحين» (٢/ ١٥٤) و«الكامل» (٥/ ١٩٣٥).

والشهوةُ الخفية أن يصبح أحدُهم صائماً فتعرِضُ له شهوةٌ من شهواته فيترك صومَه، ورواه ابن ماجه[1].

وللبزار[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله يوم القيامة: أنا خيرُ شريكٍ، من أشرك بي أحداً فهو له كلُّه**».

ولأحمدَ[3] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ يرويه عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: «**أنا خيرُ الشركاءِ فمن عَمِل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**».

وله[4] عن محمودِ بنِ لَبيدٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن أخوفَ ما أخاف عليكم الشركُ الأصغرُ**»، قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظُروا هل تجدون عندهم جزاءً**».

وله[5] عن أبي سعيدِ بنِ أبي فَضالةَ الأنصاريِّ ـ وكان من الصحابة ـ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ليوم لا ريبَ فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عملٍ عمِله لله أحداً فليطلُبْ ثوابَه من عند غيرِ الله، فإن الله تعالىٰ أغنى الشركاءِ عن الشِّرك**»، أخرجه التِّرمِذيُّ[6] وابنُ ماجه[7].

---

(1) في «السنن» (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٥).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧ رقم ١٤٩٩ ـ٤٢٠٥): «هذا إسناد فيه مقال، عامر بن عبد اللطيف لم أرَ من تكلّم فيه بجرح ولا غيره وباقي رجال الإسناد ثقات...» اهـ، وضعف الألباني الحديث.
وخلاص القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(2) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٣/١١٥).
وأخرج مسلم (٤/٢٢٨٩ رقم ٤٦/٢٩٨٥) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملاً أشركَ فيه غيري تركتُهُ وشركَهُ**».

(3) في «المسند» (٢/٣٠١) بسند صحيح.

(4) تقدم تخريجه قريباً وهو حديث حسن.

(5) أي لأحمد في «المسند» (٤/٢١٥) و (٣/٤٦٦).

(6) في «السنن» (٥/٣١٤ رقم ٣١٥٤) وقال: وحديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث محمد بن بكر.

(7) في «السنن» (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٣).
قلت: وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٣٠ رقم ٦٨١٧)، وابن حبان في=

ولأحمدَ[1] عن أبي بكرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به».

وله[2] عن أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من يراءِ يراءِ الله به، ومن يسمِّعْ يسمِّعِ اللَّهُ به».

وله[3] عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناسَ بعلمه سمَّع الله به مسامعَ خلقِه وصغَّره وحقَّره»، فذرفَت عينا عبدِ الله.

وللبزار[4] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعرض أعمالُ بني آدمَ

= «صحيحه» (١٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٧٣٤٥) و(٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ رقم ٤٠٤)، وفي سنده زياد بن مينا: مقبول.

فالحديث حسن، والله أعلم.

(١) في «المسند» (٥/ ٤٥) بسند صحيح.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠).

قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٧ رقم ٤٢٠٦). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٩٧ رقم ١٥٠٠/ ٤٢٠٦): «هذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي ومحمد بن أبي ليلى. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده هكذا. وله شاهد في الصحيحين من حديث جندب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢ و٢/ ١٩٥) بسند صحيح.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٢) وقال في أوّله: «عن عمرو بن مرة قال: حدثني شيخ يكنى أبا يزيد قال: كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر» فذكره بأطول مما في مسند أحمد، ثم قال: «رواه الطبراني في «الكبير»، واللفظ له، و«الأوسط» بنحوه».

ثم ذكر أنه رواه أحمد باختصار ثم قال: «وسمّى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمٰن، فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في «الكبير» رجال الصحيح».

(٤) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١٦).

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩) في ترجمة «الحارث بن غسان المري»، وقال: وقد حدّث هذا الشيخ بمناكير.

وكذلك أخرجه الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٤١ رقم ١٦٤١) في ترجمة الحارث هذا، وقال عنه: مجهول.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامةِ في صحف مختمةٍ، فيقول الله: ألقُوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلاّ خيراً، فيقول: إن عملَه كان لغير وجهي، ولا أقبلُ اليومَ من العمل إلاّ ما أُريد به وجهي».

ولوهبٍ عن عبد الله بنِ قيسٍ الخُزاعيّ[1] أن رسولَ الله ﷺ قال: «من قام رياءً وسُمعةً لم يزل في مقت الله حتى يجلِسَ».

ولأبي يَعلى[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من أحسن الصلاةَ حيث يراه الناسُ وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانةٌ استهان بها ربَّه عزّ وجلّ».

[الكلام على الرياء والنفاق]

ثم اعلم أن الرياءَ قد أُطلق في كتاب الله كثيراً، ويراد به النفاقُ الذي هو أعظمُ الكفر، وصاحبُه في الدَّرْك الأسفل من النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وغيرُ ذلك من الآيات النازلةِ في المنافقين بلفظ الرّياء.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٢٣) وقال الهيثمي: وفيه يزيد بن عياض وهو متروك.
وانظر تفسير ابن كثير (٣/١١٦).

(٢) في «المسند» (٩/٥٤ رقم ٥١١٧/١٥١) بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه البيهقي (٢/٢٩٠) من طريق أبي يعلى.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٢١) وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف» اهـ.
وأورده الحافظ في «المطالب العالية» (٣/١٨٣ رقم ٣٢٠٠) وعزاه إلى أبي يعلى وقال: حديث حسن.

ومنها ما يصرِّح بمعناه دون لفظه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها.

والفرقُ بين هذا الرياءِ الذي هو النفاقُ الأكبرُ وبين الرياءِ الذي سمّاه النبيُّ ﷺ شركاً أصغرَ خفياً هو حديثُ «الأعمال بالنّيات»، وهو ما رواه الشيخانِ[1] عن عمرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنّيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكِحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**».

فالنّيةُ هي الفرقُ في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أُطلقت النيةُ في القرآن بلفظ الابتغاءِ وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ الله والدارِ الآخرةِ، وسَلِم من الرياء في فعله، وكان موافقاً للشرع فذلك العملُ الصالحُ المقبول، وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ غيرِ الله عزّ وجلّ فذلك النفاقُ الأكبرُ، سواءٌ في ذلك من يريد به جاهاً ورئاسةً وطلبَ دنيا، ومن يريد حَقْنَ دمِهِ وعصمةَ مالِه وغيرَ ذلك، فهذان ضدّان ينافي أحدُهما الآخر لا محالةَ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالىٰ يُثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا

---

(١) البخاري (٩/١ رقم ١)، ومسلم (١٥١٥/٣ رقم ١٩٠٧).

وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ الله عزّ وجلّ والدارَ الآخرةَ ولكن دخل عليه الرياءُ في تزيينه وتحسينه، فذلك هو الذي سمّاه النبيُّ ﷺ الشركَ الأصغرَ، وفسّره بالرياء العمَليّ، وزاده إيضاحاً بقوله: «**يقوم الرجلُ فيصلي فيزين صلاتَه لِما يرى من نظر رجلٍ إليه**»[1].

وهذا لا يُخرج من الملّة، ولكنه ينقُص من العمل بقدره، وقد يغلِب على العمل فيُحبطه كلَّه والعياذُ بالله.

اللّهمّ اجعل أعمالَنا كلَّها صالحةً واجعلها لوجهك خالصةً ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

وأما حديثُ أبي موسى رضي الله عنه في الصحيح[2]، قال: جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجلُ يقاتل للذِّكر، والرجلُ يقاتل ليُرى مكانُه، فمن في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

فهذا الحديثُ يحتمل المعنيين، وتُعيِّنُه لأحدهما النيةُ، فإن كان أصلُ العمل لغير الله فهو النفاقُ، وإن كان أصلُه لله وأحبَّ مع ذلك أن يُذكَرَ ويُثنى عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديث عُبادةَ[3] رضي الله عنه في الرجل: «**يصلي يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحْمَد**» الحديث، وفي آخره قال: «**ليس له شيءٌ**»، والله تعالىٰ أعلمُ.

[الكلام على الحلف بغير الله]

(ومنه إقسامٌ بغير الباري ... كما أتى في محكم الأخبار)

أي ومن الشرك الأصغرِ الذي لا يُخرج من الملة (**إقسامٌ**) مصدرُ أقسم، أي الحِلْفُ (**بغير الباري**) كالحِلف بالآباء والأمّهاتِ والأبناءِ والأمانةِ وغيرِ ذلك، كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ أدركَ عمرَ بنَ الخطابِ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.
(٢) البخاري (٦/ ٢٧ رقم ٢٨١٠)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ رقم ١٩٠٤).
(٣) تقدم تخريجه قريباً.

وهو يسير في رَكْب يحلِف بأبيه، فقال: **«ألا إن الله ينهاكم أن تحلِفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلِف بالله أو ليصمُت»**.

وفي رواية قال عمرُ: (فوالله ما حَلفتُ بها منذ سمعتُ النبيَّ ﷺ ذاكراً ولا آثِراً)، متفق عليه[1].

ولأبي داودَ[2] والنَّسائيِّ[3] عن أبي هريرةَ ﷺ مرفوعاً: **«لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمّهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلِفوا بالله إلاّ وأنتم صادقون»**.

ولأحمدَ[4] ومسلم[5] والنسائيِّ[6] عن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من كان حالفاً فلا يحلِفْ إلاّ بالله»**.

وللنسائي[7] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تحلِفوا إلاّ بالله، ولا تحلِفوا بالله إلاّ وأنتم صادقون»**.

وسمع ابن عمرَ ﷺ رجلاً يقول: لا والكعبةِ، فقال ابنُ عمرَ: لا تحلِف بغير الله، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله فقد كفرَ» أو «أشرك»**، أخرجه أبو داودَ[8] والترمذيُّ وحسنه[9]، والحاكمُ وصححه[10].

---

(١) البخاري (١١/ ٥٣٠ رقم ٦٦٤٦) و(١١/ ٥٣٠ رقم ٦٦٤٧)، ومسلم (٣/ ١٢٦٦ رقم ١٦٤٦).

(٢) في «السنن» (٣/ ٥٦٩ رقم ٣٢٤٨).

(٣) في «السنن» (٧/ ٥ رقم ٣٧٦٩).

قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ١١٧٦ ـ موارد)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٩).

وهو حديث صحيح.

(٤) في «المسند» (٢/ ١١، ١٧، ١٤٢).

(٥) في صحيحه (٣/ ١٢٦٧ رقم ٣/ ١٦٤٦).

(٦) في «السنن» (٧/ ٥).

قلت: وأخرجه البخاري (١٠/ ٥١٦ رقم ٦١٠٨)، وأبو داود (٣/ ٥٦٩ رقم ٣٢٤٩)، والترمذي (٤/ ١١٠ رقم ١٥٣٤)، وابن ماجه (١/ ٦٧٧ رقم ٢٠٩٤)، والدارمي (٢/ ١٨٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٨٠ رقم ١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٣)، والحميدي في «المسند» رقم (٦٨٦) كلّهم من طريق نافع عن ابن عمر.

(٧) وهو حديث صحيح تقدم آنفاً من حديث أبي هريرة.

(٨) في «السنن» (٣/ ٥٧٠ رقم ٣٢٥١).

(٩) في «السنن» (٤/ ١١٠ رقم ١٥٣٥) وقال: حديث حسن.

(١٠) في «المستدرك» (١/ ٥٢) وصححه.

=

وعن بُريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من حلف بالأمانة»، رواه أبو داود[(١)].

وفي الطبراني[(٢)] من حديث ابنِ عمرَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ سمع رجلاً يحلِف بالأمانة، فقال: «ألستَ الذي يحلِف بالأمانة».

وعن قَتيلةَ بنتِ صفيٍّ أن يهودياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تُندّدون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئتَ، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا «وربِّ الكعبة»، ويقول أحدُهم: «ما شاء الله ثم شئت»، رواه أحمدُ[(٣)] والنَّسائيُّ[(٤)] وصححه وابنُ ماجه[(٥)].

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١٢٥) كلّهم من حديث سعد بن عبيدة عن ابن عمر، وهو حديث صحيح.

(١) في «السنن» (٣/ ٥٧١ رقم ٣٢٥٣).
وقال النووي في «رياض الصالحين» رقم (١٧١٨): «حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح» اهـ.
قلت: وأخرجه الروياني في «مسنده» (١/ ٦٤ و٦٥ رقم ٧ و١١) من طريق ليث عن عثمان بن عمير عن سليمان بن بريدة عن أبيه.
وهذا سند صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في «الأوسط» رقم (٣٦٥٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٨) وقال: ورجاله ثقات.

(٣) في «المسند» (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) من طريق المسعودي عن سعيد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٤) في «السنن» (٧/ ٦ رقم ٣٧٧٣) من طريق مسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٥) في «السنن» (١/ ٦٨٥ رقم ٢١١٨) من طريق ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان.
قلت: وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٥٧)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، والحاكم (٤/ ٢٩٧) وأحمد من طريق المسعودي.
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
قلت: المسعودي كان اختلط، لكن تابعه مسعر... عند النسائي بإسناد صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقد ثبت في كفارة الحِلفِ بغير الله حديثُ الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيّ ﷺ، قال: **«من حلف فقال في حِلفه باللات والعُزّى فليقل لا إله إلاّ الله»**.

ومن الشرك الأصغرِ قولُ ما شاء الله وشئتَ، كما روى النسائي[2] عن ابن عباسٍ ﷺ أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، فقال: **«أجعلْتَني لله نِدّاً؟ ما شاء الله وحده»**.

ولأبي داود[3] بسند صحيح عن حُذيفةَ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»**، وتقدم في ذلك حديثُ قتيلةَ، والفرقُ بين الواو وثم أنه إذا عطَف بالواو كان مضاهياً مشيئةَ الله بمشيئة العبد إذ قرَنَ بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئةَ العبدِ تابعةً لمشيئة الله عزّ وجلّ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ومثلُه

---

(١) البخاري (١١/٥٣٦ رقم ٦٦٥٠)، ومسلم (٣/١٢٦٧ رقم ٥/١٦٤٧).

(٢) في عمل اليوم والليلة رقم (٩٨٨).
قلت: وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٢١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٨٣)، وابن ماجه رقم (٢١١٧) كلّهم من طريق الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٥٠) رقم (٧٤٦/٢١١٧): «هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله، مختلف فيه، ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد. ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان.
وباقي رجال الإسناد ثقات... وله شاهد من حديث قتيلة رواه الثلاثة» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «السنن» (٥/٢٥٩ رقم ٤٩٨٠).
قلت: وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (٢٣٦)، والبيهقي (٣/٢١٦)، وأحمد (٥/٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) من طرق عن شعبة عن منصور بن المعتمر سمعت عبد الله بن يسار عن حذيفة به.
قال الألباني في «الصحيحة» (١/٢٦٤): «وهذا سند صحيح، رجال كلّهم ثقات، رجال الشيخين؛ غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي، وهو ثقة، وثّقه النسائي وابن حبان».
وقال الذهبي في «مختصر البيهقي» (١/١٤٠/٢): «وإسناده صالح».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

قولُ: لولا الله وفلانٌ، هذا من الشرك الأصغرِ، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيمُ النخَعيُّ.

ولابن أبي حاتم[1] عن ابن عباس ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: الأندادُ الشركُ أخفى من دبيب النملِ على صَفاةٍ سوداءَ في ظلمة الليل، وهو أن يقول والله وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا اللصوصُ البارحةَ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوصُ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كلُّه به شركٌ.

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦١) مسنداً.
قلت: سنده حسن من أجل «شبيب بن بشر»، قال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨): صدوق يخطئ.

[ال] فَصْل: [الخامس]

في بَيان أمور يفعَلها العَامَّة
منها ما هوَ شركٌ، ومنها ما هوَ قريبٌ منه
وبيانِ المشروعِ من الرُّقى والممنوعِ منها،
وهل تجوز التمائم

هذه الأمورُ المذكورةُ التي يتعلق بها العامةُ غالبُها من الشِّرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبدُ عليها بحيث يثق بها ويُضيف النفعَ والضرَّ إليها كان ذلك شركاً أكبرَ والعياذ بالله، لأنه حينئذٍ صار متوكّلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره.

[بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه]

(ومن يثقْ بودْعةٍ أو نابِ	أو حلقةٍ أو أعينِ الذئابِ)
(أو خيطٍ أو عُضوٍ من النسور	أو وَتَرٍ أو تُربة القبور)
(لأي أمرٍ كائنٍ تَعلَّقَهْ	وكَلَهُ اللهُ إلى ما علّقهْ)

(ومن يثقْ) هذا الشرطُ جوابُه (وكله) الآتي. (بودعة) قال في النهاية[1]: هو شيءٌ أبيضُ يُجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيانِ وغيرِهم، وإنما نُهي عنه لأنهم كانوا يعلّقونها مخافةَ العين.

(أو ناب) كما يفعله كثيرٌ من العامة يأخذون ناب الضبُع ويعلقونه من العين، (أو حلقة) وكثيراً ما يعلّقونها من العين، وسيأتي في الحديث أنهم يعلّقونها من الواهنة، وهو مرضُ العضدُ.

(أو أعين الذئاب) وكثيراً ما يعلّقونها يزعُمون أن الجنَّ تفِرّ منها، ومنهم من يقول أنه إذا وقع بصرُ الذئبِ على جنّي لا يستطيع أن يفِرّ منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينَه إذا مات على الصبيان ونحوِهم.

(أو خيط) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقِدون فيه عُقَداً بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرُهم يقرأ عليه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى آخرها. ويعقِد عند كل كافٍ منها عُقدةً، فيجتمع في الخيط تسعُ عُقَدٍ بعدد الكافات، ثم يربِطونها بيد المحمومِ أو عنقِه.

---

(١) (١٦٨/٥) لابن الأثير.

(أو عضو من النسور) كالعظم ونحوِه يجعلونها خَرَزاً ويعلّقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين.

(أو وتر) وكانوا في الجاهلية إذا عتَق وترُ القوس أخذوه **(وعلّقوه يزعُمون عن العين على الصبيان والدوابّ)**[1].

(أو تربة القبور) وما أكثرَ من يستشفي بها لا شفاهم الله، واستعمالُهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلدَه، ومنهم من يتمرّغُ على القبر تمرُّغَ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغيرُ ذلك.

وهذا كلُّه ناشئٌ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبرِ أنه ينفع ويضرّ، حتى عدّوا ذلك الاعتقادَ فيه إلى تربته، فزعموا أنها فيها شفاءٌ وبركةٌ لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعةٍ لم يُدفن فيها ذلك الوليُّ بزعمه، بل قيل له إن جنازتَه قد وُضِعت في ذلك المكان.

وهذا وغيرُه من تلاعب الشيطانِ بأهل هذه العصورِ زيادةً على ما تلاعب بمن قبلهم، نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائنٍ تعلّقه) الضميرُ عائدٌ إلى ما تقدم وغيرِه **(وكله الله)** أي تركه **(إلى ما علقه)** دعاءً عليه أي لا حفِظَه الله ولا كَلأَه، بل تركه إلى ما وثِق به واعتمد عليه دون الله عزّ وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من تعلّق تميمةً فلا أتمّ الله له، ومن تعلق وَدْعةً فلا ودَعَ الله له»**، رواه أحمد[2].

---

(١) لعل العبارة: (وعلقوه على الصبيان والدواب يزعمون أنها تدفع العين).

(٢) في «المسند» (٤/ ١٥٤) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٩٥ رقم ١٧٥٩/٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٧ رقم ٨٢٠).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات» اهـ.

وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦) ووافقه الذهبي.

قلت: فيه خالد بن عبيد المعافري: لم يوثقه إلاّ ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٦٢)، ولكن =

وله[1] عن عمرانَ بنِ حُصينٍ ﷺ أن النبيَّ ﷺ رأى رجلاً في يده حلقةٌ من صُفْر فقال: **«ما هذا»**؟ قال: من الواهنة، فقال: **«انزِعْها، فإنها لا تَزيدُك إلاّ وَهْناً، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحْتَ أبداً»**.

ولابن أبي حاتم[2] عن حُذيفةَ ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمّى فقطّعه، وتلا قولَه تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وفي الصحيح[3] عن أبي بشير الأنصاريِّ ﷺ أنه كان مع رسولِ الله ﷺ في بعض أسفارِه فأرسل رسولاً أنْ **«لا يَبقَيَنّ في رقبة بعيرٍ قِلادةٌ من وتر أو قلادةٌ إلا قُطّعتْ»**.

وعن رُوَيفعٍ ﷺ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«يا رويفعُ لعلّ الحياةَ تطول بك، فأخبر الناسَ أن من عقد لحيتَه أو تقلّد وتراً أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظمٍ فإن محمداً بريءٌ منه»**، رواه أحمد[4].

وله[5] عن عبد الله بنِ عكيم مرفوعاً: **«من علق شيئاً وُكِل إليه»**، ورواه الترمذي[6].

= صح الحديث من حديث عقبة بن عامر بلفظ: **«من تعلّق تميمة فقد أشرك»**.
أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٥).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٦٧ رقم ٣٥٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٢ رقم ٣٩٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٤٩ رقم ٦٠٨٥)، وفي سنده مبارك بن فضالة، صدوق لكنه يدلس وقد عنعن. والحسن - ابن أبي الحسن البصري - لم يصرح بسماعه من عمران.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٠ رقم ١٢٣٢/ ٣٥٣١): «هذا إسناد حسن، مبارك هو ابن فضالة مختلف فيه...» اهـ.
وله شواهد عدة يرقى بها إلى الحسن لغيره، إن شاء الله.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٢).

(٣) البخاري (٦/ ١٤١ رقم ٣٠٠٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٢ رقم ٢١١٥).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٢٥٥٢)، وأحمد (٥/ ٢١٦)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٧).

(٤) في «المسند» (٤/ ١٠٨، ١٠٩).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٣٦)، والنسائي (٨/ ١٣٥) وهو حديث صحيح.

(٥) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١١).

(٦) في «السنن» (٤/ ٤٠٣ رقم ٢٠٧٣) وقال: حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث =

وعن زينبَ امرأةِ عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قالت: كان عبدُ الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزَقَ كراهيةَ أن يهجُمَ منّا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذاتَ يوم فتنحنح وعندي عجوزٌ ترقيني من الحمرة فأدخلتُها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا الخيطُ؟ قالت: قلت: خيطٌ رُقيَ لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آلَ عبدِ الله لأغنياءُ عن الشِّرك، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الرُّقَى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شركٌ»**. قالت: قلت له: لِمَ تقولُ هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهوديِّ يَرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخَسُها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبيُّ ﷺ: **«أذهِبِ الباس ربَّ الناس، اشْفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاءً لا يغادر سقماً»** رواه أحمد[١]، وروى جملةَ الدلالةِ منه على الباب أبو داودَ[٢]، أعني الجملةَ المرفوعة إلى النبيّ ﷺ.

قال الشيخ محمد بنُ عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ في كتاب التوحيد[٣]: (الرُّقَى هي التي تسمّى العزائمَ، وخصّ منه الدليلُ ما خلا من الشرك، فقد رخّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَة، والتمائمُ شيءٌ يُلْقونه على الأولاد عن العين، والتِّوَلةُ شيءٌ يصنعونه يزعُمون أنه يحبّب المرأةُ إلى زوجها والرجلَ إلى امرأته) اهـ.

وقولُه في الرقي: وخصّ منها الدليل ما خلا عن الشرك الخ، يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

= محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى.
قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٠٨١): «محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى: صدوق سيء الحِفظ جداً» اهـ.
قلت: وفي الباب حديث عقبة بن عامر وقد تقدم.
والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) في «المسند» (١/ ٣٨١).

(٢) في «السنن» (٤/ ٢١٢ رقم ٣٨٨٣).
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والحاكم (٤/ ٤١٨) وقال: **هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.**

(٣) (ص١٣٥ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).

[الكلام على الرقى من حمَّة أو عين]

(ثُـم الـرُّقـى مـن حُـمَـةٍ أو عـيـنِ فـإن تـكـن مـن خـالـص الـوَحـيـيـنِ)

(فـذاك مـن هَـدْيِ الـنـبـيِّ وشِـرعـتِـهْ وذاك لا اخـتـلافَ فـي سُـنـيـتـهْ)

(ثم الرقى) إذا فُعلت **(من حُمَةٍ)** وهي تُطلق على لَدْغ ذواتِ السموم كالحية والعقرب وغيرِها، **(أو عين)** وهي من الإنس كالنَّفس من الجنّ، وهي حقٌّ ولها تأثيرٌ، لكن لا تأثيرَ لها إلاّ بإذن الله عزّ وجلّ، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] الآية.

فسّره بإصابة العينِ ابنُ عباس[١] ومجاهدٌ[٢] وغيرُهما، وفي تحقيقها أحاديثُ:

ففي صحيح مسلم[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: **«العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقَ القدرِ سبقت العينُ، وإذا استغسلتم فاغسلوا»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: **«إن العينَ حقٌّ»**، أخرجاه[٤].

ولأحمدَ[٥] وابنِ ماجه[٦] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«العينُ حقٌّ»**.

ولأحمد[٧] عنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«العينُ حقٌّ ويحضُرها الشيطانُ وحسَدُ ابنِ آدم»**.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩ج/٤٦) عنه.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩ج/٤٦) عنه.
(٣) (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٨).
(٤) البخاري (٢٠٣/١٠ رقم ٥٧٤٠)، ومسلم (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٧).
(٥) في «المسند» (٤٨٧/٢).
(٦) في «السنن» (١١٥٩/٢ رقم ٣٥٠٧).
وهو حديث صحيح لغيره.
(٧) في «المسند» (٢٣٩/٢).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٧/٥) وقال: «ـ في الصحيح منه: العين حق ـ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

وله[1] عنه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أصدقُ الطِّيَرةِ الفأْلُ، والعينُ حقٌّ**».

وله[2] هو والتِّرمذيُّ[3] والنسائي[4] وابنِ ماجه[5] عن أسماءَ ﷺ قالت: يا رسولَ الله، إن بني جعفرٍ تُصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «**نعم فلو كان يُسبق القدرُ لسبَقْته العين**».

ولأحمد[6] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا هامَ، والعينُ حقٌّ، وأصدقُ الطِّيرةِ الفألُ**».

وله[7] عن أبي أُمامةَ بنِ سهل بنِ حنيفٍ أن أباه حدّثه أن رسولَ الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكةَ حتى إذا كانوا بشِعْب الحرار من الجُحْفةِ اغتسل سهلُ بنُ حنيف، وكان رجلاً أبيضَ حسنَ الجسمِ والجلدِ، فنظر إليه عامرُ بنُ ربيعةَ ـ أخو بني عديِّ بنِ كعب ـ وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مُخبَّأة، فلِبطَ

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» رقم (٧٨٧٠ ـ شاكر) وقال: إسناده ضعيف.
أبو معشر: «هو نجيح بن عبد الرحمٰن السندي، الفقيه صاحب المغازي وهو ضعيف. . .»اهـ.
(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٣٨).
(٣) في «السنن» (٤/ ٣٩٥ رقم ٢٠٥٩) وقال: حديث حسن صحيح.
(٤) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٦٠ رقم ١٥٧٥٨).
(٥) في «السنن» (٢/ ١١٦٠ رقم ٣٥١٢٠).
قال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٥٢) عقب قول الترمذي: حسن صحيح.
قلت: ورجاله ثقات مشهورون من رجال الشيخين غير عبيد بن رفاعة وهو ثقة، وغير عروة بن عامر، قال في «التقريب»: «مختلف في صحبته، له حديث في الطيرة ـ أخرجه أبو داود وابن السني ـ بلفظ: «أحسنها الفأل» . . .ـ وذكره ابن حبان في ثقات التابعين».
وللحديث شاهد صحيح من رواية ابن عباس عند مسلم (٤/ ١٧١٩ رقم ٢١٨٨).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٦) في «المسند» رقم (١٠٢٧٠) بسند صحيح، وانظر رقم (٧٦٠٩ و٩٥٧٨).
(٧) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٧٩ رقم ٥٥٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٠ رقم ٣٥٠٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٤ ـ ١٥ رقم ١٩٧٦٦).
وهو حديث صحيح.

سهلٌ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ فقيل له: يا رسولَ الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسَه ولا يُفيق؟ قال: «**هل تتهمون فيه من أحد**»؟ قالوا: نظر إليه عامرُ بنُ ربيعةَ، فدعا رسولُ الله ﷺ عامراً، فتغيّظَ عليه وقال: «**علام يقتُل أحدُكم أخاه؟ هلاّ إذا رأيتَ ما يعجبك برّكتَ**»، ثم قال له: «**اغتسل له**»، فغسل وجهَه ويديه ومِرْفَقَيه ورُكبتيه وأطرافَ رجليه وداخلةَ إزارِه في قَدَح، ثم صُبّ ذلك الماءَ عليه، فصبّه رجلٌ على رأسه وظهرِه من خلفه، ثم يكفأ القدحَ وراءه، ففعل ذلك فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأسٌ.

وله[1] عن عبيد الله بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ قال: انطلق عامرُ بنُ ربيعةَ وسهلُ بنُ حنيف يريدان الغسل، قال: فانطلقا يلتمسان الخَمر[2]، قال: فوضع عامرٌ جُبةً كانت عليه من صوف فنظرتُ إليه فأصبتُه بعيني، فنزل الماء يغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقعةً فأتيتُه فناديتُه ثلاثاً فلم يُجبني، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، قال: فجاء يمشي فخاض الماءَ فكأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدرَه بيده ثم قال: «**اللّهمّ اصرِف عنه حرَّها وبردَها ووصَبَها**»، قال: فقام، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إذا رأى أحدُكم من أخيه أو من نفسه أو من مالِه ما يُعجبه، فليبرُكْ فإن العينَ حقٌّ**».

وله[3] عن عبد الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا عَدْوى ولا**

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤٧) بسند حسن.
قلت: وأخرجه الحاكم (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
قلت: في سنده أمية بن هند بن سهل: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٠).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٨) وقال: «رواه الطبراني، وفيه أمية بن هند وهو مستور ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
وله شواهد، فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) هو ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.

(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٢) بسند ضعيف.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠١) وقال: «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الحديث رقم (٧٠٧٠): «... ومعناه صحيح، ورد في=

طِيَرَة ولا هامةَ ولا حسدَ، والعينُ حقٌّ»، وغيرُ ذلك من الأحاديث المصرّحةِ بأن العينَ حقٌّ، وسنذكر بعضَها أيضاً في شرعية الرُّقَى منها، وغيرَها.

[الرقى بالقرآن والسنَّة]

ولنرجِعْ إلى المقصود من شرح المتن: **(فإن تكن)** أي الرُّقى **(من خالص الوَحيين)** الكتابِ والسنة، وإضافةُ خالص إلى الوحيين من إضافة الصفةِ إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالصِ، بأن لا يدخُلَ فيه غيرُه من شعوذة المُشَعْبِذين، ولا يكون بغير اللغةِ العربية، بل يتلو الآياتِ على وجهها، والأحاديثَ كما رُويت وعلى ما تُلِقِّيَت عن النبيِّ ﷺ بلا همزٍ ولا رمْزٍ، **(فذاك)** أي الرُّقى من الكتاب والسنّة هو **(من هدي النبيّ)** ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابُه والتابعون بإحسان، **(و)** من **(شرعتِه)** التي جاء بها مؤدّياً عن الله عزّ وجلّ.

(وذاك) معطوفٌ على ذاك الأوّلِ، والمشارُ إليه بهما واحدٌ ولكن الخبرَ في الثاني غيرُ الخبر في الأوّل، فيكون من عطف الجملةِ على الجملة، والخبرُ **(لا اختلاف في سنيته)** بين أهلِ العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبيِّ ﷺ وقولِه وتقريرِه، فرقاه جبريلُ عليه السلام ورَقَى هو ﷺ أصحابَه وأمر بها وأقرّ عليها، ولنذكُر ما تيسّر من الأحاديث في ذلك، وبالله التوفيق.

قال البخاري[1] رحمه الله تعالىٰ: بابُ الرُّقى بالقرآن والمعوِّذات، وذكر فيه حديثَ عائشةَ[2] ﵂: «أن النبيَّ ﷺ كان ينفُث على نفسه - في المرض الذي مات فيه - بالمعوّذات، فلما ثقُل كنت أنفُثُ عليه بهن وأمسح بيد نفسِه لبركتها».

ثم قال[3]: بابُ الرقى بفاتحة الكتاب: ويذكر عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ،

= أحاديث كثيرة صحاح، معروفة في دواوين السنة. وانظر منها ما مضى: (١٥٠٢، ١٥٥٤، ٢٤٢٥، ٣٠٣٢، ٤١٩٨، ٤٧٧٥، ٦٤٠٥) وما سيأتي: (١٢٢٠٥، ١٢٣٥٠، ١٢٥٩١، ١٢٨٠٦) وغير ذلك كثير» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) في صحيحه (١٠/ ١٩٥) رقم الباب (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٥ رقم ٥٧٣٥)، ومسلم (٤/ ١٧٢٣ رقم ٢١٩٢).

(٣) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ١٩٨) رقم الباب (٣٣).

ثم ذكر حديثَ أبي سعيدٍ الخدري[1] ﷺ أن ناساً من أصحاب النبيِّ ﷺ أتَوا على حيٍّ من أحياء العربِ فلم يَقْروهم، فبينما هم كذلك إذْ لُدِغ سيّدُ أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأُمّ القرآن ويجمع بُزاقَهُ ويتفُل فبرَأ، فأتَوا بالشاء فقالوا: لا نأخُذه حتى نسألَ النبيَّ ﷺ فسألوه، فضحك وقال: **«وما أدراك أنها رُقيةٌ، خذوها واضربوا لي بسهم»**.

ثم قال[2]: بابُ الشرطِ في الرُّقية بقطيعٍ من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباسٍ[3] ﷺ أن نفراً من أصحاب النبيِّ ﷺ مرّوا بماء فيه لديغٌ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتابِ على شاء فبَرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرِهوا ذلك وقالوا: أخذتَ على كتاب الله أجراً، حتى قدِموا المدينة فقالوا: يا رسولَ الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله»**.

قلت: وهذا هو الذي علقه آنفاً عن ابن عباس، ثم قال[4] رحمه الله: بابُ رُقية العين، وذكر فيه حديثَ عائشةَ[5] ﷺ قالت: أمرني رسولُ الله ﷺ، أو أمر أن يُسْترقَى من العين.

وحديثُ أُمِّ سلمةِ[6] ﷺ أن النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سَفعةٌ، فقال: **«استَرقوا لها، فإن بها النظرةَ»**، وذكر[7] باب «العينُ حقٌّ»، ثم قال[8]: بابُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/١٩٨ رقم ٥٧٣٦)، ومسلم (٤/١٧٢٧ رقم ٢٢٠١).
(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/١٩٨) رقم الباب (٣٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٩٨ ـ ١٩٩ رقم ٥٧٣٧).
(٤) أي البخاري في صحيحه (١٠/١٩٩) رقم الباب (٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (١٠/١٩٩ رقم ٥٧٣٨)، ومسلم (٤/١٧٢٥ رقم ٢١٩٥).
(٦) أخرجه البخاري (١٠/١٩٩ رقم ٥٧٣٩)، ومسلم (٤/١٧٢٥ رقم ٢١٩٧).
(٧) أي البخاري في صحيحه (١٠/٢٠٣) رقم الباب (٣٦).
(٨) أي البخاري في صحيحه (١٠/٢٠٥) رقم الباب (٣٧).

رُقيةِ الحيةِ والعقرب، وذكر فيه حديثَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ الأسودِ عن أبيه[1] قال: سألتُ عائشةَ عن الرّقية من الحُمّة فقالت: رخص النبيُّ ﷺ في الرّقية من كل ذي حُمّة.

ثم قال[2]: بابُ رقيةِ النبيِّ ﷺ، وذكر فيه حديثَ أنسِ بنِ مالكٍ[3] رضي الله عنه إذ قال لثابت: ألا أَرقيك برِقية رسولِ الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «اللّهمّ ربَّ الناسِ مُذهبَ الباس، اشفِ أنت الشافي، لا شافيَ إلاّ أنت، شفاءً لا يغادر سقماً»، وحديثُ[4] عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يعود بعضَ أهلِه يمسح بيده اليمنى، ويقول: **«اللّهمّ ربَّ الناسِ اذهبِ الباس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاءً لا يغادر سقماً»**.

وحديثُها[5] رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ كان يَرقي يقول: **«امسحِ الباسَ ربَّ الناسِ، بيدك الشفاءُ، لا كاشفَ له إلاّ أنت»**.

وحديثُها[6] رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يقول للمريض: **«بسم الله، تربةُ أرضِنا، بريقة بعضنا** ـ وفي رواية[7]: **وريقةِ بعضِنا ـ يُشفى سقيمُنا بإذن ربّنا»**.

وعن أنس رضي الله عنه قال: رخّص رسولُ الله ﷺ في الرّقية من العين والحُمّة والنملة، رواه أحمدُ[8] ومسلمٌ[9] والتّرمذيّ[10] وابنُ ماجه[11].

قال أبو البركاتِ ابنُ تيمية: النملة قروحٌ تخرُج في الجنب[12].

---

(1) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٥ رقم ٥٧٤١)، ومسلم (٤/ ١٧٢٤ رقم ٢١٩٣).
(2) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ٢٠٦) رقم الباب ٣٨.
(3) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٢).
(4) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٣)، ومسلم (٤/ ١٧٢١ رقم ٤٦/ ٢١٩١).
(5) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٤)، ومسلم (٤/ ١٧٢٣ رقم ٤٩/ ٢١٩١).
(6) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (٤/ ١٧٢٤ رقم ٥٤/ ٢١٩٤).
(7) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٦).
(8) في «المسند» (٣/ ١١٨، ١١٩، ١٢٧).
(9) في صحيحه (٤/ ١٧٢٥ رقم ٢١٩٦).
(10) في «السنن» (٤/ ٣٩٣ رقم ٢٠٥٦).
(11) في «السنن» (٢/ ١١٦٢ رقم ٣٥١٦)، وهو حديث صحيح.
(12) وقال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٢١٥): النملة: قروح تخرج في الجنبين، ويقال أنها تخرج أيضاً في غير الجنب...

وعن الشفاء بنتِ عبد الله قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا عند حفصة، فقال: **«ألا تعلمين، هذه رُقية النملة»**، الحديث رواه أحمدُ[(١)] وأبو داودَ[(٢)].

وعن عَوف بن مالكٍ قال: كنّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسولَ الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: **«اعرِضوا عليّ رُقاكم، لا بأسَ بالرقى ما لم يكن فيه شِركٌ»**، رواه مسلم[(٣)] وأبو داودَ[(٤)].

وعن جابر ﷺ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقى، فجاء آلُ عَمرِو بنِ حزم فقالوا: يا رسولَ الله إنها كانت عندنا رُقيةٌ نرقي بها من العقرب، وإنك نهيتَ عن الرُّقى. قال: **«فاعرضوها»**، فقال: **«ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**، رواه مسلم[(٥)].

وعن عائشةَ ﷺ قالت: كان رسولُ الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساءَ ولا يأتيهن، قال سفيانُ: وهذا أشدُّ ما يكون من السِّحر إذا كان كذا، فقال: **«يا عائشة، أعلمتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه»**، الحديث رواه البخاريُّ[(٦)] ومسلمٌ[(٧)] بطوله في مواضعَ.

وعند ابن أبي شيبةَ[(٨)] عن زيد بنِ أرقمَ قال: (سَحَر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأتاه جبريلُ فقال: **إن رجلاً من اليهود سحَرك وعقَد لك عُقداً**، فأرسل رسولُ الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل

---

(١) في «المسند» (٦/ ٣٧٢).

(٢) في «السنن» (٤/ ٢١٥ رقم ٣٨٨٧).

قلت: وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٣٦ رقم ١٥٩٠٠) وهو حديث صحيح.

انظر «الصحيحة» رقم (١٧٨).

(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٢٧ رقم ٢٢٠٠).

(٤) في «السنن» (٤/ ٢١٤ رقم ٣٨٨٦) وهو حديث صحيح.

(٥) في صحيحه (٤/ ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧ رقم ٢١٩٩).

(٦) في صحيحه (١٠/ ٢٢١ رقم ٥٧٦٣) و(١٠/ ٢٣٢ رقم ٥٧٦٥).

(٧) في صحيحه (٤/ ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ رقم ٢١٨٩).

(٨) في «المصنف» (٧/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ٣٥٦٩).

قلت: وأخرجه النسائي (٧/ ١١٢ ـ ١١٣ رقم ٤٠٨٠) بسند صحيح.

كلما حل عُقدةً وجد لذلك خِفّة، فقام رسولُ الله ﷺ كأنما نشِط من عِقال).

ولمسلم[1] عن أبي سعيد الخدريّ أن جبريلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيتَ؟ قال: نعم، قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شرّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ، الله يشفيك».

وعن بُريدةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا رُقيةَ إلاّ من عين أو حمّة»، رواه ابنُ ماجة[2] هكذا مرفوعاً، ورواه مسلمٌ[3] وغيرُه موقوفاً.

[الرُّقى بألفاظ مجهولة المعاني]

(أما الرُّقى المجهولةُ المعاني	فذاك وسواسٌ من الشيطان)
(وفيه قد جاء الحديثُ أنه	شركٌ بلا مريةٍ فاحذَرَنْه)
(إذْ كل من يقوله لا يدري	لعلّه يكون محضَ الكفر)
(أو هو من سحر اليهودِ مُقتبسْ	على العوامِ لبّسوه فالتبسْ)

أي: أما الرُّقى التي ليست بعربية الألفاظِ ولا مفهومةِ المعاني، ولا مشهورةٍ ولا مأثورةٍ في الشّرعِ البتةَ، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنةِ في ظلٍّ ولا فَيْءٍ، بل هي وسواسٌ من الشيطان أوحاها إلىٰ أوليائه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وعليه يحمل قولُ النبيِّ ﷺ في حديث ابن مسعود[4]: «إن الرُّقى والتمائمَ

---

(١) في صحيحه (٤/١٧١٨ ـ ١٧١٩ رقم ٢١٨٦).

(٢) في «السنن» (٢/١١٦١ رقم ٣٥١٣).
وفي سنده أبو جعفر الرازي: صدوق سيء الحفظ، خصوصاً عن مُغيرة، قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» رقم (٨٠١٩).

(٣) في صحيحه (١/١٩٩ رقم ٣٧٤/٢٢٠).
وله شاهد من حديث عمران بن حصين أخرجه (٤/٢١٣ رقم ٣٨٨٤)، والترمذي (٤/٣٩٤ رقم ٢٠٥٧).
وخلاصة القول أن حديث بريدة صحيح لغيره، والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (١/٣٨١)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٤٠)، وأبو داود مختصراً رقم (٣٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٣٥٠).
من طريقين عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب =

والتِّوَلَةَ شركٌ»، وذلك لأن المتكلمَ به لا يدري أهو من أسماء الله تعالىٰ أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفرٌ أو إيمان، وهل هو حقٌ أو باطل، أو فيه نفعٌ أو ضرٌ أو رُقيةٌ أو سحر.

ولعمرُ الله لقد انهمك غالبُ الناس في هذه البلوى غايةَ الانهماك، واستعملوه على أضرُبٍ كثيرة وأنواعٍ مختلفةٍ.

فمنه ما يدَّعون أنه من القرآن أو من السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرِها، وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدّقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآنُ وتكلّم بها النبيُّ ﷺ بالسنّة حتى يترجموه بالأعجمية، أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفعُ منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء، وبالأعجمية لغيره، ولا تصلُح إحداهما فيما تصلُح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطانُ وسوّلت لهم أنفسُهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعُمون أنه من أسماء الله تعالىٰ التي ليست في الكتاب ولا في السنّة، وأنهم علِموها من غيرهما.

فمنه ما يدّعون أنه دعا به آدمُ عليه السلام أو نوحٌ أو هودٌ أو غيرُهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلاّ في أمّ الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ في البيت المعمور.

= امرأة عبد الله بن مسعود، وقد وقع عند ابن ماجه (ابن أخت زينب) بدل (ابن أخي زينب).
وأشار الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٠٥) إلى أنه وقع في بعض نسخ ابن ماجه (ابن أخي)، وقال: وهو على كلا التقديرين مجهول.
وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٤٩٦) كأنه صحابي، ولم أرَه مسمًّى.
ولكن تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
كما أن للحديث طريقان آخران يتقوّى بهما، فقد أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٧) من طريق إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن الأسدي، قال: دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على امرأة. . . فذكره.
وأخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) من طريق أبي الضُحى، عن أم ناجية، قالت: دخلت على زينب امرأة عبد الله أعوذها. . .
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بطرقه، والله أعلم.

ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ على جناح جبريلَ عليه السلام أو جناحِ ميكائيلَ أو جناحِ إسرافيلَ أو غيرِهم من الملائكة، أو على باب الجنّة أو غير ذلك.

وليت شعري متى طالعوا اللوحَ المحفوظَ فاستنسخوه منه، ومتى رَقُوا إلى البيت المعمورِ فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكةُ أجنحتَها فرأوه، ومتى اطّلعوا إلى باب الجنةِ فشاهدوه، كلّما شعوذ مشعبِذٌ وتحذلق متحذلقٌ وأراد الدجلَ على الناس والتحيُّل لأخذ أموالِهم طلب السُّبُلَ إلى وجه تلك الحيلةِ، ورام لها أصلاً ترجِع إليه، فإن وجد شُبهة تُروّج على ضعفاء العقولِ وأعمياءِ البصائرِ، وإلا كذَب لهم كَذِباً محضاً، وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدّقونه لحسن ظنّهم به.

ومنه أسماءٌ يدّعونها، تارةً يدّعون أنها أسماءُ الملائكة، وتارة يزعُمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادُهم في هذه الأسماءِ أنها تخدُم هذه السورةَ أو هذه الآيةَ، أو هذا الاسمَ من أسماء الله تعالىٰ، فيقولون: يا خدّامَ سورةِ كذا أو آيةِ كذا أو اسمِ كذا، يا فلانُ ابنَ فلانٍ ويا فلانُ ابنَ فلانٍ أجيبوا أجيبوا، العجلَ العجلَ ونحوَ ذلك.

وما من سورة من القرآن ولا آيةٍ منه ولا اسمٍ من أسماء الله يعرِفونه إلاّ وقد انتحلوا له خُدّاماً ودعَوْهم له، ساء ما يفترون.

وتارة يكتبون السورةَ أو الآيةَ ويكرّرونها مراتٍ عديدةً بهيئات مختلفةٍ حتى يجعلون أولَها آخراً وآخِرَها أوّلاً، وأوسطَها أولاً في موضع وآخراً في آخَرَ.

وتارة يكتبونها بحروف مقطعةٍ كلُّ حرفٍ على حِدَته، ويزعُمون أن لها بهذه الهيأةِ خصوصيةً ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمّن نقلوها، ما هي إلاّ وساوسُ شيطانيةٌ زخرفوها، وخُرافاتٌ مُضِلّة ألِفوها، وأكاذيبُ مختلَقةٌ لفّقوها، لم يُنزل الله بها من سلطان، ولا يُعرف لها أصلٌ في سنّة ولا قرآن، ولم تُنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان، إنْ هؤلاء إلاّ كاذبون، أفّاكون مفترون، وسيُجزَون ما كانوا يعملون.

وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد العربيةِ المعروفةِ من آحادٍ وعشراتٍ ومئاتٍ وألوف وغيرِها، ويزعُمون أنها رموزٌ إلى حروف آيةٍ أو سورةٍ أو اسمٍ أو شيءٍ مما قدمنا بحساب الحروفِ الأبجديةِ المعروفةِ عند العربِ، وغيرُ ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلةِ المختلَقة، وغالبُها مأخوذٌ عن الأمة الغضَبية الذين

أخذوا السحرَ عن الشياطين وتعلّموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنةِ أو أسماء الله تعالىٰ، وأنهم إنما غيّروا ألفاظَه وترجموها بغير العربيةِ لمقاصد لا تتِمّ بزعمهم إلاّ بذلك، ومنها ما هو من عُبّاد الملائكةِ والشياطينِ ونحوِهم، يأخذون أسماءَهم ويقولون للجهّال هي أسماءُ الله ليروِّجوا الشركَ بذلك عليهم فيدْعون غيرَ الله مِن دونه، وهذه مَكيدةٌ لم يقدِر عليها إبليسُ إلاّ بوساطة هؤلاءِ المُضلّين، وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، والله تعالىٰ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

[ثلاثة شروط لجواز الرقى وكونها شرعية]

فتحصّل من هذا أن الرُّقى لا تجوزُ إلاّ باجتماع ثلاثةِ شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رُقيةً شرعية، وإن اختلّ منها شيءٌ كان بضدّ ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنّة، فلا تجوز من غيرهما.

الشرطُ الثاني: أن تكون باللغة العربيةِ، محفوظةَ ألفاظُها مفهومةَ معانيها، فلا يجوز تغييرُها إلى لسان آخرَ.

الثالثُ: أن يُعتقد أنها سببٌ من الأسباب لا تأثيرَ لها إلاّ بإذنِ الله عزّ وجلّ، فلا يُعتقد النفعُ فيها لذاتها، بل فعلَ الراقي السببَ والله المسبِّبُ إذا شاء.

[الكلام على التمائم والحجب]

(وفي التمائم المعلّقاتِ	**إن تكُ آياتٍ مبيّناتٍ)**
(فالاختلافُ واقعٌ بين السلفْ	**فبعضُهم أجازها والبعضُ كفْ)**

(وفي التمائم المعلقات) أي التي تُعلّق على الصبيان والدوابِّ ونحوِها **(إن تك)** هي أي التمائم **(آياتٍ)** قرآنيةً **(مبينات)**، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحةِ الواضحات **(فالاختلاف)** في جوازها **(واقعٌ بين السلف)** من الصحابة والتابعين فَمن بعدهم **(فبعضُهم)** أي بعضُ السلفِ **(أجازها)** يُروى ذلك عن عائشة[1] رضي الله عنها، وأبي

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٧): عن=

جعفرِ محمدِ بنِ علي، وغيرِهما من السلف[١]، (والبعضُ) منهم (كفَّ) أي منع ذلك وكرِهه ولم يرَه جائزاً، منهم عبدُ الله بنُ عكيم[٢]، وعبد الله بن عمرو[٣]، وعقبةُ بنُ عامرٍ[٤]، وعبدُ الله بن مسعودٍ[٥] وأصحابه كالأسود وعلقمة ومَن بعدهم كإبراهيمَ النخَعيّ[٦] وغيرِهم رحمهم الله تعالىٰ.

ولا شكّ أن مَنْعَ ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقادِ المحظورِ لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كَرِهه أكثرُ الصحابة والتابعين في تلك العصورِ الشريفةِ المقدّسة والإيمانُ في قلوبهم أكبرُ من الجبال فلأنْ يُكْرَهَ في وقتنا هذا وقتَ الفتنِ والمحن أولى وأجدرُ بذلك، كيف وهم قد توصّلوا بهذه الرّخَص إلى محض المحرماتِ وجعلوها حيلةً

= عائشة رضي الله عنها قالت: «ليس التميمة ما تعلق به بعد البلاء إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولعل متوهماً يتوهم أنها من الموقوفات على عائشة رضي الله عنها، وليس كذلك فإن رسول الله ﷺ قد ذكر التمائم في أخبار كثيرة، فإذا فسرت عائشة رضي الله عنها التميمة، فإنه حديث مسند.

(١) كما في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص١٣٦).

(٢) أخرج أحمد (٤/ ٢١٠)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والترمذي رقم (٢٠٧٢) عن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وُكِلَ إليه».
وهو حديث حسن بشواهده.

(٣) أخرج أحمد رقم (٦٥٦٥ - شاكر) وأبو داود رقم (٣٨٦٩).
عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ما أُبالي ما أتيتُ إن أنا شربتُ تِرياقاً أو تعلقتُ تَميمةً أو قلتُ الشِّعر من قِبَل نفسي»، وهو حديث حسن.
* الترياق: أنواع، فإذا لم يكن فيه لحوم الأفاعي فلا بأس بتناوله، (الخطابي).

(٤) أخرج أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩).
عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا، قال: «إن عليه تميمة»، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من علّق تميمة فقد أشرك».
وهو حديث صحيح، وانظر: «الصحيحة» رقم (٤٩٢).

(٥) وهو حديث صحيح بطرقه، وقد تقدم تخريجه.
قلت: وفي الباب حديث عمران بن حصين عند أحمد (٤/ ٤٤٥)، والحاكم (٤/ ٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه رقم (٣٥٣١).
وهو حديث ضعيف لتدليس مبارك بن فضالة.

(٦) انظر: «موسوعة فقه إبراهيم النخعي» (١/ ٣٥٠): (تميمة).

ووسيلةً إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آيةً أو سورةً أو بسملةً أو نحوَ ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانيةِ ما لا يعرِفه إلاّ من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرِفون قلوبَ العامة عن التوكّل على الله عزّ وجلّ إلى أن تتعلق قلوبُهم بما كتبوه، بل أكثرُهم يُرجِفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيءٌ.

فيأتي أحدُهم إلى من أراد أن يحتالَ على أخذ مالِه مع علمه أنه قد أُولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسِك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قريناً من الجنّ أو نحوَ ذلك، ويصف له أشياءَ ومقدماتٍ من الوسوسة الشيطانيةِ، موهماً أنه صادقُ الفراسةِ فيه، شديدُ الشفقةِ عليه، حريصٌ على جلب النفعِ إليه، فإذا امتلأ قلبُ الغبيّ الجاهلِ خوفاً مما وصف له حينئذ أعرض عن ربّه، وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالِبه، والتجأ إليه وعوّل عليه دون الله عزّ وجلّ، وقال له: فما المخرجُ مما وصَفْتَ، وما الحيلةُ في دفعه؟ كأنما بيده الضرُّ والنفعُ، فعند ذلك يتحقّق فيه أملُه، ويعظُم طمعُه فيما عسى أن يبذُلَه له، فيقول له: إنك إن أعطيتَني كذا وكذا كتبتُ لك من ذلك حجاباً طولُه كذا وعَرضُه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجابُ علِّقْه من كذا وكذا من الأمراض.

أتُرى هذا ـ مع هذا الاعتقادِ ـ من الشِّرك الأصغر؟ لا بل هو تألّهٌ لغير الله وتوكّلٌ على غيره والتجاءٌ إلى سواه، ورُكونٌ إلى أفعال المخلوقين وسلبٌ لهم من دينهم، فهل قدَر الشيطانُ على مثل هذه الحِيَل إلاّ بوساطة أخيه من شياطين الإنسِ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمِه الشيطانيةِ شيئاً من القرآن ويتعلقه على غير طهارةٍ ويُحدث الحدثُ الأصغرَ والأكبرَ، وهو معه أبداً لا يقدسه عن شيء من الأشياء.

تاللّٰهِ ما استهان بكتاب اللّٰهِ تعالىٰ أحدٌ من أعدائه استهانةَ هؤلاء الزنادقة ـ المدّعين الإسلام ـ به. واللّٰهِ ما نزل القرآن إلاّ لتلاوته، والعملِ به، وامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، وتصديقِ خبرِه، والوقوفِ عند حدودِه، والاعتبارِ بأمثاله، والاتّعاظِ بقَصصه والإيمان به، كلٌّ من عند ربّنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كلّه ونبذوه وراءَ ظهورِهم ولم يحفظوا إلاّ رسمَه كي يتأكّلوا به ويتكسبوا كسائر الأسباب التي يتوصّلون بها إلى الحرام لا الحلالِ، ولو أن ملِكاً أو أميراً كتب كتاباً إلى من

هو تحت ولايتِه أن افعل كذا، واترُك كذا، وأمُر مَن في جهتك بكذا وانْهَهم عن كذا، ونحوَ ذلك، فأخذ ذلك الكتابَ ولم يقرأه ولم يتدبّر أمرَه ونهيَه ولم يُبلّغه إلى غيره ممن أُمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلّقه في عنقه أو عضُده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتّة، لعاقبه الملكُ على ذلك أشدَّ العقوبة ولسامه سوءَ العذاب.

فكيف بتنزيل جبارِ السمٰواتِ والأرضِ الذي له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الأولى والآخرةِ وإليه يرجع الأمرُ كلُّه، فاعبده وتوكّلْ عليه هو حسبي لا إلٰه إلاّ هو عليه توكّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم.

[التمائم المحرمة والطلاسم]

(وإن تكن مما سوى الوَحْيينِ   فإنها شركٌ بغير مَينِ)

(بل إنها قسيمةُ الأزلامِ   في البعد عن سيما أولى الإسلام)

(وإن تكن) أي التمائمُ **(مما سوى الوحيين)** بل من طلاسم اليهودِ وعُبّادِ الهياكلِ والنجومِ والملائكةِ ومستخدمي الجنِّ ونحوِهم، أو من الخَرَز أو الأوتارِ أو الحَلَقِ من الحديد وغيرِه **(فإنها شرك)** أي تعلّقُها شركٌ **(بدون مين)** أي شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحةِ والأدويةِ المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها الخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهلِ الأوثانِ في أوثانهم، **(بل إنها قسيمةٌ)** أي شبيهةُ **(الأزلامِ)** التي كان يستصحبها أهلُ الجاهليةِ في جاهليتّهم، ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً، وهي ثلاثةُ قِداحٍ، مكتوبٌ على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غُفْلٌ، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغُفلُ أعاد استقسامَه.

وقد أبدلنا الله تعالىٰ ـ وله الحمدُ ـ خيراً من ذلك: صلاةَ الاستخارة ودعاءَها.

والمقصودُ أن هذه التمائمِ التي من غير القرآنِ والسنةِ شريكةٌ للأزلام وشبيهةٌ بها من حيث الاعتقادُ الفاسدُ والمخالفةُ للشرع **(في البعد عن سيما أولي الإسلام)** أي عن زيّ أهلِ الإسلام، فإن أهلَ التوحيدِ الخالصِ من أبعدِ ما يكون عن هذا وهذا، والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من أن يدخُلَ عليه مثلُ هذا، وهم أجلُّ شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكّلوا على غير الله أو يثِقوا بغيره، وبالله التوفيق.

[ال] فَصْل: [السادس]

مِنَ الشرك فِعلُ من يتبرّك بشجرةٍ أو حجرٍ أو بُقعةٍ أو قبرٍ أو نحوِها يتخذ ذلك المكانَ عيداً وبيانُ أن الزيارة تنقسم إلى سنيَّة وبِدعيَّة وشِركيَّة

[من الشرك التبرك بشجرٍ أو حجر أو قبر واتخاذها عيداً]

(هـذا ومـن أعـمـال أهـلِ الـشـركِ	مـن غـيـر مـا تـردُدٍ أو شـكِّ)
(ما يقصد الجهّالُ من تعظيم ما	لـم يـأذن الـلّـهُ بـأن يُـعـظَّـمـا
(كـمـن يـلُـذْ بـبـقـعـة أو حـجـرِ	أو قـبـرِ ميتٍ أو بـبـعـض الـشـجـر)
(مـتـخـذاً لـذلـك الـمـكـانِ	عـيـداً كـفـعـل عـابـدي الأوثـانِ)

(هذا) أي الأمرُ والإشارة إلى ما تقدم (ومن أعمال أهل الشرك) التي لا يفعلها غيرُهم ولا تليق إلاّ بعقولهم السخيفة، وأفئدتِهم الضعيفة، وقلوبِهم المطبوعِ عليها، وأبصارِهم المُغْشيِّ عليها (ما) أي الذي (لم يأذن الله) عزّ وجلّ في كتابه ولا سنةِ نبيّه (بأن يعظما) بألف الإطلاق، وأنْ ومدخولُها في تأويل مصدر، أي لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيمَ الذي منحه إياه، من لم يفرق بين حقِّ الله تعالىٰ وحقوقِ عبادِه من النبيّين والأولياء وغيرِهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائِه ولا بين طاعتِه ومعصيتِه، فيتّخذ من دون الله أنداداً وهو يرى أن ذلك الذي فعله قُربةٌ وطاعةٌ لله، وأن الله يحب ذلك ويرضاه، ويكذب الرسلَ ويدّعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداءَ الله وهو يظنّهم أولياءَه، كفعل اليهودِ والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي، ويكذبون كتابَه ويغيّرونه ويبدلونه ويحرّفون الكَلم عن مواضعه، ويقتُلون الأنبياءَ بغير الحق، وينسُبون لله سبحانه وتعالىٰ الولدَ ويفعلون الأفاعيلَ، ويقولون نحن أبناءُ الله وأحبّاؤُه، وهم البُغَضاءُ إلى الله وأعداؤُه.

وسببُ هذا كلِّه ـ في الأمم الأولى والأخرى ـ هو الإعراضُ عن الشريعة وعدمُ الاهتمامِ لمعرفة ما احتوت عليه الكتبُ من البِشارة والنِّذارةِ والأمرِ والنهي والحلالِ والحرامِ والوعدِ والوعيدِ، ومعرفةِ ما يجب لله على عباده فعلُه وما يجب تركُه (كمن يلذْ ببقعةٍ) أي يعُوذ بها ويختلف إليها ويتبرّك بها ولو بعبادة الله تعالىٰ عندها، وتقدم تقييدُ ذلك بما لم يأذن به الله، فيخرج بهذا القيدِ ما أذن الله تعالىٰ بتعظيمه كتعظيم بيتِه الحرام بالحجّ إليه، وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقِف

وغيرِها، فإن ذلك تعظيمٌ لله عزّ وجلّ الذي أمر بذلك لا لتلك البقعةِ ذاتِها.

كما قال عمرُ بن الخطاب[1] ﷺ لما استلم الحجرَ الأسود: (أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبلتُك).

وكذلك التعظيمُ أيضاً نفسُه إنما أردنا مَنْعَ تعظيم لم يأذن الله به لا المأذونَ فيه، فإن الله تعالىٰ قد أمر بتعظيم الرسلِ بأن يطاعوا فلا يُعصَوْا ويُحَبّوا ويُتّبعوا، وإن طاعةَ الرسولِ هي طاعةُ الله عزّ وجلّ ومعصيتَه معصيةُ الله عزّ وجلّ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمانُ بالله إلاّ به؛ إذ هو عينُ تعظيمِ الله تعالىٰ، فإنهم إنما عُظّموا لأجل عظمةِ المرسِلِ سبحانه وتعالىٰ، وأحِبّوا لأجله واتُّبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عزّ وجلّ، فلو أن أحداً عظّم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به، ورفعه فوق منزلتِه التي أنزله الله عزّ وجلّ، وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلٰهية لانعكس الأمرُ وصار عينَ التنقُّصِ والاستهانةِ بالله وبرسله؛ كفعل اليهودِ والنصارى الذي ذكر الله عزّ وجلّ عنهم من غلوّهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعُزير، فكذّبوا بالكتاب وتنقّصوا الربَّ عزّ وجلّ بنسبةِ الولدِ إليه وغير ذلك، وكذّبوا الرسولَ في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، فصار ذلك التعظيمُ في اعتقادهم هو عينَ التنقّص والشتم، سبحان الله عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين.

(**أو حجر، أو قبرِ ميتٍ، أو ببعض الشجر**) أو غير ذلك من العيون ونحوِها ولو بعبادة الله عندها، فإن ذلك ذريعةٌ إلى عبادتِها ذاتِها كما فعل إبليسُ لعنه الله بقوم نوحٍ، حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعُكوف على قبورهم وصُورهم، وعبادةِ الله عندها، إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتِها من دون الله تعالىٰ فعبدوها، (**متخذاً لذلك المكان**) من القبور والأشجارِ والعيونِ والبقاعِ وغيرِها (**عيداً**) أي يتنابها ويعتاد الاختلافَ إليها (**كفعل عابدي الأوثان**) في تعظيمهم أوثانِهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٦٢ رقم ١٥٩٧) و(٣/ ٤٧٥ رقم ١٦١٠)، ومسلم (٢/ ٩٢٥ رقم ١٢٧٠).

واعتيادِهم إليها، ولذا سمّى النبيُّ ﷺ العكوفَ على الأشجار وتعليقَ الأسلحةِ بها على جهة التعظيم «تألّهاً»، كما في الترمذي[1] عن أبي واقدٍ الليثيّ رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدرةٌ يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط»، فمررنا بسِدرة فقلنا: يا رسولَ الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسولُ الله ﷺ: **«الله أكبر، إنها السَّنَنُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتَركَبُنّ سَنَنَ من قبلكم»**.

ولقد عمّت البلوى بذلك، وطمّت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمةِ لا سيما زمانِنا هذا، ما من قبر ولا بُقعة يُذكر لها شيءٌ من الفضائل ولو كذباً إلاّ وقد اعتادوا الاختلافَ إليها والتبرّك بها حتى جعلوا لها أوقاتاً معلومةً يفوت عيدُهم بفواتها ويرَوْن من أعظم الخَساراتِ أن يفوت الرجلَ ذلك العيدُ المعلوم، وآل بهم الأمرُ إلى أن صنّفوا في أحكام حجِّهم إليها كتباً سمّوها مناسك حجّ المشاهد[2].

ومن أخلّ بشيء منها فهو عندهم أعظمُ جُرماً ممن أخلّ بشيء من مناسك الحجِّ إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طَوافاً معلوماً كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلَها كما يقبَّل الحجرُ الأسودُ حتى قالوا إن زُحِمْتَ فاستلم بمِحْجَن أو أشِرْ إليه، قياساً على فعل النبيِّ ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذوراً من

---

(١) في «السنن» (٤/٤٧٥ رقم ٢١٨٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
قلت: وأخرجه أحمد (٥/٢١٨)، والحميدي رقم (٨٤٨) والطيالسي رقم (١٣٤٦)، وأبو يعلى رقم (١٤٤١)، والطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٩٠ و٣٢٩١ و٣٢٩٢ و٣٢٩٣ و٣٢٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠١/١٥) من طرق...
وهو حديث صحيح، والله أعلم.
* قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/١٢٨): «اجعل لنا ذاتَ أنواط».
هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.
وأنواط: جمع نَوْط، وهو مصدر سُمّي به المَنُوط.
(٢) انظر: «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ص١٢ - ١٣ و٥١).

المواشي والنقود، ووقفوا عليها الوقوفَ من العقارات والحَرث وغيرِها، وغير ذلك من شرائعهم الشيطانيةِ، وقواعدِهم الوثنية.

وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ ذكرُ النصوصِ النبويةِ في سدِّ ذرائعِ الشركِ في الفصل الآتي، وبالله التوفيق.

[الزيارة تنقسم إلى شرعية وبدعية وشركية]

(ثم الزيارةُ على أقسام ... ثلاثة يا أمةَ الإسلام)

(فإن نوى الزائرُ فيما أضمرهْ ... في نفسه تذكرةً بالآخرهْ)

(ثم الدعا له وللأموات ... بالعفو والصفحِ عن الزلاّت)

(ولم يكن شدُّ الرحالَ نحوَها ... ولم يقل هُجْراً كقول السفها)

(فتلك سنةٌ أتت صريحهْ ... في السنن المثبتةِ الصحيحهْ)

(ثم الزيارة) أي زيارةُ القبور تأتي **(على أقسام ثلاثة)**: زيارةٌ سُنية، وزيارةٌ بِدْعية، وزيارةٌ شِركيةٌ فتفهّموها **(يا أولي الإسلام)**.

والبداءةُ بالشرعية لشرفها والندبِ إليها، ثم البدعيةِ لكونها أخفَّ جُرماً من الشركية، ثم هي بعد ذلك. **(فإن نوى الزائرُ)** للقبور **(فيما أضمره في نفسه)** كانت نيتُه بتلك الزيارةِ **(تذكرةً بالآخرة)** أي ليتّعظ بأهل القبورِ، ويعتبرَ بمصارعهم إذْ كانوا أحياءً مثلَه يؤملون الآمالَ ويُخوّلون الأموالَ، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحالَ، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموتِ قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعاتٍ وفُرادى، وأبادهم ملوكاً ونُواباً وقُواداً وأجناداً، وقدِموا على ما قدّموا غياً كان أو رشاداً، وصار لهم الترابُ لُحفاً ومِهاداً، بعد الغُرفِ العاليةِ التي كان عليها الحجابُ أرصاداً، تساوى فيها صغيرُهم وكبيرُهم، وغنيُّهم وفقيرُهم، وشريفُهم وحقيرُهم، ومأمورُهم وأميرُهم.

اتّفق ظاهرُ حالِهم واتّحد، ولا فرق للناظر إليهم يُميّزُ به أحداً من أحد.

وأما باطناً، فالله أكبر لو كُشف للناظرين الحجابُ، لرأوْا من الفروق العجبَ العُجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسنُ مآب، وأولئك في أسوإ حالةٍ وأشدِّ العذاب.

فليعلمْ الواقفُ عليهم الناظرُ إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحِق فليتأهّب لذلك، وليتُبْ إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شرّ كلّ ما هنالك. **(ثم)** قصَد أيضاً **(الدعا)** أي دعاءَ الله عزّ وجلّ **(له)** أي لنفسه **(وللأموات)** من المسلمين **(بالعفو)** من الله عزّ وجلّ **(والصفح عن الزلاّت)** وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك **(و)** مع ذلك **(لم يكن شدّ الرحالِ نحوها)** الضميرُ للقبور لما في الصحيحين[(١)] عن أبي سعيدِ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تُشدّ الرحالُ إلاّ إلى ثلاثة مساجدَ: المسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، والمسجِد الأقصى»**.

(ولم يقل هُجْراً) أي محظوراً شرعاً **(كقول)** بعض **(السفها)** لما في السنن[(٢)] من حديث بُريدةَ قال فيه النبيُّ ﷺ: **«كنت نهيتُكم عن زيارة القُبور، فمن أراد أن يزورَ فليزُرْ ولا تقولوا هُجْراً»**.

(فتلك) الإشارةُ إلى النوع المذكورِ من الزيارة **(سنةٌ)** طريقةٌ نبويةٌ **(أتت صريحة)** أي واضحةً ظاهرةً **(في السنن)** أي الأحاديث **(المثبتة)** في دواوين الإسلام **(الصحيحة)** سنداً ومتناً، **(منها)** حديثُ بريدةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«قد كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، فقد أُذِن لمحمد ﷺ في زيارة قبرِ أمّه فزُوروها، فإنها تذكّر الآخرة»**، رواه التِّرمِذيّ وصححه[(٣)].

---

(١) البخاري (٣/ ٧٠ رقم ١١٩٧)، ومسلم (٢/ ٩٧٥ رقم ١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢ رقم ٩٧٧)، وأبو داود (٣/ ٥٥٨ رقم ٣٢٣٥)، والبيهقي (٤/ ٧٧)، والنسائي (٤/ ٨٩ رقم ٢٠٣٢ و٢٠٣٣)، وأحمد (٥/ ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦١)، عن بريدة مرفوعاً: **«إني كنتُ نهيتكم عن زيارةِ القبورِ، فزوروها [فإنها تذكركم الآخرة]، [ولتزِدْكم زيارتُها خيراً]، [فمن أرادَ أن يزورَ فليزُر، ولا تقولوا هُجْراً]»**.
الزيادة الأولى والثانية لأحمد، ولأبي داود الأولى بنحوها، وللنسائي الثانية والثالثة.
* الهُجْر: الكلامُ الباطلُ، وكان النهي أولاً لقربِ عهدهم من الجاهليةِ فربّما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرّت قواعدُ الإسلام، وتمهّدت أحكامُهُ، واشتهرت معالمُه أبيحَ لهم الزيارةُ، واحتاط ﷺ بقوله: **«ولا تقولُوا هجراً»**.
قاله النووي في «المجموع» (٥/ ٢٨٥).

(٣) في «السنن» (٣/ ٣٧٠ رقم ١٠٥٤) قال الترمذي: **حديث حسن صحيح**.
وانظر الحديث المتقدم في «التعليقة السابقة».

وحديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: زار النبيُّ ﷺ قبرَ أمِّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنتُ ربّي أن أستغفرَ لها فلم يأذَنْ لي، واستأذنته في أن أزورَها فأذِن لي، فزوروا القبورَ فإنها تذكر الموتَ»، رواه الجماعة[1].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أتى المقبرةَ، فقال: «السلامُ عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا، إن شاء الله بكم لاحقون»، رواه أحمد[2] ومسلم[3] والنسائي[4].

ولأحمدَ[5] من حديث عائشةَ رضي الله عنها مثلُه، وزاد: «اللّهمّ لا تحرِمنا أجرَهم ولا تفتنّا بعدهم».

وعن بريدةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولَ قائلُهم: «السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»، رواه أحمد[6] ومسلمٌ[7] وابنُ ماجه[8]، زاد مسلمٌ في رواية[9]: «يرحم الله المتقدمين منّا ومنكم والمتأخرين».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رسولُ الله ﷺ بقبور المدينةِ، فأقبل عليهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢ رقم ٩٧٦)، وأبو داود (٣/ ٥٥٧ رقم ٣٢٣٤)، والنسائي (٤/ ٩٠ رقم ٢٠٣٤)، وابن ماجه (١/ ٥٠١ رقم ١٥٧٢)، وابن حبان رقم (٣١٦٩ ـ الإحسان)، وأحمد (٢/ ٤٤١)، والبيهقي (٤/ ٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٥٥٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٣)، والحاكم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) من طرق.
وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (٢/ ٣٠٠ و٤٠٨).

(٣) في صحيحه (١/ ٢١٨ رقم ٣٩/ ٢٤٩).

(٤) في «السنن» (١/ ٩٣ ـ ٩٤ رقم ١٥٠)، وهو حديث صحيح.

(٥) في «المسند» (٦/ ٧١، ٧٦، ١١١) بإسناد حسن لأجل شريك ولأجل عاصم بن عبيد الله.

(٦) في «المسند» (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٠).

(٧) في صحيحه (٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٥).

(٨) في «السنن» (١/ ٤٩٤ رقم ١٥٤٧).
قلت: وأخرجه النسائي (٤/ ٩٤ رقم ٢٠٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ١٣٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٩)، والبيهقي (٤/ ٧٩).

(٩) في صحيحه (٢/ ٦٦٩ ـ ٦٧١ رقم ٩٧٤) من حديث عائشة.

بوجهه فقال: «**السلام عليكم يا أهلَ القبور، يغفرُ الله لنا ولكم، أنتم سلفُنا ونحن بالأثر**»، رواه الترمذي[١]، وقال: حسنٌ. وكذلك الأحاديثُ في خروجه ﷺ إلى بقيع الغَرقدِ كثيراً يدعو لهم ويترحّم عليهم[٢].

وكان الصحابةُ إذا أتوا قبرَه ﷺ صلّوا وسلّموا عليه فحسب، كما كان ابنُ عمرَ رضي الله عنه يقول: السلامُ عليك يا رسولَ الله، السلامُ عليك يا أبا بكر، السلامُ عليك يا أبتاه[٣].

وكذا التابعون ومَن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيحِ الدجى، لم يُذكر عنهم في زيارة القبورِ غيرُ العملِ بهذه الأحاديثِ النبويةِ وأفعالِ الصحابة، لم يعدِلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرَها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارةُ الشرعيةُ المستفادةُ من الأحاديث النبويّة، وعليها درج الصحابةُ والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكرُ بالقبور، الاعتبارُ بأهلها والدعاءُ لهم والترحّمُ عليهم، وسؤالُ الله العفوَ عنهم، فمن ادّعى فيها غيرَ هذا طُولبَ بالبرهان، وأنّى له ذلك، ومن أين يطلُبه؟ بل كذب وافترى، وقَفا ما ليس له به علمٌ. بلى إن العلوم الشرعيةِ دالةٌ على ضلاله وجهلِه.

---

(١) في «السنن» (٣/٣٦٩ رقم ١٠٥٣) وقال: حديث حسن غريب.
في سنده (قابوس بن أبي ظَبْيان)، قال النسائي: «ليس بالقوي».
وقال ابن حبان: «رديء الحفظ، ينفردُ عن أبيه بما لا أصل له».
انظر: «الضعفاء» للنسائي (ص٢٠١ رقم ٥١٩)، و«المجروحين» (٢/٢١٥ ـ ٢١٦).
وقال الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢٥٠): «قلت: وهذا من روايتِهِ عن أبيهِ، فلا يُحتجُّ به، ولعل تحسين الترمذي لحديثه هذا إنما هو باعتبار شواهده، فإنَّ معناه ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة، وقد مضى قريباً ذكرُ قِسْم منها، إلاَّ أنَّ قولَه: «فأقبلَ عليهم بوجهه» منكرٌ لتفرُّدِ هذا الضعيفِ فيه» اهـ.
والخلاصة أن حديث ابن عباس حسن لشواهده ما عدا قوله: «فأقبل عليهم بوجهه» فإنها منكرة.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٢٥٢) بسند صحيح على شرط الشيخين.
عن عائشة رضي الله عنها: أن النبيّ ﷺ كان يخرجُ إلى البقيعِ، فيدعو لهم، فسألَتْهُ عائشةُ عن ذلك؟ فقال: «**إني أُمرتُ أن أدعُوَ لهم**».
قلت: ومعناه: عند مسلم (٢/٦٦٩ ـ ٦٧١ رقم ٩٧٤) وغيره من طريق أخرى مطوّلاً.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/٢٤٥) بسند صحيح.
وأخرج بنحوه مالك في «الموطأ» (١/١٦٦) بسند صحيح.

[حكم الدعاء عند القبور والتوسل بأصحابها]

(أو قصد الدعاءَ والتوسّلا بهم إلى الرحمٰن جلَّ وعلا)

(فبدعةٌ محدثةٌ ضلالهْ بعيدةٌ عن هٰذي ذي الرسالهْ)

(أو قصَد الدعاء) من الصلاة وغيرِها أو الاعتكافَ عند قبورِهم أو نحوَ ذلك **(والتوسّلا)** بألف الإطلاق **(بهم)** أي بأهل القبور **(إلى الرحمٰن جلّ وعلا)** انتفكه أهلُ الزيغِ والضلال **(فبدعة محدثة)** لم يأذن الله تعالىٰ بها **(ضلالة)** كما قال ﷺ: «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1].

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[2].

وقال ﷺ في رواية[3]: «من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ».

وقال ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين من بعدي، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة»[4]، وغير ذلك.

فإن من قال: اللّهمّ إني أسألُك بجاه فلان، وهو ميتٌ أو غائبٌ، وإن كان يرى أنه لم يَدْعُ إلاّ الله ولم يعبُد سواه فهو قد عبدَ الله بغير ما شرع، وابتدع في الدين ما ليس منه، واعتدى في دعائه ودعاءِ الله بغير ما أمره أن يدعُوَه به، فإن الله تعالىٰ إنما أمرنا أن ندعوَه بأسمائه الحسنى؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يشرَع لنا أن ندعُوَه بشيء من خلقه البتّةَ، بل قد نهانا رسولُ الله ﷺ عن أن نُقسِم بشيء من المخلوقات مطلقاً، فكيف بالإقسام بها على الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) من حديث جابر، وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠١ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ رقم ١٧١٨/١٧)، وأبو داود (٥/ ١٢ رقم ٤٦٠٦)، وابن ماجه (١/ ٧ رقم ١٤) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٥) تعليقاً بصيغة الجزم.
ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤ رقم ١٧١٨/١٨) من حديث عائشة.

(٤) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

وأمّا حديثُ الأعمى الذي به يحتج المجوّزون للتوسل بالمقبور فلا حجةَ لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعَه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفّقوا لفهم مدلولِه، فإن هذا الحديثَ بجميع ألفاظِه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظُه من الكتب التي خرّج فيها، قال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالىٰ: حدثنا

---

(١) في «السنن» (٥/٥٦٩ رقم ٣٥٧٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو الخَطْمِيُّ، وعثمانُ بنُ حنيفٍ هو أخو سهل بنِ حُنيفٍ» اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٣٨)، والحاكم (١/٣١٣)، وابن ماجه (١/٤٤١ رقم ١٣٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٧ رقم ٨٣١١).

* **في هذا الحديث دليل على أن الأعمى توسل بدعاء النبيّ ﷺ لا بذاته، والأدلّة على ذلك في الحديث نفسه كثيرة. وأهمها:**

(أولاً): أن الأعمى إنما جاء إلى النبيّ ﷺ ليدعو له، وذلك قوله: «ادع الله أن يعافيني»، فهو قد توسل إلى الله تعالىٰ بدعائه ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبيّ ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمةُ حاجة به إلى أن يأتي النبيّ ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربّه بأن يقول مثلاً: «اللّهمّ إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً»، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمةً يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم المتوسَّل به، بل لا بدّ أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.

(ثانياً): أن النبيّ ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله ﷺ: **«إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك»**، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربّه تبارك وتعالىٰ أنه قال: **«إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ أي عينيه ـ فصبر، عوضته منهما الجنّة»** [أخرجه البخاري (١٠/١١٦ رقم ٥٦٥٣) من حديث أنس بن مالك].

(ثالثاً): إصرار الأعمى على الدعاء، وهو قوله: «فادع»، فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق فقد شاء الدعاء وأصرّ عليه، فإذن لا بدّ أنه ﷺ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبيّ ﷺ بدافع من رحمته، ويحرص منه على أن يستجيب الله تعالىٰ دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسّل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصليّ ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالىٰ يقدمها بين يدي دعاء النبيّ ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥].

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله =

محمودُ بنُ غيلانَ حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ حدثنا شُعبةُ عن أبي جعفرٍ عن عِمارةِ ابنِ خُزيمةَ بنِ ثابتٍ عن عثمانَ بنِ حُنيفٍ أن رجلاً ضريرَ البصر أتى النبيَّ ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيَني، قال: «**إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ، فهو خيرٌ لك**». قال: فادعُه، قال: فأمره أن يتوضأ فيُحسِنَ وضوءَه ويدعوَ بهذا الدعاءِ: «اللّهمّ إني أسألُك وأتوجّهُ إليك بنبيّك محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمة، إني توجهتُ بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللّهمّ فشفِّعه فيّ».

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرِفه إلاّ من هذا الوجه من حديث أبي جعفرٍ، وهو غيرُ الخطمي اهـ.

قلت: الظاهرُ بالاستقراء أن أبا جعفرٍ هذا هو الرازيُّ التيمي مولاهم مشهورٌ بكنيته، وهو من رجال الأربعةِ واسمُه عيسى بنُ أبي عيسى[1] عبدُ الله بنُ ماهانَ، وأصلُه من مَرْوَ كان يتّجر إلى الري، روى عن عطاءٍ وعمرِو بن دينارٍ وقَتادةَ، وعنه أبو عُوانةَ وشُعبةَ كما في هذا الحديث.

قال ابنُ معينٍ: ثقةٌ، وقال ابنُ المديني: ثقةٌ يخلِط عن المغيرة، وقال الفلاّسُ: سيّئُ الحِفْظ، وقال أبو حاتم: ثقةٌ صدوقٌ صالحُ الحديث، وقال في

= سبحانه وتعالىٰ وقربه إليه، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القَبول والرضا من الله سبحانه وتعالىٰ، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء ـ كما هو ظاهر ـ وليس فيها ذكر شيء مما يزعم المخالف.

(رابعاً): أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللّهمّ فشفعه فيّ»، وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللّهمّ اقبل شفاعته ﷺ فيّ، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة: الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة.

[أخرجه البخاري (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤ رقم ٣٢٧/ ١٩٤) من حديث أبي هريرة].

(خامساً): أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبيّ ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه في الخوارق والإبراء من العاهات...

قلت: ومن رامَ التوسّع في حديث الضرير هذا فليرجع إلى ما كتبه المحدث الألباني في كتاب «التوسل أنواعه وأحكامه» (ص٦٩ ـ ٩٣) فقد أجاد وأفاد.

(١) انظر: «الميزان» (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم ٦٥٩٥).

«التقريب»[1]: صدوقٌ سيّئُ الحفظ خصوصاً عن المغيرة، من كبار السابعة، مات في حدود الستين ومائة.

والظاهرُ من عباراتهم أن تخليطَه عن المغيرة خاصةً، وهو ثبْتٌ فيمن سواه.

وبهذا يُجمع بين قولِ من يضعفه وقولِ من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن مَعينٍ وعليُّ بنُ المديني وهما هما، والله أعلم.

ورواه النسائي[2] عن عثمانَ بن حُنيفٍ، ولفظهُ أن رجلاً أعمى قال: يا رسولَ الله ادعُ الله أن يكشفَ لي عن بصري. قال: فانطلقَ فتوضأ ثم صلّى ركعتين، ثم قال: «اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيي محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجّه بك إلى ربي أن يكشِف عن بصري، اللّهمّ فشفِّعْه فيّ»، قال: فرجع وقد كشف الله بصرَه.

وقال أحمدُ رحمه الله تعالىٰ في مسنده[3]: حدثنا رَوحٌ حدثنا شعبةُ عن عُميرِ بنِ يزيدَ الخَطْمِيِّ المديني قال: سمعتُ عِمارةَ بنَ خُزيمةَ بنِ ثابتٍ يحدّث عن عثمانَ بنِ حُنيفٍ أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ الله ادعُ الله أن يعافيَني، فقال: **«إن شئتَ أخّرت ذلك فهو أفضلُ لآخرتك، وإن شئتَ دعوتُ لك»**، قال: بل ادعُ الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعوَ بهذا الدعاء: **«اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللّهمّ فشفِّعْني فيه وشفِّعه فيّ»**.

قلت: عميرُ بنُ يزيدَ الخطميُّ هذا هو أبو جعفرٍ الذي فرّق التِّرمذيُّ بينه وبين أبي جعفرٍ المذكورِ في روايته، وقد قلنا الظاهرُ أنه هو الرازيُّ التيميُّ، وكلاهما

---

(١) رقم الترجمة (٨٠١٩).

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٠).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٢٦/١) وقال: على شرط البخاري وأقرّه الذهبي.
وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٣) (١٣٨/٤) بسند صحيح، وفي سنده (المديني) فقط.
وعند الطبراني في «الكبير» رقم (٨٣١١) (الخطمي المدني) وقد تقدم.
قلت: وهذا لا يضرّ الحديث شيئاً، وقد قدمنا أنه (الخطمي) فقط.

شيخٌ لشعبةَ، وكلاهما صَدوقٌ، فيحتمل أن كلاًّ منهما سمعه من عِمارة، وسمعه شعبةُ من كليهما وحدّث به مرةً عن هذا ومرةً عن هذا، فرواه عثمانُ بن عمرَ عن شعبةَ عن أبي جعفرٍ الرازيِّ التيمي، وسمعه روحٌ منه عن الخطمي فحدّث به كذلك، والله عزّ وجلّ أعلم.

والمقصود أن هذا الحديثَ إن جزمنا بصحته، فليس فيه لهم حجةٌ ولا دليلٌ على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبيّ ﷺ الدعاءَ له بكشف بصرِه، وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمّن على ذلك ويقول: اللّهمّ شفّعه فيّ، فسأل من النبيّ ﷺ الدعاءَ، وسأل قَبولَ دعائِه من الله عزّ وجلّ لعلمهم التامِّ بالإيمان بالله عزّ وجلّ، وأنه لا يشفع أحدٌ عنده إلاّ بإذنه، وبهذا أمره النبيُّ ﷺ أن يدعو الله تعالىٰ، فاجتمع الدعاءُ من الجهتين.

وهكذا كان الصحابةُ ﷺ كثيراً ما كانوا يسألون من النبيّ ﷺ أن يدعوَ لهم بالنصر وأن يستسقيَ لهم إذا أجدبوا[1]، وبتكثير الطعام[2]، كما سأله منه عمرُ ﷺ في غزوة تبوكَ[3]، وقالت له أمُّ أنس خُويدِمُك أنس ادعُ الله تعالىٰ له[4]، وأمثالُ ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى، وكذلك في موقف القيامةِ يسأل الخلائقُ من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربّهم في فصلِ القضاءِ واحداً بعد واحد، حتى تنتهيَ إليه ﷺ، فيذهب ويسجد تحت العرشِ ويحمد الله تعالىٰ ويُثني عليه إلى أن يقول له: **«ارفع رأسكَ وقل يُسمَع وسَلْ تُعطَ واشفَع تشفع»**، وذلك إذا أذِنَ الله عزّ وجلّ له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريرُه[5].

وقد قال ﷺ لعُمرَ وهو ذاهبٌ للعُمرة: **«لا تنسَنا من دعائك»**[6].

---

(١) أخرج البخاري (٢/٥٠٨ رقم ١٠١٥)، ومسلم (٢/٦١٢ رقم ٨٩٧) عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٥/١٢٨ رقم ٢٤٨٤) و(٦/١٢٩ رقم ٢٩٨٢)، ومسلم (٣/١٣٥٤ رقم ١٧٢٩) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٣) أخرجه مسلم (١/٥٥ ـ ٥٦ رقم ٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/٤٥٧ ـ ٤٥٨ رقم ٦٦٠).

(٥) في الشفاعة، وهو حديث متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢)، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ١٩٤).

(٦) أخرجه أبو داود (٢/١٦٩ رقم ١٤٩٨)، والترمذي (٥/٥٥٩ رقم ٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢/٩٦٦ رقم ٢٨٩٤)، والبيهقي (٥/٢٥١).

وكذلك استسقى عمرُ ﷺ بالعباس والصحابةُ متوافرون كما في صحيح البخاريّ[1]: «اللّهمّ إنا كنّا إذا أجدَبْنا نتوسّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيِّنا فاسقِنا». وكان من دعاء العباسِ يومئذ: «اللّهمّ إنه لا ينزِل بلاءٌ إلاّ بذنب ولا يُكشف إلاّ بتوبة، وقد توجّه بي القومُ إليك لمكاني من نبيّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقِنا الغيثَ» ذكره الزبيرُ بنُ بكّار، وكان ذلك الجدبُ عامَ الرمادة.

كذلك كان معاويةُ لما استسقى بيزيد بنِ الأسودِ الجُرَشيّ[2]، فقال: «اللّهمّ إنا نستشفع ـ أو نتوسل ـ إليك بخيارنا، يا يزيدُ ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سُقوا»، فكان أفضلُ القرونِ يسألون الله عزّ وجلّ، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عزّ وجلّ لهم ولهم، وتوسُّلُهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائزٌ في كل زمانٍ ومكانٍ أن تسأل من عبد صالحٍ حاضرٍ عندك أن يدعوَ لك وتؤمّن أنت على دعائه أو تسأل من مسافر الدعاءَ بظَهر الغيبِ، ونحو ذلك، كما ثبت عن النبيّ ﷺ ودرج عليه السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالىٰ.

= قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: في سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو ضعيف.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(١) (٢/ ٤٩٤ رقم ١٠١٠) من حديث أنس.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٤٤).

والحافظ ابن عساكر في «تاريخه» (١٨/ ١٥١/ ١) بسند صحيح قاله الألباني في «التوسل» (ص٤٢) وعزاه الحافظ العسقلاني في «الإصابة» (٣/ ٦٣٤) لأبي زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في «تاريخهما» **بسند صحيح عن سليم بن عامر.**

فهذا معاوية رضي الله عنه لا يتوسل بالنبيّ ﷺ، لما سبق بيانه، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح: يزيد بن الأسود رحمه الله تعالىٰ، فيطلب منه أن يدعو الله تعالىٰ، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالىٰ طلبه.

وحدث مثل هذا في ولاية الضحاك بن قيس كما أخرجها ابن عساكر في «تاريخه» أيضاً **بسند صحيح.**

[«التوسل أنواعه وأحكامه» (ص٤٢ ـ ٤٣) للألباني].

ولو كان ذلك عندهم جائزاً أعني التوسلَ بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتيَ إلى النبيِّ ﷺ ويطلُبَ منه الدعاء، بل كان يتوسلُ به في محله أينما كان؛ إذ لا فائدة زائدةً في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمرُ والصحابةُ معه لم يكونوا ليعدِلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباسِ لو كان التوسلُ بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاويةُ وأصحابُه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيدَ بنِ الأسود، ولم يطلبوا منه الدعاءَ، ولما أمر النبيُّ ﷺ عمرَ إذا وجد أويساً أن يطلُبَ منه الاستغفارَ[1]، بل كان يكفيه أن يقول: اللّهمّ بحق أويسٍ القَرنيِّ، ولم يُعرفْ هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعلَ ذلك التوسلَ بالنبيِّ ﷺ ولا بغيره من الأنبياء، ولا بأحد من أفاضلهم الأولياءِ بعد موتِه، ولو كانوا بالذوات يتوسّلون في حال حياتِهم لم يكن فرقٌ بين ذلك وبين مماتِهم، وهذا في التوسل بأهل القبورِ عامٌّ عند القبرِ وغيرِه، وأما عبادة الله عند القبورِ كالصلاة عندها والعكوفِ عليها فهو أشدُّ وأغلظُ، لأنه ذريعةٌ مُفْضية إلى عبادة المقبورِ نفسِه، كما قدمنا عن قوم نوحٍ من استدراج الشيطانِ لهم.

وكذلك فعلَ بغالب هذه الأمةِ والعياذُ بالله، ولذلك نهى النبيُّ ﷺ أن يُصلى على القبور أو إليها، وغلّظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدةِ الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

[الكلام على الزيارة الشركية]

(وإن دعا المقبورَ نفسَه فقد	أشرك بالله العظيم وجحد)
(لن يقبل اللهُ تعالىٰ منه	صرفاً ولا عدلاً فيعفو عنه)
(إذْ كُل ذنبٍ موشكُ الغفرانِ	إلا اتخاذَ النِّدِّ للرحمٰن)

(وإن دعا) الزائرُ **(المقبورَ نفسه)** من دون الله عزّ وجلّ وسأل منه ما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ من جلب خيرٍ أو دفعِ ضرٍّ أو شفاءِ مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو نحوِ ذلك من قضاء الحوائج، **(فقد أشرك)** في فعله ذلك **(بالله العظيم)** المتعالي عن الأضداد والأندادِ والكُفؤ والوليِّ والشفيعِ بدون إذنِه **(وجحد)** حقَّ الله عزّ وجلّ على عباده وهو إفرادُه بالتوحيد، وعبادتُه وحده لا شريكَ له ونَفْيُ ضدِّ ذلك عنه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦٨/٤ رقم ٢٥٤٢).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآيات وغيرُها ما لا يحصى.

يخبر الله تعالىٰ أن من دعا مع الله إلهاً آخرَ ولو لحظةً فقد كفر، وإن مات على ذلك فلا فلاحَ له أبداً، ولو فعل ذلك نبيُّه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشفَ للضرّ غيرُه ولا جالبَ للخير سواه، وأنه لا أضلُّ ممن يدعو مَن دونه سواه، وأن من عُبِد من دون الله يكون عدواً لعابده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه مِن دون الله تعالىٰ، وأنهم كلُّهم عبادٌ مثلُ عابديهم، مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهرِه لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدِرون على خلق ذبابٍ فما فوقه ولو اجتمعوا بأسرهم على ذلك، ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذبابُ، فكيف يقدرون على قضاء شيءٍ من حوائج عابديهم؟

بل قد أخبرنا عزّ وجلّ أنهم لا يسمعون دعاءَ من دعاهم، ولو سَمِعوا دعاءَه ما استجابوا له، وأخبرنا أن مَن عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعُزير

وغيرهم أنهم لا يملِكون كشفَ ضرٍّ من دعاهم، ولا تحويلَه من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلةَ إلى ربِّهم والقربَ ويرجون رحمتَه ويخافون عذابَه، فينبغي للعباد الاقتداءُ بهم في ذلك الابتغاءِ والرجاءِ والخوفِ من الله عزّ وجلّ، لا دعاؤُهم دونه، تعالىٰ الله عمّا يشركون.

(لن يقبلَ الله تعالىٰ منه) أي من ذلك الداعي مع الله غيرَه، المتّخذِ من دونه أولياءَ، (صِرفاً) أي نافلة (ولا عَدْلاً) أي ولا فريضةً (فيعفو عنه) في ذلك، لأن الكافرَ عمله كَلا شيءٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] الآيات.

وقال تعالىٰ لصفوة خلقِه وهم الرسلُ عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

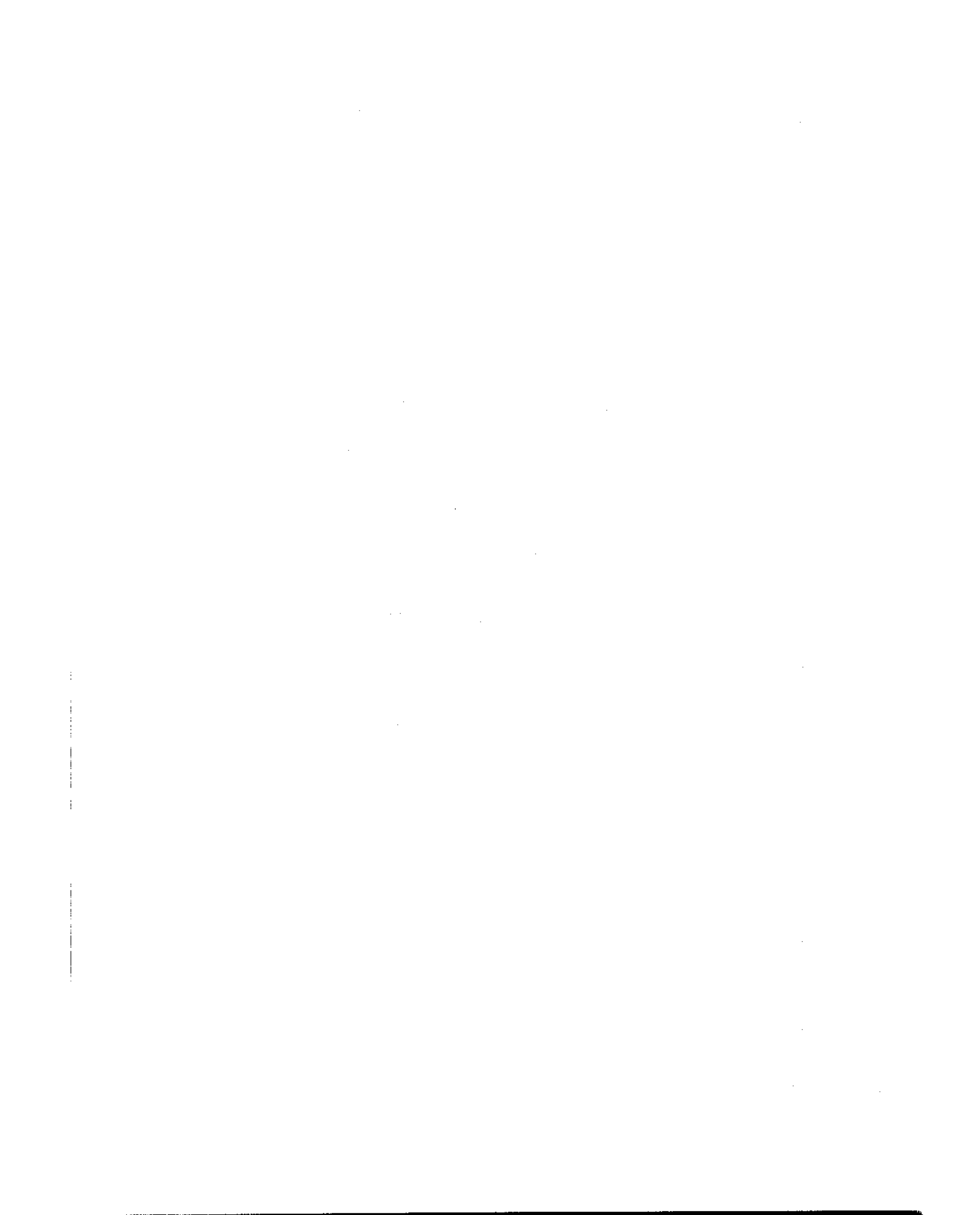
وقال لسيِّدهم وخاتمِهم وأكرمِهم على ربّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

(إذ) حرفُ تعليلٍ (كلُّ ذنبٍ) لقيَ العبدُ ربَّه به (موشكُ الغفران) أي يُرجى ويُؤمَّل أن يُغفرَ ويُعفى عنه (إلاّ اتخاذَ النِّدِّ للرحمٰن) فإن ذلك لا يُغفر ولا يَخرُج صاحبُه من النار ولا يجد ريحَ الجنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقد قدّمنا في ذلك من الآيات والأحاديثِ ما فيه كفايةٌ في الدلالة على ما وراءه، ولله الحمد والمنّة.

[ال] فَصْل: [السابع]

في بيان ما وقعَ فيه العامَّةُ اليوم
مما يفعلونه عند القبورِ
وما يرتكبونه من الشّرك الصّريحِ
والغُلوِّ المُفْرِطِ في الأموات



هذا الفصلُ هو المقصودُ بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارةِ إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيدٌ له، فإنما المقصودُ من ذكر ضلالِ الأممِ الأولى هو تحذيرُ الأحياءِ الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزَجْرُ من وقع منهم عمّا وقع فيه لئلا يحِلَّ بهم ما حلّ بهم من النَّكال، كما أن الله سبحانه وتعالىٰ ما قصّ علينا من أخبارِ الأممِ الأولى إلاّ لنتّعِظَ بهم، ونعتبرَ بمصارعهم ولنعلمَ أسبابَ هلاكِهم فنتّقِيَه ونعلمَ سُبُلَ النجاةِ التي سلكها رسلُ الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرةِ، فنسلُكَها ونقفُوَ أثرَهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥ ـ ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

وقال تعالىٰ بعد أن قصّ علينا ما قصّ في سورة هودٍ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] الآيات.

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلاّ أن تكونوا باكين أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم**»، وهو في الصحيح[1]، فإذا كان هذا الخطرُ على من دخل ديارَهم فما ظنُّك بمن عَمِل مثل عملِهم وزيادةً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) البخاري (٦/٣٧٨ ـ ٣٧٩ رقم ٣٣٨٠)، ومسلم (٤/٢٢٨٦ رقم ٢٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمر.

[حكم من أوقد سراجاً على القبر أو بنى على الضريح مسجداً]

(ومن على القبر سِراجاً أوقدا   أو ابتنى على الضريح مسجدا)
(فإنه مجدِّدٌ جِهاراً   لسُنن اليهودِ والنصارى)

(ومن على القبر) متعلقٌ بأوقد (سراجاً) مفعولٌ (أوقد) بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجاً على القبر (أو ابتنى) بمعنى بنا وزيدت التاءُ فيه لمعنى الاتخاذ، (على الضريح) أي على القبر، واشتقاقُه من الضَّرْح الذي هو الشَّقُّ (مسجداً) أو اتخذ القبرَ نفسَه مسجداً ولو لم يَبْنِ عليه (فإنه) أي فاعلُ ذلك (مجددٌ) بفعله ذلك (جهارا) أي تجديداً واضحاً مجاهِراً به الله ورسولَه وأولياءَه (لسنن) أي لطرائق (اليهود والنصارى) في اتّخاذهم قبورَ أنبيائِهم مساجدَ ويعكُفون عليها، وأعياداً لهم ينتابونها، ويتردّدون إليها، كيف وقد قال الرسولُ ﷺ للذين طلبوا منه ذاتَ أنواطٍ: «الله أكبر، إنها السُّننُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»[١].

وقال ﷺ: «لتتبعُنّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحرَ ضَبٍّ لسلكتموه، قلنا: يا رسولَ الله اليهودُ والنصارى؟ قال: فمن؟»، أخرجاه[٢] من حديث أبي سعيدٍ رضي الله عنه، وقد وقع الأمرُ والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

[النهي عن رفع القبور والزيادة عليها]

(كم حذَّر المختارُ عن ذا ولعنْ   فاعلَه كما روى أهلُ السُّننْ)
(بل قد نهى عن ارتفاع القبرِ   وأنْ يُزادَ فيه فوق الشبرِ)
(وكلُّ قبرٍ مشرفٍ فقد أمرْ   بأن يُسوّى هكذا صحّ الخبرْ)

(كم) خبريةٌ للتكثير (حذَّر المختارُ) نبيُّنا محمدٌ ﷺ (عن ذا) الفعلِ من اتخاذ

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً من حديث أبي واقد الليثي.
(٢) البخاري (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩).

القبورِ مساجدَ وأعياداً والبناءِ عليها وإيقادِ السُّرُج عليها، كما في الصحيح[1] عن عائشة رضي الله عنها أن أمّ سلمةَ ذكرت لرسولِ الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشةِ يقال لها ماريةُ، فذكرت له ما رأتْ فيها من الصُّوَر، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالحُ ـ أو الرجل الصالح ـ بَنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصورَ، أولئك شرارُ الخلقِ عند الله»**.

وفيه[2] عنها هي وعبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهم قال: لما نزل برسولِ الله ﷺ طَفِق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمّ بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: **«لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»** يحذِّر ما صنعوا[3].

وفيه[4] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«قاتل الله اليهودَ والنصارى اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»**.

وعن أبي مَرْثَدٍ الغَنويِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلِسوا عليها»، رواه الجماعةُ إلاّ البخاريَّ وابنَ ماجه[5].

---

(١) البخاري (١/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤ رقم ٤٢٧)، ومسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ رقم ٥٢٨).

(٢) البخاري (٨/ ١٤٠ رقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤)، ومسلم (١/ ٣٧٧ رقم ٥٣١).

(٣) **قال الحافظ في «الفتح»** (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، قوله: «يُحَذِّر ما صنعوا».

«جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي، كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت فأجيب بذلك. وقد استشكل ذكر النصارى فيه لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبيّنا ﷺ نبي غيره وليس له قبر، والجواب: أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول، أو الجمع في قوله «أنبيائهم» بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيّده قوله في رواية مسلم ـ (٥/ ١٣ ـ نووي) ـ من طريق جندب: «كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد».

ولهذا أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: «إذا مات فيهم الرجل الصالح»، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «قبور أنبيائهم» أو المراد بالاتخاذ أعمّ من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود» اهـ.

(٤) البخاري (١/ ٥٣٢ رقم ٤٣٧)، ومسلم (١/ ٣٧٦ رقم ٥٣٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٨ رقم ٩٧٢)، وأبو داود (٣/ ٥٥٤ رقم ٣٢٢٩)، والترمذي (٣/ ٣٦٧ رقم ١٠٥٠)، والنسائي (٢/ ٦٧ رقم ٧٦٠)، وأحمد رقم (١٧١٤٩ ـ الزين)، وصححه الحاكم (٣/ ٢٢٠).

وعن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»، رواه الجماعةُ إلاّ ابنَ ماجه[1].

وعن جُندُب بنِ عبد الله البجَليِّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل أن يموتَ بخمسٍ، وهو يقول: **«إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ، ألاَ فلا تتّخذوا القبورَ مساجدَ، إني أنهاكم عن ذلك»**، رواه مسلم[2].

وعن جابر ﷺ قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُجصّص القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه، رواه أحمدُ[3] ومسلمٌ[4] والثلاثةُ[5] وصححه التِّرمذيُّ ولفظُه: نهى أن تُجصّص القبورُ وأن يُكتبَ عليها وأن يبنى عليها وأن تُوطَأَ، وفي لفظ النسائي: نهى أن يُبنى على القبر أو يزادَ عليه أو يجصصَ أو يُكتبَ عليه، وعن ابن عباس ﷺ قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتّخذين عليها المساجدَ والسُّرُجَ، رواه أهلُ السنن[6].

وللترمذي[7] وصحّحه عن أبي هريرة ﷺ قال: لعن رسولُ الله ﷺ زَوّاراتِ القبور.

---

(١) البخاري (١/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩ رقم ٤٣٢)، ومسلم (١/ ٥٣٨ رقم ٧٧٧)، وأبو داود (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦ رقم ١٤٤٨)، والترمذي (٢/ ٣١٣ رقم ٤٥١)، والنسائي (٣/ ١٩٧ رقم ١٥٩٨)، وأحمد رقم (٤٦٥٣ ـ شاكر).

(٢) في صحيحه (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ رقم ٥٣٢).

(٣) في «المسند» (٣/ ٣٣٩).

(٤) في صحيحه (٢/ ٦٦٧ رقم ٩٧٠).

(٥) أبو داود (٣/ ٥٥٢ رقم ٣٢٢٥)، والترمذي (٣/ ٣٦٨ رقم ١٠٥٢)، والنسائي (٤/ ٨٦ رقم ٢٠٢٧).
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٦) أبو داود (٣/ ٥٥٨ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (٢/ ١٣٦ رقم ٣٢٠)، وقال: حديث حسن، والنسائي (٤/ ٩٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٥).
وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ: «السرج»، انظر: الإرواء (٣/ ٢١٣)، والضعيفة رقم (٢٢٥).

(٧) في «السنن» (٣/ ٣٧١ رقم ١٠٥٦) وقال: حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٧).
ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف قال=

ولابن ماجة[1] مثلُه من حديث حسانَ ﷺ.

ولأحمدَ[2] بسند جيدٍ عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: **«إن من شرار الناسِ مَن تدركهم الساعةُ وهم أحياءٌ، والذين يتّخذون القبورَ مساجدَ»**، رواه أبو حاتمٍ[3] وابنُ حبانَ في صحيحه[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليّ فإن صلاتَكم تبلُغني حيث كنتم»**، رواه أبو داودَ بإسناد حسنٍ ورواتُه ثقاتٌ[5].

= في «التقريب» رقم (٤٩١٠): «صدوق يخطئ».
وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(١) في «السنن» (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٤).
قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، وأحمد (٣/ ٤٤٢)، وسكت عليه الحاكم والذهبي.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٥١٦ رقم ٥٦٥/ ١٥٧٤): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».
قلت: فيه «عبد الرحمٰن بن بهمان» قال الحافظ في «التقريب» رقم (٣٨١٧): مقبول.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «المسند» (١/ ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٤١٣)، والبزار رقم (٣٤٢٠، ٣٤٢١ ـ كشف)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٨٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢) من طرق.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن».
وأورده أيضاً في «المجمع» (٨/ ١٣) وقال: «رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٧٤).

(٤) (رقم ٣٤٠ ـ موارد)، **وهو حديث حسن.**

(٥) في «السنن» (٢/ ٥٣٤ رقم ٢٠٤٢).
قال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠) عقب هذا الحديث: «هذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وحسبك بابن معين موثقاً. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، وهو لين تعرف حفظه وتنكر. فإن هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح إلى مرتبة=

وعن عليِّ بنِ الحسينِ ﷺ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة عند قبرِ النبيِّ ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعتُه من أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا بيوتَكم قبوراً، فإن تسليمَكم يبلُغني أينما كنتم»**، رواه في المختارة[1].

وقال سعيدُ بنُ منصورٍ في سننه[2]: حدثنا عبدُ العزيز بنُ محمدٍ أخبرني

= الحسن، إذ لا خلاف في عدالته وفقهه، وأن الغالب عليه الضبط، لكن قد يغلط أحياناً، ثم هذا الحديث مما يعرف من حفظه، ليس مما ينكر، لأنه سنة مدنية، وهو محتاج إليها في فقهه، ومثل هذا يضبطه الفقيه. وللحديث شواهد من غير طريقة، فإن هذا الحديث روي من جهات أخرى فما بقي منكراً. وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبيّ ﷺ بأسانيد معروفة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(1) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

وأشار الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ١٠٦ ـ ١٠٧) إلى هذا الحديث عند ترجمة «جعفر بن إبراهيم» وخرّجه من أكثر من طريق.

وللحديث شاهد جيد يأتي تخريجه في التعليقة التالية مباشرة. كما أورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (٥٠١٦) وعزاه للضياء ورمز لصحته، بلفظ: **«صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً، ولا تتخذوا بيتي عيداً، وصلوا عليّ وسلموا، فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»**.

كما أخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» رقم (٢٠) بإسناد آخر، بلفظ: **«لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»**.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

(2) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

قلت: وأخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» رقم (٣٠) مرسلاً. وأخرجه البزار في «مسنده» (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨ رقم ٥٠٩) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلموا فإن صلاتكم تبلغني».

* قال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عليّ إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد. وقد روي بهذا الإسناد أحاديث صالحة فيها مناكير، فذكرنا هذا الحديث لأنه غير منكر: **«لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً»، قد روي عن النبيّ ﷺ من غير هذا الوجه»** اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لشواهده.

سهيلُ بنُ أبي صالح قال: رآني الحسنُ بنِ الحسنِ بن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه عند القبرِ فناداني وهو في بيت فاطمةَ رضي الله عنها يتعشى فقال: هلُم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتُك عند القبر؟ فقلت: سلمتُ على النبيّ ﷺ، فقال: إذا دخلتَ المسجدَ فسلّم، ثم قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتَكم مقابرَ، وصلوا عليّ فإن صلاتَكم تبلُغني حيث كنتم. لعن الله اليهودَ والنصارى اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»** (ما أنتم ومن بالأندلس إلاّ سواءٌ)[1].

وروى مالكٌ في الموطأ[2] أن رسولَ الله ﷺ قال: **«اللّهمّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتدّ غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»**، وفي الباب أحاديث غيرُ ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبيُّ ﷺ **(عن ارتفاع القبر)** بالبناء أو نحوِه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناءِ عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها **(وأن يزادَ فيه فوق الشبر)** كما في السنن[3] عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُبنى على القبر أو يُزادَ عليه أو يُجصّص.

(وكل قبرٍ مشرفٍ) يعني مرتفع **(فقد أمر)** النبيّ ﷺ **(بأن يسوّى)** بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تُجاوز الشرعَ في ارتفاعها، **(هكذا صحّ الخبر)** وهو ما رواه مسلمٌ[4] عن ثُمامةَ بنِ شفيّ قال: كنّا مع فَضالةَ بن عُبيد بأرض الرومِ

---

(١) هذا من كلام الحسن بن الحسن.

(٢) في «الموطأ» (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ تنوير الحوالك) مرسلاً.
قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار مرسلاً بسند صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١/ ٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم مرسلاً.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥) عن زيد بن أسلم مرسلاً بسند صحيح.
وأخرجه أحمد موصولاً (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (٢/ ٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٣) و(٧/ ٣١٧) عن أبي هريرة بسند حسن.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً.

(٤) في صحيحه (٢/ ٦٦٦ رقم ٩٦٨).

برودس، فتُوفي صاحبٌ لنا، فأمر فضالةُ بنُ عبيد بقبره فسُوِّيَ ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وله[1] عن أبي الهياج الأسديّ، قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالب: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: «ألا تدَعَ تِمثالاً إلاّ طمسْتَه، ولا قبراً مشرِفاً إلاّ سوّيتَه».

[تحذيرَ النبيّ ﷺ الأمة عن إطرائه والغلوّ فيه]

(وحــذّر الأمــةَ عــن إطــرائــه   فـغـرّهـم إبـلـيـسُ بـاسـتـجـرائـه)

(فـخـالـفـوه جَـهـرةً وارتـكـبـوا   مـا قـد نـهـى عـنـه ولـم يـجـتـنـبـوا)

(وحذّر) النبيُّ ﷺ (الأمةَ عن إطرائه) أي الغلوّ فيه، كما في الصحيحين[2] عن عمرَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسولُه»**.

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إيّاكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين»**.

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله يا خيرَنا وابنَ خيرِنا وسيدَنا وابنَ سيدِنا، فقال: **«يا أيها الناسُ، قولوا بقولكمْ أو بعضَ قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، ما أُحِبّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ»**، رواه النسائي[4] بسند جيد.

---

(١) أي لمسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٦ رقم ٩٦٩).

(٢) البخاري (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥ رقم ٦٨٣٠) في حديث طويل، ومسلم رقم (١٦٩١) دون ذكر هذه الجملة.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/ ٢٦٨ رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٨ رقم ٣٠٢٩)، وابن حبان رقم (١٠١١ ـ موارد)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٤٦٦).
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وليس كذلك؛ فإن زيادة بن حصين لم يخرج له البخاري في صحيحه فهو على شرط مسلم فقط.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٤) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٨).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٩ و٣/ ٢٤١) وإسناده جيد.

وعن عبد الله بنِ الشِّخّير[1] قال: انطلقتُ في وفد بني عامرٍ إلى النبيّ ﷺ، فقلنا: أنت سيدُنا، فقال: **«السيدُ الله تعالىٰ»**، قلنا: وأفضلُنا فضلاً وأعظمُنا طَولاً، فقال: **«قولوا بقولكم أو بعضَ قولِكم، ولا يَستَجرِينّكم الشيطانُ»**.

وهذا كلُّه من حماية النبيِّ ﷺ جنابَ التوحيد، وكما قال لمن قال: تعالَوا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافقِ، قال: **«إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»**[2].

والله سبحانه وتعالىٰ قد بيَّن ما يجب اعتقادُه في حقِّ الرسلِ عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديقُ خبرِهم، وامتثالُ أمرِهم واجتنابُ نَهْيِهم، واتباعُهم على شريعتهم، ومحبّتهم هم وأتباعُهم، وتوابعُ ذلك، وهذا هو الذي دعَوا إليه لم يدَّعِ أحدٌ منهم الربوبية، ولا دعَوا إلىٰ عبادة أنفسِهم، ولا ينبغي لهم ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] الآيات.

وقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤/٤، ٢٥)، وأبو داود (١٥٤/٥ ـ ١٥٥ رقم ٤٨٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٨٧) بسند صحيح على شرطهما.
وهو حديث صحيح، صححه الألباني في تخريج «إصلاح المساجد» (ص١٣٩ رقم ١٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٥٩/١٠) من حديث عبادة بن الصامت. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

﴿إِن أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ عن نوحٍ عليه السلام: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال لصفوة خلقِه وخاتم رسلِه وسيدِ ولدِ آدمَ أجمعين محمدٍ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالىٰ له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن: ٢٠ ـ ٢٣] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآيات.

وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبيُّ ﷺ وقال: أيها الناسُ من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، إلى آخر خُطبته رضي الله عنه[١].

وهذا بابٌ واسعٌ كثيرةٌ النصوصُ فيه، بل ليست النصوصُ إلاّ فيه وفي متعلّقاته ومُكمِلاتِه.

---

(١) أخرجها البخاري في صحيحه (٧/١٩ ـ ٢٠ رقم ٣٦٦٧ رقم ٣٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[اغترار الأمة بإبليس ومخالفتهم نهي الرسول وتحذيره]

(فغرّهم) أي أكثرَ الأمةِ بعد ما سمعوا الزواجرَ والنواهيَ **(إبليسُ)** لعنه الله وأعاذنا منه **(باستجرائه)** أي باستهوائه إياهم، واستدراجِه لهم، وإدخالِهم في الهَلَكات شيئاً فشيئاً كما فعل بالأممِ السالفةِ قومِ نوحٍ فمن بعدَهم، وأتاهم على ما يهوَوْن، إما بغُلوّ وإما بجفاء، لا يبالي ما أهلكَ العبدَ به، سواءٌ قصره على الصراط المستقيمِ وهوّن عليه أمرَه حتى لا يدخُلَه ولا يسلُكَه، أو جاوزه به حتى يتبع سبيلَ الضلالِ فتفرّقَ به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسلَ من الكفار وعادَوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرةٍ زيّن لهم ذلك، وضرب لهم الأمثلةَ والمقاييسَ، وأنهم مثلُهم بشرٌ يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدّوهم عما كان يعبد آباؤُهم، وينتقصوا شيوخَهم بذلك، وتكونَ لهم الكبرياءُ في الأرض، وغيرُ ذلك.

والذين صدقوا الرسلَ واتبعوهم أتى الكثيرَ من خلوفهم وزيّن لهم الغُلوَّ فيهم بالكذب والقولِ عليهم بالبهتان، ورفعهم فوق منزلتِهم التي أنزلهم الله عزّ وجلّ، وأتاهم بذلك في صورة محبّتِهم وموالاتِهم حتى جعلهم مثلَه في البعد عن الله ورسلِه، ولم يسلَم من ذلك إلاّ عبادُ الله المخلِصون الذين هداهم الله صراطَه المستقيم، فلم يُقْصِروا عنه ولم يستبدلوا به غيرَه، بل استمسكوا به واعتصموا: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(فخالفوه) أي الذين استهواهم الشيطانُ خالفوا النصَّ من الكتاب والسنة **(جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه)** من الغلوّ والإطراءِ وما لم يأذن به الله **(ولم يجتنبوا)** ذلك ولا شيئاً، فنهى عن الحِلف بغير الله عزّ وجلّ وهؤلاء لا يحلفون إلاّ بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب، ولا يحلِفون بالندّ فيكذِبون.

ونهى أن تُقْرَنَ مشيئةُ العبدِ بمشيئة الله تعالىٰ، وهؤلاء يُثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدوّ والآصال، ويسألون منهم قضاءَ الحوائجِ دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاةُ منهم أن بعضَ الأولياءِ هو المتصرفُ في الكون والمدبّرُ له في كل حال.

ودعا الرسولُ ﷺ إلى عبادةِ الله وحده ودعائِه وحده لا شريك له، فدعَوا مع الله غيرَه، حتى دعَوا الرسولَ الآتيَ بذلك نفسَه مع الله عزّ وجلّ.

ونهى عن اتّخاذ القبورِ مساجدَ وهؤلاء يعكُفون عليها، ويصلّون عليها وإليها، بل ولها من دون الله عزّ وجلّ، وكثيرٌ منهم يفضلون الصلاةَ فيها على مساجد الله عزّ وجلّ التي بُنيت لذلك.

ونهى أن تُجصَّصَ القبورُ أو يُبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القِبابَ وزخرفوها، وحبَسوا عليها العَقاراتِ وغيرَها وأوقفوها، وجعلوا لها النذورَ والقُرباتِ، وكم عبادةٍ إليها دون الله صرفوها.

ونهى عن بناء المساجدِ عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بَنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتِهم، وما بينهم وبين بنائِهم عليها إلاّ موتُ أهلِها، أو حُلُمٌ يتمثّل الشيطانُ فيه أو خيالٌ أو سماعُ صوتٍ فيسارعون إلى ذلك أسرعَ من مسارعة أهلِ الدين إلى الكتاب السنة.

ونهى عن إيقاد السُّرجِ عليها، وهؤلاء يقفون الوقوفَ على تسريجها، ويجعلون عليها الشموع والقناديلِ ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما ندبهم الرسولُ ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنةِ التي عنى بها من فعل ذلك.

وقال ﷺ: **«لا تُشدّ الرحالَ إلاّ إلى ثلاثة مساجدَ»**[1]، الحديث.

وهؤلاء يضرِبون أكبادَ الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنّونهم صالحين مسافةَ الأيامِ والأسابيعِ والشهورِ ويرَون ارتكابَ ذلك المنهيِّ من أعظم القُربات.

ونهى ﷺ عن اتّخاذها أعياداً، وهؤلاء قد اتّخذوها أعياداً ومعابدَ، لا بل معبوداتٍ من دون الله عزّ وجلّ؛ ووقّتوا لها المواقيتَ زماناً ومكاناً، وصنّفوا فيها مناسكَ حجِّ المشاهدِ، وحجّوا إليها أكثرَ مما يُحَج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخلّ بشيءٍ من مناسكها أعظمَ جُرماً ممن أخلّ بشيء من مناسك الحجّ حتى إن من كان منهم قد حج عشراتِ مراتٍ أو أكثرَ يبايع من شهد أحدَ المشاهد أن يعاوِضَه بجميع حِجَجِه بتلك الزيارة فيمتنع أشدَّ الامتناعِ، ويخشعون عندها أكثرَ مما يُخشع عند شعائر الله.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «لا تُطروني كما أطْرت النصارى ابنَ مريم»[1]، وهؤلاء قد أطْرَوا مَن هو دونه من أمته بكثير بل قد أطْرَوا من لم يؤمن به ﷺ ساعةً من الدهر أعظمَ من إطراء النصارى ابنَ مريم، بل جعلوه هو الربَّ على سبيل الاستقلال.

وقال ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[2]، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سراً وجهراً وهتفوا باسم غيرِ الله في السرّاء والضرّاءِ والشدةِ والرخاءِ، وأخلصوا لهم الدعاءَ من دون الله عزّ وجلّ وصرَفوا إليهم جُلَّ العباداتِ من الصلاة والنُّذُر والنُّسكِ والطوافِ وغيرِ ذلك.

وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلانٌ فكيف بمن يقول يا فلانُ ما لي سواك، ويقول: قد استغثت الله فلم يُغِثني حتى استغثتُ فلاناً فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفته شيءٍ مما ينسبُونه إلى وليّه من الأكاذيب المختلقةِ والحكاياتِ الملفقة، وترى أكثرَ مساجدِ الله المبنيةِ للصلوات معطلةً حساً ومعنى، وفيها من الأزبال والكُناساتِ والأوساخِ ما لا يُعدّ ولا يُحصى، فإذا أتيتَ قِبابَ المقابرِ والمساجدِ المبنيةِ عليها رأيتَ بها من الزينة والزخارفِ والأعطارِ والزبْرقةِ والستورِ المنقشةِ المُعْلَمةِ المرصّعة، والأبوابِ المفضّضة المُحْكمة، ولها من السَّدَنة والخدّام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخلُ إليها والخارجُ منها من الزوّار ما لا تُحصيهم الأقلام، وعليها ـ من الأكسية والراياتِ والأعلامِ ـ ما لو قُسم لاستغنى به كثيرٌ من الفقراء والأراملِ والأيتامِ، فما ظنُّك بالوقوفِ المحبسةِ عليها، والأموالِ المجْبيّة إليها من الثمار والنقودِ والأنعام، فلا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

فأيُّ فاقرةٍ على الدين أصعبُ من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابثُ على الدين أعظمَ من هذا الضَّلال، وهل استطاع الأعداءُ من هدم قواعدِ الدينِ ما هدمه هؤلاء الضُّلّال، وهل تلاعب الشيطانُ بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجُهّال، فأيُّ منافٍ للتوحيد وأيُّ مناقضٍ له أقبحُ من هذا الشركِ والتنديد، تالله ما قومُ نوحٍ ولا عادٌ ولا ثمودُ ولا أصحابُ الأيكةِ بأعظمَ شركاً ولا أشدَّ كفراً من هؤلاء الملاحيدِ،

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

وليس أولئك بأحقَّ منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيراً من أولئك ولا براءةَ لهم من ذلك الوعيد، ولكنّ الله يُمهل ولا يُهمل وما بطشُه من الظالمين ببعيد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

[الغلوّ المفرط في الأموات وتعظيم قبورهم]

(فانظُر إليهم قد غلَوْا وزادوا ورفعوا بناءَها وشادوا)

(بالشيد والآجُرِّ والأحجارِ لا سيما في هذه الأعصار)

(فانظر) أيها المؤمنُ **(إليهم)** وإلى أعمالهم **(قد غلَوا)** في أهل القبورِ الغُلوَّ المُفرِطَ الذي نهاهم الله تعالىٰ ورسولُه ﷺ عنه **(وزادوا)** عما حذّرهم عنه الرسلُ **(ورفعوا بناءها)** أي بناءَ القبورِ المنهيِّ عن مجرّده قليلِه وكثيرِه **(وشادوا)** أي ضربوه **(بالشيد)** وهو الجصُّ **(والآجرّ)** اللبِنِ المُحَرّقِ **(والأحجار)** المنقشة المزخرفة **(لا سيما)** بزيادة **(في هذه الأعصار)** القريبةِ بعد ظهورِ دولةِ العبيديين[1] الذين قال فيهم أهلُ العلم: ظاهرُهم الرفضُ وباطنُهم الكفرُ المحض، فاعتنَوا ببناء القبابِ على القبور وزخرفتِها وتشييدها وجعلِها مشاهدَ، وندَبوا الناسَ إلى زيارتها وأتَوْا بذلك باسم محبةِ أهلِ البيتِ.

وكلُّ من جاء بعدهم من الدول المبتدعةِ زاد فيها وأحدثَ أكثرَ مما أحدث مَن قبله حتى اتّخذوها مساجدَ ومعابدَ إلى أن عُبدت من دون الله، وسألوا منها

---

(١) نسبة إلى عبيد الله المهدي ـ وأضفوا على أنفسهم لقب الفاطمية نسبة إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ وهي بريئة منهم ومن مفترياتهم. ولكنهم أرادوا ذلك تضليلاً على العامة، وسعياً وراء تحقيق مآربهم.

وعبيد الله المهدي هذا هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، والد الخلفاء الباطنية العبيدية الفاطمية، افترى أنه من ولد جعفر الصادق، وكان بسلمية ـ وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة ـ فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب، واستولى على بلاد المغرب، وأنشأ فيها دولته، وامتدّت بضعاً وعشرين سنة، غير اسمه ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة، توفي سنة (٣٢٢هـ) شهر ربيع الأول بالمهدية التي بناها. [انظر: «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٢/١٦ ـ ١٧)].

وانظر: «الإسماعيلية المعاصرة» لمحمد بن أحمد الجوير (ص٤٠ ـ ٤٢).

ما لا يقدِر عليه إلاّ الله، وفعلوا بها ما يفعل أهلُ الأوثانِ بأوثانهم وزادوا كثيراً فضلّوا عن سواء السبيل، وأضلّوا من قَدَروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلاّ اسمُه، ولا من الكتاب والسنةِ لديهم إلاّ لفظُه ورسمُه، ولكن الأرضَ لا تخلو من مجدّدٍ لمعالمِ الشريعةِ الحنيفيةِ، ومنبّهٍ على ما يُخلّ بها أو يناقضها من البِدَع الشيطانية، ولاَ تزال طائفةٌ من هذه الأمةِ أمةِ محمدٍ ﷺ على الحقّ ظاهرةً لا يضُرّهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالىٰ، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(وللقناديل عليها أوقدوا	وكم لواءٍ فوقها قد عقدوا)
(ونصبوا الأعلامَ والراياتِ	وافتتنوا بالأعظُم الرُفاتِ)
(بل نحروا في سوحها النحائرْ	فِعْلَ أولي التسييب والبحائرْ)
(والتمسوا الحاجاتِ من موتاهم	واتّخذوا إلٰههم هواهم)

(وللقناديل) من الشموع وغيرِها **(عليها)** أي على القبور وفي قِبابها **(أوقدوا)** تعرضاً للعنة من رسولِ الله ﷺ لمن فعل ذلك؛ إذ يقول: **«لعن الله زَوّاراتِ القبورِ والمتّخذين عليها المساجدَ والسُرج»**[1].

فأوقفوا لتسريجها الوقوفَ الكثيرةَ وجعلوا عليها سَدَنةً وخُدّاماً مُعَدّين لإيقادها، وويلٌ للسادن إن طفِئَ مصباحُ قبرِ الشيخ **(وكم لواء فوقها قد عقدوا)** تعظيماً لها وتألُّهاً ورغبةً ورهبة، **(ونصبوا)** عليها **(الأعلامَ والراياتِ)** لا سيما يومَ عيدِها لأنهم قد اتّخذوا لكل قبرٍ عيداً أي يوماً معتاداً يجتمعون فيه من أقاصي البلادِ وأدناها، كما أنّ الحجَّ يومُ عرفة، مخالفةً منهم ومشاقّةً لله ورسولِه؛ إذ يقول ﷺ: **«لا تتخذوا قبري عيداً»**[2]، فقد اتّخذوا قبورَ من هو دونه أعياداً، ومن فاته يومُ ذلك العيدِ المعتادِ فقد فاته المشهدُ، وفاته خيرٌ كثير، وفي ذلك العيدِ تُنصب الزينةُ الباهرةُ وتُدقّ الطبولُ والأعوادُ، ويجتمع الرجالُ والنساءُ في ميدان واحدٍ لابسين

---

(١) وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ «السرج»وقد تقدم تخريجه قريباً .

(٢) وهو حديث صحيح بشواهده وقد تقدم تخريجه قريباً.

زينَتهم، قد تعطّر كلٌّ من الجنسين بأطيبِ ما يجد ولبس أطيبَ ما يجد، وتُجبى الأموالُ من الأوقاف والنذورِ وغيرِها على اختلاف أجناسها، من نقودٍ وثمارٍ وأنعامٍ وخَراجاتٍ وغيرِها مما علم الله تعالىٰ أنها لا يُبتغى بها وجهُه، ولم تُنفق في مرضاته بل في مساخطه **(وافتتنوا)** في دينهم **(بالأعظم الرفات)** النَّخِرَة فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ دعاءً وتوكّلاً وخوفاً ورجاءً ونَذراً ونُسكاً وغيرَ ذلك.

(بل نحروا في سوحها) أي في أفنية القبورِ **(النحائر)** من الإبل والبقرِ والغنمِ إذا نابهم أمرٌ أو طلبوا حاجةً من شفاء مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو نحوِ ذلك، وأكثرُهم يَسِمُها للقبر من حينِ تولَد، ويربّيها له إلى أن تصلُح للقُربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرُها ولا تبديلُها ولا خصْيُها ولا وِجاؤُها، لا يذهب شيءٌ من دمها إذ ذلك عندهم نقصٌ فيها وبخسٌ، **(فِعلَ أولي التسييبِ والبحائر)** أي كفعل مشركي الجاهليةِ من العرب وغيرِهم في تسييبهم السوائبَ وتبحيرِ البحائرِ، وجعل الحامِ كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطاً في موضعه، غير أن أولئك سمَّوْهم آلهةً وشفعاءَ وسمَّوا مثلَ هذا الفعلِ بهم عبادةً، وهؤلاء سمَّوهم سادةً وأولياءَ، وسمَّوا دعاءَهم إياهم تبرّكاً وتوسّلاً، وكلاهما مُشركٌ في فعله بالله عزّ وجلّ، وهؤلاء أعظمُ شركاً وأشدُّ لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدّة، بل هم في الشدة أكثرُ شِركاً وأشدُّ تعلّقاً بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهليةِ الأولى فيشركون في الرخاء ويُخلصون لله في الشدّة، كما أخبرنا الله عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وغيرُها من الآيات.

(والتمسوا الحاجاتِ) التي لا يقدِر عليها إلاّ الله عزّ وجلّ **(من موتاهم)** من جلب الخيرِ ودفعِ الشرِّ **(واتخذوا إلَههم هواهم)** وهذا هو السببُ في عبادة غيرِ الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوِيَ أمراً أتاه، ولم يأتهم الشيطانُ من غير بابِ الهوى ولم يصطَد أحداً بغير شبكتِه، لأن الهوى يُعمي عن الحق، ويُضِلّ عن السبيل أتباعَه، وهو سببُ الشقاوةِ كما أن التزامَ الشريعةِ باطناً وظاهراً سببُ السعادة، فهما ضِدّان لا يجتمعان ولا يكون الحكمُ إلاّ لواحد منهما؛ لأن الشريعةَ تدلّ على مرضاة الله وتأمرُ بها، وتحذّر من مساخط الله وتنهى عنها، والهوَى بضدّ

ذلك، ولهذا قال ﷺ: «حُفت الجنةُ بالمكاره»[1]، يعني لمخالفة أسبابِها من الأعمال الصالحة للهوى، «وحفت النار بالشهوات»[2] لموافقة أسبابِها من المعاصي للهوى.

فطوبى لمن كان هواه تَبعاً لما جاء به رسولُ الله محمدٌ ﷺ، وويلٌ لمن قدَّم هواه على ذلك لقد هلك.

(قد صادهم إبليسُ في فِخاخه	بل بعضُهم قد صار من أفراخه)
(يدعو إلى عبادة الأوثانِ	بالمال والنفسِ وباللسان)

(قد صادهم) من الاصطياد بل[3] من مطاوع اصطاد، لأن التاء التي قلبت طاءً هي لمعنى الطلب، وأما حذفُها فيدلّ على وصول الطالبِ إلى مطلوبه، **(إبليس في فخاخه)** التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرِها في صورةِ الطاعات، فأولُ ما زيّن لقوم نوحٍ العكوفَ على صور صالحيهم ليتذكّروا عبادتهم الله تعالىٰ فيقتفوا أثرَهم فيها، ولَم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا.

وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمةِ، أولُ ما أشار عليهم ببناء القبابِ على القبور باسم محبةِ الأولياءِ ثم بالعكوفِ عليها وعبادةِ الله عزّ وجلّ عندها تبرّكاً وتيمّناً بتلك البقاعِ التي فُضّلت بهم إذ دُفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسِهم دون الله عزّ وجلّ، ثم استرسلوا في تلك العبادةِ شيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلوق صفاتِ الربوبيةِ من التصرّف فيما لا يقدِر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ، فصار الأمرُ كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القُرى والأمصار، وفي كل زمنٍ تشيُّعٍ وتزيُّدٌ وفي كل عصرٍ من الأعصار.

(بل بعضهم قد صار من أفراخه) المساعدين له الدّاعين إلى ما دعا إليه حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير **(يدعو إلى عبادة الأوثان)** من القبور وغيرِها **(بالمال والنفس واللسان)**، فمن دعايتهم إلى ذلك أنّهم يجمعون أنواعاً من المطالب

---

(١)و(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٣٠ رقم ٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ: «حُجِبَتِ النارُ بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنةُ بالمكاره».

(٣) الظاهر أن (بل) زائدة.

ويُدخلونها القبرَ إلى القبة المبنيةِ عليه في سراديبَ مُعَدة تحتها، فإذا أتى إليهم الجاهلُ المفتونُ ووقف على الحاجب، فإن لم يكن له مطلوبٌ معينٌ قال له: أدخل يدَك فما خرج فيها فهو البابُ الذي تُرزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده ترابٌ فحارِثٌ، وإن خرج قُطنٌ فحائِكٌ، وإن خرج فَحْمٌ أو نحوُه فحدّادٌ أو صائغ، وإن خرج آلةُ حجامة فحجّام، وإن خرج كذا فهو كذا، على قواعدهم يعرِفونها، ومَخرَقةٍ لهم يألفونها.

وإن كان له مطلوبٌ معينٌ قال له: ما تريد من الشيخ؟ قال: أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أُدخِل القبرَ، وإلاّ قال: ارجِع الآن وموعدُك الوقت الفلاني فإن الشيخَ الآن مشغولٌ، أو نحوَ ذلك من الأعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرّر الطلبَ أدباً معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلاّ وقد استعدّ له بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يَده خرج فيها ذلك المطلوبُ فحينئذ خرج ينادي: شيء لله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحداً أراه ذلك، وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناسِ بهذه الحِيَل والشعوذةِ ما لا يُحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناسِ فحسْب، بل احتالوا لسلب دينِهم وأخرجوهم من دائرة الإسلامِ إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصّاً بقبور الصالحين الذين عُرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أيُّ قبرٍ تمثل فيه الشيطانُ أو حُكيت له حكايةٌ أو رُئِيَت له رؤيا صدقاً كانت أو كذباً فقد استحقّ عندهم أن يُبنى عليه القِبابُ ويُعكفَ عنده وينذَرَ له ويُذبح عليه ويُستشفى به المرضى ويُستنزَلَ به الغيثُ، ويستغاثُ به في الشدائد ويسألَ منه قضاءُ الحوائج، ويخافَ ويُرجى ويتخذَ نِدّاً من دون الله عزّ وجلّ وتقدّس وتنزّه عمّا يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّاً كبيراً.

اللّه أكبرُ لو رأيتَ على القبو ... ر عُكوفهم صبحاً وبالإمساءِ
واللّهُ أكبرُ لو ترى أعيادَهم ... جَمْعَ الرجال معاً وجمعَ نساءِ
واللّه أكبر لو رأيت مساجداً ... بُنيت على الموتى بأي بناءِ
قد زُخرفت بحجارة منقوشة ... بالشِّيد قد ضُربت مع الإعلاء
ورؤوسُها قد زُيّنت بأهلّةٍ ... من أنفس المنقوشِ دون مراء
قد أُسرجت ولَكم على تسريجها ... وقَفوا الشموعَ لها بأي أداء

كم سادنٍ قد وكّلوه بشأنها ... طيباً وتنظيفاً وشأنَ ضياءِ
ويلٌ له لو قد أخلّ ببعض ذا ... ماذا يقاسي من ضروب بلاء
ولكم عليها رايةٌ قد نُشّرت ... ألوانُها سَلبت لقلب الرائي
وكرائمُ الأنعام تُنحر سوحها ... منذورةً يُؤتى بها لوفاء
لم يُفردوا ربَّ السماء بدعوة ... بل للقبور تجاوبوا بنداء
يدعونهم في كشف كلِّ مُلِمّةٍ ... في الجهر قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظّمونهمو بكل عبادةٍ ... يا صاحِ في السرّاء والضرّاء
وتراه بالرحمٰن يحلِف كاذباً ... وصفاتِه العُليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحَلْفَ بالمـ ... ـقبور ذا إن لم يكن ببراء
زادوا على شرك الذين إليهمو ... بُعث الرسولُ بأصدق الأنباء
إذ يُخلِصون لدى الكروبِ وهؤلا ... ءِ فشركُهم في شدّة ورَخاء
بل في الشدائد شركُهم أضعافُ ما ... قد أشركوا في حالة السرّاء
فتراه يَنذِر في الرخاء ببَدْنةٍ ... وببدْنتين لدى اشتدادِ بلاء
وجميعُ ما يأتيه في سرّائه ... فله به الأضعافُ في الضرّاء
تاللّه ما ظَفِر اللعينُ بمثلها ... من بعض أهلِ الشرعةِ الغرّاء
حتى إذا ما هيّأوا لعدوّهم ... سببَ الدخولِ وسُلَّمَ الإغواء
طمِع العدوُّ بهم لنيل مرادِه ... منهم فغرَّ القومَ باستجداء
لما أساءوا الظنَّ بالوحيينِ لـ ... ـكنْ أحسنوه بزُخرف الأعداء
لم يهتدوا بالنص قطُّ بل اقتفَو ... آراءَ مَن قد كان عنها نائي
نبذوا الكتابَ فلم يُقيموا نصَّه ... إذ كان ميلُهمو إلى الأهواء
وعبادةُ الأوثانِ قد صارت لهم ... ديناً تعالىٰ اللّهُ عن شركاء
وطرائقَ البِدعِ المُضِلّةِ صيّروا ... سبلاً مكانَ المِلّةِ السمحاء
يا ربِّ ثبِّتْنا على دين الهدى ... وعلى سلوك طريقِه البيضاء
واردُدْ بتوفيق إليها من نأى ... ممن قد استهوى أولو الإغواء
يا ربّنا فاكشِف غطاءَ قلوبنا ... بالنور أخرِجْنا من الظّلماء
واسلُك بنا نهجَ النجاةِ ونجّنا ... من حَيرةٍ وضلالةٍ عمياء
واجعل كتابَك يا كريمُ إمامَنا ... ورسولَك المِقدامَ للحنفاء

وانصُر على الأعداء حزبَك إنهم خَبَطَتْهمو فتنٌ من الأعداء
راموا بنا السُّوأى بسوء مكايدٍ فاقصِمْهمو يا ربّ للأسواء
واردُد إلهي كيدهم في بَيْدهم وأبِذْهمو بَيْداً عن البيداء
أظهر على الأديان دينَك جهرةً وشعارَه فارفع بدون خفاء
واجعل لوجهك خُلَّصاً أعمالَنا بعبادة وولايةٍ وبَراء[1]

---

(١) هذه الأبيات من شعر المؤلف ـ رحمه الله ـ وقد ورد بعض منها في قصيدته الطويلة (همزية الإصلاح) التي مطلعها:

حمداً بلا حد ولا إحصاء للَّه مولى الحمد والنعماء

احتفظ بأصلها المخطوط بقلم ناظمها، أسأل الله أن يعين على نشرها قريباً. (أحمد بن حافظ الحكمي).

[ال] فَصْل: [الثامن]
في بيان حَقيقة السِّحر وحكم الساحر
وذكرِ عقوبةِ من صَدَّق كاهناً



أي ما عليه من العقوبة شرعاً، وأن منه أي من السحر علمَ التنجيم، وهو النظرُ في النجوم الآتي بيانُه، وذكرِ عقوبةِ من صدق كاهناً بقلبه، ويعني عقوبتَه الوعيدية.

والبحثُ في هذا الفصل في أمور:

(الأول): هل السحرُ حقيقةٌ وقوعُه ووجودُه أم لا؟

(الثاني): أنواعُه.

(الثالث): حكمُ متعلّمِه إن عَمِل به أو لم يعمل.

(الرابع): عقوبتُه شرعاً ووعيداً.

[بيان حقيقة السحر وتأثيره]

(والسحرُ حقٌّ وله تأثيرُ — لكن بما قدّره القديرُ)

(أعني بذا التقديرِ ما قد قدّرهْ — في الكون لا في الشِّرْعة المطهَّرهْ)

هذا هو البحثُ الأولُ في حقيقته وتأثيرِه.

(والسحر حقٌّ) يعني متحققٌ وقوعُه ووجودُه، ولو لم يكن موجوداً حقيقةً لم ترِد النواهي عنه في الشرع، والوعيدُ على فاعله، والعقوباتُ الدينيةُ والأخرويّةُ على متعاطيه والاستعاذةُ منه أمراً وخبراً.

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه كان موجوداً في زمن فرعونَ وأنه أراد أن يعارضَ به معجزاتِ نبيِّ الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومُه به بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: ٣٤ ـ ٣٧]، وقال تعالىٰ عن السحرة: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٦ ـ ٦٩].

يقال: إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحدٍ منهم حبلٌ وعصا، فأخذوا بأبصار الناسِ بسحرهم وألقَوا تلك الحبالَ والعِصِيَّ فرآها الناسُ حياتٍ عِظاماً ضِخاماً؛ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ [طه].

يعني العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓا۟﴾ أي السحرةُ، أي ما اختلقوا وائتفكوا من الزُّور والتخييل، ولهذا قال تعالىٰ في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، وهوَّن الله أمرَهم على نبيّه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، مكرُه وخداعُه.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف]، إلى آخر الآيات. وقد أخبر الله تعالىٰ عن قوم صالحٍ وكانوا قبل إبراهيمَ عليه السلام أنهم قالوا لنبيّهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

وقالت قريشٌ لنبيّنا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالىٰ ذلك عنهم في غير موضع، بل ذكر الله عزّ وجلّ أن ذلك القولَ تداوله كلُّ الكفارِ لرسلهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ [الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣] الآية.

وقال سبحانه في ذمّ اليهودِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:

٤]، والنفاثاتُ هنّ السواحرُ يعقِدْن وينفُثْن. والمقصودُ أنه قد ثبت بهذه النصوصِ وغيرِها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحرَ حقيقةٌ وجودُه.

(وله تأثيرٌ) فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتُل ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرِّق بين المرءِ وزوجِه، (لكنْ) تأثيرُه ذلك إنما هو (بما قدّره القدير) سبحانه وتعالىٰ، أي بما قضاه وقدّره وخلقه عندما يُلقي الساحرُ ما ألقى، ولذا قلنا (أعني بذا التقديرِ) في قوله بما قدّره القديرُ (ما قد قدّره في الكون) وشاءه (لا) أنه أمرَ به (في الشرعة) التي أرسل الله بها رسلَه وأنزل بها كتبَه (المطهرة)، من ذلك وغيرِه، كما تقدم أن القضاءَ والأمرَ والحكمَ والإرادةَ كلٌّ منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكونيُّ يشمل ما يرضاه الله ويُحِبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعيُّ يختصّ بمرضاته سبحانه وتعالىٰ ومَحابِّه، ولهذا قال تعالىٰ في الشرعي: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

فأخبر تعالىٰ أنه يريد بعباده اليسرَ ولا يريد بهم العسرَ، وأنه يرضى لهم الشكرَ ولا يرضى لهم الكفرَ، مع كون كلٍّ من العسر واليسرِ والشكرِ والكفرِ واقعٌ بقضاء الله وقدرِه وخلقِه وتكوينِه ومشيئتهِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

والمقصودُ أن السحرَ ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضرّاً، وإنما يؤثر بقضاء الله تعالىٰ وقدره، وخلقِه وتكوينِه، لأنه تعالىٰ خالقُ الخيرِ والشر، والسحرُ من الشر، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهو القضاءُ الكونيُّ القدري، فإن الله تعالىٰ لم يأذن بذلك شرعاً.

وقد ثبت في الصحيحين[١] من طرق عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سُحر رسولُ الله ﷺ حتى إنه ليُخيّل إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عزّ وجلّ ودعاه ثم قال: «أشعَرتِ يا عائشةُ أن الله قد

---

(١) البخاري رقم (٣٠٠٤، ٣٠٩٥، ٥٤٣٠، ٥٤٣٢، ٥٤٣٣، ٥٧١٦، ٦٠٢٨ ـ البغا)، ومسلم (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٩).

أفتاني فيما استفيتُه فيه»، قلت: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: **«جاءَني رجلان فجلس أحدُهما عند رأسي والآخرُ عند رجلي، ثم قال أحدُهما لصاحبه: ما وجعُ الرجل؟ قال: مطبوبٌ. قال: ومن طبّه؟ قال: لبيدُ بنُ الأعصم اليهوديُّ من بني زُريق، قال: فيماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطةٍ وجُفِّ طَلعةِ ذكَرَ. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أرْوَان[1]»**، قال: فذهب النبيُّ ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشةَ فقال: **«والله لكأن ماءَها نُقاعةُ الحِنّاء، ولكأن نخلَها رؤوسُ الشياطين»**. قلت: يا رسولَ الله أفأخرجْتَه؟ قال: **«لا، أما أنا فقد عافاني الله عزّ وجلّ وشفاني وخَشِيتُ أن أثورَ على الناس منه شراً»**، وأمر بها فدُفنت.

وفي رواية قال: ومن طبّه؟ قال: لبيدُ بن الأعصم رجلٌ من بني زريق حليفٌ ليهودَ كان منافقاً، قال: وفيمَ؟ قال: في مُشط ومُشاقةٍ، قال: وأين؟ قال: في جُفِّ طلعةِ ذكر تحت راعوفةٍ في بئر ذروانَ ـ وذكره ـ هذا لفظ البخاري[2].

المُشاطةُ ما يخرج من الشعر، والمُشط أسنانُ ما يُمشَط به، والمُشاقة من مشاقة الكَتان، وجُفّ طلعة غشاؤُها، وهو الوعاءُ الذي يكون فيه الطَّلْعُ، تحت راعوفةٍ هو حجرٌ يُترك في البئر عند الحفر، ثابتٌ لا يستطاع قلعُه، يقوم عليه المستقي، وقيل: حجرٌ على رأس البئر يستقي عليه المستقي، وقيل: حجرٌ بارزٌ من طيّها يقف عليه المستقي والناظرُ فيها، وقيل: في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعُه لصلابته، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

[ما نقله النووي عن المازري في إثبات السحر وحقيقته]

قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله تعالىٰ في شرح مسلم[3]: «قال المازَريّ رحمه الله تعالىٰ: مذهب أهل السنةِ وجمهورِ علماءِ الأمةِ على إثبات السحرِ، وأن

---

(١) في بئر ذي أروان: هكذا هو في جميع نسخ مسلم: ذي أروان. وكذا وقع في بعض روايات البخاري ـ (رقم ٥٤٣٣ ـ البغا) ـ وفي معظمها: ذروان، وكلاهما صحيح. والأول أجود وأصح. وادّعى ابن قتيبة أنه الصواب، وهو قول الأصمعي. وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) في صحيحه رقم (٥٤٣٢ ـ البغا).

(٣) في شرح مسلم (١٤/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

له حقيقةً كحقيقة غيره من الأشياء الثابتةِ خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقتَه وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلةٍ لا حقائقَ لها، وقد ذكره الله تعالىٰ في كتابه وذكر أنه مما يُتعلّم، وذكر ما فيه إشارةٌ إلى أنه مما يُكفر به، وأنه يفرق بين المرءِ وزوجِه، وهذا كلُّه لا يمكن فيما لا حقيقةَ له، وهذا الحديثُ أيضاً مصرّحٌ بإثباته وأنه أشياءُ دُفِنت وأُخرجت، وهذا كلُّه يُبطل ما قالوه، فإحالةُ كونِه من الحقائق مُحالٌ، ولا يُستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالىٰ يخرِق العادةَ عند النطق بكلام ملفّقٍ، أو تركيبِ أجسامٍ، أو المَزْجِ بين قُوى على ترتيب لا يعرِفه إلاّ الساحرُ، وإذا شاهد الإنسانُ بعضَ الأجسامِ منها قاتلةٌ كالسموم، ومنها مُسْقمة كالأدوية الحادّة، ومنها مُضِرّة كالأدوية المضادّة للمرض لم يستبعد عقلُه أن ينفرد الساحرُ بعلمِ قُوىً قتالةٍ أو كلام مهلكٍ أو مؤدّ إلى التفرقة. قال: وقد أنكر بعضُ المبتدعةِ هٰذا الحديثَ بسبب آخرَ فزعم أنه يُحطّ من منصِب النبوّة ويشكك فيها، وأن تجويزَه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعةُ باطلٌ، لأن الدلائلَ القطعيةَ قد قامت على صدقه وصحتِه، وعصمتُه ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزةِ شاهدةٌ بذلك، وتجويزُ ما قام الدليلُ بخلافه باطلٌ.

فأمّا ما يتعلق ببعض أمورِ الدنيا التي لم يُبعث بسببها ولا كان مفضّلاً من أجلها ـ وهو مما يعرِض للبشر ـ فغيرُ بعيدٍ أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقةَ له، وقد قيل إنه إنما كان يخيّل إليه أنه وطِئَ زوجاتِه وليس بواطئ، وقد يتخيّل الإنسانُ مثلَ هذا في المنام فلا يبعد تخيُّله في اليقظة ولا حقيقةَ له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعلَه وما فعله، ولكن لا يَعتقد صِحةَ ما يتخيله فتكون اعتقاداتُه على السَّداد.

قال القاضي عياضٌ رحمه الله تعالىٰ: وقد جاءت رواياتُ هذا الحديثِ مبينةً أن السحرَ إنما تسلط على جسده وظواهرِ جوارحِه لا على عقله وقلبِه واعتقادِه، ويكون معنى قولِه في الحديث: حتى يظنُّ أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدّمِ عادته القدرةُ عليهن، فإذا دنا منهن أخذتْه أخذةُ السحرِ فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كم يعتري المسحورَ.

وكلُّ ما جاء في الروايات من أنه يخيّل إليه فِعلُ شيءٍ لم يفعله ونحوُه

فمحمولٌ على التخيّل بالبصر لا كالخلل تطرّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يُدخل لَبْساً على الرسالة، ولا طعناً لأهل الضلالة والله أعلم»اهـ.

قلت: قولُ المازَريِّ خلافاً لمن أنكر ذلك، قال ابنُ هبيرةَ[1] رحمه الله تعالىٰ: «أجمعوا على أن السحرَ له حقيقةٌ، إلا أبا حنيفةَ فإنه قال: لا حقيقةَ له عنده، ثم ذكر الاختلافَ في حكم الساحرِ».

وقال القُرطبيُّ[2] رحمه الله تعالىٰ: «وعندنا أن السحرَ حقٌّ وله حقيقةٌ يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ حيث قالوا إنه تمويهٌ وتخييل»اهـ.

قلت: قد ثبت وتقرّر من هذا وغيره تحققُ السحرِ وتأثيرُه بإذن الله بظواهر الآياتِ والأحاديثِ وأقوالِ عامةِ الصحابة، وجماهيرِ العلماءِ بعدهم روايةً ودراية، فأما القتلُ به والأمراضُ والتفرقةُ بين المرءِ وزوجهِ وأخذُه بالأبصار فحقيقةٌ لا مكابرةَ فيها، وأما قلبُ الأعيان: كقلب الجمادِ حيواناً وقلبِ الحيوانِ من شكل إلى آخر، فليس بمُحال في قدرة الله عزّ وجلّ ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعلُ في الحقيقة وهو الفعّال لما يريد، فلا مانعَ من أن يحول الله ذلك عند ما يُلقي الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاءً وفتنةً لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالىٰ به في الواقعِ من سَحَرة فرعونَ في قصّتهم مع موسى إنما هو التخييلُ والأخذُ بالأبصار حتى رأوا الحبالَ والعِصِيَّ حيّاتٍ، فنؤمن بالخبر ونصدّقه ولا نتعدّاه ولا نبدل قولاً غيرَ الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم، وبالله التوفيق.

[بيان حكم الساحر وأنه كافر]

(واحكُم على الساحر بالتكفير	وحدُّه القتلُ بلا نكير)
(كما أتى في السنة المصرحة	مما رواه الترمذي وصححه)
(عن جُندُبٍ وهكذا في أثر	أمرٌ بقتلهم رُوي عن عمرِ)
(وصح عن حفصةَ عند مالكِ	ما فيه أقوى مرشدٍ للسالك)

[1] «الإفصاح» لابن هبيرة (٢/٢٢٦).
[2] في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٤٦).

هذا هو الحكمُ الثاني، وهو حكمُ الساحرِ **(واحكم على الساحر)** تعلّمه أو علّمه، عَمِل به أو لم يعمَل **(بالتكفير)** أي بأنه كفر بهذا الذنبِ الذي هو السحرُ، وذلك واضحٌ صريحٌ في آية البقرة بأمور: منها سببُ عدولِ اليهودِ إليه وهو نبذُهم الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهورِهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

سواءٌ أريد بالكتاب التوراةُ التي بأيديهم، أو القرآن الذي جاء به محمدٌ ﷺ، كلُّ ذلك نبذُه كفرٌ، وقد علم أن السحرَ لا يعمل إلاّ مع من كفر بالله، وهذا معلومٌ من سبب نزول الآية، كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ[1] وغيرُه: إن اليهودَ سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلاّ أنزل الله سبحانه وتعالىٰ ما سألوه عنه فيخصِمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلمُ بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآيات.

(ومنها) قولُه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] تتقوّله وتُزوِّره ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي في ملكه وعهدِه، ومعلومٌ أن استبدالَ ما تتلوه الشياطينُ وتتقوّله والانقيادَ له العملَ به عوضاً عمّا أوحى الله تعالىٰ إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عبادة الطاغوتِ التي هي أصلُ الكُفر، وقد سمّى الله تعالىٰ طاعةَ العلماءِ والأمراءِ في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادةً وأنه اتخاذٌ لهم أرباباً من دون الله، فقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] اية.

قال عديُّ بنُ حاتمٍ ﷺ حين سمع رسولَ الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبُدهم، قال: **«أليس يُحلون ما حرم الله فتُحِلّونه، ويُحرمون ما أحل الله فتحرّمونه»؟** قالوا:

---

(١) أثر مرسل مأخوذ عن أهل الكتاب أو عمّن أخذ عن أهل الكتاب، وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها. (تفسير ابن كثير ١/ ١٤٠).

بلى، قال: «فتلك عبادتُكم إياهم»[1].

ولهذا قال تعالىٰ بعدها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فإذا كان هذا في طاعة الأحبارِ والرهبان، فكيف في طاعة الشيطانِ فيما ينافي الوَحْي، فهل فوق هذا الشركِ من كفر؟ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣].

وعبادةُ الشيطان هي اتباعُه فيما أمر به من الكفر والضلالِ ودعا إليه، كما قال عزّ وجلّ فيه إنما يدعو حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يسٓ].

(ومنها) قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، برَّأ الله سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٢٧٨ رقم ٣٠٩٥) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث «عبد السلام بن حرب» و«غطيف بن أعين» ليس بمعروف في الحديث» اهـ.
قلت: عبد السلام هذا ثقة حافظ له مناكير كما ذكره ابن حجر في «التقريب» (١/٥٠٥ رقم ١١٨٦).
وأما غطيف هذا فضعفه ابن حجر في «التقريب» (٢/١٠٦ رقم ٢١)، والذهبي في «الميزان» (٣/٣٣٦)، ووثقه ابن حبان (٧/٣١١)، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/٥٥ رقم ٣١٥) ولم يتكلم فيه بشيء، وكذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/١٠٦ رقم ٤٧١) مع إخراجه للحديث.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/١١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/١٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٧٤) وزاد نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
وللحديث شاهدان:
(الأول): من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/١٠٩)، والبيهقي (١٠/١١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/١١٤).
وهو وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع كما هو مقرر في مصطلح الحديث.
(الثاني): من حديث أبي العالية عند ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/١١٥)، **وقد حسن الحديث الألباني في «غاية المرام» رقم (٦) وابن تيمية في «الإيمان» (ص٦٤).**
وهو كما قالا.

وتعالىٰ نبيَّه عليه السلام من الكفر، وهذا الكفرُ الذي برأه تعالىٰ منه هو علمُ الساحرِ وعملُه، وإن كان بريئاً من الكفر كله معصوماً مما دونه، لكن سياقَ الآيةِ في خصوص السحرِ وأنه بريءٌ منه ولو فُرض وجودُ عملِه به لكفر، لأنه شِركٌ، والشركُ أقبحُ الذنوبِ وأعظمُ المحبطاتِ للأعمال، كما قال تعالىٰ في جميع رسلِه سليمانَ وغيرِه عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وهذا معلومٌ من أصل القصةِ، فإن اليهود قاتلهم الله تلقَّوا السحرَ عن الشياطين ونسبوه إلى سليمانَ عليه السلام، فبرأه الله تعالىٰ من إفكهم بهذه الآية؛ كما قال مجاهدٌ[1] رحمه الله تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال: كانت الشياطينُ تستمع الوَحْيَ فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلَها، فأرسل سليمانُ عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما تُوفي سليمانُ وجدتْه الشياطينُ وعلّمتْه الناسَ وهو السحر.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[2] رحمه الله تعالىٰ: كان سليمانُ عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطينِ من السحر فيأخذه منهم فيدفِنهُ تحت كرسيِّه في بيت خِزانتِه فلم تقدر الشياطينُ أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلمُ الذي كان سليمانُ يسخِّر به الشياطينَ والرياحَ وغيرَ ذلك؟ قالوا: نعم، قالوا: فإنه في بيت خِزانته وتحت كرسيِّه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعَمِلوا به، فقال أهل الحجاز ـ يعني اليهودَ من أهل الحجاز ـ كان سليمانُ يعمل بهذا وهذا سِحرٌ، فأنزل الله تعالىٰ على نبيِّه محمد ﷺ براءةَ سليمانَ عليه السلام، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٧) وفي سنده أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، وهو سيء الحفظ.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٩) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، واتّهمه بعضهم.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً.

كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بن يسار[1]: عمَدت الشياطينُ حين عَرَفت موتَ سليمانَ بنِ داودَ عليهما السلامُ فكتبوا أصنافَ السحرِ، من كان يحب أن يبلُغَ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنّفوا أصنافَ السحرِ جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتمِ سليمانَ، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصفُ بنُ برخيا الصديقُ للملك سليمانَ بنِ داودَ من ذخائر كنوزِ العلم. ثم دفنوه تحت كرسيِّه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيلَ حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثَروا عليه قالوا: والله ما كان ملكُ سليمان إلاّ بهذا، فأفشَوا السحرَ في الناس فتعلموه وعلّموه، فليس هو في أحد أكثرَ منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكرَ رسولُ الله ﷺ - فيما نزل عليه من الله سليمانَ بنَ داودَ وعدّه فيمن عدّ من المرسلين - قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعُم أن ابنَ داودَ كان نبياً، والله ما كان إلاّ ساحراً.

وأنزل الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وروى ابنُ أبي حاتم[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصفُ كاتبَ سليمانَ، وكان يعلم الاسمَ الأعظمَ، وكان يكتب كلَّ شيءٍ بأمر سليمانَ ويدفِنه تحت كرسيِّه، فلما مات سليمانُ أخرجتْه الشياطينُ فكتبوا بين كلِّ سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمانُ يعمل به. قال: فأكفرَه جُهّالُ الناس وسبُّوه، ووقف علماءُ الناس، فلم يزل جهالُ الناسِ يسبّونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٦) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف واتّهمه بعضهم.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً.

(٢) في تفسيره (١/ ٢٩٧ رقم ٩٨٨) في إسناده المنهال بن عمرو: صدوق ربما وهم وباقي رجاله ثقات.
والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٩) سنداً ومتناً. ولعل ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب.

وتفاسيرُ السلفِ وآثارُهم في هذه الآيةِ كثيرةٌ جداً، وما كان منها إسرائيلياً فهو من القسم المقبولِ لموافقته ظاهرَ الآيةِ في أن اليهودَ تعلموا السحرَ من الشياطين ورمَوا به نبيَّ الله سليمانَ، وأكفروه به وسبُّوه، وخاصموا به محمداً رسولَ الله ﷺ ونبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، فبيّن الله تعالىٰ ما لبّسوه وهدم ما أسّسوه وبرأ نبيَّه سليمانَ عليه السلام مما ائتفكوه، وأقام الحجةَ عليهم في بُطلان ما انتحلوه، فللّه الحمد والمنّة.

(ومنها) قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أكذب الله تعالىٰ اليهودَ فيما نسبوه إلى نبيّه سليمانَ عليه السلام بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهم إنما نسبوا السحرَ إليه، ولازِمُ ما نسبوه إليه هو الكفرُ لأن السحرَ كفرٌ، ولهذا أثبت كفرَ الشياطينِ بتعليمهم الناسَ السحرَ، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك كلُّ من تعلم السحرَ أو علّمه أو عمِل به يكفُر ككفر الشياطينِ الذين علّموه الناسَ؛ إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخِرّيجُه، عنه رَوى وبه تخرّج وإياه اتّبع، ولهذا قال تعالىٰ في الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فبيّن تعالىٰ أنه بمجرّد تعلّمِه يكفر سواءٌ عَمِل به وعلّمه أو لا.

وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما قال: فإذا أتاهما الآتي مريدُ السحرِ نَهَياه أشدَّ النهي وقالا له: إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر، وذلك أنهما علّما الخيرَ والشرّ والكفرَ والإيمانَ، فعرَفا أن السحرَ من الكفر، قال: فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتيَ مكانَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٩ رقم ١٠١٧) وفيه أبو جعفر الرازي، وهو سيء الحفظ كما تقدم.
والأثر أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٧) معلقاً عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس.
وزاد في آخره: «فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلّمه، فإذا تعلم خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه، يا ويله ماذا أصنع؟» اهـ.
وأورد ابن أبي حاتم هذه الزيادة في الأثر رقم (١٠٢٨).

كذا وكذا، فإذا أتى عاين الشيطانَ فعلّمه، فإذا تعلّمه خرج منه النورُ، فنظر إليه ساطعاً في السماء، فيقول: يا حسرتاه يا ويلَه ماذا صنع.

وروى ابن أبي حاتم(١) عن الحسن البصْريِّ أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أُنزل الملكانِ بالسحر ليعلما الناسَ البلاءَ الذي أراد الله تعالىٰ أن يبتليَ به الناسَ، فأخذ عليهما الميثاقَ أن لا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر.

وقال قتادةُ(٢): كان أخذ عليهما أن لا يعلمان أحداً حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاءٌ ابتلينا به ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وقال السديّ(٣): إذا أتاهما إنسانٌ يريد السحرَ وعَظاه وقالا له: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبى قالا له: ائتِ هذا الرمادَ فَبُلْ عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخُلَ السماءَ وذلك الإيمانُ، وأقبل شيءٌ أسودُ كهيئة الدخان حتى يدخُلَ في مسامعه وكلِّ شيء، وذلك غضبُ الله، فإذا أخبرهما بذلك علّماه السحرَ، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وعن ابن جُريجٍ(٤) في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلاّ كافر، والفتنةُ هي المحنةُ والاختبار.

---

(١) في تفسيره (١/ ٣١٠ رقم ١٠١٨) بسند ضعيف.
ولكن أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦١) بسند رجاله ثقات عن الحسن وقتادة جزءاً من هذا الأثر.
وأورد ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٧) الأثر معلقاً عن الحسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٠ رقم ١٠١٩) بسند فيه أبو جعفر سيء الحفظ.
لكن تابعه معمر عن قتادة عند ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٤٦٢) دون قوله: «أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر»، فيكون إسناده حسناً لغيره.
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) عن قتادة بدون سند، بل عزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦١).
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٨) معلقاً عن السدي.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦٢)، وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٨).

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيدُ لم يُطلق إلاّ فيما هو كفرٌ لا بقاءَ للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلاّ ويدخل الجنّةَ، وكفى بدخول الجنةِ خلاقاً، ولا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مؤمنة؛ ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ السحرَ وسائرَ الذنوب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

وهذا من أصرح الأدلةِ على كفر الساحرِ ونَفْيِ الإيمانِ عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتّقى، وإنما قال تعالىٰ ذلك لمن كفر وفجَر، وعَمِل بالسحر، واتّبعه وخاصم به رسولَه، ورمى به نبيَّه، ونبذ الكتابَ وراء ظهرِه، وهذا ظاهرٌ لا غُبارَ عليه، والله أعلم.

وقد صرّح بذلك أئمةُ السلفِ من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القَدْر، الذي يصير به كافراً، والصحيحُ أن الساحرَ المتعلّمَ من الشياطين كلُّه كفرٌ قليله وكثيرُه؛ كما هو ظاهرُ القرآن.

[الكلام على أن حدَّ الساحر القتل]

(وحدّه) أي حدُّ الساحر **(القتلُ)** ضربُه بالسيف **(بلا نكير)** بل هو ثابتٌ بالكتاب من عمومِ النصوصِ في الكفار المرتدّين وغيرِهم **(كما أتى)** ثابتاً **(في السنة المصرحة)** الثابتةِ عن النبيّ ﷺ **(مما رواه الترمذي)** محمدُ بنُ عيسى بنِ سَورة ـ بمهملتين ـ ابنِ موسى بن الضحاك السلَميُّ، أبو عيسى التِّرمِذيُّ[1] الحافظُ الضريرُ أحدُ الأعلام وصاحبُ الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيرِه، وعنه محمدُ بنُ إسماعيلَ السمرقنديُّ وحمادُ بنُ شكر، وأبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ المحبوبيُّ راوي الجامع، والهيثمُ بنُ كُليبٍ وخلقٌ من أهل سَمَرْقند ونَسَف وتلك الديار[2].

---

(١) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٣ رقم ٦٥٨).

(٢) انظر الكلام على سنن الإمام الترمذي في «الفصل المبين على عقد الجوهر الثمين» وهو=

وقال ابن حبان: كان ممن جمع وصنّف، قال أبو العباس المستغفري: مات سنةَ تسعٍ وسبعين ومائتين ـ مرفوعاً ـ **(وصححه)** موقوفاً **(عن جندب)** هو ابنُ عبد الله بنِ سفيانَ البَجليُّ العلقميُّ، أو العلقي[1]، له ثلاثةٌ وأربعون حديثاً اتفقا على سبعة وانفرد مسلمٌ بخمسة.

روى عنه الحسنُ وابنُ سيرين وأبو مِجْلَز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالىٰ: «بابُ ما جاء في حدِّ الساحرِ: حدثنا أحمدُ بنُ منيعٍ حدثنا أبو معاويةَ عن إسماعيلَ بنِ مسلم عن الحسن عن جُندُب قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«حدُّ الساحرِ ضَرْبَةٌ بالسيف»**[2]، هذا حديثٌ لا نعرِفه مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه، وإسماعيلُ بنُ مسلم المكيُّ يُضعّف في الحديث من قِبل حِفظه، وإسماعيلُ بنُ مسلمِ العبديُّ البصْريُّ قال وكيعٌ: هو ثقةٌ ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيحُ عنْ جُندبٍ موقوفاً، والعملُ على هذا الحديثِ عند بعضِ أهلِ العلمِ من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم وهو قولُ مالكِ بنِ أنسٍ، وقال الشافعيُّ، إنما يُقتَل الساحرُ إذا كان يعملُ في سحرِهِ ما يبلُغ الكفرَ، فإذا عمِل عملاً دون الكفرِ فلم نَرَ عليه قتلاً»، ويعني بقوله: ما يبلغ الكفرَ، أي ما كان فيه اعتقادُ التصرفِ لغير الله، وصرفُ العبادةِ له كما يفعله عبّادُ هياكل النجوم من أهل بابلَ وغيرِهم، والله أعلم.

(وهكذا في أثرٍ، أمرٌ بقتلهم) يعني السحرةَ **(روى عن عمرٍ)** ابنِ الخطابِ بنِ

= شرح للأربعين العجلونية تأليف: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ص ١٨٥ ـ ١٩١).
وانظر: «فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي». تأليف الحافظ تقي الدين أبي القاسم عُبيد بن محمد الإسعردي، حققه وعلق عليه: السيد صبحي السامرائي.

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» رقم (٨٠٤)، و«الإصابة» رقم (١٢٢٦)، و«الاستيعاب» رقم (٣٤٤)، و«خلاصة تهذيب الكمال» (١/ ١٧٣)، و«الوافي بالوفيات» (١١/ ١٩٣).

(٢) **وهو حديث ضعيف.**
أخرجه الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٠ رقم ١٤٦٠)، والدارقطني (٣/ ١١٤ رقم ١١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠).
قلت: في سنده إسماعيل بن مسلم المكي: قال عنه أحمد وغيره، منكر الحديث.
وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.
انظر «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٣٧٢)، و«المجروحين» (١/ ١٢٠)، و«الميزان» (١/ ٢٤٨).

نُفيل بنِ عبد العُزّى العدَوي أبي حفصٍ المدني[1]، أحدِ فقهاءِ الصحابةِ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرةِ المشهودِ لهم بالجنة، وأوّل من سُمّي أميرَ المؤمنين، له خمسُمائةٍ وتسعةٌ وثلاثون حديثاً اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسةَ عشرَ، وعنه أبناؤه عبدُ الله وعاصمٌ وعُبيدُ الله، وعلقمةُ بنُ أبي وقاصٍ وغيرُهم، شهد بدراً والمشاهدَ والمواقف، ووليَ أمرَ الأمةِ بعد أبي بكر ﷺ وفُتح في أيامه عدةُ أمصارٍ، أسلم بعد أربعين رجلاً.

عن ابنِ عمرَ[2] ﷺ مرفوعاً: **«إن الله تعالىٰ جعل الحقَّ على لسان عمرَ وقلبِه»**، لما دُفن قال ابنُ مسعودٍ[3] ﷺ: (ذُهب اليومَ بتسعة أعشارِ العلم). استُشهد في آخر سنةِ ثلاثٍ وعشرين، ودفن في أول سنةِ أربع وعشرين في الحجرة النبويةِ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين وصلّى عليه صهيب، ومناقُبه جمّة قد أُفردت في مجلدات.

وهذا الأثرُ المشارُ إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمدُ بنُ حنبلٍ الشيباني[4] ومحمدُ بنُ إدريس الشافعيُّ[5] رحمهما الله تعالىٰ قالا: أخبرنا سفيانُ هو ابن عُيينةَ عن عَمْروِ بنِ دينارٍ أنه سمع بجالة بنَ عبدةَ يقول: كتب عمرُ بنُ الخطاب ﷺ أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثَ سواحِرَ.

---

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٤/ ١٣٧ ـ ١٦٨ رقم ٣٨٣٠)، و«الإصابة» رقم (٥٧٥٢)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٩٩).

(٢) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه الترمذي (٥/ ٦١٧ رقم ٣٦٨٢)، وقال: **حديث حسن صحيح غريب.**
وفي الباب: عن الفضل بن عباس، وأبي ذر، وأبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٧٩ رقم ٨٨٠٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٩) رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٤) في «المسند» (١/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٥) في «ترتيب المسند» (٢/ ٨٩ رقم ٢٩٠).
قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٠٤٣)، وأبو عبيد في «الأموال» رقم (٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٤٨)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٢) وسنده صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(وصحَّ) نقلاً (عن حفصة) بنتِ عمرَ بنِ الخطابِ العدَويةِ أمِّ المؤمنين ﵄ (عند مالك) بنِ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبي عامرِ بنِ عمرو بن الحارثِ الأصبحي أبي عبدِ الله المدَنيِّ، أحدِ الأعلامِ في الإسلام وإمامِ دارِ الهجرة[1]، ولد سنةَ ثلاثٍ وتسعين وحُمِلَ به ثلاثَ سنين، ووفي سنةَ تسعٍ وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه.

(ما) أي الذي (فيه أقوى) دليلٍ (مرشدٍ للسالك) وهو ما رواه في «موطئه»[2] في «باب ما جاء في الغِيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بنِ عبد الرحمٰن بنِ سعدِ بنِ زُرارة أنه بلغه أن حفصةَ زوجَ النبيِّ ﷺ قتلتْ جاريةً لها سحرتها، وقد كانت دبّرتها فأمرتْ بها فقُتلت، قال مالك: الساحرُ الذي يعمل السحرَ، ولم يعمل ذلك له غيرُه، وهو مثلُ الذي قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فأرى أن يُقتلَ ذلك إذا عَمِل ذلك هو نفسُه»اهـ.

قال ابنُ كثيرٍ[3] رحمه الله تعالىٰ: وقد رُوي من طرقٍ متعددةٍ أن الوليدَ بنَ عُقبةَ كان عنده ساحرٌ يلعب بين يديه، فكان يضرِب رأسَ الرجل ثم يصيح به فيردّ إليه رأسَه، فقال الناس: سبحان الله يُحيي الموتى! ورآه رجلٌ من صالح المهاجرين فلما كان الغدُ جاء مشتملاً على سيفه، وذهب يلعب لَعِبَه ذلك، فاخترط الرجلُ سيفَه فضرب عُنقَ الساحر وقال: إن كان صادقاً فلْيُحيي نفسه، وتلا قوله تعالىٰ:

---

(١) انظر ترجمته في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٧٥ ـ ٧٩)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٩)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧ ـ ٢١٣)، و«طبقات القراء» (٢/ ٣٥)، و«طبقات الشيرازي» (٥٣)، و«الحلية» (٦/ ١٣٦).

(٢) (٢/ ٨٧١ رقم ٤٦) بسند منقطع رجاله ثقات، فمحمد بن عبد الرحمٰن لم يدرك حفصة.
قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٥٧)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٣).

(٣) في تفسيره (١/ ١٤٩).
وأورد بعضها البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) في ترجمة جندب بن كعب من طريق عبد الواحد وهو ابن زياد، عن عاصم وهو ابن سليمان الأحول، عن أبي عثمان، وهذا سند صحيح.
وأخرجها بطولها البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) بسند حسن.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فغضِب الوليدُ إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه، والله أعلم.

وقال الإمامُ أبو بكرٍ الخلّال: أخبرنا عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ حدّثني أبي أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ حدّثني أبو إسحاق عن حارثةَ قال: كان عند بعض الأمراءِ رجلٌ يلعب فجاء جُندُبٌ مشتملاً على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحراً[١].

وحمل الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ قِصةَ عمرَ وحفصةَ على سحر يكون شركاً[٢]، والله أعلم.

[ما قرره أبو المظفر بن هبيرة فيمن يتعلم السحر ويستعمله]

وقال ابنُ كثيرٍ[٣] رحمه الله تعالىٰ: فصل. وقد ذكر الوزيرُ أبو المظفر يحيى بنُ محمدِ بن هُبيرةَ[٤] رحمه الله تعالىٰ فيمن يتعلم السحرَ ويستعمله، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفةَ من قال: إن تعلّمه ليتّقِيَه أو ليتجنّبه فلا يكفر، ومن تعلّمه معتقداً جوازَه أو أنه ينفعه كَفر، وكذا من اعتقد أن الشياطينَ تفعل له ما يشاء فهو كافرٌ.

وقال الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ: إذا تعلم السحرَ قلنا له صِف لنا سِحرَك، فإن وصف ما يوجب الكفرَ، مثل ما اعتقده أهلُ بابلَ من التقرّب إلى الكواكب

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٩) مسنداً.
قلت: في السند سقط: فيحيى بن سعيد وهو القطان لم يسمع من أبي إسحاق وهو السبيعي إنما يروي عنه بواسطة زهير بن معاوية أو غيره.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٩).

(٣) في تفسيره (١/ ١٥٢)، وانظر الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٤) هو يحيى بن محمد بن هبيرة، ويكنى أبا المظفر، ويلقب بعون الدين، وينعت بالوزير العالم العادل. ولد في ربيع الثاني سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية بني أوقر، وهي قرية قريبة من بغداد، مات أبوه وهو صغير ولم يخلّف له شيئاً، فلم يمنعه فقره عن طلب العلم ومتابعته، فدخل بغداد شاباً وحفظ القرآن الكريم وختمه بالقراءات والروايات، وكان ابن هبيرة عبداً لله تقياً. توفي سنة (٥٦٠هـ).
انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٥١ ـ ٢٨٩)، «شذرات الذهب» (٤/ ١٩١ ـ ١٩٧)، «المنهج» الأحمد في أصحاب الإمام أحمد (٢/ ٢٨٦ ـ ٣١٤).

السبعةِ، وأنها تفعل ما يُلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفرَ فإن اعتقد إباحتَه فهو كافرٌ.

قال ابنُ هُبيرة: وهل يُقتل بمجرد فعلِه واستعماله؟ فقال مالكٌ وأحمدُ: نعم، وقال الشافعيُ وأبو حنيفةَ: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسانٌ فإنهُ يُقتل عند مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، وقال أبو حنيفةَ: لا يُقتل حتى يتكرَر منه ذلك، أو يُقِرَّ بذلك في حق شخصٍ معين، وإذاً فإنه يُقتل حداً عندهم، إلاّ الشافعيَّ فإنه قال يُقتل والحالةُ هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحرُ تقبل توبتُه؟ فقال مالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ في المشهور عنه: لا تقبل، وقال الشافعيُ وأحمدُ في الرواية: تقبل.

وأما ساحرُ أهل الكتابِ، فعند أبي حنيفةَ أنه يُقتل كما يقتل الساحرُ إذا كان مسلماً، وقال مالكٌ وأحمدُ والشافعيُ: لا يُقتل، يُعفى لقصة لبيدِ بنِ الأعصم.

واختلفوا في المسلمة الساحرةِ، فعند أبي حنيفة أنها لا تُقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثةُ: حكمُها حكمُ الرجلِ والله أعلم. وقال أبو بكرٍ الخلاّلُ: أخبرنا أبو بكرٍ المَرْوزيُّ قال: قرأ على أبي عبد الله - يعني أحمدَ بنَ حنبلٍ - عمرُ بنُ هارونَ[1] أخبرنا يونسُ عن الزُهري قال: يقتل ساحرُ المسلمين ولا يقتل ساحرُ المشركين لأن رسولَ الله ﷺ سحرتْه امرأةٌ من اليهود فلم يقتُلها[2].

وقد نقل القُرطبيُّ[3] عن مالك رحمه الله تعالىٰ أنه قال في الذمي: يُقتل إن قَتل سحرُه، وحكى ابنُ خُويزَ مِنْداد عن مالكٍ روايتين في الذميّ إذا سحر أحداً:

الأولى: أنه يستتاب فإن أسلم وإلاّ قُتل.

والثانية: أنه يُقتل وإن أسلم.

وأمّا الساحر المسلمُ، فإن تضمّن سحرُه كفراً كفر عند الأئمةِ الأربعةِ وغيرِهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) عمر بن هارون هو البلخي قال فيه يحيى بن معين: كذاب خبيث، (الميزان ٣/٢٢٨).
(٢) متفق عليه من حديث أنس.
(٣) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٤٩).

لكن قال مالكٌ: إذا ظهر عليه لم تُقبل توبتُه لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قَبِلْناه، فإن قَتل بسحره قُتل، قال الشافعيُ: فإن قال لم أتعمّد القتلَ فهو مخطئٌ عليه الدية[1].

[من أنواع السحر علم التنجيم]

(هـذا ومـن أنـواعـه وشُـعَـبِـهْ   عـلـمُ الـنـجـومِ فـادرِ هـذا وانـتـبـهْ)

هذا هو البحثُ الرابعُ وهو (بيانُ أنواعِه)، فمنها علمُ التنجيم، وهو أنواعٌ: أعظمُها ما يفعله عَبَدةُ النجومِ ويعتقدونه في السبعة السيارةِ وغيرِها، فقد بنَوا بيوتاً لأجلها وصوّروا فيها تماثيلَ سمّوها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسكَ وشرائعَ يعبدونها بكيفياتها، ويلبَسون لها لباساً خاصاً وحِلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصةً، لكل نجمٍ منها جنسٌ زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقاتِ الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرُّفَها في الكون. وهذا هو المعروفُ عن قوم إبراهيمَ ببابلَ وغيرِها، وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحدّياً لهم مبيناً سخافةَ عقولِهم وضلالَ قلوبِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨﴾ [الأنعام] إلى آخر الآيات.

(ومنها) ما يفعله مَن يكتب حروفَ أبي جاد، ويجعل لكل حرفٍ منها قدراً من العدد معلوماً، ويُجري على ذلك أسماءَ الآدميين والأزمنةِ والأمكنةِ وغيرِها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده، ويطرح منه طرحاً خاصاً ويُثبت إثباتاً خاصاً، وينسُبه إلى الأبراج الاثني عشرَ المعروفةِ عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعدِ بالسعود والنحوسِ وغيرِها مما يوحيه إليه الشيطانُ، وكثيرٌ منهم يغير الاسمَ لأجل ذلك، ويفرّق بين المرءِ وزوجِه بذلك، ويعتقد أنهم إنْ جمعهم بيتٌ لا يعيش أحدُهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدّعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكرُ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٥٢ ـ ١٥٣).

وهذا الأنثى، وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً، وهذا يكون شريفاً وهذا وضيعاً، وهذا مُحبّباً وهذا مبغضاً، كأنه هو الكاتبُ ذلك للجنين في بطن أمّه، لا والله لا يدريه المَلكُ الذي يكتُب ذلك حتى يسأل ربّه أذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أم سعيد؟ ما الرزقُ وما الأجلُ؟ فيقول له: فيكتب، وهذا الكاذبُ المفتري يدعي علمَ ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيبَ اختلقها، وهذا من أعظم الشركِ في الربوبية، ومن صدّقه به واعتقده فيه كَفر والعياذُ بالله.

(ومنها) النظرُ في حركات الأفلاكِ ودورانِها وطلوعِها وغروبِها واقترانِها وافتراقِها، معتقدين أن لكل نجم منها تأثيراتٍ في كل حركاتِه منفرداً، وله تأثيراتٌ أُخَرُ عند اقترانِه بغيره في غلاء الأسعار ورُخْصِها، وهبوبِ الرياحِ وسكونها، ووقوع الكوائنِ والحوادثِ، وقد ينسُبون ذلك إليها مطلقاً. ومن هذا القسم الاستسقاءُ بالأنواء، وسيأتي الحديثُ فيه عند ذكرِه في المتن إن شاء الله، وبه الثقةُ.

(ومنها) النظرُ في منازل القمرِ الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيراتِ في اقتران القمرِ بكل منها ومفارقتِه، وأن في تلك سعوداً أو نحوساً، وتأليفاً وتفريقاً وغيرَ ذلك، وكلُّ هذه الأنواعِ اعتقادُ صدقِها مُحادّةٌ لله ورسولِه، وتكذيبٌ بشرعه وتنزيله، واتباعٌ لزخارف الشيطانِ، ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجمُ مخلوقٌ من المخلوقات مربوبٌ مسخَّرٌ مدبَّرٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، مسبوقٌ بالعدم المَحْضِ مُتعقَّبٌ به، ليس له تأثيرٌ في حركةٍ في الكون ولا سكونٍ، لا في نفسه ولا في غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يسٓ].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تعالىٰ في ذهابها وفنائِها وعَودِها إلى العدم كما أُوجدتْ بعد العدم: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة].

وروى ابنُ أبي حاتم[1] رحمه الله تعالىٰ عن قتادةَ الإمامِ في التفسير وغيره. قال رحمه الله تعالىٰ: إنما جعلَ الله سبحانه هذه النجومَ لثلاثِ خصالٍ، جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غيرَ ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظَّه، وأضاع نصيبَه وتكلفَ ما لا عِلْمَ له به، وإن ناساً جهَلَةً بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجومِ كهانةً: مَن أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كانَ كذا وكذا، ومن وُلد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعَمري ما من نجم إلاّ يولد به الأحمرُ والأسودُ والقصيرُ والطويلُ والحسنُ والدميم، وما عَلم هذا النجمُ وهذه الدابةُ وهذا الطيرُ بشيء من الغيب، وقضى الله تعالىٰ أنه: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا كلامٌ جليلٌ متين صحيح، وأصلُه في صحيح البخاريِّ تعليقاً[2].

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).
(٢) في الباب (٣) في النجوم (٦/ ٢٩٥).

وقال أبو داود[1] رحمه الله تعالى في كتاب الطبِّ من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومُسدّدٌ المَعني، قالا: حدثنا يحيى بنُ عبيد الله بنِ الأخنسِ عن الوليد بن عبدِ الله عن يوسفَ بنِ ماهَكَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من اقتبسَ شعبةً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السّحر زاد ما زاد»**، وذكر حديثَ النَّوءِ[2].

وروى عبدُ بنُ حميدٍ[3] عن رجاءِ بنِ حَيوةَ أن النبيَّ ﷺ قال: **«إنما أخاف على أمّتي التصديقَ بالنجوم، والتكذيبَ بالقدر، وحَيْفَ الأئمة»**.

وروى ابنُ عساكرَ[4] وحسّنه عن أبي مِحْجَنٍ مرفوعاً: **«أخاف على أمتي ثلاثاً: حَيْفَ الأئمةِ، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر»**.

---

(١) في السنن (٤/٢٦٦ - ٢٢٧ رقم ٣٩٠٥).
قلت: وأخرجه أحمد (١/٢٢٧، ٣١١)، وابن ماجه (٢/١٢٢٨ رقم ٣٧٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/١٣٨ - ١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١١/١٣٥ - ١٣٦ رقم ١١٢٧٨) **بسند جيد رجاله كلهم ثقات.**
وصحّحه النووي في «الرياض» رقم (١٦٧٩)، والعراقي في «المغني» (٤/١١٧)، والألباني في «الصحيحة» رقم (٧٩٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي أخرج الحديث أبو داود في سننه (٤/٢٢٧ - ٢٢٨ رقم ٣٩٠٦).
قلت: وأخرجه البخاري (٢/٥٢٢ رقم ١٠٣٨)، ومسلم (١/٨٣ رقم ١٢٥/٧١).

(٣) لم أجده عنده عن رجاء بن حيوة.
وقد أخرج الطبراني في «الكبير» (٨/٣٤٨ رقم ٨١١٣) من حديث أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: **«إن أخوف ما أتخوّفه على أمتي آخر الزمان ثلاثاً: إيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر، وحيف السلطان»**. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٣): «رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا».
قلت: وعبد الرحمٰن بن سابط كان كثير الإرسال، ولم يسمع من أبي أمامة شيئاً كما قال يحيى بن معين. وميمون بن زيد ليّنه أبو حاتم الرازي.
وخلاصة القول أن هذا الإسناد ضعيف.

(٤) في «تاريخه» (١٦/٣٠٨) بسنده عن حسين بن أبي زيد الدباغ، حدثنا علي بن يزيد الصدائي، حدثنا أبو سعد البقال، عن أبي محجن مرفوعاً.
قلت: وأخرجه من الطريق نفسه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٤٨٢) وسنده ضعيف.

وروى أبو يعلى[1] وابن عديّ[2] عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: **«أخاف على أمتي بعدي خَصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم»**.

وروى الطبرانيّ[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: **«ربَّ معلِّمٍ حروفَ أبي جادٍ دارسٍ في النجوم ليس له عند الله خلاقٌ يوم القيامة»**.

ورواه حميد بنُ زِنجوَيه[4] عنه بلفظ: **«ربَّ ناظرٍ في النجوم ومتعلِّمٍ حروفَ أبي جاد ليس له عند الله خَلاق»**.

ومن أنواع السحرِ زجرُ الطير والخطُّ بالأرض، قال أبو داود[5]: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى حدثنا عَوفٌ حدثنا حيان ـ قال غيرُ مسدد: حيانُ بنُ العلاء ـ حدثنا قطن بنُ قُبيصةَ عن أبيه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«العيافةُ والطِّيرةُ والطَّرق من الجِبت»**، ورواه أحمدُ في مسنده[6].

= علي بن يزيد الصدائي فيه لين كما في «التقريب» رقم (٤٨١٦).
وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان، ضعيف مدلس، ولم يصرح بالسماع وبقية رجاله ثقات.

(١) في «المسند» رقم (٤١٣٥).

(٢) في «الكامل» (٤/ ١٣٥٠).
عن شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي، عن أنس مرفوعاً.
قال ابن عدي: «ولشهاب أحاديث ليس بكثيرة، وفي بعض رواياته ما ينكر عليه، ولا أعرف للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره» اهـ.
قلت: بل وثقه جمع من الأئمة، وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٨٢٥): «صدوق يخطئ».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): «رواه أبو يعلى مقتصراً على اثنتين من الخمس، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف».
وخلاصة القول أن حديث أنس حسن لغيره.

(٣) في الكبير (١١/ ٤١ رقم ١٠٩٨٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧): فيه خالد بن يزيد العمري كذاب.
وخلاصة القول أن الحديث موضوع.

(٤) عزاه المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧ رقم ٤٤٠٨) إليه وهو كسابقه.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٦ رقم ١٩٨٠٥)، والبيهقي (٨/ ١٣٩) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٥) في «السنن» (٤/ ٢٢٨ رقم ٣٩٠٧).

(٦) (٣/ ٤٧٧ و٥/ ٦٠). =

والجِبتُ هو السحرُ قاله عمرُ[1] رضي الله عنه، وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهدٌ[2] والحسنُ وغيرُهم[3].

وعن ابن عباس وغيره[3] أيضاً الجِبت الشيطانُ، ولا ينافي الأولَ لأن السحرَ من عمل الشيطان، وعنه[3] أيضاً الجبتُ الشِّرْكُ، وعنه[4] الجبتُ الأصنامُ، وعنه[5]

= قلت: وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٩٥٠٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٥)، والنسائي في «التفسير» رقم (١٢٨)، والدولابي في «الكنى» (١/ ٨٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨ رقم ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٥٨)، والخطيب في «التاريخ» (١٠/ ٤٢٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦)، وابن حبان في «الإحسان» رقم (٦١٣١) من طرق. . .

وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي، فقال بعضهم: حيان، لم ينسبه. وقال بعضهم: حيان أبي العلاء. وقال بعضهم حيان بن عمير. وقال آخر: حيان بن مخارق.

قلت: فالاضطراب في اسمه مشعر بعدم الضبط الموجب لضعف الحديث.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

* العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرِّها.

* الطِّيَرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء، وأصله فيما يقال: التّطيّر بالطير والظباء وغيرهما.

* الطرق: الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهّن.

* الجِبت: كل ما عُبد من دون الله.

(١) أثر عمر أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٢ رقم ٩٧٦٦ ـ شاكر).
وفيه «حسان بن فائد» قال أبو حاتم: «شيخ». وقال البخاري يعدّ في الكوفيين.
وذكره ابن حبان في «ثقات التابعين».
قلت: يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات.
انظر: «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٢٣٣)، والبخاري في «الكبير» (٢/ ١/ ٢٨).
وهذا الأثر ساقه ابن كثير بتمامه في تفسيره (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥).

(٢) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٢ رقم ٩٧٦٨) ورقم (٩٧٧٠) ورقم (٩٧٧١).

(٣) أورد ذلك ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٢٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦١ رقم ٩٧٦٥) بسند ضعيف، لأنه مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٤ رقم ٩٧٨٢) وهو منقطع، علي بن أبي=

الجبتُ حُيَيُّ بنُ أخطبَ، وعن الشعبي[1] الجبتُ كاهنٌ.

وعن مجاهد[2] الجبتُ كعبُ بنُ الأشرفِ، ولا منافاةَ أيضاً فإن السحرَ من الشرك الذي يشمَلُه عبادةُ غيرِ الله، وحُيَيّ بن أخطبَ وكعبُ بنُ الأشرفِ ممن خاصم رسولَ الله ﷺ بالسحر، والكاهنُ عاملٌ بالسحر، وقال في القاموس[3]: الجبتُ بالكسر الصنمُ والكاهنُ والساحرُ والسحرُ، والذي لا خيرَ فيه، وكلُّ ما عُبد من دون الله عزّ وجلّ.

ومن أنواعه العَقدُ والنَّفثُ فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، وقد تقدم حديث عائشةَ[4] في قصة لَبيدِ بنِ الأعصم، وقد ثبت في حديث نزولِ المعوّذتين ورُقية جبريلَ النبيّ ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آيةً انحلّت عُقدةٌ.

وقال النَّسائيُّ[5] رحمه الله تعالىٰ في كتاب تحريمِ الدمِ من سننه: «الحُكم في

= طلحة لم يسمع من ابن عباس. وشيخ الطبري «المثنى» لم توجد له ترجمة.

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٥ رقم ٩٧٨٥).

(٣) الصحاح (١/ ٢٤٥).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في «السنن» (٧/ ١١٢ رقم ٤٠٧٩) بسند ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف، وعنعنة الحسن.

وخلاصة القول أن الحديث «ضعيف» لكن جملة: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه»، ثبتت في حديث الترمذي (٤/ ٤٠٣ رقم ٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وأحمد (٤/ ٣٠١، ٣١١) عن عبد الله بن عكيم.

قال الترمذي: وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبيّ ﷺ وكان في زمن النبيّ ﷺ يقول: «كتب إلينا رسول الله ﷺ».

وقال الألباني في «غاية المرام» (ص١٨٢): «قلت: وابن أبي ليلى سيء الحفظ، وكأنه لذلك سكت عليه الحاكم والذهبي، وأشار المنذري في «الترغيب» (٤/ ١٥٧) إلى إعلاله بابن أبي ليلى.

لكن الحديث حسن عندي؛ فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلاً أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص١١٣): أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن يقول: فذكره مرفوعاً. =

السَّحَرة» أخبرنا عَمرو بنُ عليٍّ قال: حدثنا أبو داودَ قال حدثنا عَبّادُ بنُ ميسرةَ المَنقريُّ عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من عقد عُقدةً ثم نفَث فيها فقد سَحر، ومن سحرَ فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِل إليه»**.

وقد أُطلق السحرُ على ما فيه التخييلُ في قلب الأعيانِ وإن لم يكن السحر الحقيقيّ، كما في الصحيحين[1] عن ابن عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن من البيان لسحراً»**، يعني لتضمُّنه التخييلَ فيُخيل الباطلَ في صورة الحق، وإنما عنى به البيانَ في المفاخرة والخصوماتِ بالباطل ونحوِها كما يدلّ عليه أصلُ القصة في التميميَّين اللذَين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدُهما في حسب الآخر ونسبِه، وكذلك قال ﷺ: **«إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضَكم أن يكون ألحنَ بحجّته من بعض فأحكُمَ له على نحو ما أسمع، فمن حكمتُ له من حق أخيه بشيء، فإنما هو قطعةٌ من النار»**.

أو كما قال، وهو في الصحيح[2]، وأما البيانُ بالحق لنُصرة الحقّ فهو فريضةٌ على كل مسلمٍ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو من الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ.

= وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد مضى برقم (٢٨٦)» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث عبد الله بن عكيم حسن، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٠١ رقم ٥١٤٦) و(١٠/ ٢٣٧ رقم ٥٧٦٧)، والترمذي (٤/ ٣٧٦ رقم ٢٠٢٨)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢/ ١٦، ٥٩، ٦٢، ٩٤) من حديث عبد الله بن عمر.

* وأخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤ رقم ٤٧/ ٨٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٦٣) من حديث عمّار.

* وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢)، وأبو داود (٥/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ رقم ٥٠١١)، وابن حبان رقم (٢٠٠٩ ـ موارد)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨٧٢) من حديث ابن عباس بلفظ: **«إنَّ مِنَ البيان سِحْراً، وإن من الشِّعْرِ حكماً»**.

وفي سنده سماك بن حرب بن أوس الذهلي، صدوق، روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغيّر بأخره، فكان ربما يلقَّن. قاله ابن حجر في «التقريب» (١/ ٣٣٢)، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قلت: ولشطره الأول شواهد في الصحيح كما تقدم.

وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح بشواهده.

(٢) البخاري (١٣/ ١٥٧ رقم ٧١٦٩)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ رقم ١٧١٣).

وقد سمى ﷺ ما يعمل عملَ السحر سحراً، وإن لم يكن سحراً؛ كقوله ﷺ: «**ألا أنبئُكم ما العضَة، هي النميمةُ، القالةُ بين الناس**»، روه مسلم[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والعضةُ في لغة قريشٍ السحرُ، ويقولون للساحر عاضِهٌ، فسمّى النميمةَ سحراً لأنها تعمل عملَ السحرِ في التفرقة بين المرءِ وزوجِهِ وغيرهما من المتحابّين، بل هي أعظمُ في الوشاية لأنها تُثير العداوةَ بين الأخوَين، وتسعّر الحربَ بين المتسالِمِينَ كما هو معروفٌ مشاهدٌ لا يُنكر.

وقد جاء الوعيدُ للقتّات في الآيات[2] والأحاديثِ[3] كثيراً جداً، ومع هذا فالخِداعُ للكفار للفتك بهم وإظهارِ المسلمين عليهم وكسرِ شوكتِهم وتفريقِ كلمتهم من أعظم الجهادِ وأنفعِه وأشدِّه نكايةً فيهم، كما فعله نُعيمُ بنُ مسعودِ الغطَفاني رضي الله عنه في تفريقِ كلمةِ الأحزابِ[4] بإذن رسولِ الله ﷺ حتى فرّق بين قريشٍ وبينَ يهودِ بني قُريظةَ، ونقض الله بذلك ما أبرموه، ولله الحمدُ والمنّة.

[حكم حل السحر بالطرق المشروعة والممنوعة]

(وحَلُّه بالوحي نصاً يُشرع أما بسحرِ مثلِه فيُمنع)

(وحلُّه) يعني حلَّ السحرِ عن المسحور **(بـ)** الرُّقى والتعاويذِ والأدعية من **(الوحي)** الكتابِ والسنة **(نصاً)** أي بالنص **(يشرع)** كما رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠١٢ رقم ٢٦٠٦).

(٢) منها: ﴿همّاز مشّاء بنميم﴾ [القلم: ١١].
ومنها: ﴿ويل لكل هُمزة لُمزة﴾ [الهُمزة: ١].

(٣) أخرج البخاري (١٠/ ٤٧٢ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (١/ ١٠١ رقم ١٠٥) من حديث حذيفة مرفوعاً بلفظ: «**لا يدخل الجنّة قتّات**».

(٤) أخرج خبر نعيم بن مسعود، ابن إسحاق معلقاً ـ كما في السيرة النبوية (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٩٧٣٧) مرسلاً عن ابن المسيب.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩)، والواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) من طريق ابن إسحاق.
وخلاصة القول أن الخبر ضعيف، والله أعلم.

بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديثَ الرُّقى المتقدمةَ في بابها التي أمر بها الشارعُ ﷺ وندَب إليها، ومن أعظمها فاتحةُ الكتاب[1] وآيةُ الكرسي[2] والمعوّذتان[3] وآخرُ سورةِ الحشر[4]، فإن ضمّ إلى ذلك الآياتِ التي فيها التعوُّذُ من الشياطين مطلقاً، والآيات التي يتضمن لفظُها إبطالَ السحر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝١١٩﴾ [الأعراف]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

---

(١) تقدم تخريج الحديث في الرقى.

(٢) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان عندما وكّله رسول الله ﷺ على مال الصدقة.

أخرجه البخاري رقم (٢٣١١ و٣٢٧٥ و٥٠١٠)، والنّسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٨ و٩٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٦)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

* وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٨ رقم ٢٨٨٠).
وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو نعيم في «دلائل النبوّة» (٢/ ٧٦٦).
قلت: وهو حديث حسن والله أعلم.

* وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٦٣ ـ ٦٥ رقم ٧٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٦٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٦٥) وغيرهم من طرق.

* وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥١، ١٠١، ١٦١ ـ ١٦٢)، وأبي نعيم في «دلائل النبوّة» (٢/ ٧٦٧).

* وحديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) تقدم تخريج الحديث.

(٤) أخرج الترمذي (٥/ ١٨٢ رقم ٢٩٢٢)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦).
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفُه إلاّ من هذا الوجه.
عن معقلِ بن يَسارٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قالَ حينَ يُصْبِحُ ثلاثَ مرّاتٍ: أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ وقرأ ثلاثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحشرِ وَكَّلَ اللّهُ به سبعينَ ألفَ مَلَكٍ يصلُّون عليهِ حتى يُمْسيَ، وإن ماتَ في ذلك اليومِ ماتَ شهيداً، ومَن قالها حينَ يُمْسِي كانَ بتِلْك المنزلَة».
وهو حديث ضعيف.

[يونس: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، ونحوَها كان ذلك حسناً، ومثلُ ذلك الأدعيةُ والتعاويذُ المأثورةُ عن النبيّ ﷺ الواردةُ في الأحاديثِ الصحيحةِ كما تقدم كثيرٌ منها في باب الرُّقى.

وكحديث: «**ربُّنا الله الذي في السماء، تبارك اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، [فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين]، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**»، رواه أبو داود[1].

وكحديث عثمانَ بنِ أبي العاص[2] أنه قال: أتاني رسولُ الله ﷺ وبي وجعٌ قد كاد يُهلِكني، فقال رسولُ الله ﷺ: «**امسَح بيمينك سبعَ مراتٍ وقل: أعوذُ بعزة الله وقُدرتِهِ وسلطانِهِ من شرّ ما أجد**»، قال: ففعلتُ، فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمرُ به أهلي وغيرهم، قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

وكتبُ السنة من الأمّهات وغيرِها مشحوناتٌ بالأدعية والتعوّذات الكافيةِ الشافية بإذن الله عزّ وجلّ، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(**أما**) حَلُّ السحرِ عن المسحور (**بسحر مثلِه فيحرم**)، فإنه معاوَنةٌ للساحر وإقرارٌ له على عمله، وتقرّبٌ إلى الشيطان بأنواع القُرَبِ ليُبطِلَ عملَه عن المسحور، ولهذا قال الحسن[3]: (لا يَحُلّ السحرَ إلاّ ساحر).

---

(١) في «السنن» (٤/٢١٨ رقم ٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء، وفي سنده زيادة بن محمد، وقد ضعفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٤٤٦): منكر الحديث، وقد تفرّد بهذا الحديث كما قال الذهبي.
ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٤٤).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.
* وما بين المعكوفتين من سنن أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٨ رقم ٢٢٠٢)، والترمذي (٤/٤٠٨ رقم ٢٠٨٠).
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**

(٣) ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد» عن الحسن البصري.
قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/٢٣٣): «أخرجه الطبري في «التهذيب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحراً أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح.
=

ولما قيل للنبي ﷺ لو تَنشَّرْتَ، فقال: «**أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أُثيرَ على الناس شراً**»[1].

وقال أبو داودَ[2] في كتاب الطبِّ من سننه «باب في النُّشرة»[3]، حدثنا أحمدُ بنُ حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقيلُ بنُ مَعْقِل قال: سمعتُ وَهْبَ بنَ منبّهٍ يحدث عن جابر بنِ عبد الله ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن النُّشرة فقال: «**هو من عمل الشيطان**».

ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفجَرةِ في الأزمان التي لا سيفَ فيها يردَعُهم يتعمد سحرَ الناسِ ممن يُحبه أو يبغضه لِيَضْطرَّه بذلك إلى سؤاله حلَّه ليتوصلَ بذلك إلى أموالِ الناسِ بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينِهم، نسأل الله تعالىٰ العافية.

[تصديق الكاهن كفر]

[ومن يصدّقْ كاهناً فقد كفر بما أتى به الرسولُ المعتبر]

(ومن يصدق كاهناً) يعتقد بقلبه صِدقَه فيما ادّعاه من علم المغيباتِ التي استأثر الله تعالىٰ بعلمها **(فقد كفر)** أي بلغ درجةَ الكفرِ بتصديقه الكاهنَ **(بما أتى به الرسول)** محمدٌ ﷺ عن الله عزّ وجلّ من الكتاب والسنةِ وبما أتى به غيرُه ﷺ من الرسل عليهم السلام.

ولْنَسُقْ الكلامَ أولاً في تعريف الكاهن من هو، ثم في بيان كَذِبه وكفرِه، ثم في كفر من صدّقه بما قال، والله المستعان.

= قال الحافظ: قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلاّ ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضرّ ولم ينه عمّا ينفع» اهـ.

(١) وهو جزء من حديث عائشة، وقد تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٤/ ٢٠١ رقم ٣٨٦٨) بسند حسن.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٤) وهو حديث صحيح.

(٣) النُّشرة بالضم: ضربٌ من الرُّقية والعِلاج، يُعالَج به مَن كان يُظَنُّ أنَّ به مَسّاً من الجِنّ، سميت نُشرةً لأنه يُنْشَر بها عنه ما خامَره من الداء، أي يكشَف ويُزال، «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٥٤).

فنقول: الكاهنُ في الأصل هو من يأتيه الرِّئيُ من الشياطين المُسترقةِ السمعَ تتنزل عليهم؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]، وهذه الآياتُ متعلقةٌ بما قبلها وهي قولُه عزّ وجلّ لما قال المشركون في رسوله محمدٍ ﷺ إنه كاهنٌ، وقالوا في القرآن كِهانةٌ، وأنه مما يُلقيه الشيطان، فنفى الله تعالىٰ ذلك وبرّأ رسولَه وكتابَه مما أفكوه وافترَوْه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، إلى أن قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

فأثبت تعالىٰ أن القرآنَ كلامُه وتنزيلُه، وأن جبريلَ عليه السلام رسولٌ منه مُبلّغٌ كلامَه إلى الرسول البشريِّ محمدٍ ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه، فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء]، وقرّر انتفاءَ ذلك بثلاثة أمور:

الأول: بُعْدُ الشياطينِ وأعمالِهم عن القرآن، وبُعده وبُعد مقاصده منهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١١]، لأن الشياطينَ مقاصدُها الفسادُ والكفرُ والمعاصي والبَغْيُ والعُتوُّ والتمرّدُ وغيرُ ذلك من القبائح، والقرآنُ آتٍ بصلاح الدنيا والآخرة، آمرٌ بأصول الإيمانِ وشرائِعِهِ مقرِّرٌ لها، مرغِّبٌ فيها زاجرٌ عن الكفر والمعاصي، ذامٌّ لها متوعِّدٌ عليها آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، ما من خير آجلٍ ولا عاجلٍ، إلاّ وفيه الدلالةُ عليه والدعوةُ إليه والبيانُ له، وما من شر عاجلٍ ولا آجلٍ إلاّ وفيه النهيُ عنه والتحذيرُ منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟

الثاني: عجزُهم عنه، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]، أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلامُ ربِّ العالمين ليس يشبه كلامَ شيءٍ من المخلوقين، وليس في وُسعهم الإتيانُ به ولا بسورة من مثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

الثالث: عزلُهم عن السمع وطردُهم عن مقاعده التي كانوا يقعُدون من السماء قبل نزولِ القرآنِ، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، فبيّن

تعالىٰ ـ مع كونه لا ينبغي لهم ـ أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلاً عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأولَ بعدم الاستطاعة، والثانيَ بعزلهم عن السّمع وطردهم منه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالىٰ عن مؤمني الجنّ ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

وعن ابن عباس ﷺ قال: انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظَ وقد حيل بين الشياطينِ وبين خبرِ السماءِ، وأُرسلت عليهم الشُّهبُ، فرَجعت الشياطينُ إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبينَ خبرِ السماءِ، وأرسلت علينا الشُّهبُ. قالوا: ما ذاك إلاّ من شيء حدَث، فاضرِبوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها فانظُروا ما الذي حال بيننا وبين خبرِ السماءِ. فانطلقوا يضربون مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها، فمرّ النفرُ الذين أخذوا نحوَ تِهامةَ وهو ﷺ بنَخْلٍ عامداً إلى سوق عُكاظَ وهو يصلّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبينَ خبرِ السماء، فرجعوا إلى قومهم: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن]، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وهذا الحديثُ بطوله وطُرقه في الصحيحين[1] وغيرِهما، ثم قال تعالىٰ في

---

(١) البخاري (٨/٦٦٩ رقم ٤٩٢١)، ومسلم (١/٣٣١ رقم ٤٤٩).

جواب الكفار مبيناً لهم أولياءَ الشياطينِ الذين تنزّل عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١] الآيات.

وفي صحيح البخاري[١] قالت عائشةُ رضي الله عنها: سأل ناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكُهان، فقال: **«إنهم ليسوا بشيء»**، قالوا: يا رسولَ الله إنهم يحدّثون بالشيء يكون حقاً، فقال النبيُّ ﷺ: **«تلك الكلمةُ من الحق يخطَفُها الجنيُّ فيُقرقِرُها في أُذن وليّه كقرقرة الدَّجاج، فيخلِطون معها أكثر من مِائة كِذْبة»**.

وله[٢] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضرَبت الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سِلسِلةٌ على صَفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُّكم، قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مُسترقو السمعِ ومسترقو السمع هكذا بعضُه فوق بعض** ـ وصفه سفيانُ بكفه فحَرفَها وبدّد بين أصابعه ـ **فيسمع الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحتَه، ثم يُلقيها الآخرُ إلى مَن تحتَه، حتى يُلقيها على لسان الساحرِ أو الكاهنِ، فربما أدركه الشهابُ قبل أن يُلقِيَها وربما ألقاها قبل أن يُدركَه، فيكذِب معها مِائة كذبة، فيقال: أوَ ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا كذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمةِ التي سُمعت من السماء»**، ولمسلم[٣] عن ابن عباسٍ نحوُه.

وللبخاري[٤] عن عائشةَ رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«إن الملائكةَ تحدّث في العَنان** ـ والعنانُ الغمامُ ـ **بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطينُ الكلمةَ فتُقرّها في أُذن الكاهنِ كما تَقِرّ القارورةُ، فيزيدون معها مِائةَ كِذْبةٍ»**.

وقد بين الله تعالىٰ كَذِب الكاهنِ بقوله: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، فسمّاه أفاكاً وذلك مبالغةٌ في وصفه بالكذب، وسمّاه أثيماً وذلك مبالغةٌ في وصفه بالفجور، وقولُه: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، أي أكثر ما يقولونه الكذب

---

(١) البخاري (١٠/٢١٦ رقم ٥٧٦٢).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/١٧٥٠ رقم ٢٢٢٨).
(٢) أي البخاري (٨/٥٣٧ رقم ٤٨٠٠).
(٣) في صحيحه (٤/١٧٥٠ رقم ٢٢٢٩).
(٤) في صحيحه (٦/٣٣٨ رقم ٣٢٨٨).

فلا يفهم منه أن فيهم صادقاً، يفسّره قولُ النبيّ ﷺ: «فيكذب معها مائة كذبة»، فلا يكون صِدْقاً إلاّ الكلمةُ التي سُمعت من السماء.

[أسباب كفر الكاهن]

وأما كفرُ الكاهن فمن وجوه، منها: كونُه ولياً للشيطان، فلم يوحِ إليه الشيطانُ إلاّ بعد أنْ تولاه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والشيطان لا يتولى إلا الكفارَ ويتولَّونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهذا وجهٌ ثانٍ.

والثالثُ: قولُه تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي نورِ الإيمانِ والهدى ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي ظلمات الكفرِ والضلالة. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وهذا وجهٌ رابع.

والخامسُ: تسميتُه طاغوتاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكمين في كاهنِ جُهينةَ[1]، وقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٦٠]، أي بالطاغوت، وهذا وجهٌ سادسٌ.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكُهّان كسوادِ بنِ قاربٍ رضي الله عنه لم يأتِه رِئْيُه بعد أن دخل في الإسلام، فدلّ أنه لم يتنزّل عليه في الجاهلية إلاّ لكفره وتولّيه إياه، حتى إنه رضي الله عنه كان يغضب إذا سُئل عنه حتى قال له عمرُ رضي الله عنه: ما كنّا فيه من عبادةِ الأوثانِ أعظمُ.

الثامنُ وهو أعظمُها: تشبُّهُه بالله عزّ وجلّ في صفاته ومنازعتُه له تعالىٰ في ربوبيته، فإن علمَ الغيبِ من صفاتِ الربوبيةِ التي استأثر الله تعالىٰ بها دون من سواه فلا سَمِيَّ له ولا مُضاهيَ ولا مشاركَ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/١٥٣) وهو مرسل صحيح الإسناد.

[الأنعام: ٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝﴾ [الجن]، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]، ولسانُ حالِ الكاهن وقالِه يقول نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيبَ بالكتاب وبما أرسل الله به رسلَه.

العاشرُ: النصوصُ في كفر مَن سأله عن شيء فصدّقه بما يقول، فكيف به هو نفسُه فيما ادّعاه، فقد روى الأربعةُ[1] والحاكمُ[2] وقال صحيح على شرطهما

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٢٥ رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ رقم ١٣٥)، وابن ماجه (١/ ٢٠٩ رقم ٦٣٩)، والنسائي في «عشرة النساء» رقم (١٣١).
قلت: وأخرجه الدارمي (١/ ٢٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٩٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به.
قال الترمذي: لا نعرفه إلاّ من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة.
وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٧) عقب الحديث: «هذا حديث لا يتابع عليه، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين» اهـ.
وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٧): «وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلاّ اليسير» اهـ.
قلت: علّلوا الحديث بأمرين:
الأول: ضعف حكيم بن الأثرم.
والثاني: الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة.
فالجواب عن الأول: أن حكيم وثّقه ابن المدني، وأبو داود، وابن حبان، وقال النسائي: «لا بأس به»، وقال الذهبي: «صدوق».
انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦)، و«الكاشف» (١/ ١٨٦).
أما الجواب عن الثاني: فأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد، قد توفي سنة (٩٧هـ)، وأبو هريرة توفي سنة (٥٨ أو ٥٩هـ)، والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور إن كان ثقة غير مدلس، وأبو تميمة كذلك.
وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد. انظر: «الإرواء» (٧/ ٦٩ ـ ٧٠).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) في «المستدرك» (١/ ٨).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

عن أبي هريرةَ ﷺ: «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد» ﷺ.

وعن عِمران بنِ حُصينٍ[1] ﷺ: «ليس منّا من تطيّر أو تُطُيِّرَ له، أو تكَهّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ.

ولمسلم[2] عن بعض أزواجِ النبيِّ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً»، فهذا حكمُ من سأله مطلقاً، والأولُ حكمُ من سأله وصدّقه بما قال.

[الكاهن كل من ادّعى معرفة المغيبات]

ثم اعلم أن الكاهنَ وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عامٌّ في كل من ادّعى معرفةَ المغيبات ولو بغيره، كالرمّال الذي يخُطّ بالأرض أو غيرِها، والمنجّم الذي قدمنا ذكرَه، أو الطارقِ بالحصى وغيرِهم ممن يتكلم في معرفة الأمورِ الغائبةِ، كالدلالة على المسروقِ ومكانِ الضالّة ونحوِها، أو المستقبلَة كمجيءِ المطرِ أو رجوعِ الغائبِ أو هبوبِ الرياحِ ونحوِ ذلك ممّا استأثر الله عزّ وجلّ بعلمه فلا يعلمه مَلَكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ إلاّ من طريق الوَحْي؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

---

(1) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٤٦٧) من حديث عمران بن حصين وقال: «رواه البزار - رقم (٣٠٤٤ - كشف) - بإسناد جيد» اهـ.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١١٧) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» اهـ.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/١٦٢ رقم ٣٥٥).
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٣ - ١٠٤) وقال: «رواه الطبراني وفيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم، وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
* وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٦٢)، والبزار رقم (٣٠٤٣ - كشف) من حديث ابن عباس.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١١٧) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.
(2) في صحيحه (٤/١٧٥١ رقم ٢٢٣٠).

﴿أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ [الجن]، ملائكةً يحفظونه من مسترقي السمعِ وغيرهم: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]، فمن ذا الذي يدَّعي عِلْمَ ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر؛ كما قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالىٰ عن هودٍ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

وقال لنبيّه محمّدٍ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] الآية، وقال تعالىٰ عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢﴾ [البقرة] الآيات.

ولم يعلم الرسولُ ﷺ مكان راحلتِه حتى أعلمه الله بذلك[1]، وقال في سؤال الحِبْرِ إياه فأجابه ﷺ وصدّقه الحبرُ، ثم انصرف فذهب، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيءٍ منه حتى أتاني الله عزّ وجلّ به»** وهي في مسلم[2]. وفيه قولُ عائشةَ[3] رضي الله عنها لمسروق رحمه الله تعالىٰ: ومن زعم أن رسولَ الله ﷺ يُخبر بما يكون في غد فقد أعظمَ على الله الفِرْيَة، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ولم يكن ﷺ يعلم شيئاً من الرسالة حتى أتاه الله عزّ وجلّ به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوّة» رقم (٤٤٣) من حديث عروة، وفي سنده ابن لهيعة. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٤/٥٩ ـ ٦٠) من حديث عروة وحديث موسى ابن عقبة.

(٢) في صحيح مسلم (١/٢٥٢ رقم ٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٥٩ رقم ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، نسأل الله العظيمَ من فضله العظيم.

[ال] فَصْل [التاسع]
يجمعُ معنى حديثِ جبريلَ في تعليمنا الدِّينَ وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتبَ: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ وبيانُ كلٍّ منها

[تمهيد]

اعلم أنَّ هذا الفصلَ مهمٌّ جداً، جامعٌ لأصول الدينِ وشرائعِه ومراتبه وشُعَبِه القوليةِ والعملية، وهو معنى حديثِ جبريلَ في سؤاله النبيَّ ﷺ وجوابِه إياه، وهو حديثٌ عظيمُ الشأن، جليلٌ كبيرٌ جامعٌ نافعٌ، سمّى النبيُّ ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال: **«هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينَكم»**[1]، وهو حديثٌ مشهورٌ في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسولِ الله ﷺ منهم عمرُ بنُ الخطاب، وابنُه عبدُ الله، وأبو هريرةَ، وأبو ذرٍّ، وعبدُ الله بنُ عباسٍ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ، وغيرُهم، ﷺ.

وها نحن نذكر أحاديثَهم بألفاظها مع بيان مخرّجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعِها من هذا المتنِ إن شاء الله تعالىٰ، وهو المستعانُ وبه الثقةُ وعليه التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العليِّ العظيم.

حديثُ جبريلَ ـ الحديث به عن عمرَ

فأما حديثُ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ فأخرجه مسلمٌ في أول جامعِه[2]: حدثني أبو خيثمةَ زُهيرُ بنُ حربٍ حدثنا وكيعٌ عن كَهْمَسٍ عن عبد الله بنِ بُرَيْدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ. ح. وحدثنا عبيدُ الله بنُ معاذٍ العنبريُّ وهذا حديثُه: حدثنا أبي حدثنا كَهْمَسٍ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ قال: كان أولَ من قال في القدَر بالبصرة معبدٌ الجُهنيُّ، فانطلقتُ أنا وحميدُ بنُ عبدِ الرحمٰن الحِمْيريُّ حاجّين ـ أو معتمِرَيْن ـ فقلنا: لو لقِينا أحداً من أصحاب رسولِ الله ﷺ فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر، فوَفِقَ لنا عبدُ الله بنُ عمر ﷺ داخلاً المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدُنا عن يمينه والآخرُ عن شماله، فظننت صاحبي سيكِل الكلامَ إليَّ، فقلت: أبا عبدِ الرحمٰن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرأون القرآن ويتقَفّرون العلمَ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعُمون أنْ لا قدَرَ وأن الأمرَ أُنفٌ. قال: فإذا لَقِيتَ أولئك فأخْبِرْهم أني

---

(١) جزء من حديث الفصل الذي سيأتي برواياته وتمامه.

(٢) (١/٣٦ ـ ٣٨ رقم ١/٨).

بريءٌ منهم وأنهم بُرَآءُ مني، والذي يحلِف به عبدُ الله بن عمرَ لو أن لأحدهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قَبِله الله منه حتى يؤمنَ بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمرُ بنُ الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ ذاتَ يوم إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ولا يعرِفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبيّ ﷺ فأسند رُكبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فَخِذيه وقال: يا محمدُ أخبرني عن الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ: **«الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً»**، قال: صدقتَ. فعجِبنا له يسأله ويصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **«أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه»**. قال: صدَقْتَ، فأخبرني عن الإحسان، قال: **«أن تعبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **«ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل»**، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: **«أن تلدَ الأمةُ ربّتَها، وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان»**. قال: ثم انطلق فلبثتُ ملياً ثم قال لي: **«يا عمرُ أتدري من السائل»**؟ قلت: الله ورسولُه أعلمُ. قال: **«فإنه جبريلُ أتاكم يعلّمُكم دينَكم»**.

حدثني محمدُ بنُ عبيدٍ الغُبَرِيُّ وأبو كاملٍ الجَحْدريُّ وأحمدُ بنُ عبدةَ قالوا: حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن مطَرٍ الورّاقِ عن عبد الله بنِ بُريدة عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: لما تكلّم معبدٌ بما تكلّم به في شأن القدَر أنكرنا ذلك. قال: فحججتُ أنا وحُميدُ بنُ عبدِ الرحمٰن الحِمْيريُّ حَجةً. وساقوا الحديثَ بمعنى حديثِ كَهْمَسٍ وإسنادِه. وفيه بعضُ زيادةٍ ونقصانُ أحرفٍ[1].

وحدثني محمدُ بنُ حاتمٍ حدثنا يحيى بنُ سعيدٍ القطانُ حدثنا عثمانُ بنُ غياثٍ حدثنا عبدُ الله بنُ بريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ وحُميدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ قالا: لَقِينا عبدَ الله بنَ عمرَ ﷺ فذكرنا القدَرَ وما يقولون فيه، فاقتصّ الحديثَ كنحو حديثِهم عن عمرَ ﷺ عن النبيّ ﷺ، وفيه شيءٌ من زيادة وقد نقَص منه شيئاً[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٣/٨).

وحدثني حجاجُ بنُ الشاعرِ حدثنا يونسُ بنِ محمدٍ حدثنا المعتمرُ عن أبيه عن يحيى بن يعمَرَ عن ابن عمرَ عن عمرَ عن النبيّ ﷺ بنحو حديثِهم[١].

هذه طرُقُه في مسلم بكمالها، ولم يخرّجه البخاريُّ رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داودَ[٢] من حديثِ كَهْمس فقال في كتاب السنةِ من سُننه: حدثنا عبيدُ الله بنُ معاذ حدثنا أبي حدثنا كَهمسٌ عن ابن بريدةَ فذكره، وفيه: لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا نعرِفه. وفيه: فلبثْتُ ثلاثاً.

ومن حديث عثمانَ بنِ غِياثٍ فقال: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى عن عثمانَ بنِ غياثٍ قال: حدثني عبدُ الله بنُ بريدةَ. وفيه: فذكر نحوَه، وزاد: قال: وسأله رجلٌ من مُزَيْنَة أو جُهينَة فقال: يا رسولَ الله فيمَ نعمل، أفي شيءٍ قد خلا أو مضى، أو شيء يُستأنف الآن؟ قال: **«في شيء قد خلا ومضى»**. فقال الرجلُ أو بعضُ القوم: ففيم العملُ؟ قال: **«إن أهلَ الجنةِ يُيَسّرون لعمل أهلِ الجنة، وإن أهلَ النار يُيسّرون لعمل أهلِ النار»**[٣].

ومن حديث سليمانَ بنِ بريدةَ عن ابن يَعْمَرَ بهذا الحديثِ يزيد وينقُص: قال: فما الإسلام؟ قال: **«إقام الصلاة وإيتاءُ الزكاةِ وحجُّ البيتِ وصومُ رمضانَ والاغتسالُ من الجنابة»**[٤].

ورواه النسائيُّ[٥] في كتاب الإيمانِ وشرائِعه من مُجتبي سُننهِ فقال: بابُ نعتِ الإيمان، أخبرنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قال: حدثنا النَّضرُ بن شميل قال: أنبأنا كَهْمَسُ بنُ الحسنِ ـ فذكر حديثَ عمرَ بن الخطاب ـ كلفظ مسلم ـ ولم يذكر حُميداً، ولم يذكر كلامَ يحيى ابنِ يَعْمرَ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبلَه.

ورواه الترمذيُّ[٦] في أبواب الإيمانِ فقال: بابُ ما وصَف جبريلُ للنبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٨/٤).
(٢) في «السنن» (٥/٦٩ ـ ٧٣ رقم ٤٦٩٥)، وهو حديث صحيح.
(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/٧٣ رقم ٤٦٩٦)، وهو حديث صحيح.
(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/٧٤ رقم ٤٦٩٧) وهو حديث صحيح.
(٥) في «السنن» (٨/٩٧ رقم ٤٩٩٠)، وهو حديث صحيح.
(٦) في «السنن» (٥/٦ ـ ٧ رقم ٢٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الإيمانَ والإسلامَ: حدثنا أبو عمارِ الحسينُ بنُ حُرَيْثٍ الخُزاعيُّ أخبرنا وكيعٌ عن كَهْمَسِ بنِ الحسنِ، فذكر بمعنى لفظِ مسلم، غيرَ أنه قال: فألزق ركبتيه بركبتيه، ثم قال: «يا محمدُ ما الإيمانُ»؟ ثم قال: «فما الإسلامُ؟» ثم قال: «فما الإحسانُ؟» وفيه كلُّ ذلك يقول له: «صدَقْتَ»، قال: فتعجّبنا منه يسأله ويصدّقه. قال: «فمتى الساعةُ؟» وقال: فما أمارتُها. وفي آخره: فلقِيَني النبيُّ ﷺ بثلاثٍ فقال: **«يا عمرُ هل تدري من السائلُ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلّمكم أمرَ دينِكم»**. وفي نسخة: **«معالمَ دينِكم»**.

حدثنا أحمدُ بنُ محمدٍ أخبرنا ابنُ المبارَكِ أخبرنا كَهْمسُ بنُ الحسنِ بهذا الإسنادِ نحوَه بمعناه[1].

حدثنا محمدُ بنُ المثنّى أخبرنا معاذُ بنُ هشام عن كَهمسٍ بهذا الإسنادِ نحوَه بمعناه[2]، وفي الباب عن طلحةَ بنِ عبيد الله[3]، وأنسِ بنِ مالكٍ[4]، وأبي هريرةَ[5]، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ قد رُوي من غير وجهٍ نحوُ هذا.

وقد رُوي هذا الحديثُ عن ابن عمرَ عن النبيّ ﷺ، والصحيحُ هو عن ابن عمرَ عن النبيّ ﷺ.

ورواه ابنُ ماجهْ[6] في باب الإيمان: حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ حدثنا وكيعٌ عن كهمسِ بنِ الحسنِ فذكره كلفظِ الترمذي، غيرَ أنه لم يذكر حُميداً ولا نفسَ القصةِ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبل الحديث، وفيه: قال وكيعٌ في قوله: **«أن تلِدَ الأمةُ ربَّتَها»**، يعني تلد العجمُ العربَ.

---

(١) في «السنن الترمذي» (٥/ ٧).

(٢) في «سنن الترمذي» (٥/ ٧).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ـ كما في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٣٥٠).

(٤) أخرجه البزار رقم (٢٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» وإسناده حسن كذا في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١١٤ رقم ٥٠) و(٨/ ٥١٣ رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (١/ ٣٩ ـ ٤٠ رقم ٩ و١٠).

(٦) في «السنن» (١/ ٢٤ ـ ٢٥ رقم ٦٣)، وهو حديث صحيح.

ورواه عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ[1]: حدثني أبي حدثنا محمدُ بن جعفرٍ حدثنا كَهمسٌ عن ابن بريدةَ. ويزيدُ بن هارونَ حدثنا كهمسٌ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ سمع ابنَ عمرَ قال: حدثني عمرُ بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن... الحديث.

والحاصلُ أن راويَه عن عمرَ ابنُه عبدُ الله، وعنه يحيى بنُ يَعْمرَ وحميدٌ الحِمْيري، وعن يحيى بنِ يعمرَ عبدُ الله بنُ بريدةَ وسليمانُ بنُ بريدةَ وسليمانُ بنُ طرخان.

وعن عبد الله بنِ بريدةَ كهمسٌ ومطَرٌ الورّاقُ وعثمانُ بنُ غياثٍ، وعن كهمسٍ وكيعٌ ومعاذٌ العنبريُّ والنضْرُ بنُ شُميلٍ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ويزيدِ بنُ هارون، ثم اشتهر عن كلٍّ من هؤلاء، والله أعلم.

الحديثُ به عن ابن عمرَ

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ فهو الذي أشار إليه التِّرمِذيُّ وقد رواه الإمامُ أحمدُ[2] من طرق عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: قلتُ لابن عمرَ ﷺ إنا نسافر في الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدَرٌ، فقال ابنُ عمر ﷺ: إذا لَقِيتموهم فأخبروهم أن عبدَ الله بنَ عمرَ منهم بريءٌ وأنهم منه بُرَآءُ (ثلاثاً)، ثم إنه أنشأ يحدِّث: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ فجاء رجلٌ فذكر من هيئته، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ادْنُهْ فدنا، فقال: ادنُهْ فدنا، فقال: ادْنه فدنا حتى كاد ركبتاه تَمَسّان ركبتيه**، فقال: يا رسولَ الله أخبرني ما الإيمانُ أو عن الإيمان، قال: **تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِهِ ورسلِه واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدر»**، قال سفيان: أراه قال: **«خيرِه وشرِّه»**، قال: **«فما الإسلامُ؟** قال: **إقامةُ الصلاة وإيتاءِ الزكاة وحجُ البيتِ وصيامُ شهرِ رمضانَ وغُسلٌ من الجنابة**، كلّ ذلك قال: **صدقْتَ صدقت**، قال القومُ: ما رأينا رجلاً أشدَّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلم رسولِ الله ﷺ.

ثم قال: **«يا رسولَ الله أخبرني عن الإحسان**، قال: **أن تعبُدَ الله أو تعبُدُه**

---

(١) في «المسند» (١/ ٥١ ـ ٥٢) بإسناد صحيح.

(٢) في «المسند» (١/ ٥٢ ـ ٥٣) بإسناد صحيح.

كأنك تراه، فإلاّ تراه فإنه يراك»، كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشدّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: «**صدقْت صدقْتَ**»، قال: «**أخبرني عن الساعة**»، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل**»، قال: فقال: «**صدقت**»، قال ذلك مراراً، ما رأينا رجلاً أشدّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، ثم ولّى.

قال سفيانُ: فبلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: التَمِسوه، فلم يجدوه. قال: «**هذا جبريلُ جاءكم يعلّمُكم دينَكم**»، ما أتانا في صورة إلاّ عرفتُه غيرَ هذه الصورةِ، وإسنادُه: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا أبو نُعيم حدثنا سفيانُ عن علقمةَ بنِ مَرثَدٍ عن سليمانَ بنِ بُريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ إلخ.

وفي رواية[1] قال: قلتُ لابن عمرَ إن عندنا رجالاً يزعُمون أن الأمرَ بأيديهم فإن شاءوا عَمِلوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أني منهم بريءٌ وأنهم منّا بُرَآءُ. ثم قال: جاء جبريلُ إلى النبيّ ﷺ فقال: «**يا محمد ما الإسلامُ؟**» فقال: «**تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصوم رمضانَ، وتحجّ البيتَ**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مسلمٌ؟** قال: **نعم**. قال: **صدقْتَ**. قال: **فما الإحسانُ؟** قال: **تخشى الله كأنك تراه فإن لا تكُ تراه فإنه يراك**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مُحسن؟** قال: **نعم**، قال: **صدقْتَ**، قال: **فما الإيمانُ؟** قال: **تؤمن بالله وملائكتِهِ وكتبِه ورسلِه والبعثِ من بعد الموت والجنةِ والنارِ والقدرِ كلِّه**. قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مؤمنٌ؟** قال: **نعم**، قال: **صدقت**».

زاد في رواية[2]: وكان جبريلُ يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دِحْيَة، وسندُ هذه

---

(١) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٦) بإسناد صحيح. وقال أحمد شاكر: «علي بن زيد، هو ابن جدعان.

والحديث من مراسيل الصحابة، فإن ابن عمر إنما رواه «عن أبيه عمر وقد سبق في «مسنده» بنحوه مطولاً (١٨٤ و٣٦٧ و٣٦٨)، وقد سبق في «مسند عمر» أيضاً (٣٧٤ و٣٧٥) معناه مطوّلاً، ولكنه جعله من حديث ابن عمر، أنه هو الذي شهد سؤالات جبريل.

وقد رجحنا هناك أنه من حديث عمر، وأن جعله من حديث ابن عمر وهم. وقد مضى معناه كذلك من حديث ابن عباس (٢٩٢٦م)، قوله: «فإن لا تك تراه»، في نسخة بهامش م«تكن»» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٧) بإسناد صحيح، وقال أحمد شاكر: =

الرواية: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا عفانُ حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ أخبرنا عليُّ بنُ زيدٍ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ، قلت لابن عمر... إلخ.

وفي أخرى[1] عن ابن عمرَ ﷺ أن جبريلَ قال للنبيِّ ﷺ: **«ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشره**. فقال له جبريلُ عليه السلام: صدقتَ. قال: فتعجَّبنا منه يسأله ويصدقه. قال: فقال النبيُّ ﷺ: **«ذاك جبريلُ أتاكم يعلمُكم معالمَ دينِكم»**.

وسندُ هذه الروايةِ: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا وكيعٌ حدثنا كهمسٌ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يعمرَ إلخ.

وروايةٌ[2] عن يحيى بنِ يعمَرَ وحميدِ بنِ عبد الرحمٰن الحِمْيريِّ قال: لقِينا عبدَ الله بنَ عمرَ ﷺ فذكرنا القدَرَ وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابنَ عمرَ منكم بريءٌ وأنتم منه بُرَآءُ (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمرُ بنُ الخطاب ﷺ أنهم بينما هم جلوسٌ أو قعودٌ عند النبيِّ ﷺ جاءه رجل يمشي حسنُ الوجهِ حسنُ الشعرِ عليه ثيابٌ بِيضٌ، فنظر القومُ بعضُهم إلى بعض ما نعرِف هذا وما هذا بصاحبِ سفَر. ثم قال: **يا رسولَ الله آتيك؟** قال: **نعم**. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه، وساق الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسننِ، وزاد في آخره سؤالَ الرجلِ من جُهينةَ أو مُزينةَ كما تقدم في رواية أبي داود.

الحديثُ به عن أبي هريرة

وأما حديثُ أبي هريرةَ ﷺ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالىٰ: حدثنا مسدّدٌ

= «إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي: تابعي ثقة، روى عن ابن عمر، وابن الزبير، ولكنه روى هنا عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهم.
انظر: «التاريخ الكبير» (١/ ٣٨٩)، والحديث مطول ما قبله...» اهـ.

(١) لأحمد في «المسند» رقم (١٩١) بإسناد صحيح. وقال أحمد شاكر:
«وهو مختصر (١٨٤) ولكنه جعله هنا من حديث ابن عمر، ولعله سهو من الناسخين، فإن رواية كهمس قد أشرنا هناك إلى أنها في مسلم، وهي هناك من حديث ابن عمر عن أبيه» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (١٨٤) بإسناد صحيح.

(٣) في صحيحه (١/ ١١٤ رقم ٥٠).

قال: حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ قال: أخبرنا أبو حيان التيميُّ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: كان النبيُّ ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجلٌ فقال: «ما الإيمانُ؟ قال: **الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وبلقائه ورسلِه وتؤمنَ بالبعث، قال: ما الإسلامُ؟ قال: الإسلامُ أن تعبدَ الله ولا تُشرِكَ به وتقيمَ الصلاةَ وتؤديَ الزكاةَ المفروضةَ وتصومَ رمضانَ، قال: ما الإحسانُ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعةُ؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، وسأُخبِرُك عن أشراطها: إذا ولَدت الأمةُ ربَّها، وإذا تطاول رُعاةُ الإبل البُهْمِ في البنيان، في خمس لا يعلمُهن إلاّ الله تعالىٰ.**

ثم تلا النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم أدبر فقال: **«رُدّوه فلم يرَوا شيئاً»، فقال: «هذا جبريلُ جاء يعلم الناسَ دينَهم»**.

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كلَّه من الإيمان. وترجم عليه[١]: بابُ سؤالِ جبريلَ النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلامِ والإحسانِ وعلم الساعةِ، وبيانُ النبيِّ ﷺ له. ثم قال: **«جاء جبريلُ يعلمكم دينَكم»**، فجعل ذلك كلَّه ديناً.

وأخرجه في تفسير سورة لقمانَ[٢]، فقال: بابُ قولِ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

حدثني إسحاقُ عن جريرٍ عن أبي حيانَ... الحديث.

وفيه: إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: **«يا رسولَ الله ما الإيمان؟»** وفيه: قال: **«يا رسولَ الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن سأُحدِّثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمةُ ربتَها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحُفاةُ العراةُ رؤوسَ الناسِ فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله،** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ثم انصرف الرجل فقال: **«ردوا عليّ»**، فأخذوا ليردوا فلم يرَوا شيئاً، فقال: هذا جبريلُ جاء ليعلم الناسَ دينَهم.

---

(١) في صحيحه (١/ ١١٤ رقم الباب ٣٧).

(٢) وأخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥١٣ رقم ٤٧٧٧).

ورواه مسلم[1] فقال: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ جميعاً عن ابنِ عُليّةَ قال زهير: حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عن أبي حيانَ... الحديث، وزاد: **«وإذا تطاول رعاةُ البُهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله»**، ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم أدبر... إلخ.

وقال[2] حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ نُمير حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا أبو حيان التّيميُّ بهذا الإسنادِ مثلَه، غير أن في روايته: **«إذا ولدت الأَمةُ بعلَها»** يعني السراريَ.

وقال[3]: حدثني زهيرُ بنُ حربٍ حدثنا جريرٌ عن عُمارةَ وهو ابنُ القَعقاع عن أبي زُرْعَةَ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«سلوني»**. فهابوه أن يسألوه، فجاء رجلٌ فجلس عند ركبتيه فقال: **«يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟** قال: **لا تُشركُ بالله شيئاً وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاةَ وتصومُ رمضان.** قال: **صدقتَ.** قال: **يا رسولَ الله ما الإيمانُ؟** قال: **أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وكتابِه ولقائِه ورسلِه وتؤمنَ بالبعث وتؤمنَ بالقدر كلِّه.** قال: **صدقت.** قال: **يا رسولَ الله ما الإحسان؟** قال: **أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلاّ تكنْ تراه فإنه يراك.** قال: **صدقت.** قال: **يا رسول لله متى تقومُ الساعةُ؟** قال: **ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل، وسأُحدِّثك عن أشراطها: إذا رأيتَ الأمةَ تلد ربَّها فذاك من أشراطها، وإذا رأيتَ الحُفاةَ العُراةَ الصُمّ البُكْمَ ملوكَ الأرضِ فذاك من أشراطها، وإذا رأيتَ رِعاءَ البُهمِ يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمُهن إلاّ الله ثم قرأ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم قام الرجلُ فقال رسولُ الله ﷺ: **«رُدُّوه عليّ»**، فالتُمِسَ فلم يجدوه، فقال رسولُ الله ﷺ: **«هذا جبريلُ أراد أن تَعلموا إذ لم تسألوا»**.

---

(١) في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٥/ ٩).

(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٦/ ٩).

(٣) أي مسلم في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٧/ ٩).

وأشار إليه التِّرمذيُّ[1] في باب حديث ابنِ عمرَ عن عمرَ. ورواه ابنُ ماجه[2] بإسناد مسلم، ولفظُه إلى آخرِ الآية. ورواه الإمامُ أحمدُ[3] عن إسماعيلَ حدثنا أبو حيانَ عن أبي زُرعةَ بنِ عمرَ بنِ جريرٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه إلخ، وفيه: **«وإذا كانت العُراةُ الحفاةُ الجفاةُ»**.

الحديثُ به عنه وعن أبي ذرٍّ

وأما حديثُه مع أبي ذرٍّ رضي الله عنهما فقال النَّسائيُّ في كتاب الإيمان من مجتبَى سننِه[4]: صفةُ الإيمانِ والإسلام.

أخبرنا محمدُ بنُ قدامةَ عن جريرٍ عن أبي فروة عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرة وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما قالا: كان رسولُ الله ﷺ يجلِس بين ظَهرانِي أصحابِه فيجيء الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلِساً يعرِفه الغريبُ إذا أتاه، فبنينا له دكّاناً من طين كان يجلِس عليه، وإنا لجلوسٌ ورسولُ الله ﷺ في مجلسه إذ أقبل رجلٌ أحسنُ الناسِ وجهاً وأطيبُ الناسِ ريحاً كأن ثيابَه لم يَمَسَّها دنسٌ حتى سلّم في طرف البساط فقال: **«السلامُ عليك يا محمدُ»**، فردّ عليه السلام قال: **«أدنو يا محمد؟»** قال: **«ادْنُهْ»**، فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له ادْنُ حتى وضع يده على ركبتي رسولِ الله ﷺ قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإسلامُ**، قال: **الإسلامُ أن تعبُدَ الله ولا تُشرِكَ به شيئاً وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ وتحجَّ البيتَ وتصومَ رمضانَ**، قال: **إذا فعلتُ ذلك فقد أسلمتُ؟** قال: **نعم**، قال: **صدقت**، فلما سَمِعْنا قولَ الرجل **«صدقت»** أنكرنا، قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإيمانُ**، قال: **الإيمانُ بالله وملائكتِه والكتابِ والنبيين وتؤمن بالقدر**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فقد آمنتُ؟** قال رسولُ الله ﷺ: **نعم**، قال: **صدقتَ**، قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإحسان؟** قال: **أن تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، قال: **صدقْتَ**، قال: **يا محمدُ أخبرني متى الساعةُ**، قال: **فنكَس فلم يُجِبْه**

---

(١) في «السنن» (٥/ ٦ ـ ٨ رقم ٢٦١٠).

(٢) في «السنن» (١/ ٢٥ رقم ٦٤) وهو حديث صحيح.

(٣) في «المسند» (٢/ ٤٢٦) بإسناد صحيح.

(٤) (٨/ ١٠١ رقم ٤٩٩١) وهو حديث صحيح.

شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً. ورفع رأسه فقال: **ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن لها علاماتٌ تُعرف بها: إذا رأيت الرِّعاءَ البُهْمَ يتطاولون في البنيان، ورأيتَ الحُفاةَ العُراةَ ملوكَ الأرض، ورأيت الأَمَةَ تلد ربَّها في خمس لا يعلمها إلاّ الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم قال: «**لا والذي بعث محمداً بالحق هادياً وبشيراً ما كنت بأعلمَ به من رجلٍ منكم، وإنه لجبريلُ نزل في صورة دِحْيَة الكلبيّ** ﷺ».

وقال أبو داودَ في باب القدر من كتاب السنةِ من سننه[1]: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا جريرٌ عن فروةَ عن أبي زُرعةَ بن عُمرَ بن جريرٍ عن أبي ذرٍّ وأبي هريرةَ قالا: كان رسولُ الله ﷺ... الحديث.

وفيه: فبنينا له دكاناً من طين فجلس عليه وكنا نجلِس بجنبتيه، وذكر نحوَ هذا الخبرِ فأقبل رجلٌ فذكر هيئتَه حتى سلَّم من طَرَف السِّماط فقال: «**السلامُ عليك يا محمدُ**»، قال: فرد عليه النبيُّ ﷺ.

فحاصلُ طرقِ حديث أبي هريرةَ وحده، ومع أبي ذرٍّ ﷺ أبو زرعةَ عن أبي هريرةَ وعنه أبو حيانَ وأبو فروةَ وعُمارةُ بنُ القعقعاع، وعن أبي حيانَ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ عُلَيَّةَ وجريرٌ ومحمدُ بنُ بشر، وعن إسماعيلَ مسدَّدٌ وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وعن جريرٍ إسحاقُ وزهيرُ بنُ حربٍ ومحمدُ بنُ قدامة وعثمانُ بنُ أبي شيبةَ، وعن محمدِ بنِ بشرٍ محمدُ بنُ نُمير، وعن كل من عُمارةَ وأبي فَروة وجريرٌ، والله أعلم.

الحديثُ به عن ابن عباس

وأما حديثُ ابن عباسٍ فقال الإمامُ أحمدُ[2]: حدثنا أبو النَّضرِ حدثنا

---

(١) (٥/ ٧٤ رقم ٤٦٩٨) وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) بسند حسن.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

عبدُ الحميد حدثنا شهرٌ حدثني عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما قال: جلس رسولُ الله ﷺ مجلِساً فجاء جبريلُ عليه السلام فجلس بين يدي رسولِ الله ﷺ واضعاً كفيه على ركبتي النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله حدّثني ما الإسلامُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «الإسلامُ أن تُسلِم وجهَك لله وتشهدَ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له وأن محمداً عبدُه ورسولُه». قال: إذا فعلتُ ذلك فأنا مسلم؟ قال: «إذا فعلتَ ذلك فقد أسلمْتَ». قال: يا رسولَ الله فحدِّثني ما الإيمانُ؟ قال: «الإيمانُ أن تؤمنَ بالله واليومِ والآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين، وتؤمنَ بالموت وبالحياة بعد الموتِ، وتؤمنَ بالجنّة والنار والحسابِ والميزانِ، وتؤمنَ بالقدر كلِّه خيرِه وشرِّه». قال: فإذا فعلتُ ذلك فقد آمنتُ؟ قال: «إذا فعلتَ ذلك فقد آمنتَ». قال: يا رسولَ الله حدّثني ما الإحسانُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «الإحسانُ أن تعملَ لله كأنك تراه، فإنك إن لم ترَه فإنه يراك». قال: يا رسولَ الله فحدِّثني متى الساعةُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهنّ إلاّ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولكن إن شئتَ حدّثتُك بمعالمَ لها دون ذلك»، قال: أجلْ يا رسولَ الله فحدِّثني. قال رسولُ الله ﷺ: «إذا رأيتَ الأمةَ ولدَتْ ربَّتَها أو ربَّها، ورأيتَ أصحابَ الشاءِ تطاولوا بالبنيان، ورأيتَ الحُفاةَ الجِياعَ العالةَ كانوا رؤوسَ الناس، فذلك من معالم الساعةِ وأشراطِها». قال: يا رسولَ الله، ومَن أصحابُ الشاءِ والحفاةِ الجِياعُ العالةُ؟ قال: العربُ»، وحسّنه الحافظُ العَسْقلاني[١].

الحديثُ به عن أبي عامرٍ

وأما حديثُ أبي عامر فقال الإمامُ أحمدُ[٢] أيضاً: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي حسينٍ حدثنا شهرُ بنُ حَوْشبٍ عن عامرٍ أو أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ بينما هو جالسٌ في مجلس فيه أصحابُه جاءه

(١) في «الفتح» (١/١١٦).

(٢) في «المسند» (٤/١٢٩) بسند حسن، وفيه شهر بن حوشب، وقد تقدم الكلام عليه آنفاً.

جبريلُ عليه السلام في غير صورتِه يحسبه رجلاً من المسلمين فسلَّم عليه فردّ عليه السلام، ثم وضع جبريلُ يدَه على ركبتي النبيِّ ﷺ، فذكر الحديثَ بنحو حديثِ عمرَ بنِ الخطاب.

وفيه: فلما ولَّى ـ أي السائلُ ـ فلما لم نرَ طريقَه بَعْدُ قال، أي النبيُّ ﷺ: **«سبحان الله ـ ثلاثاً ـ هذا جبريلُ جاء ليُعلِّمَ الناسَ دينهم»**، وحسّنه الحافظ أيضاً[1]، وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالىٰ.

وأما الأحاديث التي قبله فقد خرّجها غيرُ مَن ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمّهاتِ لشُهرتها، وفي الباب عن جماعة من الصحابة غيرُ من ذُكر، منهم طلحةُ بنُ عبيد الله[2] وأنسُ بنُ مالكٍ[3] وجريرُ بنُ عبدِ الله البَجَليُّ[4] ﷺ، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ ما تيسّر من النصوص في كل مسألةٍ من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق.

الإيمانُ قولٌ وعملٌ

(اعــلـمْ بــأن الــديـنَ قــولٌ وعــمــلْ فاحفَظْه وافهم ما عليه ذا اشتملْ)

(اعلم) يا أخي وفقني الله وإياكَ والمسلمين **(بأن الدينَ)** ـ الذي بعث الله به رسلَه وأنزل به كتبَه، ورضِيَه لأهل سمواتِه وأرضِه، وأمر أن لا يُعْبَدَ إلاّ به، ولا يقبَلُ من أحد سواه، ولا يرغَبُ عنه إلاّ من سَفِه نفسَه، ولا أحسنُ ديناً ممن التزمه واتبعه ـ هو **(قولٌ)** أي بالقلب واللسانِ **(وعملٌ)** أي بالقلب واللسانِ والجوارح، فهذه أربعةُ أشياءَ جامعةٌ لأمور دينِ الإسلام:

---

(١) في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم ـ كما في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه البزار (١/ ٢٠ ـ ٢١ رقم ٢٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٠) وقال: «رواه البزار وفيه الضحاك بن نبراس، قال البزار: ليس به بأس، وضعّفه الجمهور» اهـ.
ومع ذلك حسّن الحافظ إسناده في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٤) أخرجه أبو عوانة في صحيحه.
وفي إسناده خالد بن يزيد العمري ولا يصلح للصحيح.
كما في «الفتح» (١/ ١١٦).

(الأولُ): قولُ القلب وهو تصديقُه وإيقانُه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، صدّقوا ثم لم يشكُّوا.

وفي حديث الدرجات العُلى: «**بلى والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**»[١]. وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعةِ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه من الخير ما يَزِن شعيرةً**»[٢]، الحديث.

وفي الحديث الآخر: «**فيقال انطلِقْ فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من بُرّة أو شعيرةٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردل من إيمان**»[٣].

وقال تعالىٰ في المكذّبين: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يسٓ: ١٠]، وقال تعالىٰ في المرتابين الشاكّين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٢٠ رقم ٣٢٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٧٧ رقم ٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٢ رقم ٧٤١٠)، ومسلم (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ١٩١) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ١٩٣) من حديث أنس.

مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، أي في قولهم نشهد، أي كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بألسنتهم تَقِيةً ونِفاقاً ومخادعةً.

(الثاني): قولُ اللسان وهو النطقُ بالشهادتين شهادةِ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله والإقرارُ بلوازمهما.

قال الله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [القصص: ٥٣]، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال ﷺ: **«أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأني رسولُ الله»**[1]، وما في معناه مما سنذكر ومما لا نذكر.

(الثالث): عملُ القلبِ وهو النيةُ والإخلاصُ والمحبةُ والانقيادُ والإقبالُ على الله عزّ وجلّ والتوكّلُ عليه ولوازمُ ذلك وتوابعُه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٥٢]. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿قُلْ إِن

---

(١) وهو حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال النبيُّ ﷺ: **«إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكِحُها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه»**[١].

وقال ﷺ: **«قال الله تعالىٰ أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عَمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه»**[٢]. وقد تقدم جملةٌ من نصوص الإخلاصِ في الكلام على لا إلٰه إلاّ الله، وتقدم هناك بيانُه وما ينافيه من الشرك الأكبرِ، وما ينافي كمالَه من الشرك الأصغر.

وقال ﷺ: **«أحِبّوا الله من كل قلوبكم»**[٣].

وقال ﷺ: **«ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما»**[٤] الحديث.

وقال ﷺ: **«لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١/٩ رقم ١)، ومسلم (٣/١٥١٥ رقم ١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١/٦٠ رقم ١٦)، ومسلم (١/٦٦ رقم ٤٣) من حديث أنس.

(٥) أخرجه البخاري (١/٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/٦٧ رقم ٤٤) من حديث أنس.

وكان ﷺ يقول: «اللّهمّ إني أسألك حبّك وحبّ من يحبك وحبّ كلّ عمل يقرّبني إلى حبك»[1].

وقال ﷺ: «اللّهمّ حبّبْ إلينا الإيمانَ وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيانَ واجعلنا من الراشدين»[2].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبعاً لما جئتُ به»[3]، وهذا غايةُ الانقيادِ إذا لم يكن له هوىً غير ما جاء به الرسولُ ﷺ. وقد تقدمت النصوصُ في التوكّل والخوفِ والرجاءِ والخشيةِ والخضوعِ وغيرِ ذلك من أعمال القلوب.

(الرابع): عملُ اللسانِ والجوارحِ، فعملُ اللسانِ ما لا يؤدّى إلاّ به كتلاوة القرآنِ وسائرِ الأذكار من التسبيح والتحميدِ والتهليلِ والتكبير والدعاءِ والاستغفار وغيرِ ذلك، وعملُ الجوارحِ ما لا يؤدّى إلاّ بها، مثلُ القيامِ والركوعِ والسجود والمَشْيِ في مرضاة الله كنقل الخُطا إلى المساجد وإلى الحجّ والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرِ ذلك مما يشمَله حديثُ شُعَب الإيمان. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٢ رقم ٣٤٩٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٣) من حديث أبي الدرداء.
قال الترمذي: حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».
وتعقبه الذهبي بقوله: «بل عبد الله هذا قال أحمد: أحاديثه موضوعة».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤)، والبزار (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ رقم ١٨٠٠) من حديث عبيد بن رفاعة عن أبيه.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢١) وقال: «رواه أحمد والبزار واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح. وقال: اللّهمّ قاتل كفرة أهل الكتاب، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

(٣) تقدم تخريجه.

ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وهي **«سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبرُ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم»**[1]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصودُ تقريرُ هذه الأمورِ من أصول الدينِ، فإذا حَقَّقْتَ هذه الأمورَ الأربعةَ تحقيقاً

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٣ رقم ٥١٣ ـ شاكر) من حديث عثمان بن عفان، بإسناد صحيح.

بالغاً وعرفْتَ ما يراد بها معرفةً تامةً وفَهِمت فهماً واضحاً ثم أمعنتَ النظرَ في أضدادها ونواقِضها تبيّن لك أن أنواعَ الكفرِ لا تخرجُ عن أربعة:

كفرُ جهلٍ وتكذيب.

وكفرُ جحود.

وكفرُ عنادٍ واستكبار.

وكفرُ نفاق.

فأحدُهما يُخرِج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلماتٌ بعضُها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفيَ هذه الأمورُ كلُّها ـ قولُ القلبِ وعملُه وقولُ اللسان وعملُ الجوارح ـ أو ينتفيَ بعضُها، فإن انتفت كلُّها اجتمع أنواعُ الكفرِ غيرَ النفاق، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة].

وإن انتفى تصديقُ القلبِ مع عدم العلم بالحق فكفرُ الجهلِ والتكذيب، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، وإن كتم الحقَّ مع العلم بصدقه فكفرُ الجحودِ والكتمان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١٤٧﴾ [البقرة].

وإن انتفى عملُ القلبِ من النيّة والإخلاصِ والمحبةِ والإذعانِ مع انقياد الجوارحِ الظاهرةِ فكفرُ نفاقٍ سواءٌ وُجد التصديقُ المطلقُ أو انتفى، وسواءٌ انتفى بتكذيبٍ أو شك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ ـ ٢٠].

وإن انتفى عملُ القلب وعملُ الجوارحِ مع المعرفة بالقلب والاعترافِ باللسان فكفرُ عنادٍ واستكبار، ككفر إبليسَ وكفرِ غالبِ اليهودِ الذين شَهِدوا أن الرسولَ حقٌّ ولـم يتبعوه أمثالُ حُيَيِّ بنِ أخطبَ وكعبِ بنِ الأشرفِ وغيرِهم، وكفرِ مَن ترك الصلاةَ عناداً واستكباراً، ومُحالٌ أن ينتفيَ انقيادُ الجوارحِ بالأعمالِ الظاهرةِ مع ثبوتِ عملِ القلب، قال النبيّ ﷺ: «**إن في الجسد مضغةً إذا صلَحتْ صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلّه، ألا وهي القلبُ**»[1].

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنةِ في الإيمان: هو التصديقُ على ظاهرِ اللغةِ ـ أنهم إنما عنَوا التصديقَ الإذعانيَّ المستلزِمَ للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنُوا مجرّد التصديق، فإن إبليس لـم يكذّبْ في أمر الله تعالىٰ له بالسجود، وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهودُ كانوا يعتقدون صدقَ الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعونُ كان يعتقد صدقَ موسى ولـم ينقُدْ بل جحد آياتِ الله ظلماً وعلوّاً فأين هذا من التصديق، مَن قال الله تعالىٰ فيه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] الآيات، وأين تصديقُ من قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، مِن تصديق من قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والله الموفق.

(كفاك ما قد قاله الرسولُ — إذْ جاءه يسأله جبريلُ)

(على مراتبِ ثلاثٍ فصّلهْ — جاءت على جميعه مشتملهْ)

(الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ — والكلُّ مبنيٌّ على أركانِ)

كفاك أيها الطالبُ الحقَّ **(ما قد قاله الرسول)** محمدٌ ﷺ **(إذ)** حينَ **(جاءه يسأله)** عن مراتبِ الدينِ وشرائِعه **(جبريلُ)** عليه السلام كما في الأحاديث السابقةِ عن جماعة من الصحابة **(على مراتب ثلاثٍ فصّله)** في تلك الأجوبةِ الصريحةِ **(جاءت)** أي الثلاثُ المراتب **(على جميعه)** أي على جميع الدين **(مشتملة)**،

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٢٦ رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩ ـ ١٢٢١ رقم ١٠٧) من حديث النعمان بن بشير.

ولهذا سمى النبيُّ ﷺ تلك امورَ: «الدينَ» فقال: «**هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينَكم**»[1].

[مرتبة الإسلام]

(**الإسلام**) بالخفضِ، بدلٌ مفصل من مُجملٍ مراتبَ، ويقال له بدلُ بعضٍ من كل، وما بعده معطوفان عليه، **هذه هي المرتبة الأولى في** حديث عمرَ وما وافق لفظَه.

والإسلامُ لغةً: الانقيادُ والإذعانُ، **وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان**:

(**الحالة الأولى**): **أن يُطلقَ على الأفراد غيرَ مقترنٍ بذكر الإيمان**، فهو حينئذ يراد به الدينُ كلُّه أصولُه وفروعُه من اعتقاداته وأقوالِه وأفعالِه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في كافة شرائعِه، ونحو ذلك من الآيات.

وكقوله ﷺ لما سأله معاويةُ بنُ حيدةَ: ما الإسلامُ؟ قال: «**أن تقول أسلمتُ وجهيَ لله وتخلّيت**»[2]، الحديث.

وفي حديث عمْرو بنِ عبسةَ ﷺ قال: قال رجلٌ يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟ قال: «**أن يُسلم قلبُك لله عزّ وجلّ، وأن يَسلَم المسلمون من لسانك ويدِك**»، قال: فأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: «**الإيمان**»، قال: وما الإيمانُ؟ قال: «**تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والبعثِ بعد الموتِ**»[3]، فجعل ﷺ الإيمانَ من الإسلام وهو أفضلُه.

---

(١) تقدم تخريجه وبيان طرقه في هذا الباب المخصّص له.

(٢) وهو حديث حسن.
أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤، ٥)، والنسائي (٥/ ٤ ـ ٥ رقم ٢٤٣٦) و(٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٩) وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٧ رقم ٢٠١٠٧) ومن طريقه أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١٤) بسند صحيح.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» بنحوه، ورجاله ثقات» اهـ.

وقولِه ﷺ: «إذا أسلم العبدُ فحسُنَ إسلامُه كتب الله له كلَّ حسنةٍ كان أزْلَفَها، ومُحيت عنه كلُّ سيئةٍ كان أزلَفها»[1]، الحديث.

فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمانٍ لا يكون حُسْنَ إسلام بل هو النفاق، فكيف تُكتب له حسناتٌ أو تُمحى عنه سيئاتٌ؟ ونحوُ ذلك من الأحاديث.

(الحالة الثانية): أن يُطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمالُ والأقوالُ الظاهرةُ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وكقوله ﷺ لما قال له سعدٌ رضي الله عنه: ما لَكَ عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً.

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه النسائي (٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٤٩٩٨)، وعلّقه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨ رقم ٤١) من حديث أبي سعيد الخدري.
قال الحافظ في «الفتح»: «هكذا ذكره معلقاً، ولم يوصله في موضع آخر من هذا الكتاب، وقد وصله أبو ذرّ الهروي في روايته للصحيح فقال عقبة: أخبرنا النضروي وهو العباس بن الفضل قال: حدّثنا الحسن بن إدريس، قال: حدّثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم عن مالك به.
وكذا وصله النسائي من رواية الوليد بن مسلم، حدثنا مالك، فذكره أتمّ مما هنا كما سيأتي.
وكذا وصله الحسن بن سفيان من طريق عبد الله بن نافع، والبزار من طريق إسحاق الفروي، والإسماعيلي من طريق عبد الله بن وهب.
والبيهقي في «الشعب» (١/ ٥٨ رقم ٢٤) من طريق إسماعيل بن أبي أويس كلهم عن مالك.
وأخرجه الدارقطني من طرق أخرى عن مالك، وذكر أن معن بن عيسى رواه عن مالك فقال: «عن أبي هريرة» بدل «أبي سعيد» وروايته شاذّة.
ورواه سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلاً.
ورَوِّيناه في «الخلعيات» ـ هي عشرون جزءاً في الحديث، تخريج القاضي أبي الحسين علي بن حسن الخلعي الموصلي المتوفى سنة (٤٤٨هـ) ـ وقد حفظ مالك الوصل فيه وهو أتقن لحديث أهل المدينة من غيره.
وقال الخطيب: هو حديث ثابت.
وذكر البزار أن مالكاً تفرّد بوصله» اهـ.

فقال ﷺ: «أوْ مسلمٌ»[1]، يعني أنك لم تطّلعْ على إيمانه، وإنما اطلعتَ على إسلامه من الأعمال الظاهرة.

وفي رواية النسائي[2]: «لا تقل مؤمنٌ وقل مسلمٌ»، وكحديث عمرَ هذا، وغيرِ ذلك من الآيات والأحاديث.

[مرتبة الإيمان]

(والإيمان) هذه المرتبةُ الثانيةُ في الحديث المذكورِ، والإيمانُ لغةً التصديقُ، قال إخوةُ يوسفَ لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] يقول بمُصدِّق، **وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:**

(الحالة الأولى): أن يُطلق على الإفراد غيرَ مقترنٍ بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدينُ كله، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مؤمنةٌ»**[3].

ولهذا حصر الله الإيمانَ فيمن التزم الدينَ كلَّه باطناً وظاهراً في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٩ رقم ٢٧)، ومسلم (١/ ١٣٢ رقم ١٥٠).

(٢) في «السنن» (٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤ رقم ٤٩٩٢) وهو حديث صحيح.

(٣) وهو حديث صحيح.
أخرجه النسائي (٥/ ٢٣٤ رقم ٢٩٥٨)، والدارمي (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) و(٢/ ٢٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٣٣١).
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين غير المُحَرَّر بن أبي هريرة، وقد أورده ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٦٠) وقال: «روى عنه الشعبي وأهل الكوفة» اهـ.
قلت: وروى عنه غيرهم من الكبار كالزهري وعطاء وعكرمة، فهو ثقة. فقول الحافظ في «التقريب» رقم (٦٥٠٠): «مقبول» غير مقبول.
وعليه، فالإسناد صحيح، والله أعلم.

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وفسّرهم بمن اتّصف بذلك كلّه في قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل]، وغيرها من الآيات.

وقد فسّر الله تعالىٰ «الإيمان» بذلك كلّه في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وروى ابنُ أبي حاتم[1] أن أبا ذرّ سأل النبيَّ ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه رسولُ الله ﷺ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى آخر الآية.

ثم سأله أيضاً، فتلاها عليه، ثم سأله فقال: **«إذا عَمِلْتَ حسنةً أحبها قلبُك، وإذا عمِلتَ سيئةً أبغضها قلبُك»**[2]، رواه المسعوديُّ بنحوه.

---

(١) في تفسيره (١/٢٨٧ رقم ١٥٣٩) بسند منقطع.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/٢١٣) وقال عقبه: «وهذا منقطع فإن مجاهداً لم يدرك أبا ذر، فإنه مات قديماً» اهـ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/٢١٣): «قال المسعودي: حدثنا القاسم بن عبد الرحمٰن قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فقرأ عليه هذه الآية:
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ [البقرة: ١٧٧]، حتى فرغ منها، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال أبو ذر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عمّا سألتني عليه فقرأ عليه هذه الآية، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال له رسول الله ﷺ وأشار بيده: **«المؤمن إذا عمل حسنة سرّته ورجا ثوابها، وإذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها»**، رواه ابن مردويه، وهذا أيضاً منقطع والله أعلم» اهـ.

وفسَّره النبيُّ ﷺ بذلك كلِّه في حديث وفْدِ عبدِ القيس في الصحيحين[1] وغيرهما، فقال: «آمرُكم بالإيمان بالله وحدَه»، قال: «أتدرون ما الإيمانُ بالله وحدَهُ؟»، قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: «شهادةُ أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيامُ رمضانَ وأن تؤدُّوا من المغنم الخُمسَ».

وقد جعل ﷺ قيامَ رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكذا قيامَ ليلةِ القدر، وكذا أداءَ الأمانة، وكذا الجهادُ والحجُّ واتّباع الجنائز، وغيرُ ذلك.

وفي الصحيحين[2]: «الإيمان بِضْعٌ وسبعون شُعبةً[3]، فأعلاها قولُ لا إلٰه إلاّ الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق»، وهذه الشعَبُ المذكورةُ في القرآن والسنةِ في مواضعَ متفرقةٍ، (منها) ما هو من قول القلبِ وعَملِه، (ومنها) ما هو من قول اللسان، (ومنها) ما هو من عمل الجوارحِ.

ولما كانت الصلاةُ جامعةً لقول القلبِ وعملِه، وقولِ اللسانِ وعملِه وعملِ الجوارحِ سماها الله تعالىٰ إيماناً في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني صلاتكم كما يُعلم من سبب نزول الآية.

وروى سعيدُ بنُ منصورٍ[4] عن عبد الرحمٰن بن يزيدَ: كنا عند عبدِ الله بن

---

(١) البخاري (٨/ ٨٤ ـ ٨٥ رقم ٤٣٦٨)، ومسلم (١/ ٤٦ رقم ١٧).

(٢) البخاري (١/ ٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٧٦)، والترمذي رقم (٢٦١٧)، والنسائي (٨/ ١١٠)، وابن ماجه رقم (٥٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٥) كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) الشُعبة بضم الشين هي القطعة. والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي إنَّ الإيمان ذو خصال متعدّدة. وقد لخَّصها الحافظ ابن حجر وأوردها في «الفتح» (١/ ٥٢ ـ ٥٣).
وقد صنّف العلماء في تعيين هذه الشعب كتباً كثيرة.
(منها): «المنهاج» لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني الحَليمي المتوفى سنة (٤٠٣هـ).
ثم حذا حذوه وزاد عليه ورتّبه الإمام أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨هـ).
ثم اختصره أبو المعالي عمر بن عبد الرحمٰن القزويني، المتوفى سنة (٦٩٩هـ).

(٤) في «سننه» (٢/ ٥٤٤ رقم ١٨٠) بسند رجاله ثقات، إلاّ أن فيه الأعمش مدلس ولم يصرِّح بالسماع هنا. =

مسعودٍ فذكرنا أصحابَ محمدٍ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدُ الله: إن أمرَ محمدٍ ﷺ كان بيّناً لمن رآه، والذي لا إله غيرُه ما آمن أحدٌ قطُّ إيماناً أفضلَ من إيمانٍ بالغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ - إلى قوله - ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٥]، والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب يطول ذكرُها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدلّ على ما وراءه، وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلفُ الصالح بقولهم رحمهم الله تعالىٰ: إن الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وإن الأعمالَ كلَّها داخلةٌ في مسمى الإيمان.

وحكى الشافعي[1] على ذلك إجماعَ الصحابة والتابعين ومَن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمالَ عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً مُحْدَثاً ممن سُمّيَ لنا سعيدُ بنُ جُبير، وميمونُ بنُ مُهرانَ، وقتادةُ، وأيوبُ السَّخْتيانيُّ، والنَّخَعيُّ، والزُّهريُّ، وإبراهيمُ، ويحيى بنُ أبي كثير، والثوريُّ، والأوزاعيُّ، وعمرُ بنُ عبد العزيز وغيرُهم.

قال الثوري: هو رأيٌ مُحْدَثٌ، أدركْنا الناسَ على غيره. وقال الأوزاعيُّ: كان مَن مضى من السلف لا يفرقون بين العملِ والإيمان[2].

وكتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز إلى الأمصار: أما بعدُ، فإن الإيمانَ فرائضُ وشرائعُ فمن استكملها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يَستكْملها لم يستكمل الإيمانَ[3].

= وللحديث شاهد عند سعيد بن منصور رقم (١٨١) فهو به حسن لغيره.
قلت: وأخرج حديث عبد الله بن مسعود ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٤ - ٣٥ رقم ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٠).
وأحمد بن منيع كما في «المطالب العالية» (٣/ ٦٩ رقم ٢٨٩٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٣٧١ رقم ٢٠٩).
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) قال ابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٩٤ رقم ٢٢٣): «وقد نقل الطبري عن الإمام الشافعي أنه حكى الإجماع على ذلك، كما حكاه غيره من الأئمة».
(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً (١/ ٤٥).
ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٤٩)، وفي «الإيمان» رقم (١٣٥) بسند صحيح.

وهذا المعنى هو الذي أراد البخاريُّ إثباته في كتاب الإيمانِ[1]، وعليه بوّب أبوابَه كلَّها فقال: «بابُ أمورِ الإيمان»[2] و«باب الصلاةُ من الإيمان»[3] و«بابُ الزكاةُ من الإيمان»[4]، و«بابُ الجهادُ من الإيمان»[5] و«بابُ حبُّ الرسول ﷺ من الإيمان»[6] و«بابُ الحياءُ من الإيمان»[7] و«باب قيامُ ليلة القدر من الإيمان»[8] و«باب قيامُ رمضانَ من الإيمان»[9] و«باب صومُ رمضان احتساباً من الإيمان»[10] و«باب اتّباعِ الجنائز من الإيمان»[11] و«باب أداءِ الخمس من الإيمان»[12] وسائرُ أبوابِه.

وكذلك صنع النَّسائيُّ في المجتبى[13]، وبوّب التِّرمِذيُّ[14] على حديث وفد عبدِ القيس «باب ما جاء في إضافة الفرائضِ إلى الإيمان».

وكلامُ أئمةِ الحديثِ وتراجُمهم في كتبهم يطول ذكرُه وهو معلومٌ مشهور، ومما قصدوه بذلك الردُّ على أهلِ البدعِ ممن قال هو مجردُ التصديقِ فقط كابن الراونْديّ[15] ومن وافقه من المعتزلة وغيرِهم، إذ على هذا القول يكون اليهودُ

---

(١) (١/ ٤٥ رقم الكتاب ٢).
(٢) (١/ ٥٠ رقم الباب ٣).
(٣) (١/ ٩٥ رقم الباب ٣٠).
(٤) (١/ ١٠٦ رقم الباب ٣٤).
(٥) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٦).
(٦) (١/ ٥٨ رقم الباب ٨).
(٧) (١/ ٧٤ رقم الباب ١٦).
(٨) (١/ ٩١ رقم الباب ٢٥).
(٩) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٧).
(١٠) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٨).
(١١) (١/ ١٠٨ رقم الباب ٣٥).
(١٢) (١/ ١٢٩ رقم الباب ٤٠).
(١٣) (٨/ ٩٣ ـ ١٢٦ رقم الأبواب من ١ ـ ٣٣).
(١٤) في «السنن» (٥/ ٨ ـ ٩ رقم ٢٦١١)، ورقم الباب (٥).
(١٥) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق العالم ـ الملحد المشهور ـ من أهل مرو الروذ سكن بغداد، وكان من الفضلاء في عصره، ومن متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً، له نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب، وكان يلازم أهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك، قال: إنما =

الذين أقرُّوا برسالة محمدٍ ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمانَ عنهم.

وقال جهمُ بنُ صَفْوانَ وأتباعُه: هو المعرفةُ بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجهِ الأرضِ كافرٌ بالكلية إذ لا يجهل الخالقَ سبحانه أحدٌ. وما أحسنَ ما قاله العلامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله في نونيّته الكافيةِ الشافية[1]:

قالوا: وإقرارُ العبادِ بأنه	خلّاقهم هو منتهى الإيمانِ
والناسُ في الإيمان شيءٌ واحدٌ	كالمُشط عند تماثُل الأسنان
فاسأل أبا جهلٍ وشيعته ومَن	والاهمُو من عابدي الأوثان
وسل اليهودَ وكلَّ أقلفَ مشركٍ	عبدَ المسيحَ مقبِّلِ الصُّلبان
واسأل ثمودَ وعادَ بل سل قبلهم	أعداءَ نوحٍ أمّةَ الطوفان
واسأل أبا الجنّ اللعينَ أتعرف الـ	ـخلاقَ أم أصبحت ذا نُكران
واسأل شرارَ الخلقِ أقبحَ أمةٍ	لوطيةً هم ناكحو الذُكران
واسأل كذاك إمامَ كلِّ معطِّلٍ	فرعونَ مع قارونَ مع هامان
هل كان فيهم منكرٌ للخالق	الربِّ العظيمِ مكوِّن الأكوان
فليبشُروا ما فيهمُو من كافر	هم عند جَهْمٍ كاملو الإيمان

وقالت المُرْجئة[2] والكرّامية[3]: الإيمانُ هو الإقرارُ باللسان دون عَقدِ القلب،

= أريد أن أعرف مذهبهم، ثم إنه كاشف وناظر.

وذكر الطبري أنه كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال، وقيل: إنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم، واختلف في زمان وفاته؛ قال ابن خلكان: سنة (٢٤٥هـ) وعمره أربعون سنة. وقال ابن النجار: سنة (٢٩٨هـ)، وفي «كشف الظنون»: سنة (٤٠١هـ). [(التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول) لصدّيق حسن خان (ص٣٠٣)].

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» شرحها وحققها: د.محمد خليل هراس (١/ ٢٨ ـ ٣٠).

(٢) المرجئة: من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور، وقد احتلّت مكاناً واسعاً في أذهان الناس، وفي إهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم. [انظر «فرق معاصرة للعواجي» (٢/ ٧٤٣ ـ ٧٩٢)].

(٣) تقدم التعريف بها.

فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ - إلى قوله - وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٤ - ٨٥]، وغيرُ ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط، وكذّبهم الله عزّ وجلّ في دعواهم في غير موضعٍ من القرآن. وقال آخرون: التصديقُ بالجَنان والإقرارُ باللسان. وهذا القولُ مُخرِجٌ لأركان الإسلامِ الظاهرةِ المذكورةِ في حديث جبريلَ، وهو ظاهرُ البطلان.

وذهب الخوارجُ[(١)] والعلافُ ومن وافقهم إلى أنه الطاعةُ بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً، وهذا القولُ مصادم لتعليم النبيِّ ﷺ لوفود العربِ السائلين عن الإسلام والإيمان. وكلما يقول[(٢)] له السائل في فريضة: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلاّ أن تطّوّع شيئاً**»[(٣)].

وذهب الجبائيُّ[(٤)] وأكثرُ المعتزلةِ البصْريةِ إلى أنه الطاعاتُ المفروضةُ من الأفعال والتروكِ دون النوافل. وهذا أيضاً يُدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقون منهم: العملُ والنطقُ والاعتقادُ. والفرقُ بين هذا وبين قولِ السلفِ الصالح أن السلفَ لم يجعلوا كلَّ الأعمال شرطاً في الصحة، بل جعلوا

---

(١) **الخوارج**: فرقة خرجت على علي رضي الله عنه، ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والمارقة والشرارة والبغاة، وهم الذين يكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون أنهم مخلدون في النار، ووجوب الخروج على أئمة الجور، وهم يكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١٣٢)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص١٥٠)، و«المقالات» (١/ ٨٦)، و«فرق معاصرة» للعواجي (١/ ٦٣ - ١٢٣).

(٢) كذا في الأصل والأولى: (قال).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٠٦ رقم ٤٦)، ومسلم (١/ ٤٠ - ٤١ رقم ١١).

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبّائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة «الجبائية»، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له «تفسير» حافل مطول، ردَّ عليه الأشعري. ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة.

[«الأعلام للزركلي» (٦/ ٢٥٦)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٢٥٥ - ٢٥٦)].

كثيراً منها شرطاً في الكمال كما قال عمرُ بنُ عبد العزيز[1] فيها: من استكملها استكمل الإيمانَ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمانَ. والمعتزلةُ جعلوها كلَّها شرطاً في الصحة، والله أعلم.

و(**الحالة الثانية**) أن يُطلق الإيمانُ مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسَّر بالاعتقادات الباطنةِ كما في حديث جبريلَ هذا وما في معناه، وكما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النساء: ٥٧] في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبيّ ﷺ في دعاء الجنازة: «**اللّهمّ من أحييتَه منا فأحْيِه على الإسلام، ومن توفّيتَه منا فتوفّه على الإيمان**»[2]، وذلك أن الأعمالَ بالجوارح، وإنما يتمكّن منها في الحياة فأما عند الموتِ، فلا يبقى غيرُ قول القلبِ وعملِه.

وكحديث أنسٍ عند أحمدَ[3] عن النبيّ ﷺ قال: «**الإسلامُ عَلانيةٌ، والإيمانُ في القلب**».

والحاصلُ أنه إذا أُفرد كلٌّ من الإسلام والإيمانِ بالذكر، فلا فرق بينهما حينئذ، بل كلٌّ منهما على انفراده يشمل الدينَ كلَّه، وإن فُرق بين الاسمين كان الفرقُ بينهما بما في هذا الحديثِ الجليل، والمجموعُ مع الإحسانِ هو الدين كما سمّى النبيُّ ﷺ ذلك كلَّه ديناً، وبهذا يحصُل الجمعُ بين هذا الحديثِ وبين الأحاديثِ التي فيها تفسيرُ الإيمانِ بالإسلام، والإسلامِ بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهلُ العلم.

---

(١) تقدم تخريج الأثر قريباً.

(٢) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (٢/٣٦٨)، والترمذي (٣/٣٤٣ رقم ١٠٢٤)، وأبو داود (٣/٥٣٩ رقم ٣٢٠١)، وابن ماجه (١/٤٨٠ رقم ١٤٩٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٨٠)، وابن حبان رقم (٧٥٦ ـ موارد)، والحاكم (١/٣٥٨) من طرق.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) في «المسند» (٣/١٣٤ ـ ١٣٥).
قلت: وأخرجه البزار رقم (٢٠ ـ كشف)، وأبو يعلى في «المسند» (٥/٣٠١ ـ ٣٠٢ رقم ٢٩٢٣/١٦٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٥٢) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى بتمامه، والبزار مختصراً، ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان، وأبو داود الطيالسي، وأبو حاتم، وابن معين، وضعّفه آخرون» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قال ابنُ رجبٍ[1] رحمه الله: «وأما وجهُ الجمعِ بين هذه النُّصوص وبين حديثِ سؤالِ جبريلَ عليه السَّلام عن الإسلام والإيمانِ، وتفريقِ النبيِّ ﷺ بينهما وإدخالِه الأعمالَ في مُسمَّى الإسلام دون الإيمان فإنه يتّضح بتقرير أصلٍ، وهو أن مِنَ الأسماءِ ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ متعدّدة عند إفرادِه وإطلاقِه، فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسمّياتِ، والاسمُ المقرونُ به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكينِ، فإذا أُفرد أحدُهما دخل فيه كلُّ مَن هو محتاجٌ، فإذا قُرن أحدُهما بالآخر دلّ أحدُ الاسمين على بعض أنواعِ ذوي الحاجاتِ والآخرُ على باقيها، فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمان إذا أُفرد أحدُهما دخل فيه الآخرُ، ودلّ بانفراده على ما يدلُّ عليه الآخَرُ بانفراده، فإذا قُرِنَ بينهما دلَّ أحدُهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفرادِه ودلّ الآخرُ على الباقي».

قال: «وقد صرَّح بهذا المعنى جماعةٌ من الأئمةِ، قال أبو بكرٍ الإسماعيليُّ[2] في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثيرٌ من أهلِ السنة والجماعةِ إن الإيمانَ قولٌ وعمل، والإسلامُ فعلُ ما فرض الله تعالىٰ على الإنسان أن يفعَله إذا ذكر كلُّ اسم على حِدَته مضموماً إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردَيْنِ أريدَ بأحدهما معنىً لم يُرَد به الآخَرُ. وإذا ذُكر أحدُ الاسمين شمل الكلَّ وعمَّهم. وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابيُّ في كتابه (معالم السنن)[3] وتَبِعَهُ عليه جماعةٌ من العلماءِ من بعده».

قلت: كلامُ الخطابيِّ الذي أشار إليه ابنُ رجبٍ ذكره النوويُّ في شرح مسلم[4]، قال: قال الإمامُ أبو سليمانَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيم الخطابيُّ البُسْتيُّ

---

(١) في كتابه: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» (١/١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) هو الإمام الحافظ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي، كان شيخ المحدثين في عصره، له عدة مصنفات منها: «المستخرج على الصحيحين»، توفي سنة (٣٧١هـ)».
[انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٩٢)].

(٣) (٥/ ٧١ ـ مع السنن).

(٤) في (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

الفقيهُ الأديبُ الشافعيُ المحققُ رحمه الله تعالىٰ في كتابه (معالم السنن): ما أكثرَ ما يغلَط الناسُ في هذه المسألةِ، فأما الزُهريُّ فقال: الإسلامُ الكلمةُ، والإيمانُ العملُ. واحتجَّ بالآية يعني قولَه عزّ وجلّ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وذهب غيرُه إلى أن الإسلامَ والإيمانَ شيءٌ واحدٌ، واحتجَّ بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات].

قال الخطابي: وقد تكلّم في هذا البابِ رجلان من كبراء أهلِ العلمِ، وصار كلُّ واحد منهما إلى قول من هذين، وردّ الآخرُ منهما على المتقدم وصنّف كتاباً يبلُغ عددُ أوراقِه المِئِينَ.

قال الخطابي: والصحيحُ من ذلك أن يقيد الكلامُ في هذا ولا يُطلق، وذلك أن المسلمَ قد يكون مؤمناً في بعض الأحوالِ ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمنُ مسلمٌ في جميع الأحوالِ، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلم مؤمناً.

وإذا حَمَلْتَ الأمرَ على هذا استقام لك تأويلُ الآياتِ واعتدل القولُ فيها ولم يختلف شيءٌ منها، وأصلُ الإيمانِ التصديقُ، وأصلُ الإسلام الاستسلام والانقيادُ، فقد يكون المرءُ مستسلماً في الظاهر غيرَ منقادٍ في الباطن، وقد يكون مصدّقاً في الباطن غيرَ منقادٍ في الظاهر.

قلت: ما رواه الخطابي عن الزهري أنّه قال: الإسلامُ الكلمةُ، والإيمانُ العملُ، هذا عندي فيه نظرٌ فإنه غيرُ قيِّمِ المبنى ولا واضحِ المعنى، والزهريُّ إمامٌ عظيمٌ من كبار حملةِ الشريعة لا يجهل مثلَ هذا، وليس هذه العبارةُ محفوظةً عنه من وجه يصح بهذه الحروفِ، فإن صحّ النقلُ عنه ففي الكلام تصحيفٌ وإسقاطٌ لعل الصوابَ فيه هكذا: الإسلامُ الكلمةُ والإيمانُ والعملُ، فسقطت الواو العاطفةُ للعملِ على الإيمان، وهذا متعينٌ لموافقته قولِ أهل السنةِ قاطبة أن الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ.

والزهريُّ من أكبر أئمّتِهم وقد تقدم قولُه معهم فيما روى الشافعيُّ عنهم رحمهم الله تعالىٰ، ويكون عنى بالإسلام الدينَ كلَّه كما عنى غيرُه بالإيمان الدينَ

كلِّه، ومما يدل على ذلك استدلالُه بالآية المذكورةِ فإنه لا يستقيم إلاّ على هذا ولا يستقيم على معنى الأوّلِ لإهمال الاعتقادِ فيه الموجودِ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وأمّا قولُه: وذهب غيرُه إلى أن الإسلامَ والإيمان شيءٌ واحد، فهذا إن أراد بذلك الغيرَ من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلاّ عند الانفرادِ وعدمِ الاقتران، لشمول أحدِهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقترانِ أحدهما بالآخرَ ففرقوا بينهما بما فرق به الرسولُ ﷺ في حديث جبريلَ عليه السلام.

وإن أراد أهل البدعِ فإطلاقُ التسويةِ بينهما والاتحادِ في كل حالٍ من الأحوال هو رأيُ المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتي الذاريات، وهو احتجاجٌ ضعيفٌ جداً، لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعند أهل السنةِ أن كلَّ مؤمنٍ مسلمٌ ولا ينعكس، فاتّفق الاسمانِ هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حالٍ، والله أعلم.

وقال الخطابيُّ[(١)] رحمه الله أيضاً في قول النبيِّ ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شُعبةً**»[(٢)]: في هذا الحديثِ بيانُ أن الإيمان الشرعيَّ اسمٌ لمعنىً ذي شُعَبٍ وأجزاءٍ، له أعلى وأدنى، والاسمُ يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلّها، والحقيقةُ تقتضي جميعَ شُعبِه وتستوفي جملةَ أجزائِه، كالصلاة الشرعيةِ لها شُعَبٌ وأجزاءٌ والاسمُ يتعلق ببعضها، والحقيقةُ تقتضي جميعَ أجزائِها وتستوفيها، ويدلّ عليه قولُه ﷺ: «**الحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»[(٣)]. وفيه إثباتُ التفاضلِ في الإيمان، وتباينُ المؤمنين في درجاته[(٤)]، انتهى.

وما أحسنَ ما قال الإمامُ أبو محمدٍ الحسينُ بنُ مسعودٍ البغَويُّ[(٥)] الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ في تفسير سورة البقرةِ لما ذكر هذا الحديث عند قولِه عزّ وجلّ:

---

(١) في «معالم السنن» (٥/٥٦ ـ مع السنن).
(٢) أخرجه البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.
(٣) وهو جزء من الحديث السابق.
(٤) في شرح مسلم للنووي (١/١٤٥).
(٥) في «معالم التنزيل» (١/٦٢).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] الآيات. قال: فالنبيُّ ﷺ جعلَ الإسلامَ في هذا الحديثِ اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمانَ اسماً لما بطَن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمالَ ليست من الإيمان والتصديقَ بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيلٌ لجملة هي كلُّها شيءٌ واحد وجُماعُها الدينُ، ولذلك قال: **«ذاك جبريلُ أتاكم يعلمُكم دينَكم»**، انتهى.

وقال الشيخُ أبو عَمْرو ابنُ الصلاحِ[1] رحمه الله تعالىٰ: قولُه ﷺ: **«الإسلامُ أن تشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً، والإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائِكته وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه»**.

قال: «هذا بيانٌ لأصل الإيمان وهو التصديقُ الباطنُ، وبيانٌ لأصل الإسلامِ وهو الاستسلام والانقيادُ الظاهرُ، وحكمُ الإسلامِ في الظاهر يَثبُت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاةَ والزكاةَ والصومَ والحجَّ لكونها أظهرَ شعائرِ الإسلام وأعظمَها، وبقيامه بها يتمّ استسلامُه، وتركُه لها يُشعِرُ بانحلال قيدِ انقيادِه أو اختلالِه.

ثم إن اسمَ الإيمانِ يتناول ما فُسِّر به الإسلامُ في هذا الحديثِ وسائرُ الطاعات لكونها ثمراتِ التصديق الباطنِ الذي هو أصلُ الإيمانِ ومقوِّياتِ ومُتمِّماتِ وحافظاتٍ، ولهذا فَسَّر ﷺ الإيمانَ في حديث وفْدِ عبدِ القيسِ[2] بالشهادتين والصلاةِ والزكاةِ وصومِ رمضانَ وإعطاءِ الخُمسِ من المغنم، ولهذا لا يقع اسمُ المؤمنِ المُطلقِ على من ارتكب كبيرةً أو تركَ فريضةً لأن اسمَ الشيءِ مُطْلَقاً يقع على الكل منه، ولا يُستعملُ في الناقص ظاهراً إلاّ بقيد، ولذلك جاز إطلاقُ نَفْيِه عنه في قوله ﷺ: **«لا يسرِقُ السارقُ حين يسرِقُ وهو مؤمنٌ»**[3]، واسمُ الإسلامِ

---

(١) في كتابه «صيانة صحيح مسلم من الإخلالِ والغَلط وحمايته من الإسقاطِ والسَّقطِ» (ص١٣١ ـ ١٣٣)، وذكره النووي في شرحه لمسلم (١/١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/٤٦ رقم ١٧/٢٣) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٥/١١٩ رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (١/٧٦ رقم ٥٧) من حديث أبي هريرة.

يتناول أيضاً ما هو أصلُ الإيمانِ وهو التصديقُ الباطنُ، ويتناول أصلَ الطاعات، فإن ذلك كلَّه استسلامٌ. قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمانَ والإسلامَ يجتمعان ويفترقان، وأن كلَّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلمٍ مؤمناً.

قال: وهذا تحقيقٌ وافٍ بالتوفيق بين متفرّقاتِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ الواردةِ في الإيمان والإسلامِ التي طالما غَلِط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافقٌ لمذهب جماهيرِ العلماءِ من أهل الحديثِ وغيرِهم»، انتهى.

وقال ابنُ رجبٍ الحنبليُّ[1] رحمه الله تعالىٰ في الكلام على هذا الحديثِ: «وقد تقدَّم أن الأعمالَ تدخُل في مسمى الإسلامِ ومسمَّى الإيمانِ أيضاً، وذكرنا ما يدخُل في ذلك من أعمال الجوارحِ الظاهرة، ويدخُل في مسمَّاها أيضاً أعمالُ الجوارحِ الباطنةِ.

فيدخلُ في أعمال الإسلامِ إخلاصُ الدينِ لله تعالىٰ، والنصحُ له ولعباده، وسلامةُ القلبِ لهم من الغِشّ والحسَدِ والحقدِ، وتوابعُ ذلك من أنواع الأذى، ويدخُل في مسمَّى الإيمان وجَلُ القلوبِ من ذكر الله عزّ وجلّ، وخشوعُها عند سماعِ ذكرِه وكتابِه، وزيادةُ الإيمانِ بذلك وتحقيقُ التوكّلِ على الله عزّ وجلّ، وخوفُ الله سرّاً وعلانية، والرّضا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيارُ تلَفِ النفوسِ بأعظم أنواعِ الآلامِ على الكفر، واستشعارُ قُربِ الله من العبد ودوامُ استحضارِهِ، وإيثارُ محبةِ الله ورسولِه على محبة ما سواهما، والحبُّ في الله والبغضُ فيه والعطاءُ له والمنعُ له، وأن يكون جميعُ الحركاتِ والسكَناتِ له، وسماحةُ النفوسِ بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشارُ بعمل الحسناتِ والفرَحُ بها، والمَساءةُ بعمل السيّئاتِ والحُزْنُ عليها، وإيثارُ المؤمنين لرسول اللّهِ ﷺ على أنفسهِم وأموالِهم وكثرة الحياءِ وحسنُ الخلق، ومحبةُ ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساةُ المؤمنين خصوصاً الجيرانَ، ومعاضدةُ المؤمنين ومناصرتُهم والحزنُ بما يُحزنهم».

ثم ساق من النصوص في ذلك جملةً وافيةً، قال: «والرّضا بربوبية الله تعالىٰ

---

(١) في كتابه «جامع العلوم والحكم» (١/١١٦، ١١٨ ـ ١١٩).

تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريكَ له، والرِّضا بتدبيره للعبد واختيارِه له، والرِّضا بالإسلام ديناً يتضمّن اختيارَه على سائر الأديان، والرِّضا بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرِّضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبولَ ذلك بالتَّسليم والانشراح، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]»، انتهى.

ونصوصُ الكتابِ والسنةِ، وأقوالُ أئمةِ الدينِ ـ سلفاً وخلفاً ـ في هذا البابِ يطول ذكرُها.

ثم اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزامَ الدينِ الذي تكون به النجاةُ من خِزْيِ الدنيا وعذابِ الآخرة، وبه يفوز العبدُ بالجنّة ويُزحزَحُ عن النار إنّما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريلَ وما في معناه من الآيات والأحاديث.

وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أُجْرِيَت عليه أحكامُ المسلمين في الدنيا ووُكِلَت سريرتُه إلى الله تعالىٰ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]،.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وغيرها من الآيات.

وقال رسولُ الله ﷺ لأسامةَ في قتله الجُهَنيَّ بعد أن قال لا إله إلاّ الله، فقال رسول الله ﷺ: **«أقال لا إله إلاّ الله وقتلْتَه؟»** قال: قلتُ: يا رسولَ الله إنما قالها خوفاً من السلاح؟ قال: **«أفلا شققْتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟»** الحديثُ بطوله في الصحيحين[1]، من طرق بألفاظ، وفي بعضها[2]: فقال: يا رسولَ الله استغفرْ لي، قال: **«وكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة»**.

---

(١) البخاري (٥١٧/٧ رقم ٤٢٦٩) و(١٩١/١٢ ـ ١٩٢ رقم ٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١ ـ ٩٧ رقم ٩٦).

(٢) مسلم (٩٧/١ ـ ٩٨ رقم ٩٧).

ولما أنْ استأذنه عمرُ ﵁ في قتل الرجلِ الذي انتقد عليه حُكْمَه ﷺ في قَسمه الذُّهَيْبَةَ، قال: «**معاذ الله أن يتحدّث الناسُ أني أقتل أصحابي**»[1]، وقال له خالدُ بنُ الوليدِ ﵁ فيه: يا رسولَ الله ألا أضرب عنقَه؟ فقال: «**لعلّه أن يكون يصلي**». قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إني لم أُؤْمَرْ أن أنقبَ عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بطونهم**». الحديث في الصحيحين[2] أيضاً من طرق بألفاظ.

وفي صحيح البخاري[3] عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها وصلّوا صلاتَنا واستقبلوا قِبلَتنا وذبحوا ذبيحتَنا فقد حرمت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلاّ بحقها، وحسابُهم على الله عزّ وجلّ**».

وفي رواية عن أنس نفسِه وله حكمُ المرفوعِ[4] - بل قد رفعه النَّسائي[5] كما سيأتي -: «**من شهد أن لا إله إلاّ الله واستقبل قِبلَتنا وصلّى صلاتَنا وأكَلَ ذبيحتَنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم**».

ورواه أبو داود[6] في الجهاد بلفظ: «**أُمِرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه وأن يستقبلوا قِبلَتنا وأن يأكلوا ذبيحتَنا وأن يصلوا صلاتَنا، فإذا فعلوا ذلك حَرُمَت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلاّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين**».

وفي رواية[7]: «**أُمِرتُ أن أقاتل المشركين**» بمعناه، ورواه النسائي[8] في

---

(١) البخاري (٨/٦٤٨ رقم ٤٩٠٥)، ومسلم (٤/١٩٩٨ - ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٤).
(٢) البخاري رقم (٤٠٩٤ - البغا)، ومسلم (٢/٧٤١ - ٧٤٢ رقم ١٠٦٤).
(٣) (١/٤٩٧ رقم ٣٩٢).
(٤) البخاري (١/٤٩٧ رقم ٣٩٣) موقوفاً.
(٥) في «السنن» (٧/٧٥ رقم ٣٩٦٦) و(٧/٧٦ رقم ٣٩٦٧) وهو حديث صحيح، و(٨/١٠٩ رقم ٥٠٠٣)، وهو حديث صحيح.
(٦) في «السنن» (٣/١٠١ رقم ٢٦٤١) وهو حديث صحيح.
(٧) أخرجها أبو داود (٣/١٠٢ رقم ٢٦٤٢) وهو حديث صحيح.
(٨) في «السنن» (٧/٧٥ - ٧٦ رقم ٣٩٦٦) وهو حديث صحيح.

تحريم الدمِ، ولفظُه قال: **«أمرت أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، فإذا شهدوا أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله واستقبلوا قِبلتَنا وأكلوا ذبيحتَنا وصلوا صلاتَنا فقد حرُمت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلاّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم»**.

وفيه[١] قولُ ميمونَ بنِ سياه لأنس بنِ مالكٍ: يا أبا حمزةَ ما يُحرِّم دمَ المسلمِ ومالَه؟ فقال: من شهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله واستقبل قبلتَنا وصلّى صلاتَنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلمٌ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين.

ورفعه[٢] في كتاب الإيمانِ عن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتَنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم»**، ورواه الترمذي أيضاً[٣].

وفي الصحيحين وغيرِهما عن أبي هريرةَ[٤] وعبدِ الله بنِ عمرَ[٥] ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحق الإسلامِ وحسابُهم على الله عزّ وجلّ»**.

وفي موطأ مالكٍ[٦] ومسندِ أحمدَ[٧] بسند جيد: عن عبيد الله بنِ عديِّ بنِ الخيار: «أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو في مجلس فسارَّه

---

(١) أي سنن النسائي (٧/ ٧٦ رقم ٣٩٦٨) موقوفاً.
(٢) أي النسائي في «السنن» (٨/ ١٠٩ رقم ٥٠٠٣) وهو حديث صحيح.
(٣) في «السنن» (٥/ ٤ رقم ٢٦٠٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
قلت: وأخرجه البخاري مرفوعاً (١/ ٤٩٦ رقم ٣٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ رقم ١٣٩٩)، ومسلم (١/ ٥٢ رقم ٢١).
(٥) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢).
(٦) (١/ ١٧١ رقم ٨٤).
وقال الزرقاني في شرحه للموطأ (١/ ٣٥٠): «أرسله جميع رواة الموطأ إلاّ روح بن عبادة فرواه عن مالك موصولاً فقال: عن رجل من الأنصار، ورواه الليث وابن أخي الزهري عن الزهري، مثل رواية روح عن مالك سواء، ورواه صالح بن كيسان وأبو أويس عن الزهري عن عطاء عن عبيد الله عن عبد الله بن عدي الأنصاري فسمى الرجل المبهم، ذكره ابن عبد البر وأسند هذه الطرق كلّها» اهـ.
(٧) في «المسند» (٥/ ٤٣٣) بسند صحيح.

يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسولُ الله ﷺ فقال: **«أليس يشهد أن لا إله إلاّ الله؟»**، فقال الأنصاريُّ: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: **«أليس يشهد أن محمداً رسولُ الله؟»** قال: بلى يا رسولَ الله، قال: **«أليس يصلّي؟»**، قال: بلى يا رسولَ الله ولا صلاةَ له. فقال رسول الله ﷺ: **«أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»**.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديثُ من الصحاح والحِسانِ وفيما ذكرنا كفاية.

وأمر الله رسولَه ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفِه بسيماهم وعلاماتِهم، ولم يقتُل النبيُّ ﷺ أحداً منهم، وأَجْرى عليهم في الدنيا أحكامَ المسلمين الظاهرةَ، وكانوا يخرُجون معه للحجّ والجهادِ والصلاةِ وغيرِ ذلك ويُقيم الحدودَ عليهم، غير أنه نُهِيَ عن الصلاة عليهم والاستغفارِ لهم، والله أعلم.

[مرتبة الإحسان]

(والإحسان) هذه المرتبةُ الثالثةُ من مراتب الدين في هذا الحديثِ. والإحسانُ لغةً إجادةُ العملِ وإتقانه وإخلاصُه. وفي الشريعة هو ما فسّره النبيُّ ﷺ بقوله: **«أن تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكُ تراه فإنه يراك»**[1]، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ بحثُه والنصوصُ فيه عند ذكرِه في آخر هذا الفصل.

والمقصودُ أنه ﷺ فسّر الإسلامَ هنا بالأقوال والأعمالِ الظاهرة، وفسّر الإيمانَ بالأقوال والأعمالِ الباطنة، والإحسانُ هو تحسينُ الظاهرِ والباطنِ، ومجموعُ ذلك هو الدينُ، والكلُّ من هذه المراتبِ **(مبنيٌّ على أركان)** لا قِوامَ له إلاّ بقيامها، وسنتكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونُحيل ما قُدّم بيانُه منها على موضعه إن شاء الله.

(١) سيأتي تخريجه قريباً.

[أركان الإسلام الخمسة، وهي على قسمين قولية، وعملية]

(فقد أتى: الإسلامُ «مبنيٌ على خمسٍ» فحقِّق وادرِ ما قد نُقِلا)
(أولُها الركنُ الأساسُ الأعظمُ وهو الصراطُ المستقيمُ الأقومُ)
(ركنُ الشهادتين فاثبُتْ واعتصمْ بالعروة الوثقى التي لا تنفَصِمْ)
(وثانياً إقامةُ الصلاةِ وثالثاً تأديةُ الزكاةِ)
(والرابعُ الصيامُ فاسمعْ واتَّبعْ والخامسُ الحجُّ على من يستطع)

وهذه أركانُ المرتبةِ الأولى مرتبةِ الإسلام، وهي على قسمين: قوليةٌ وعمليةٌ.

فالقوليةُ الشهادتان، والعمليةُ الباقي. وهي ثلاثةُ أقسامٍ: بدنيةٌ وهي الصلاةُ والصومُ، وماليةٌ وهي الزكاةُ، وبدنيةٌ ماليةٌ وهو الحجُّ.

وقول القلبِ وعملُه شرطٌ في ذلك كلِّه كما تقدَّم. والنصوصُ في هذه الأمورِ الخمسةِ كثيرةٌ جداً، وهي على نوعين: قسمٌ شاملٌ لجميعها، وقسمٌ يَخُصُّ كلَّ خَصلةٍ منها.

فلنبدأ بالقسم الأولِ ما تيسَّر منه على حِدَته، والقسمُ الثاني مع حلِّ ألفاظِ المتنِ إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك حديثُ جبريلَ[1] السابقُ ذكرُه عن الجمّ الغفيرِ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

ومنها حديثُ وفْدِ عبدِ القيس[2] وقد تقدم أيضاً.

ومنها حديثُ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما في الصحيحين[3] وغيرِهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **«بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادةِ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضانَ»**، فقال له رجلٌ: والجهادُ في سبيلِ الله؟ فقال ابنُ عمرَ: الجهادُ حسنٌ. هكذا حدثنا رسولُ الله ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.
(٢) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.
(٣) البخاري (١/ ٤٩ رقم ٨)، ومسلم (١/ ٤٥ رقم ١٦).

ومنها حديثُ جريرِ بنِ عبدِ الله ﷺ عند أحمدَ[1] وغيرِه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضانَ»**، وإسنادُه صحيحٌ.

ومن ذلك حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: «كنا نُهينا أن نسألَ رسولَ الله ﷺ عن شيء، فكان يُعجبنا أن يجيءَ الرجلُ من أهلِ الباديةِ العاقلُ فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجلٌ من أهل البادية فقال: يا محمدُ، أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تزعُم أن اللّهَ تعالى أرسلك، قال ﷺ: **«صدَق»**، قال: فمن خلق السماءَ؟ قال: **«اللّهُ»**، قال: فمن خلق الأرضَ؟ قال: **«اللّهُ»**، قال: فمن نصب هذه الجبالَ وجعل فيها ما جعل؟ قال: **«اللّهُ»**، قال: فبالذي خلق السماءَ وخلق الأرضَ ونصب هذه الجبالَ آللّهُ أرسلك؟ قال ﷺ: نعم.

قال: فزعم رسولُك أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتِنا، قال ﷺ: **«صدَق»**. قال: فبالذي أرسلك آللّهُ أمرك بهذا؟ قال: **«نعم»**. قال: وزعَم رسولُك أن علينا صومَ شهرِ رمضانَ في سنتنا، قال ﷺ: **«نعم صدق»**. قال: فبالذي أرسلك آللّهُ أمرك بهذا؟ قال ﷺ: **«نعم»**. قال: وزعم رسولُك أن علينا حجَّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً، قال ﷺ: **«صدَق»**، قال: ثم ولَّى فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أَزيد عليهن شيئاً ولا أنقُص منهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: **«لئن صدق ليدخُلَن الجنةَ»**، رواه الجماعة[2] وهذا لفظُ أحمدَ.

---

(١) في «المسند» (٤/ ٣٦٣) و (٤/ ٣٦٤).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٣)، وفي «الصغير» (٢/ ٨) بسند صحيح.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٨) ورقم (٢٣٦٤) وأبو يعلى في «المسند» (١٣/ ٤٩٠ رقم ٧٥٠٣/٢) بسند ضعيف.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٧): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير» و «الصغير»، وإسناد أحمد صحيح» اهـ.
ويشهد له من حديث ابن عمر المتقدم.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) البخاري (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٦٣) ومسلم (١/ ٤١ ـ ٤٢ رقم ١٢) وأبو داود (١/ ٣٢٦ رقم ٤٨٦) والنسائي (٤/ ١٢٢ ـ ١٢٣ رقم ٢٠٩٢) وابن ماجه (١/ ٤٤٩ رقم ١٤٠٢) وأحمد في المسند (٣/ ١٦٨).

وفي رواية[1] قال: «آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي»، قال: «وأنا ضمامُ بنُ ثَعلبةَ أخو بني سعدِ بنِ بكرٍ».

وفي الصحيحين[2] وغيرِهما عن طلحةَ بنِ عبيدِ الله: «أن أعرابياً جاء إلى رسول اللّهِ ﷺ ثائرَ الرأسِ فقال: يا رسولَ الله أخبرْني ماذا فرَض اللّهُ عليَّ من الصلاة؟ فقال: **«الصلواتِ الخمسَ، إلا أن تطوَّع شيئاً»**، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام، فقال: **«شهرَ رمضانَ، إلا أن تَطوع شيئاً»**، فقال: أخبرني بما فرض اللّهُ عليَّ من الزكاة، قال: فأخبره رسولُ الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطَوَّعُ شيئاً ولا أنقُص مما فرض اللّهُ عليَّ شيئاً. فقال رسولُ الله ﷺ: **«أفلح إنْ صدق. أو دخل الجنةَ إن صدق»**، هذا لفظُ البخاريِّ في كتاب الصوم.

وله[3] عن أبي أيوبَ ﷺ : «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبِرْني بعمل يُدخِلُني الجنةَ، قال: **مالَهُ مالَهُ**». وقال النبيُّ ﷺ: **«أَرَبٌ مالَهُ، تعبُد اللّهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصِلُ الرحِمَ»**، ورواه مسلمٌ[4] وغيرُه.

ولهما[5] عن أبي هريرةَ ﷺ: «أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عمل إذا عمِلْتُه دخلتُ الجنة، قال: **تعبُد اللّهَ لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصومُ رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أَزيد على هذا. فلمَّا ولَّى قال النبيُّ ﷺ: **«من سرَّه أن ينظُرَ إلى رجل من أهل الجنةِ فلينظُرْ إلى هذا»**.

وفي حديث ابنِ المُنتفقِ ﷺ في وِفادته على رسول الله ﷺ قال: «قلتُ ثنتان أسألك عنهما: ما يُنجيني من النار، وما يُدخِلني الجنة؟ قال: فنظر رسولُ الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسَه ثم أقبل عليَّ بوجهه قال: **«لئن كنتَ أوجزْتَ في المسألة**

---

(١) عند البخاري (١/١٤٨ رقم ٦٣).
(٢) البخاري (٤/١٠٢ رقم ١٨٩١)، ومسلم (١/٤٠ ـ ٤١ رقم ١١).
(٣) أي للبخاري: (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٦).
(٤) في صحيحه (١/٤٢ ـ ٤٣ رقم ١٣).
(٥) البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٧)، ومسلم (١/٤٤ رقم ١٤).

لقد أعظمتَ وأطْوَلْتَ، فاعقِلْ عني إذاً: اعبُدِ اللَّهِ لا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاةَ المكتوبةَ، وأدِّ الزكاةَ المفروضةَ، وصُمْ رمضانَ، وما تُحب أن يفعلَه بك الناسُ فافعل بهم، وما تكره أن يأتيَ إليك الناسُ فذَرِ الناسَ منه»، رواه أحمدُ[1].

وفي رواية[2]: «لئن كنتَ قصَّرتَ في الخُطبة لقد أبلغتَ في المسألة، اتق اللَّهَ لا تشركْ بالله شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤدي الزكاةَ، وتحجُّ البيتَ، وتصومُ رمضانَ».

ولعلَّ ابنَ المنتفق هذا هو الرجلُ المبهمُ في رواية أبي أيوبَ المتقدمةِ في الصحيح، فإن في مسلم أن ذلك الرجلَ أخذ بخِطام ناقةِ رسولِ الله ﷺ أو بزِمامها، وفي آخرها قولُ النبيِّ ﷺ: «دَع الناقةَ» بعد أن علّمه. وابنُ المنتفق قال: فأخذتُ بخِطام راحلةِ رسولِ الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ: «خَلِّ سبيلَ الراحلة».

وفي الرواية الأخرى: «خَلِّ طريقَ الرِّكابِ»، فيُشبه أن يكونَ هو صاحبَ القصةِ، وقد حفِظَ الصومَ والحجَّ زيادةً على ما في حديث أبي أيوبَ، ورجالُه رجالُ الصحيح[3]، وهو السائلُ أعلمُ بجواب النبيِّ ﷺ وأوعى له وأحفظُ له وأضبطُ من غيره، واللَّهُ أعلم.

وعن رِبْعيِّ بن حِراش عن رجل من بني عامرٍ رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: ألِجُ؟ فقال النبيُّ ﷺ لخادمه: «اخرُجي إليه فإنه لا يُحسن الاستئذان، فقولي له فليقُل: السلامُ عليكم، أأدخُلُ»؟ قال: فسمعتُه يقول ذلك فقلت: السلامُ عليكم أأدخُل؟ قال: فأذِنَ لي، أو قال: فدخلت فقلت: بمَ أتيتَنا به، قال: «لم آتِكم إلا بخير، أتيتُكم بأن تعبدُوا اللَّهَ وحده لا شريكَ له. قال شُعبةُ: وأحسَبُه قال: وحده لا شريكَ له، وأن تَدَعوا اللاَّتَ والعُزَّى، وأن تصلُّوا بالليل والنهار خمسَ صلواتٍ، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجُّوا البيتَ، وأن تأخذوا من مال أغنيائِكم فتردُّوها على فقرائكم».

---

(1) في المسند (٦/ ٣٨٣) بسند حسن.
المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل اليشكري ثقة حديثه عند مسلم. وأبوه ليس بالمشهور، وإنما انفرد ابنه بالرواية عنه.

(2) لأحمد في المسند (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) بسند حسن وهو كسابقه.

(3) انظر كلام الحافظ ابن حجر في: «فتح الباري» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) عن هذه المسألة.

قال فقال: فهل بقيَ من العلم شيءٌ لا تعلمه؟ قال: «**قد علمني الله عز وجل خيراً، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. رواه أحمدُ[1] ورجالُه ثقاتٌ أئمةٌ، وروى أبو داودَ[2] طَرفاً منه.

وعن السدوسيِّ بنِ الخصاصية ﷺ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادةَ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن أُقيم الصلاةَ، وأن أُؤدِّيَ الزكاةَ، وأن أحُجَّ حَجّةَ الإسلام، وأن أصومَ شهرَ رمضانَ، وأن أجاهدَ في سبيل الله. فقلت: يا رسولَ الله، أما اثنتان فواللَّهِ ما أُطيقُهما: الجهادُ والصدقةُ، فإنهم زعَموا أن من ولَّى الدُّبُرَ فقد باء بغضب من الله؛ فأخاف إن حضَرتُ تلك جشعت نفسي وكرِهَت الموتَ، والصدقةُ، فوالله ما لي إلا غُنيمةٌ وعَشرُ ذَوْد، هُنّ رِسْلُ أهلي وحَمولتهُم. قال: فقبض رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه ثم حرك يده ثم قال: «**فلا جهاد ولا صدقة، فلمَ تدخُل الجنةَ إذاً؟**»، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ أنا أبايعُك، قال: فبايعتُ عليهن كلِّهن»[3].

وعن زياد بنِ نعيم الحضْرميِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعٌ فرضهن الله في الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يُغنينَ عنه شيئاً حتى يأتيَ بهن جميعاً: الصلاةُ، والزكاةُ، وصيامُ شهرِ رمضانَ، وحجُّ البيت**». رواه أحمد مرسلاً[4] في الآيات الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ لا يخفى.

---

(١) في المسند (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وإسناده صحيح.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢ ـ ٤٣) وقال: «عند أبي داود طرف منه، وقد رواه أحمد ورجاله كلهم ثقات أئمة» اهـ.
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٨٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦١) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣١٦) بسند صحيح.

(٢) في السنن (٥/ ٣٦٩ رقم ٥١٧٧) وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٤٤ رقم ١٢٣٣) وفي «الأوسط» رقم (١١٢٦) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٤).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط». . . ورجال أحمد موثقون».
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) وصحَّحه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٤) في «المسند» (٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) بإسناد حسن. لأجل ابن لهيعة.
=

وعن جرير بنِ عبد الله ﷺ قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ، فلما بَرزنا من المدينة إذا راكبٌ يوضع نحوَنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «كأن هذا الراكبَ إياكم يريد». قال: فانتهى الرجلُ إلينا فسلّم فردَدْنا عليه، فقال له النبيُّ ﷺ: «من أين أقبلْتَ؟»، قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: «فأين تريد؟». قال: أريد رسولَ الله ﷺ، قال: «فقد أصبتَه»، قال: يا رسولَ الله علّمني ما الإيمانُ؟ قال: «تشهد أنْ لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيتَ». قال: قد أقررْتُ، قال: ثم إن بعيرَه دخلت يدُه في شبكة جُرذان فهوَى بعيرُه وهوى الرجلُ فوقع على هامته فمات، فقال رسولُ الله ﷺ: «عليَّ بالرجل». فوثب إليه عمارُ بنُ ياسرٍ وحُذيفةُ فأقعداه فقالا: يا رسولَ الله قُبض الرجلُ. قال: فأعرض عنه رسولُ الله ﷺ ثم قال لهما رسولُ الله ﷺ: «أما رأيتُما إعراضي عن الرجل، فإني رأيتُ ملكين يُدسّان في فيه من ثمار الجنة، فعلِمْتُ أنه مات جائعاً»، ثم قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «هذا واللّهِ من الذين قال اللّهُ تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثم قال ﷺ: «دونَكم أخاكم»، قال: فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنّطْناه وكفّناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسولُ الله ﷺ. الحديث رواه أحمدُ[1]، وفي إسناده أبو جنابٍ[2]، مختلف فيه، والمتنُ صحيح. والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفايةٌ.

= قلت: وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣٤٠ رقم ١٨١١) وقال: «أخرجه ابن منده وأبو نعيم، وقال ابن منده: ذكره ابن أبي خيثمة في الصحابة وهو تابعي قاله أبو سعيد بن يونس» اهـ.

وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٨٦) وقال: «تفرد به ابن لهيعة، وزياد بن نعيم الذي روى عنه الإفريقي تابعي باتفاق» اهـ.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨٤) بعد أن ذكر هذا الحديث: «رواه أحمد، وهو مرسل».

وخلاصة القول أن الحديث مرسل.

(١) في المسند (٤/ ٣٥٩) بسند ضعيف.

(٢) قال ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٥٣٧): «ضَعّفُوه لكثرةِ تدليسه» وقد عنعن في هذا الحديث. =

[الركن الأول: الشهادتان]

(أولها) أو أولُ هذه الأركانِ **(الركنُ الأساسُ الأعظمُ)**. الركنُ في اللغة: الجانبُ الأقوى، وهو بحسب ما يُطلق فيه كركن البناءِ ورُكن القوم ونحوِ ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناءُ إلا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به.

وإنما قيل لهذه الخمسةِ الأمور أركانٌ ودعائمُ لقوله ﷺ: **«بُنيَ الإسلامُ على خمس»**، فشبّهه بالبنيان المركّبِ على خمس دعائمَ. وهذا الركنُ هو أصلُ الأركانِ الباقية، ولهذا قلنا **(الأساس)** الذي لا يقوم البناءُ إلا عليه، ولا يمكن إلا به ولا يحصلُ بدونه. **(الأعظم)** هذه الصيغةُ مُشعِرةٌ بتعظيم بقيةِ الأركانِ، وإنما هذا أعظمُها، فإنها كلُّها تابعةٌ له، ولا يدخُل العبدُ في شيء من الشريعة إلا به.

(وهو الصراط) الطريقُ الواضح **المستقيم)** الذي لا اعوجاجَ فيه ولا غبارَ عليه بل هو معتدلٌ جليٌّ نيّرٌ. **«الأقوم»** أي الأعدلُ، مَن سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوًى في قعر الجحيم. فإن من لم يثبُت عليه في الدنيا لم يثبُت على جسر جهنمَ يوم القيامة.

وذلك الركنُ المشارُ إليه هو **(ركن الشهادتين)** هذا من إضافة الشيءِ إلى نفسه، أي الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادةُ أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله ﷺ، فلا يدخل العبدُ في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما، إما بجحودٍ لما دلّتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدعُ الرسولُ ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل اللّهُ تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما، فبالشهادة الأولى يُعرف المعبودُ وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبُده وبأي طريقٍ يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحدٌ قبل تعريفِه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرِف كيف أمر الله أن يُعبَد؟

ففي الشهادة الأولى توحيدُ المعبود الذي ما خلق الخلقَ إلا ليعبدوه وحده لا شريكَ له، وفي الشهادة الثانية توحيدُ الطريق الذي لا يوصَل إلى الله تعالى إلا

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/٣١٩ رقم ٢٣٢٩) وفيه أبو اليقظان قال ابن معين: ليس بثقة، وأبو حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي.

منه، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيرَه ورغِب عنه، فإن عبادةَ الله تعالى التي خلق الخلقَ لها وقضى عليهم إفرادَه تعالى بها هي أمرٌ جامعٌ لكل ما يُحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً، ومعرفةُ محابِّه تعالى ومرضاتِه لا تحصُل إلا من طريق الشرع الذي أرسل به رسولَه وأنزل به كتابَه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيدِ تحقيقَ الشهادتين وبيانَ تلازُمِهما وتوضيحَ نواقضِهما، وبسطنا الكلام هناك، وحرَّرنا من الأدلة ما يُغني عن الإعادة هنا.

(فاثبت) أيها العبدُ المريدُ نجاةَ نفسِه من النار، والفوزَ بالجنة، على هذا الصراط المستقيم النيِّرِ الواضحِ الجليِّ، ولا تستوحشْ من قِلة السالكين، وإياك أن تنحرِف عنه فتهلِكَ مع الهالكين، فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعْثَ النار، فيقول: مِن كم؟ فيقول: من كلِّ ألفٍ تسعَمائة وتسعةً وتسعين، فالناجي حينئذٍ واحدٌ من ألف[1]، فاغتنم أن تكون من تلك الآحادِ، واحذرْ أن تغترَّ بجموع الضلالةِ فتكونَ من حطب جهنمَ وبئس المهاد.

(واعتصم) أي استمسك **(بالعروة)** أي بالعقد الأوثقِ في الدين، والسببِ الموصلِ إلى رب العالمين **(الوثقى)** تأنيثُ الأوثق **(التي لا تنفصم)** أي لا تنقطع، وقد تقدَّم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروةُ الوثقى، وذلك واضحٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وتقدَّم أن شهادةَ أن محمداً رسولُ اللَّهِ ﷺ والإيمانَ به هو شرطٌ في الإيمان بالله، وما كان مِن شرط في الشهادة الأولى فهو شرطٌ في الثانية.

[الركن الثاني: الصلاة]

(وثانياً) من الأركان الخمسة **(إقامة الصلاة)** بجميع حقوقِها ولوازمِها. **(وثالثاً تأديةُ الزكاة)** إعطاؤها على الوجه المشروعِ، وقد تقرر اقترانُ هذين الركنينِ بالتوحيد

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١١/٣٨٨ رقم ٦٥٣٠) ومسلم (١/٢٠١ رقم ٢٢٢) من حديث أبي سعيد.

وتقديمُها بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمراً وخبراً، قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وفي حديث معاذِ بنِ جبل[1] رضي الله عنه لمَّا بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً من أهلِ الكتاب فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا اللّهُ وأني رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلِمهم أن الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّهَ افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردَ في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائمَ أموالِهم، واتقِ دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ»**.

وفي رواية[2]: **«فليكن أولُ ما تدعوهم إليه عبادةَ الله عز وجل، فإذا عرفوا اللّهَ تعالى فأخبرهم»** الحديث. ولنذكرْ طرفاً من النصوص المتعلقةِ بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسَّر من نصوص الزكاة، والله المستعان.

[فضل الصلاة]

اعلم هدانا اللّهُ وإياك أن الصلاةَ قد اشتملت على جُلّ أنواعِ العبادةِ: من الاعتقاد بالقلب، والانقيادِ، والإخلاصِ، والمحبةِ، والخشوعِ، والخضوعِ، والمشاهدةِ، والمراقبةِ، والإقبالِ على الله عز وجل، وإسلامِ الوجهِ له والصمود إليه، والاطّراحِ بين يديه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٥) و (٣/٣٥٧ رقم ١٤٩٦) و (١٣/٣٤٧ رقم ٧٣٧٢)، ومسلم (١/٥٠ ـ ٥١ رقم ٢٩، ٣٠/١٩).

(٢) أخرجها البخاري (٣/٣٢٢ رقم ١٤٥٨)، ومسلم (١/٥١ رقم ٣١/١٩).

وعلى أقوال اللسانِ وأعمالِه من الشهادتين، وتلاوةِ القرآنِ، والتسبيحِ، والتحميدِ، والتقديسِ، والتمجيدِ، والتهليل، والتكبير، والأدعيةِ، والتعوذِ، والاستغفار، والاستغاثةِ، والاستعانةِ، والافتقار إلى الله تعالى، والثناءِ عليه، والاعتذارِ من الذنب إليه، والإقرارِ بالنعم له، وسائرِ أنواعِ الذكر.

وعلى عمل الجوارحِ من الركوع والسجود والقيامِ والاعتدالِ والخفضِ والرفعِ وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل ـ منها الطهارةُ الحسية من الأحداث والأنجاسِ الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاءِ والمنكرِ وسائرِ الأرجاس ـ وإسباغُ الوضوءِ على المكاره ونقلُ الخُطا إلى المساجد وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة وغيرُ ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: **«وجُعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة»**[1]، ولاشتمالها على معاني الإيمان، سمَّاها اللَّهُ إيماناً في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهي ثانيةُ أركانِ الإسلامِ في الفرْضية، فإنها فُرضَت في ليلة المعراجِ بعد عشرٍ من البعثة لم يدعُ الرسولُ ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيدِ الذي هو الركنُ الأول، ففُرِضت خمسين، ثم خفَّفها اللَّهُ عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوصُ بذلك في الصحيحين[2] وغيرهما.

وهي ثانيةٌ في الذكر، فما ذكرت شرائعُ الإسلامِ في آية من الآيات أو حديثٍ من السنة إلا وبُدئ بها بعد التوحيدِ قبل غيرِها، كما في الآيات السابقة، وكما في حديث جبريلَ[3]، وحديثِ: **«بني الإسلام»**[4]، وحديثِ وفدِ عبدِ القيس[5]، وحديثِ

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) والنسائي (٧/٦١ ـ ٦٢ رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠) والحاكم (٢/١٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. كلهم من حديث أنس.

(٢) البخاري (٧/٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (١/١٤٩ ـ ١٥١ رقم ١٦٤).

(٣) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

(٤) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

(٥) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

معاذِ بن جبلٍ[1]، وحديث: «أُمِرت أن أقاتلَ الناس»[2]، وغيرُها مما لا يحصى.

وهي ثانيةٌ في آيات الأمر بالجهاد وفي آيات وعيدِ الكفار كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات].

وهي ثانيةٌ في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون].

وفي ذم الكفارِ بتركها كما في قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق]، وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة].

وكذا في ذم المنافقين بعدم اهتمامِهم لها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وهي ثانيةٌ في حساب العبدِ يوم القيامة كما في قوله ﷺ: «أولُ ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة صلاتُه، فإن تُقبلتْ منه تُقُبل منه سائرُ عملِه، وإن رُدّت عليه رُدّ عليه سائرُ عملِه»[3]. ومعنى قوله: **«أولُ ما يُسأل عنه العبدُ»** أي بعدَ التوحيد.

وهي ثانيةٌ فيما يُذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر] الآيات.

---

(١) **وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.**

(٢) **وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.**

(٣) **وهو حديث صحيح.**

أخرجه أحمد (٥/ ٧٢، ٣٧٧) والترمذي (٢/ ٢٦٩ رقم ٤١٣) والنسائي (١/ ٢٣٢ رقم ٤٦٥) والحاكم (١/ ٢٦٣). كلهم من حديث أبي هريرة.

قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد رُويَ هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة.

قلت: وله شاهد من حديث تميم الداري عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٢)، وابن ماجه رقم (١٤٢٦).

والنصوصُ في شأنها كثيرةٌ لا تُحصى وهي متنوعةٌ.

(فمنها): ما فيه الأمرُ بها كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وما في معناها.

(ومنها): ما فيه بيانُ محلِّها من الدين كالنصوص السابقة، وكقوله ﷺ لمعاذ: **«رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذُروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله»**[1].

(ومنها): في ثواب أهلِها كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

(ومنها): ما فيه ذكرُ نجاتِهم من النار كقوله ﷺ في عُصاة الموحِّدين: **«فيعرِفونهم بآثار السجود، تأكلُ النارُ من ابن آدمَ إلا أثرَ السجود، حرَّم اللّهُ على النار أن تأكلَ أثرَ السجود»**[2].

---

(١) وهو حديث صحيح بطرقه.

أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذي (٥/ ١١ ـ ١٢ رقم ٢٦١٦) وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ رقم ٣٩٧٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٨/ ٣٩٩) وعبد الرزاق رقم (٢٠٣٠٣) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١ و ٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠) وهناد بن السري في الزهد رقم (١٠٩٠) والطيالسي في المسند رقم (٥٦٠) والحاكم (٢/ ٤١٢ ـ ٤١٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٢٠٠ و ٢٩١ و ٢٩٤ و ٣٠٤ و ٣٠٥).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: وإسناده حسن. لكن أعلَّه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٣٥): فقال بعد أن حكى تصحيح الترمذي: «وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين»:

(أحدهما): لم يثبت سماعُ أبي وائل من معاذ.

(والثاني): رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسلة.

قلت: رواية شهر المرسلة أخرجها أحمد (٥/ ٢٤٨): مختصراً.

وقد وصلها أحمد (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥ ـ ٢٤٦) من طرق عن شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل به مختصراً ومطولاً.

وشهر ضعيف لسوء حفظه.

وانظر ما قاله المحدث الألباني في: «إرواء الغليل» رقم (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٩ رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (١/ ١٦٣ رقم ١٨٢).

(ومنها): ما فيه عقابُ تاركِها كقوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون]، وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝﴾ [القلم].

(ومنها): ما فيه تكفيرُ تاركِها ونفيُ الإيمان عنه وإلحاقُه بإبليسَ، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

فإنه لو كان مضيِّعُ الصلاةِ مؤمناً لم يُشترط في توبته الإيمانُ، وقولِه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

فعلّق أُخُوّتَهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوةً للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ [السجدة: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي يقول: يا ويلَه ـ وفي رواية: يا ويلي ـ أُمر ابنُ آدمُ بالسجود فسجد فله الجنةُ، وأُمِرتُ بالسجود فأَبيتُ فليَ النار**».

وفيه[2] عن جابر ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجلِ وبين الشركِ والكفرِ تركَ الصلاةِ**»، ورواه الترمذي[3] وقال: حسنٌ صحيح.

وله[4] عن عبد الله بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العهدُ الذي**

---

(١) (١/ ٨٧ رقم ١٣٣/ ٨١).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/ ٨٨ رقم ١٣٤/ ٨٢).

(٣) في السنن (٥/ ١٣ رقم ٢٦١٨ و ٢٦١٩ و ٢٦٢٠).
قلت: وأخرجه أبو داود (٥/ ٥٨ رقم ٤٦٧٨) وابن ماجه (١/ ٣٤٢ رقم ١٠٧٨) وهو حديث صحيح.

(٤) أي للترمذي في «السنن» (٥/ ١٣ ـ ١٤ رقم ٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) والنسائي (١/ ٢٣١) وابن ماجه (١/ ٣٤٢ رقم ١٠٧٩)=

بيننا وبينهم الصلاةُ، فمن تركها فقد كفر»، قال[1] وفي الباب عن أنس ﷺ وابنِ عباسٍ، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

وروى الإمامُ أحمدُ[2] والنسائيُّ[3] عن مِحجَن بنِ الأدرَعِ الأسلميِّ: «أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأُذِّن بالصلاة فقام النبيُّ ﷺ ثم رجع ومِحْجنٌ في مجلسه، فقال له: «**ما منعك أن تصلِّيَ، ألستَ برجل مسلم؟**»، قال: بلى، ولكني صليتُ في أهلي، فقال له: «**إذا جئتَ فصلِّ مع الناس وإن كنت قد صليتَ**»، فجعل الفارقَ بين المسلم والكافرِ الصلاة. ولفظُ الحديثِ يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصلّيتَ.

وفي المسند[4] والأربعِ السننِ[5] عن عبد الله بنِ عمْرِو بنِ العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاةَ يوماً فقال له: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبُرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافِظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيِّ بنِ خلَف**»، ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ.

= والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦ ـ ٧) وقال: **صحيح الإسناد لا نعرف له علّة بوجه من الوجوه**.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٤٦).
وهو حديث صحيح.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/ ١٤).
(٢) في «المسند» (٤/ ٣٣٨) و (٥/ ٣١).
(٣) في «السنن» (٢/ ١١٢ رقم ٨٥٧).
قلت: وأخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٢ رقم ٨) والحاكم (١/ ٢٤٤).
وهو حديث صحيح.
(٤) للإمام أحمد (٢/ ١٦٩) **بسند صحيح**.
(٥) لم يخرجه أحد من أهل السنن.
قلت: وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (١٤٦٧) والدارمي (٢/ ٣٠١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٢٩) **بسند صحيح**.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٢) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» (رقم ١٧٦٧)، ورجال أحمد ثقات» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وتقدم الحديثُ الذي في البخاري[1] في صفة المسلم: **«من شهد أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله، واستقبل قبلَتنا، وصلَّى صلاتَنا»**. الحديث.

[حكم تارك الصلاة]

وقال التِرمذيُّ[2] رحمه الله: حدثنا قُتيبةُ أخبرنا بشرُ بنُ المفضّل عن الجُرَيْرِيّ عن عبدِ اللّهِ بن شقيقٍ العُقيليِّ قال: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ لا يرَون شيئاً من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاة.

(ومنها): ما فيه التصريحُ بوجوب قتلِه، كقوله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥]. الآية.

وقوله ﷺ: **«أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاة»**[3]، الحديث. وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم فأكثرُ مِن أن تُحصَرَ، وقد أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركُه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبارٍ عنها وإن قال: لا إله إلا الله، لِما تقدم من الآيات والأحاديثِ السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارِق للجماعة، وفي قوله ﷺ: **«من بدَّل دينَه فاقتُلوه»**[4]، فإنه بذلك يكون مرتداً مبدّلاً لدينه.

---

(١) جزء من حديث تقدَّم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٥/ ١٤ رقم ٢٦٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٧ رقم التعليقة ٢): «ورواه الحاكم (١/ ٧) عن عبد الله بن شقسق عن أبي هريرة به. وصححه الحاكم. وقال الذهبي: وإسناده صحيح.
وأقول: فيه قيس بن أنيف، ولم أعرفه. وقد خالفه الترمذي فلم يذكر فيه أبا هريرة، وهو الصواب. لكني وجدت له شاهداً عن جابر بن عبد الله بنحوه.
أخرجه ابن نصر في «الصلاة» رقم (٩٤٧) بسند حسن».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٢٦٧ رقم ٦٩٢٢).

وأما إن كان تركُه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوعِ تكاسلٍ وتهاوُنٍ كما هو حالُ كثيرٍ من الناس، فقال النوويُّ رحمه الله تعالى في شرح مسلم[1]: «قد اختلف العلماءُ فيه، فذهب مالكٌ والشافعيُّ رحمهما الله تعالى والجماهيرُ من السلف والخلَف إلى أنه لا يُكفَّر بل يُفَسَّق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المُحصَن ولكنه يُقتل بالسيف.

وذهب جماعةٌ من السلف إلى أنه يُكفَّر وهو مَرويٌّ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرم اللَّهُ وجهَه، وهي إحدى الروايتين عن أحمدَ بنَ حنبلٍ رحمه الله، وبه قال عبدُ الله بنُ المبارك وإسحاقُ بنُ راهُويهْ، وهو وجهٌ لبعض أصحابِ الشافعيِّ رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفةَ وجماعة من أهل الكوفة والمُزنيُّ صاحبُ الشافعيِّ رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يُكفر ولا يُقتل بل يُعزّر ويحبس حتى يصليَ».

قال رحمه الله[2]: «واحتج من قال بكفره بظاهر حديثِ جابرٍ: «**إن بين الرجل وبين الشركِ والكفرِ تركَ الصلاة**»[3]، وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يُقتل، بحديث: «**لا يحِلّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ**»[4] وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وبقوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا اللَّهُ دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنةَ، ولا يلقى اللَّهَ عبدٌ بهما غيرَ شاكٍّ فيُحجب عن الجنة، وحرَّم اللَّهُ على النار من قال: لا إله إلا الله**»[5] وغير ذلك، واحتجوا على قتله

---

(١) (٢/ ٧٠).
قلت: وانظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (٣/ ١٦ ـ ٢١).
(٢) أي النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٧٠ ـ ٧١).
(٣) وهو حديث صحيح تقدّم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (١٢/ ٢٠١ رقم ٦٨٧٨) ومسلم (٣/ ١٣٠٢ رقم ١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود.
(٥) تقدّم تخريجها جميعاً.

بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم**»(١)، وتأولوا قولَه ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر تركُ الصلاة**»(٢) على أنه يستحق بتركِ الصلاةِ عقوبةَ الكافرِ وهي القتلُ، أو أنه محمولٌ على المُستحِلّ، أو على أنه قد يَؤُول به إلى الكفر، أو أن فِعلَه فِعلُ الكفارِ واللَّهُ أعلمُ». انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتبِ الدينِ وفي بيانِ أنواعِ الكفرِ ما فيه غُنيةٌ، وذكرنا هنا ما تيسّر من النصوص في شأنها.

وقد بسط الحافظُ ابنُ القيم في «كتاب «الصلاة»(٣) الكلام على هذه المسألةِ بسطاً حسناً فليُراجَع.

[الركن الثالث: الزكاة]

وأما الزكاةُ فقد ذكرها في نصوص الصلاةِ وغيرِها، ومما يتعلق بها على انفرادها قولُه عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقولُه في صفات عبادِه المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، وقولُه تعالى في ذم الكفار ووعيدِهم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧]. وإن كانت هذه الآيةُ في زكاة النفوسِ فهي عامةٌ لزكاة الأموالِ أيضاً وقد فُسّرتْ بها، وقولُه تعالى في وعيد مانعيها مطلقاً: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

---

(١) تقدّم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) عنوانه: «كتاب الصلاة وحكم تاركها، وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبّر إلى أن يفرغ منها» ط: دار الكتب العلمية. بدون تحقيق.

يوضح ذلك الحديثَ الذي فيه: «ما أديتَ زكاتَه فليس بكنز»[1].

وفي الصحيح[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهبٍ ولا فضة لا يؤدِّي منها حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائحُ[3] من نار[4] فأُحميَ عليها في نار جهنمَ فيكوى بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بَرَدت أُعيدت له في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة، حتى يُقضى بين العباد فيُرى سَبيلَهُ إما إلى الجنة وإما إلى النار.**

قيل: يا رسول الله فالإبلُ؟ قال: «**ولا صاحبِ إبلٍ لا يؤدي منها حقَّها، ومن حقها حلَبُها يوم وِرْدِها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قَرْقرٍ[5] أوفرَ ما كانت، لا يفقِد منها فصيلاً واحداً، تطَأُه بأخفافها وتعَضُّه بأفواهها، كلماً مرّ عليه أُولاها أُعيد عليه أُخراها[6]**

---

(1) أخرجه أبو داود في «السنن» (٢/ ٢١٢ - ٢١٣ رقم ١٥٦٤) من حديث أم سلمة بسند ضعيف منقطع. وفيه ثلاث علل:
الأولى: الانقطاع بين عطاء ابن أبي رباح وأم سلمة فإنه لم يسمع منها.
الثانية: ثابت بن عجلان مختلف فيه.
الثالثة: عتاب بن بشير صدوق يخطئ.
وللحديث شاهد أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢) وعلّقه البخاري (٣/ ٢٧١ رقم ١٤٠٤) مختصراً وإسناده صحيح وهو وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع، لأنه في أسباب النزول، وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ. وانظر: «الصحيحة» رقم (٥٥٩).
وخلاصة القول أن حديث أم سلمة حسن بهذا الشاهد، والله أعلم.

(2) في صحيح مسلم (٢/ ٦٨٠ رقم ٩٨٧).
قلت: وأخرجه البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠٢) بلفظ مقارب.

(3) الصفائح جمع صفيحة. وهي العريضة من حديد وغيره. أي جعلت كنوزه الذهبية والفضية كأمثال الألواح.

(4) يعني: كأنها نار، لا أنها نار.

(5) **بطح**: قال جماعة: معناه ألقي على وجهه. وقال القاضي: ليس من شرط البطح كونه على الوجه، وإنما في اللغة بمعنى البسط والمدّ. فقد يكون على وجهه، وقد يكون على ظهره، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها.
والقاع: المستوي الواسع من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه. قال الهروي: وجمعه قيعة وقيعان. مثل جار وجيرة وجيران.
والقرقر: المستوي أيضاً من الأرض، الواسع.

(6) هكذا في جميع الأصول، في هذا الموضع. =

في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النارِ.

قيل: يا رسولَ الله فالبقرُ والغنمُ؟ قال: **ولا صاحبِ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقرٍ لا يفقِد منها شيئاً، ليس فيها عقصاءُ ولا جلْحاءُ ولا عضْباءُ**[1]**، تنطَحُه بقرونها وتطأه بأظلافها، كلما مرَّ عليه أُولاها رُدّ عليه أُخراها في يوم كان مقداره خمسينَ ألفَ سنةٍ، حتى يُقضىَ بين العباد فيرى سبيلَه إما إلى الجنة وإما إلى النار»** الحديث بطوله.

وفيه[2] عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب إبلٍ ولا بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدي حقَها إلا أُقعد لها يومَ القيامة بقاعٍ قرقرٍ تطأه ذاتُ الظِلْف بظِلْفها وتنطَحه ذاتُ القَرْنِ بقَرنها، ليس فيها يومئذ جَمَّاء ولا مكسورةُ القَرن**» الحديث.

وفيه[3]: «**ولا من صَاحِب مالٍ لا يُؤدي زكاتَها إلا تحوّل يوم القيامة شِجاعاً أقرَعَ يتبع صاحبَه حيثما ذهب وهو يفِرّ منه ويقال هذا مالكُ الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضَمُها كما يقضَم الفحلُ**».

وفيه[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ولا يأتي أحدُكم يوم القيامة بشاة يحمِلها على رقبته لها يَعارٌ، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملِك لك شيئاً قد بلَّغت، ولا يأتي أحدُكم ببعير يحمله على رقبته له رُغاءٌ فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملِك لك شيئاً قد بلَّغتُ**»[5].

= قال القاضي عياض: قالوا: هو تغيير وتصحيف. وصوابه ما جاء بعده في الحديث الآخر كلما رد عليه أخراها، رد عليه أولاها. وبهذا ينتظم الكلام.

(١) قال أهل اللغة:
العقصاء: ملتوية القرنين.
والجلحاء: التي لا قرن لها.
والعضباء: التي انكسر قرنها الداخل.

(٢)(٣) أي في صحيح مسلم (٢/٦٥٨ رقم ٢٨/٩٨٨).

(٤) أي في الصحيح. أخرجه البخاري (٣/٢٦٧ رقم ١٤٠٢).

(٥) وهذا وإن كان وارداً في الغلول وعقوبته فهو في الزكاة كذلك إذ الجزاء من جنس العمل، والله تعالى أعلم. اهـ مؤلفه.

وفيه[1] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له يوم القيامة شُجاعاً أقرعَ له زَبيبتان[2] يُطوَّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهْزِمَتَيه[3] - يعني شدْقيه - ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك. ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية.

وفيه[4] عن خالدِ بنِ أسلَم قال: خرجنا مع عبد الله بنِ عمرَ ﷺ، فقال أعرابيٌّ: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال ابنُ عمر: مَن كنزها فلم يؤدِّ زكاتَها فويلٌ له، إنما كان هذا قبل أن تنزِلَ الزكاة، فلما أُنزلت جعلها اللّهُ تعالى طُهرةً للأموال.

وقد ثبتت البَيعةُ عليها بعد الصلاة كما قال البخاريُّ رحمه الله تعالى[5]: «بابُ البيعةِ على إيتاء الزكاة[6]: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

حدثنا ابنُ نُميرٍ قال: حدثني أبي قال: حدثنا إسماعيلُ عن قيسٍ قال: قال جريرُ بنُ عبد الله ﷺ: بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة والنُصحِ لكل مسلم»[7]، والنصوصُ فيها كثيرةٌ، وفي ما تقدمَ كفايةٌ.

---

(١) أي في صحيح البخاري (٨/ ٢٣٠ رقم ٤٥٦٥) و (٣/ ٢٦٨ رقم ١٤٠٣).

(٢) الزبيبتان: هما الزبدتان في الشدقين. وقيل: هما النكتتان السوداوان فوق عينيه.
والشُّجاع: بالضم والكسر: الحية.

(٣) اللِّهْزِمة: عظم ناتئ في اللَّحْي، تحت الأُذن، وهما لهزمتان.

(٤) أي في صحيح البخاري (٣/ ٢٧١ رقم ١٤٠٤) بسند صحيح.
وقد أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢) موقوفاً.
قلت: وإن كان موقوفاً على ابن عمر فهو في حكم المرفوع لأنه في أسباب النزول. وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ.
وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في صحيحه (٣/ ٢٦٧).

(٦) الباب رقم (٢).

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠١)، ومسلم (١/ ٧٥ رقم ٥٦).

[حكم مانع الزكاة]

وأما حكمُ تاركِها فإن كان منعُه إنكاراً لوجوبها فكافرٌ بالإجماع بعد نصوصِ الكتابِ والسنة، وإن كان مُقِراً بوجوبها وكانوا جماعةً ولهم شوكةٌ قاتلهم الإمامُ لِما في الصحيحين[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: لما تُوفيَ رسولُ الله ﷺ وكان أبو بكر ﷺ وكفَر من كفر من العرب فقال عمرُ: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُه على الله عز وجل**»؟ فقال: واللَّهِ لأقاتِلنَّ من فرَّق بين الصلاةِ والزكاة، فإن الزكاةَ حقُّ المال، ولو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول اللَّهِ ﷺ لقاتلتُهم على منعها، قال عمرُ ﷺ: فواللَّهِ ما هو إلا أن شرح اللَّهُ صدرَ أبي بكرٍ ﷺ فعرَفتُ أنه الحقُّ، ـ وفي رواية ـ: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال، فعلِمتُ أنه الحقُّ.

وهذا الذي استنبطه أبو بكر ﷺ مصرَّحٌ به في منطوق الأحاديثِ الصحيحةِ المرفوعةِ، كحديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ اللَّهِ ويُقيموا الصلاةَ ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها وحسابُهم على الله عز وجل**»، وغيره من الأحاديث.

وقد جهَّز النبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد لغزوِ بني المُصطلِقِ حين بلغه أنهم منعوا الزكاةَ ولم يكن ما بلغه عنهم حقاً، فروى الإمامُ أحمدُ[3] قال: حدثنا محمدُ بنُ سابقٍ حدثنا عيسى بنُ دينارٍ حدثني أبي أنه سمع الحارثَ بنَ ضِرارِ الخُزاعيَّ ﷺ يقول: قدِمتُ على رسولِ الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ فيه وأقرَرْتُ به،

---

(١) البخاري (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (١/ ٥١ رقم ٣٢/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢).

(٣) في «المسند» (٤/ ٢٧٩) بسند حسن.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: الحارث بن سرار بدل ضرار، ورجال أحمد ثقات» اهـ.

قلت: ترجم الحافظ في «الإصابة» رقم (١٤٣٢): الحارث بن أبي ضرار.

ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها وقلت: يا رسول الله أرجِعُ إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعتُ زكاتَه، وتُرسلُ إليَّ يا رسولَ الله رسولاً إبّانَ كذا وكذا ليأتِيَك بما جمعتُ من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاةَ ممن استجاب له وبلَغ الإبّانَ الذي أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يبعَثَ إليه احتبس عليه الرسولُ ولم يأتِه، وظن الحارثُ أنه قد حدَث فيه سَخطةٌ من الله تعالى ورسولِ الله ﷺ، فدعا بسَرَوات قومِه فقال لهم: إن رسولَ الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يُرسل إليَّ رسولَه ليقبِضَ ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول اللّهِ ﷺ الخُلْفُ، ولا أرى حبْسَ رسوله إلا من سَخْطةٍ، فانطلِقوا نأتي رسولَ الله ﷺ.

وبعث رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عُقبةَ إلى الحارث ليقبِضَ ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سارَ الوليدُ حتى بلغ بعضَ الطريق فرِقَ - أي خاف - فرجع حتى أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إن الحارثَ قد منعني الزكاةَ وأراد قتلي، فغضِب رسولُ الله ﷺ وبعث البعثَ إلى الحارث ﷺ وأقبلَ الحارثُ بأصحابه حتى إذا استقبل البعثَ وفصلَ عن المدينة لقِيَهم الحارثُ فقالوا: هذا الحارثُ فلما غشِيَهم قال لهم: إلى من بُعثتم؟ قالوا إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليدَ بنَ عقبةَ فزعم أنك منعتَه الزكاةَ وأردتَ قتلَه. قال ﷺ: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيتُه بتةً ولا أتاني. فلما دخل الحارثُ على رسول اللّهِ ﷺ قال: منعتَ الزكاةَ وأردتَ قتلَ رسولي، قال ﷺ: لا والذي بعثك بالحق ما رأيتُه ولا أتاني ولا أقبلتُ إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ، خشِيتُ أن يكون كانت سخطةٌ من الله تعالى ورسولِه ﷺ. قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ - إلى قوله - ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٦ - ٨].

ورواه ابنُ أبي حاتمٍ[١] عن المنذر بنِ شاذانَ التّمارِ عن محمد بنِ سابقٍ به. ورواه الطبرانيُّ[٢] من حديث محمدِ بنِ سابق به.

---

(١) في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٣ رقم ١٨٦٠٨).
وانظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٧٤ - ٢٧٥ رقم ٣٣٩٥).

وقال ابنُ جرير[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كُريبٍ حدثنا جعفرُ بنُ عونٍ عن موسى بنِ عُبيدةَ عن ثابتٍ مولى أمِّ سلمةَ ﵂ قالت: بعث رسولُ الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلِقِ بعد الوقيعةِ، فسمع بذلك القومُ فتلقَّوه يعظمون أمرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قالت: فحدثه الشيطانُ أنهم يريدون قتلَه، قالت: فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المُصطلِق قد منعوني صدقاتِهم. فغضِب رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القومَ رجوعُه فأتَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فصفُّوا له حين صلى الظهرَ فقالوا: نعوذ بالله من سَخَط اللَّهِ وسَخطِ رسولِه، بعثتَ إلينا رجلاً مصدِّقاً فسررنا بذلك وقرَّت به أعيُننا، ثم إنه رجع من بعض الطريقِ فخشِينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله ﷺ. فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلالٌ فأذَّن، بصلاة العصرِ، قالت: ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وروى ابنُ جرير[2] عن ابن عباس ﵄ في هذه الآية قال: كان رسولُ الله ﷺ بعث الوليدَ بنَ عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ إلى بني المصطَلِق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبرُ فرِحوا وخرجوا يتلقَّونه رجع الوليدُ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إن بني المُصطلِق قد منعوا الصدقة، فغضب رسولُ الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسَه أن يغزُوَهم إذ أتاه الوفدُ فقالوا: يا رسولَ الله إنا حُدثنا أن رسولَك رجع من نصف الطريقِ، وإنا خشِينا أنما ردَّه كتابٌ جاء منك لغضبٍ غضِبْتَه علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضبِ رسولِه، وإن النبيَّ ﷺ استغشَّهم وهمَّ بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عُذرَهم في الكتاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] إلى آخر الآية.

وقال مجاهدٌ وقتادةُ: أرسل رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عقبةَ إلى بني المصطلِقِ

---

(١) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/١٢٣).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/٤٠١ رقم ٩٦٠).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١١) وقال: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٢) في «جامع البيان» (١٣/١٢٣ ـ ١٢٤) وسنده مسلسل بالضعفاء. من محمد بن سعد العوفي إلى جده عطية.

ليُصَدِّقهم فتلقَّوه بالصدقة، فرجَع فقال: إن بني المصطلِق قد جمعتْ لك لتقاتِلك - زاد قتادةُ: وإنهم قد ارتدّوا عن الإسلام - فبعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبّتَ ولا يَعجَلَ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونَه، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصلاتَهم، فلما أصبحوا أتاهم خالدٌ رضي الله عنه فرأى الذي يُعجبه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية اهـ. من تفسير الحجرات لابن كثيرٍ[1] رحمه الله تعالى.

وذكر البغويُّ[2] رحمه الله تعالى نحوَ حديثِ ابن عباسٍ وفيه: فغضب رسولُ الله ﷺ وهمَّ أن يغزُوَهم، فبلغ القومَ رجوعُه فأتَوا رسولَ الله ﷺ وقالوا: يا رسولَ الله سمِعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونُكرِمه ونؤدّي إليه ما قبِلْناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع، فخشِينا أنه إنما رده من الطريق كتابٌ جاءه منك لغضب غضِبْته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضبِ رسولِه، فاتهمهم رسولُ الله ﷺ وبعثَ خالدَ بنَ الوليد إليهم خُفيةً في عسكر وأمره أن يخفيَ عليهم قدومَ قومِه وقال له: «**انظُر، فإن رأيتَ منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاةَ أموالِهم، وإن لم ترَ ذلك فاستعمل فيهم ما يُستعمل في الكفار**». ففعل ذلك خالدٌ. ووافاهم فسمِع منهم أذانَ صلاتي المغربِ والعشاء فأخذ منهم صدقاتِهم ولم يرَ منهم إلا الطاعةَ والخيرَ، فانصرفَ إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبرَ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وأما إن كان الممتنعُ عن أداء الزكاةِ فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً، واختلفوا من ذلك في مسائلَ:

---

(١) (٤/ ٢٢٤).
قلت: بعث خالد بن الوليد إليهم بعد الوليد. قال ابن حجر في «الكافي الشافي» (ص١٥٦ رقم ١٩): «لم أره».
قلت: بل روي بألفاظ عدة: فروي من حديث الحسن، رواه عبد بن حميد.
وعن قتادة رواه أيضاً عبد بن حميد وابن جرير، وعبد الرزاق في تفسيره. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٨٨). ط: دار المعرفة.

(٢) في تفسيره «معالم التنزيل» (٧/ ٣٣٩) وقد تقدم الكلام على هذه الرواية.

(إحداها): هل يكْفر أم لا؟ فقال عبدُ الله بنُ شقيقٍ[1]: كان أصحابُ رسوله اللّهِ ﷺ لا يرَون من الأعمال شيئاً تركُه كفرٌ إلا الصلاةَ.

وقال أبو أيوب السِخْتيانيُّ[2]: تركُ الصلاةِ كفرٌ لا يُختلَف فيه، وذهب إلى هذا القولِ جماعةٌ من السلف والخلف وهو قولُ ابنِ المباركِ[3] وأحمدَ[4] وإسحاقَ[5].

وحكى إسحاقُ عليها إجماعَ أهلِ العلم، وقال محمدُ بنُ نصرِ المَرْوَزيُّ[6]: «وهو قولُ جمهورِ أهلِ الحديث». وذهب طائفةٌ منهم إلى أن من تَرَك شيئاً من أركان الإسلام الخمسِ عمداً أنه كافرٌ.

ورُوي ذلك عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ونافعٍ والحكم وهو روايةٌ عن الإمام أحمدَ اختارها طائفةٌ من أصحابه، وهو قولُ ابنُ حَبيبٍ من المالكية، وخرَّج الدارقطنيُّ[7]

---

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٨). وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: ورُوي عن حماد بن زيد عن أيوب قال: ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه». (صحيح الترغيب: ١/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه المرزوي: في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٩) عنه بلفظ: «**من أخرَ صلاةً حتى يفوت وقتها متعمداً من غير عذرٍ كفر**».
وانظر رقم (٩٨٠) و (٩٨١).

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٨٢) عنه بلفظ: «**لا يكفر أحد بذنب إلا تارك الصلاة عمداً، فإن ترك صلاة إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى يستتاب ثلاثاً**».

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٩٠) عنه بلفظ : «قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر».
وزاد ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢٢٦): عن إسحاق: «إذا أبى من قضائها وقال: لا أصلي. ثم قال: وذهاب الوقت إلى أن ذكر من قوله: إلى طلوع الفجر.

(٦) في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٩٣٦)،

(٧) في «السنن» (٢/ ٢٨٢ رقم ٢٠٦).
قلت: وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ ج ٧/ ٨٢) كلاهما من طريق إبراهيم ابن مسلم الهجري عن ابن عياض، عن أبي هريرة، به.
وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف.
* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ ج٧/ ٨٢ ـ ٨٣) أيضاً من طريق معاوية بن يحيى، =

وغيرُه من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: «قيل: يا رسولَ اللّهِ، الحجُّ في كل عام؟ قال: «**لو قلتُ نعم لوجب عليكم، وما أطَقتموه، ولو تركتموه لكفرتم**».

وعن ابن مسعودٍ أن تاركَ الزكاةِ ليس بمسلم، وعن أحمدَ روايةٌ: أن تركَ الصلاةِ والزكاةِ كفرٌ دون الصيامِ والحجِّ.

وقال ابن عيينة: المُرْجئة سَمَّوا ترك الفرائضِ ذنباً بمنزلة ركوبِ المحارم، وليس سواءً، لأن ركوبَ المحارم متعمّداً من غير استحلالٍ معصيةٌ، وتركَ الفرائضِ من غير جهلٍ ولا عذرٍ كفرٌ.

وبيانُ ذلك في أمر إبليسَ وعلماءِ اليهودِ الذين أقروا ببعث النبيِّ ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

المسألة الثانية هل يُقتل أم لا؟

(الأولُ): هو المشهورُ عن أحمدَ رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابنِ عمرَ ﷺ: «**أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[1] الحديث.

و **(الثانيَ)**: لا يقتل، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وروايةٌ عن أحمدَ رحمهم الله تعالى.

وروى اللالَكائيُّ[2] من طريق مؤمّلٍ قال: حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن عمرَ بنِ

= عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة، به. **بسند ضعيف**.

* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ج٧/٨٣) من حديث ابن عباس **بسند ضعيف جداً**.

قلت: ويغني عنه ما أخرجه مسلم (٢/ ٩٧٥ رقم ٤١٢/ ١٣٣٧) من طريق الربيع ابن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة: «خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أيها الناس فرض الله عليكم الحج فحجُّوا**، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال: «**لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

ومن أجل المزيد انظر: «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣) بتحقيقنا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٩٢٧ رقم ١٥٧٦) **بسند ضعيف**. مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ. =

مالكٍ النُّكْرِيِّ عن أبي الجوزاءِ عن ابنِ عباس ـ ولا أحسَبُه إلا رفعه ـ قال: (عُرى الإسلام وقواعدُ الدينِ ثلاثةٌ عليهن أُسس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاةُ، وصومُ رمضانَ، من ترك منهن واحدةً فهو بها كافرٌ ويحِلُّ دمُه، وتجده كثيرَ المالِ لم يحجَّ فلا يزال بذلك كافراً ولا يحِلُّ بذلك دمُه، وتجده كثيرَ المال ولا يزكِّي فلا يزال بذلك كافراً ولا يحِلُّ دمُه).

ورواه قُتيبةُ بنُ سعيدٍ عن حمادِ بنِ زيدٍ مرفوعاً مختصراً، ورواه سعيدُ بنُ زيدٍ أخو حمادِ بنِ زيد عن عمرَ بنِ مالكٍ بهذا الإسنادِ مرفوعاً، وقال: «من ترك منهن واحدةً ـ يعني الثلاثُ الأُوَلَ ـ فهو بالله كافرٌ ولا يُقبل منه صَرفٌ ولا عدْلٌ وقد حلَّ دمُه ومالُه. ولم يذكر ما بعده».

المسألة الثالثة لمن لم يرَ قتلَه، هل ينكّل بأخذ شيءٍ من ماله مع الزكاة؟

وقد رُوي في خصوص المسألةِ حديثُ بهْزِ بنِ حكيم عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«في كل سائمةِ إبلٍ في أربعين بنتُ لَبون، لا تُفرق إبلٌ عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرُها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطرَ مالِه، عزمةٌ من عزَمات ربنا، لا يحِل لآل محمدٍ منها شيء»**. رواه أحمدُ[1] وأبو داودَ[2] والنسائيُّ[3] وصححها الحاكم[4]، وعلق الشافعيُّ

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧ ـ ٤٨) وقال: «رواه أبو يعلى ـ (٤/ ٢٣٦ رقم ٢٢/ ٢٣٤٩) ـ بتمامه. ورواه الطبراني في «الكبير» ـ (١٢/ ١٧٤ رقم ١٢٨٠٠) ـ بلفظ: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة وصيام رمضان، فمن ترك واحدة منهن كان كافراً حلال الدم»**. فاقتصر على ثلاثة منها، ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف. وإسناده حسن» اهـ.

(١) في «المسند» (٥/ ٢، ٤).

(٢) في «السنن» (٢/ ٢٣٣ رقم ١٥٧٥).

(٣) في «السنن» (٥/ ٢٥ رقم ٢٤٤٩).

(٤) في «المستدرك» (١/ ٣٩٨).

وقال الذهبي: صحيح. وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٣٠٤): «... وإسناده إلى بهز بن حكيم صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأما بهز فاختلفوا فيه، فقال يحيى بن معين: «ثقة»، وسئل أيضاً عنه عن أبيه عن جده: «ثقة»، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به؛ وقال أبو زرعة: «صالح»، وقال الحاكم: ثقة...» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن.

القولَ به على ثبوته فإنه قال: لا يُثبته أهل العلمِ بالحديث، ولو ثبت لقلنا به[1].

[الركن الرابع: الصوم]

(والرابعُ الصيامُ فاسمَع واتَّبِع والخامسُ الحجُّ على من يستطع)

الركنُ الرابعُ من أركان الإسلامِ الصيامُ، وهو في اللغة الإمساكُ، وفي الشرع إمساكٌ مخصوصٌ في زمن مخصوصٍ بشرائطَ مخصوصة.

وكان فرضُ صوم شهرِ رمضانَ في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاةُ قبل بدر، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥] إلى آخر الآيات. وقد تقدمت الأحاديثُ فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنةِ والإجماعِ كفرُ من جحد فرضيتَه، وتقدم القولُ بقتل تاركِه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه.

وقوله: (فاسمع واتبع) مأخوذٌ من قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

[الركن الخامس: الحج]

الركنُ الخامسُ الحجُّ، وهو (على من يستطيع) أي من استطاع إليه سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد ذكر الله تعالى تفصيلَه في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٦ ـ ٢٠٣].

---

(١) قال النووي في «المجموع» (٥/ ٣٠٤): «وروى البيهقي ـ في «السنن الكبرى» (٤/ ١٠٥) ـ عن الشافعي رحمه الله أنه قال: هذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت قلنا به. . .» اهـ.
قلت: وقد تقدم أن الحديث حسن وقد قال به الشافعي في القديم وبه قال أحمد.

واشتراطُه الاستطاعةِ فيه مصرَّحٌ به في الآية وفي حديث جبريلَ وفي حديث معاذٍ وغيرِها، وفسَّره النبيُّ ﷺ بالزاد والراحلة[1].

ولا خلافَ في كفرِ من جحد فرْضيتَه. وتقدم الخلافُ في كفر تاركِه مع الإقرار بفرضيته.

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«تعجّلوا الحجَّ - يعني الفريضة - فإن أحدَكم لا يدري ما يعرضُ له»**.

---

(1) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الضعيف الذي أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢١٦ رقم ٦، ٧) والحاكم (١/ ٤٤٢) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) عن أنس في قوله: **﴿ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مِنِ اسْتَطَاعَ إليهِ سَبِيلاً﴾** [آل عمران: ٩٧].
قال: قيل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: **«الزاد والراحلة»**.
قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً - يعني الذي خرّجه الدارقطني وسنده صحيح إلى الحسن - ولا أرى الموصول إلاَّ وهماً.
وقد أخرجه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة: عبد الله بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: «هو منكر الحديث»...
وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً. والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة.
انظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١ رقم ٩٥٤) و «إرواء الغليل» (٤/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٩٨٨).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(2) في «المسند» (١/ ٣١٤) ثم أخرجه أحمد من طرق أخرى (١/ ٢١٤، ٣٢٣، ٣٥٥).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٢ رقم ٢٨٨٣) والخطيب في «الموضح» (١/ ٢٣٢) و (٤/ ٣٤٠). بلفظ: **«من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»**.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣ رقم ١٠١٥/ ٢٨٨٣): «هذا إسناد فيه مقال: إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملاي، قال فيه ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وقال النسائي: ضعيف. وقال الجوزجاني: مفتر زائغ.
قلت: لم ينفرد إسماعيل بإخراجه من هذا الوجه، فقد رواه أبو داود في سننه من طريق الحسن بن عمرو عن مهران بن عمران عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: **«من أراد الحج فليتعجل...»** اهـ.
قلت: وهو حديث حسن بالشاهد الآتي.

ورواه أبو داودَ[1] بلفظِ: «**من أراد الحجَّ فليتعجَّلْ**».

وروى الإسماعيليُّ[2] بإسناد صحيحٍ عن عبد الرحمنِ بنِ غُنم أنه سمع عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه يقول: من أطاق الحجَّ فلم يحُجَّ فسواءٌ عليه ماتَ يهودياً أو نصرانياً.

وروى سعيدُ بنُ منصورٍ في سننه[3] عن الحسن البصْريِّ قال: قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: لقد هممتُ أن أبعثَ رجالاً إلى هذه الأمصارِ فينظروا إلى كل مَن كان عنده جِدَةٌ فلم يحجَّ فيضربوا عليه الجِزية، ما هم بمسلمين.

وروى البغويُّ[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: **من لم تحبِسه حاجةٌ**

---

(١) في «السنن» (٢/ ٣٥٠ رقم ١٧٣٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٢٨) والدولابي في «الكنى» (٢/ ١٢) والحاكم (١/ ٤٤٨) وأحمد (١/ ٢٢٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
قال الحاكم: «صحيح الإسناد. وأبو صفوان لا يعرف بالجرح» ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٦٩): «وهذا منهما عجب، ولا سيما الذهبي، فقد أورده في «الميزان قائلاً: «لا يدرى من هو. قال أبو زرعة: لا أعرفه إلا في هذا الحديث».
وقال الحافظ في «التقريب»: مجهول.
لكن لعله يتقوى حديثه بالطريق الأولى فيرتقي إلى درجة الحسن...» اهـ.
قلت: وخلاصة القول أن الحديث حسن بالشاهد السابق.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، وقال ابن كثير: **هذا إسناد صحيح إلى عمر.**

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٥) **بسند منقطع لأن الحسن لم يسمع من عمر** رضي الله عنه.

(٤) في تفسيره «معالم التنزيل» (٢/ ٧٤) **بسند ضعيف.**
ليث بن أبي سليم ضعيف. وشريك القاضي سيء الحفظ.
قلت: وأخرج حديث أبي أمامة ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) من طريقين:
الطريق الأول: عن عمار بن مطر، عن شريك، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد عنه، به.
والطريق الثاني: عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط، عنه، به.
ثم قال ابن الجوزي: في الطريق الأول: عمار بن مطر، قال العقيلي: يحدث عن الثقات بالمناكير، وقال ابن عدي: متروك الحديث.
وفي الطريق الثاني: المغيرة بن عبد الرحمن: قال يحيى: ليس بشيء. وليث: وقد ضعفه =

ظاهرةٌ أو مرضٌ حابسٌ أو سلطانٌ جائرٌ ولم يحُجَّ فليمُتْ إن شاء يهودياً أو نصرانياً».

وروى الإمام أحمدُ[1] عن أبي هريرةَ قال: خطبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: **«أيها الناسُ فُرِضَ عليكم الحجُّ فحجُّوا»**. فقال رجل: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لو قلتُ نعم لوجبت، ولما استطعتم»**، ثم قال: **«ذروني ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائهم، وإذا أُمرتُم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدعوه»**. رواه مسلمٌ[2] بنحو هذا، والله أعلم.

وروى أحمدُ[3] وأبو داودَ[4] والنسائيُّ[5] وابنُ ماجة[6] والحاكمُ[7] عن ابن عباس ﷺ قال: خطبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: **«يا أيها الناسُ، إن الله تعالى كتب عليكم الحجَّ**. فقام الأقرعُ بنُ حابسٍ فقال: يا رسولَ الله أفي كل عامٍ؟ فقال: **«لو**

= ابن عيينة، وتركه يحيى القطان، ويحيى بن معين، وابن مهدي، وأحمد.
قلت: وفي الباب من حديث أبي هريرة، وحديث علي بن أبي طالب.
وانظر تخريجها في تحقيقنا لـ: «فتح القدير» للشوكاني.
وانظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) و «نصب الراية» (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١).
وخلاصة القول أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحلَّ الترك. وعدُّه في الموضوعات خطأ.

(١) في «المسند» (٢/ ٥٠٨) **بسند صحيح**.
(٢) في صحيحه (٢/ ٩٧٥ رقم ١٣٣٧).
(٣) في «المسند» (١/ ٢٥٥، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١).
(٤) في «السنن» (٢/ ٣٤٤ رقم ١٧٢١).
(٥) في «السنن» (٥/ ١١١ رقم ٢٦٢٠).
(٦) في «السنن» (٢/ ٩٦٣ رقم ٢٨٨٦).
(٧) في «المستدرك» (١/ ٤٤١، ٤٧٠).
قال الحاكم: «هذا إسناد صحيح، وأبو سنان هذا هو الدؤلي ولم يخرجاه، فإنهما لم يخرجا سفيان بن حسين وهو من الثقات الذين يجمع حديثهم» وقال الذهبي: صحيح.
قلت: أبو سنان اسمه يزيد بن أمية. وهو ثقة. ومنهم من عده في الصحابة.
وله في مسند الطيالسي رقم (٢٦٦٨) وأحمد (١/ ٢٩٢، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٢٥) متابع من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس باختصار.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

قلتُها لوجبتْ، ولو وجبتْ لم يعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها. الحجُ مرةٌ فمن زاد فهو تطوُّعٌ».

ذكرُ أمورٍ تدخُل في مسمَّى الإيمانِ والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

[الأدلة عليها من الكتاب]

قال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١٠] الآيات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٢٧ - ٤١].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾ [الحشر: ١٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا

تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا

عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيتين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، الآيات. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وآياتُ القرآنِ في هذا الباب كثيرةٌ وشهيرةٌ لا تخفى، بل القرآنُ كلهُ في تقرير الدينِ من فاتحته إلى خاتمته: دعوةٌ وبشارةٌ ونذارةٌ، وأمراً ونهياً وخبراً، كلُه لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوةٌ إليه، أو بشارةٌ لمن اتبعه برضاء اللّهِ والجنةِ، أو نذارةٌ لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة، أو أمراً بشرائعه: أصولِها وفروعِها وآدابِها وأحكامِ كلٍ منها، أو نهياً عن نواقضه جميعِه أو نواقضِ شيءٍ منها أو ما يوجب أدنى خللٍ فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدّق به، وحِفْظِه وتأييدِه في الدنيا، أو خبراً عما أعد اللّهُ لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاةِ من عذاب الجحيم، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحلّه اللّهُ بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسخِ والقذْفِ وغير ذلك، وما أعدَّه لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحُرموه من الثواب وغيرِ ذلك.

[الأدلة عليها من السنة]

وأما الأحاديثُ (فمنها) قولُه ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان**»[1].

وقولُه ﷺ: «**بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً ولا تسرِقوا ولا تزنوا ولا**

---

(١) أخرجه البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.

تقتُلوا أولادَكم من إملاق ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلِكم ولا تعصُوا في معروف، فمن وفى منكم فأجرُه على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره اللّهُ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»[1]، قال عُبادةُ بنُ الصامت: فبايعناه على ذلك.

وقولُه ﷺ: «من يبايعني على هذه الثلاثِ الآياتِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، الآيات»[2].

وقولُه ﷺ لمعاويةَ بنِ حَيدةَ لما قال له: «ما الذي بعثك اللّهُ به؟ قال: الإسلام، قلت: وما الإسلامُ؟ قال: أن تُسْلم قلبَك لله تعالى، وأن توجِّهَ وجهَك لله، وأن تصليَ الصلاةَ المكتوبةَ وتؤدّيَ الزكاةَ المفروضة»[3].

وفي رواية[4] قال: «وما آيةُ الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمتُ وجهيَ لله وتخلَّيتُ، وتُقيمَ الصلاةَ وتُؤتيَ الزكاةَ، وكلُّ المسلم على المسلم حرامٌ».

وقولُه ﷺ: «ثلاثٌ لا يغل عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ ولاةِ الأمور، ولزومُ جماعةِ المسلمين، فإن دعوتَهم تحيط مَن ورائهم»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٤ رقم ١٨) ومسلم (٣/ ١٣٣٣ رقم ١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وليس كما قالا: فإن الحديث ضعيف لسببين:
الأول: في سنده محمد بن مسلمة. قال الذهبي في الميزان (٤/ ٤١): أتى بخبرٍ باطل اتُّهم به. لكنه توبع.
الثاني: ضعف رواية سفيان بن حسين عن الزهري، فهي علة الحديث.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤ ـ ٥) والنسائي (٥/ ٤ ـ ٥ رقم ٢٤٣٦) و (٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٨) وابن ماجه (٢/ ٨٤٨ رقم ٢٥٣٧).
وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤ ـ ٥)، والنسائي (٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٨).
وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣) والدارمي (١/ ٧٥) وابن حبان في صحيحه رقم (٦٨٠) وأبو داود رقم (٣٦٦٠) والترمذي رقم (٢٦٥٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٩) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٤) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم=

وقولُه ﷺ في جواب: أيُّ المسلمين أفضلُ؟ قال: «مَن سلِم المسلمون من لسانه ويدِه»[1].

وقولُه ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضُكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخواناً. المسلمُ أخو المسلم: لا يظلِمُه، ولا يخذُله، ولا يحقره. التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره ثلاثاً ـ بِحسْب امرىءٍ من الشرِّ أن يحقِرَ أخاه المسلم»[2].

وقولُه ﷺ: «المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويدِه، والمهاجرُ من هجر ما نهى اللّهُ عنه»[3].

وقولُه ﷺ في جواب من قال: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: «أن تُطعمَ الطعامَ، وتقرأ السلام على من عرفْتَ ومن لم تعرِف»[4].

وقولُه ﷺ: «من حُسن إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه»[5].

= (٢٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣٢) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٨٩٠) و (٤٨٩١) من طرق.

وفي الباب من حديث جبير بن مطعم عند الحاكم (١/ ٨٦، ٨٧) وصححه ووافقه الذهبي.
ومن حديث النعمان بن بشير عند الحاكم (١/ ٨٨) والرامهرمزي رقم (١١).
ومن حديث أبي سعيد الخدري عند الرامهرمزي رقم (٥) وأبي نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٥).
ومن حديث ابن عمر عند الخطيب في الكفاية ص١٩٠.
ومن حديث معاذ عند أبي نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٨).
ومن حديث بشير بن سعد عند الطبراني في الكبير رقم (١٢٢٥).
ومن حديث أبي هريرة عند الخطيب في تاريخه (٤/ ٣٣٧). وغيرهم.
انظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٨).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ رقم ٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥٣ رقم ١٠) من حديث عبد الله بن عمرو.
(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٥ رقم ١٢) ومسلم (١/ ٦٥ رقم ٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو.
(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ رقم ٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة. =

وقولُه ﷺ في جواب من سأله: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل آمنتُ بالله ثم استقم»[1].

وقولُه ﷺ: «ذاق طعمَ الإيمان من رضيَ بالله ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ - نبياً - رسولاً»[2].

وقولُه ﷺ: «ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبه إلا لله، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار»[3].

وقولُه ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالدِه والناسِ أجمعين»[4]، وفي رواية[5]: «من أهله ومالِه».

وفي حديث أبي رزينٍ[6] قال: قلتُ: يا رسول اللّهِ ما الإيمانُ؟ قال: «أن تشهدَ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن يكون اللّهُ

= قال الترمذي: هذا حديث غريب.
وأخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٠٣) والترمذي (٤/٥٥٨ رقم ٢٣١٨) مرسلاً من حديث علي بن حسين.
قال الترمذي: هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة.
وعلي بن حسين لم يُدرك عليَّ بن أبي طالب.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ رقم ٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٢ رقم ٣٤) والترمذي (٥/ ١٤ رقم ٢٦٢٣) وقال حديث حسن صحيح. من حديث العباس.
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٠ رقم ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦ رقم ٤٣) من حديث أنس.
(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٤٤) من حديث أنس.
(٥) أخرجها النسائي (٨/ ١١٥ رقم ٥٠١٤) من حديث أنس.
(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١ - ١٢) **بسند رجاله ثقات لكنه منقطع.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٣ - ٥٤) وقال: «رواه أحمد وفي إسناده سليمان بن موسى. وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه آخرون».
وأخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (ص٣٠ - ٣١ رقم ١٢١) مطولاً **بسند رجاله ثقات، ولكنه منقطع.** سليمان بن موسى لا نعرف له رواية عن أبي رزين لقيط العقيلي فيما نعلم.

ورسولُه أحبَّ إليك مما سواهما، وأن تحترقَ في النار أحبُّ إليك من أن تُشرك بالله شيئاً، وأن تحبَّ غيرَ ذي نسبٍ لا تُحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حبُّ الإيمانِ في قلبك كما دخل حبُّ الماءِ للظمآن في اليوم القائظ»، قلت: يا رسولَ الله كيف لي بأن أعلمَ أني مؤمنٌ؟ قال: «ما من أمتي ـ أو قال هذه الأمة ـ عبدٌ يعمل حسنةً فيعلمُ أنها حسنةٌ وأن اللّهَ مجازيه بها خيراً، ولا يعملُ سيئة فيعلمُ أنها سيئةٌ ويستغفرُ اللّهَ منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا اللّهُ إلا وهو مؤمن».

وقولُه ﷺ: «من سرَّته حسناتُه وساءته سيئاتُه فهو مؤمنٌ»[1].

وقولُه ﷺ: «صريحُ الإيمانِ إذا أسأتَ أو ظلمتَ عبدَك أو أمتَك أو أحداً من الناس صُمتَ أو تصدقتَ، وإذا أحسنتَ استبشرتَ»[2].

وقولُه ﷺ: «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاءٍ: الذين آمنوا بالله ورسولِه

---

(١) وهو حديث صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (رقم: ١١٤ ـ شاكر) من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر. وكذلك أخرجه الترمذي من الطريق نفسه (٤/ ٤٦٥ رقم ٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وكذلك الحاكم: (١/ ١١٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد أيضاً (رقم: ١٧٧ ـ شاكر) من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. وكذلك أخرجه الطيالسي من الطريق نفسه (ص٧ رقم ٣٢). وأخرجه الحاكم (١/ ١١٤ ـ ١١٥) من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن عمر وقال: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي.
وله شاهد من حديث أبي موسى عند الحاكم (١/ ١٣ ـ ١٤) ومن حديث أبي أمامة عند الحاكم أيضاً (١/ ١٤) بأسانيد صحيحة.
وصحح الحديث أحمد شاكر في تحقيقه لرسالة الشافعي (ص٤٧٣ ـ ٤٧٥ رقم ١٣١٥)
وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٥): «فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن» اهـ.
وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٣/ ١١٠): «وجملة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه» اهـ.

(٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ.
وقد أخرج مسلم في صحيحه (١/ ١١٩ رقم ٢٠٩/ ١٣٢) عن أبي هريرة قال: جاءَ ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألُوهُ: إنا نجدُ في أنفُسِنَا ما يتعاظمُ أحدنا أن يتكلَّمَ بهِ. قال: «وقَدْ وجدتموهُ؟»، قالوا: نَعَمْ. قال: «ذاكَ صريحُ الإيمان».

ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيل الله، والذي يأمَنُه الناس على أموالهم وأنفسِهم، ثم الذي إذا أشرف على طمعٍ تركَه لله عز وجل»[1].

وفي حديث عمْرِو بنِ عبَسةَ «قلت: يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟ قال: طيّبُ الكلام، وإطعامُ الطعام. فقلت: ما الإيمانُ؟ قال: الصبرُ والسماحة. قلت: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويدِه. قلت: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ قال: خلقٌ حسنٌ»[2].

وقولُه ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهُم خُلُقاً»[3].

وقولُه ﷺ: «ثلاثٌ من فعلهن فقد طعِم طعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاةَ مالِه طيّبةً بها نفسُه في كل عام» الحديث، وفي آخره: «فقال رجلٌ: فما تزكيةُ المرءِ نفسَه يا رسولَ الله؟ قال: أن يعلمَ أن اللّهَ معه حيثما كان»[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/٨) بسند ضعيف من حديث أبي سعيد الخدري.
رشدين ضعيف ويتقوّى بالمتابعات، لكن هنا لم يتابع. وكذلك أبو السمح دراج بن سمعان السهمي، أما أبو الهيثم سليمان بن عمرو بن عبيد فهو مقبول. والحديث تفرد به أحمد.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢، ٦٣) ولم يضعفه لأجل رشدين، وأهمل ذكر رشدين. وذكر الخلاف في أبي السمح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٨٥) بسند حسن لأجل شهر بن حوشب.

(٣) وهو حديث صحيح بطرقه.
أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٤٧٢، ٥٣٧ والترمذي (٣/ ٤٦٦ رقم ١١٦٢) وأبو داود (٥/ ٦٠ رقم ٤٦٨٢) والحاكم (١/ ٣) من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
قلت: محمد بن عمرو فيه ضعف يسير، وليس هو على شرط مسلم، فقد أخرج له مسلم متابعة. وانظر طرق وشواهد لهذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٨٤).

(٤) وهو حديث صحيح.
أخرجه أبو داود (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٥٨٢) من حديث عبد الله بن معاوية الغاضِري، قال المنذري في «المختصر» (٢/ ١٩٨ رقم ١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة مسنداً، وذكره أيضاً أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً. وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل حِمْص. وقيل: إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ. =

وقولُه ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمثل الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمّى والسهر»[1].

وفي رواية: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينَه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسَه اشتكى كلُّه»[2].

وقولُه ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضاً ـ وشبّك بين أصابعِه»[3].

وقولُه ﷺ: «المؤمنُ في أهل الإيمانِ بمنزلة الرأسِ من الجسد، يألم المؤمنُ لأهل الإيمانِ كما يألم الجسدُ لما في الرأس»[4].

= وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥ ـ ٩٦).
وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠١):
وقال: «لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي، ولا نعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا» اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٥٥): «ورواه الطبراني؛ وجوَّد إسناده، وسياقه أتم سنداً ومتناً». اهـ.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٨ رقم ٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٩٩ رقم ٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠) والطبراني في الكبير (٦/ ١٣١ رقم ٥٧٤٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٨٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سوار بن عمارة الرملي وهو ثقة».
قلت: رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج به، وليس في الإسناد سوار بن عمارة، وإنما هو في سند الأوسط.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.
قلت: مصعب بن ثابت: لين الحديث وكان عابداً. «التقريب» رقم (٦٦٨٦)، وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٣٦) وابن المبارك في «الزهد» رقم (٦٩٣).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وقولُه ﷺ: «المؤمنُ مِرآةُ المؤمن، أخو المؤمن، يكُفّ عنه ضَيعتَه ويحوطه من ورائه»[1].

وقولُه ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

وقولُه ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ جارَه»[3].

وقولُه ﷺ: «واللّهِ لا يؤمنُ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: مَن ذلك يا رسولَ الله؟ قال: مَن لا يأمن جارُه بوائقَه»[4].

وقولُه ﷺ: «ليس المؤمنُ الذي يَشبعُ وجارُه جائعٌ»[5].

---

(١) وهو حديث حسن.
أخرجه أبو داود (٥/ ٢١٧ رقم ٤٩١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٣٩) والترمذي (٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ رقم ١٩٢٩) من حديث أبي هريرة.
وابن وهب في «الجامع» رقم (٢٣٧) بإسناد حسن كما قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.
وأخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٢١١٤) والبزار رقم (٣٢٩٧ ـ كشف) من حديث أنس بسند ضعيف.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦٤) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن محمد من ولد ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال ابن القطان: الغالب على حديثه الوهم، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٦ رقم ١٣)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٤٥) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٥ رقم ٦٠١٩)، ومسلم (١/ ٦٨ رقم ٤٧) من حديث أبي شريح العدوي.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٣ رقم ٦٠١٦) من حديث أبي شريح.

(٥) وهو حديث صحيح بشواهده.
أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١١٢) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٤ رقم ١٢٧٤١) والحاكم (٤/ ١٦٧) وأبو يعلى في المسند (٥/ ٩٢ رقم ٢٦٩٩/٣٧٢). وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٧) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى ورجاله ثقات» اهـ.
قلت: في إسناده عبد الله بن المساور وثقه ابن حبان، وجهله ابن المديني وتبعه الذهبي في الميزان، ولكن ابن حجر قال في «التقريب» رقم (٣٦١٢): مقبول.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.
=

وقولُه ﷺ: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحبَّ لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانَه»[1]، وسُئل ﷺ عن أفضل الإيمانِ فقال: «أن تُحِبَّ لله وتُبغِضَ لله وتُعمِلَ لسانَك في ذكر الله»، فقال: وماذا يا رسولَ الله؟ قال: «أن تُحِبَّ للناس ما تحب لنفسك، وتكرَه لهم ما تكرَه لنفسك»[2]، وفي رواية[3]: «وأن تقولَ خيراً أو تصمُت».

وقولُه ﷺ: «لا يستحق العبدُ صريحَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ لله ويُبغضَ لله، فإذا أحبَّ لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى»[4].

وقولُه ﷺ: «أوثقُ عُرى الإيمانِ أن تحبَّ في الله وتُبغض في الله»[5].

= وله شواهد من حديث أنس، وابن عباس، وعائشة.
وانظر تخريجها في «الصحيحة» رقم (١٤٩).

(١) وهو حديث حسن.
أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠) والترمذي (٤/ ٦٧٠ رقم ٢٥٢١) والحاكم (٢/ ١٦٤) من حديث معاذ بن أنس.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: فيه عبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم: لم يخرجا له. وسهل بن معاذ لم يرو له مسلم، وروى له البخاري في «الأدب المفرد» فقط.
وانظر الصحيحة (١/ ١١٣) ط: المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٧) من حديث معاذ بن جبل بسند حسن. لأجل رشدين بن سعد، وزبان، فيه كلام، إلا أنهم حمدوه وحمدوا ولايته على مصر.
وسهل بن معاذ هو ابن أنس وهو ثقة وأبوه صحابي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٥/ ٢٤٧) عن معاذ بن جبل بسند حسن.
وانظر الكلام على الحديث المتقدم.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٠) من حديث عمرو بن الجموح بسند ضعيف؛ لضعف رشدين بن سعد، وللانقطاع بين أبي منصور وعمرو بن الجموح، فقد قال البخاري: لم يسمع منه، وهو ثقة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٩) وقال: «رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف» اهـ.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٦) من حديث البراء بن عازب بسند ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٠) والطيالسي (٢/ ٤٨ رقم ٢١١٠ ـ

وقولُه ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال: «ألا أدلُك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّةٌ، والصدَقةُ تطفئ الخطيئةَ كما يطفئ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوف الليل» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

ثم قال: «ألا أُخبرك برأس الأمرِ وعمودِه وذُروةِ سَنامه؟ رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله»، ثم قال له: «ألا أُخبرك بمِلاك ذلك كلِه؟ فأخذ بلسان نفسِه وقال: كُفَّ عليك هذا»[١].

[شرح حديث شعب الإيمان]

ويناسب هنا أن ننقُلَ شرحَ حديثِ شعب الإيمانِ وكلامَ العلماءِ في إحصائها من (فتح الباري).

(فتلك خمسةٌ وللإيمان	ستةُ أركانٍ بلا نُكران)
(إيمانُنا بالله ذي الجلال	وما له من صفةِ الكمالِ)
(وبالملائك الكرامِ البررَهْ	وكتُبِه المُنزلةِ المطهرَه)
(ورسلِه الهداةِ للأنام	من غير تفريقٍ ولا إيهام)

(فتلك) الأركانُ المتقدمةُ التي هي شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وإقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وصومُ رمضانَ وحجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً (خمسة فسَّر النبيُّ ﷺ بها الإسلامَ، فاعلَمْها واحتفِظْ بها واعمَلْها وعلِّمْها، فسوف تُسأل عنها وتحاسب عليها، فأَعْدِدْ للسؤال جواباً، وإياكَ أن تُخِلَّ بشيء منها فتكون من الظالمين.

= منحة المعبود).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١١) عن مجاهد موقوفاً بسند صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) وهو حديث صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣١) والترمذي (٥/ ١١ ـ ١٢ رقم ٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ رقم ٣٩٧٣) من حديث معاذ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقد تقدم الحديث.

[أركان الإيمان الستة]

(وللإيمان ستةُ أركان) فسَّره بها النبيُّ ﷺ في حديث جبريلَ[1] وغيرِه **(بلا نكران)** للنقل ولا تكذيب للخبر، ولا شكٍ في ذلك الاعتقاد ولا استكبارٍ عن الانقياد.

[الإيمان بالله]

الأولُ منها: (إيمانُنا بالله) بإلهيته وربوبيتِه لا شريكَ له في الملك ولا منازعَ له فيه، ولا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه، واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا يُشركُ في حكمه أحداً، ولا ضِدَّ له ولا نِدَّ ولم يكن له كفُواً أحدٌ

(ذي الجلال) ذي العظمةِ والكبرياءِ، الذي هو أهلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكرَ فلا يُكْفر ويُوحَّدَ فلا يُشركَ معه غيرُه ولا يُوالي إلا هو: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(و) الإيمانُ بـ **(ما لَه)** تعالى **(من صفة الكمال)** مما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى، وإمرارُها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريفٍ ولا تعطيل، وأن كلَّ ما سمَّى اللَّهُ تعالى ووصف به نفسَه ووصفه به رسولُه ﷺ الكلُّ حقٌ على حقيقته على ما أراد اللَّهُ وأراد رسولُه وعلى ما يليق بجلال اللَّهِ وعظمتِه: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقد تقدم ما يسَّره اللَّهُ من تقرير الكلامِ في توحيد الإلهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ وأنواعِ الشركِ المضادّةِ له، فليراجع وبالله التوفيق.

[الإيمان بالملائكة]

(و) الثاني الإيمانُ **(بالملائكة)** الذين هم عبادُ الله المُكْرَمون، والسَّفَرةُ بينه تعالى

---

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

وبين رسلِه عليهم الصلاة والسلام **(الكرام)** خَلقاً وخُلقاً والكرامُ على الله تعالى **(البرَرَة)** الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعين لله عز وجل وهم عبادٌ من عبادِ اللَّهِ عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتِ لله عز وجل ولا أولاداً، ولا شركاءَ معه، ولا أنداداً، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّاً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾. [الصافات: ١٥١ - ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرةٌ.

[أقسام الملائكة وخصائصهم]

ثم هم بالنسبة إلى ما هيَّأهم الله تعالى له ووكّلهم به على أقسام: **فمنهم الموكَلُ بالوحي من الله تعالى إلى رسله** عليهم الصلاة والسلام، وهو الروحُ الأمينُ جبريلُ عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم].

وهذا في رؤية النبيِّ ﷺ له في الأبطح حين تجلَّى له على صورته التي خُلق عليها، له سِتُّمائةِ جناحٍ قد سد عِظمُ خلقِه الأفقَ.

ثم رآه ليلةَ المعراج أيضاً في السماء[1]. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين، وبقيةُ الأوقات في صورة رجلٍ، وغالباً في صورةِ دِحْيةَ الكلْبيِّ[2] رضي الله عنه.

وقال تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير] الآيات.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٠٧) بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٠٧) بإسناد صحيح.

وقـــــال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. تقدم الحديث في معنى الآية.

وفيه قال النبيُّ ﷺ: «**فيكون أولُ من يرفع رأسَه جبريل، فيكلِّمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريلُ بأهل السمواتِ كلَّما مر بسماء سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُنا يا جبريلُ؟ فيقول جبريلُ عليه السلام: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير**»، فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ. ثم ينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل. وهو في الصحيحين[1]، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرُ بعضِ الأحاديثِ في بدء الوحي من الفصل الآتي.

ومنهم الموكلُ بالقَطْر وتصاريفِه إلى حيث أمره اللَّهُ عز وجل، وهو ميكائيلُ عليه السلام، وهو ذو مكانةٍ عليّةٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ وشرَفٍ عند ربِّه عزَّ وجل، وله أعوانٌ يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربِه، ويصرِّفون الرياحَ والسحابَ كما يشاء اللَّهُ عز وجل، وقد جاء في بعض الآثار: (ما من قطرةٍ تنزِل من السماء إلا ومعها ملكٌ يقرُّها في موضعها من الأرض)[2].

وفي حديث ابن عباس عند الطبرانيّ[3] أنه ﷺ قال لجبريلَ: «**على أي شيءٍ ميكائيلُ؟ قال: «على النبات والقطْر**».

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٧ رقم ٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ رقم ٢٢٢٩) من حديث ابن عباس بلفظ: «أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بنجم فاستنارَ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُميَ بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسولُه أعلم. كُنا نقولُ وُلد الليلةَ رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياته. ولكن ربُنا تبارك وتعالى اسمُه، إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرشِ، ثم سبَّح أهلُ السماءِ الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيحُ أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملةِ العرشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيخبرُ بعضُ أهل السماواتِ بعضاً حتى يبلُغ الخبر هذِ السماءَ الدنيا. فتخطَفُ الجنُّ السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويُرمَون به، فما جاءوا به على وجههِ فهو حق، ولكنهم يَقْرِفونَ فيه ويزيدون**».
(٢) لم أعثر على قائله ولا من أخرجه.
(٣) في «الكبير» (١١/ ٣٧٩ رقم ١٢٠٦١).

=

ولأحمدَ[1] عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لجبريلَ عليه السلام: **«ما لي لم أرَ ميكائيلَ ضاحكاً قط؟ فقال عليه السلام: ما ضحكَ ميكائيلُ منذ خُلقت النارُ»**. عياذاً بالله منها.

ومنهم الموكّلُ بالصُّور، وهو إسرافيلُ عليه السلام، ينفُخ فيه ثلاثَ نَفَخاتٍ بأمر ربه عز وجل:

الأولى: نفخةُ الفزعِ.

والثانية: نفخةُ الصَّعْقِ.

والثالثة: نفخةُ القيامِ لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطُه في موضعه.

ولأحمدَ[2] والترمذيِّ[3] من حديث عطيَّة العوفيِّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كيف أَنعَمُ وصاحبُ القرنِ قد التقم القرنَ وحنى جبهتَه وانتظر أن يُؤذَنَ له، قالوا: كيف نقول يا رسولَ الله؟ قال: قولوا: حسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، على الله توكَّلْنا»**. وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبيُّ ﷺ

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٩/٩) وقال: «وفيه محمد بن أبي ليلى وقد وثقه جماعة لكنه سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات» اهـ.

قلت: وفيه محمد بن عمران مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان.

(١) في «المسند» (٢٢٤/٣) بسند ضعيف.

(٢) في «المسند» (٧/٣، ٧٣).

(٣) في «السنن» (٦٢٠/٤ رقم ٢٤٣١) وقال: هذا حديث حسن.

قلت: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٧) وابن ماجه رقم (٤٢٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٥/٥) و (١٣٠/٧، ٣١٢) من طرق عن أبي سعيد الخدري.

وفيه عطية العوفي، ضعيف، إلا أنه قد تابعه أبو صالح عن أبي سعيد به.

أخرجه ابن حبان (رقم: ٢٥٦٩ ـ موارد)، والحاكم (٥٥٩/٤).

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند أحمد (٣٢٦/١) والحاكم عن مطرف عن عطية. وكذلك من حديث زيد بن أرقم عند أحمد (٣٧٤/٤).

وأيضاً من حديث البراء عند الخطيب في «تاريخه» (٣٩/١١) وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، قال الحافظ: متروك، وكذبه ابن معين.

وخلاصة القول أن حديث أبي سعيد حسن لغيره، والله أعلم.

في دعائه من صلاة الليلِ: «اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة، أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

ومنهم الموكلُ بقبض الأرواح، وهو ملكُ الموتِ وأعوانُه، وقد جاء في بعض الآثار تسميتهُ عزرائيلَ[2]، قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٢٨ ـ ٣٢]، وغيرُها من الآيات.

وقد جاء في الأحاديث[3] أن أعوانَه يأتون العبدَ بحسب عملِه، إن كان محسناً ففي أحسن هيئةٍ وأجملِ صورةٍ بأعظمِ بشارةٍ، وإن كان مسيئاً ففي أشنعِ هيئةٍ وأفظعِ منظرٍ بأغلظِ وعيدٍ، ثم يسوقون الروحَ حتى إذا بلغت الحلقومَ قبضها ملكُ الموتِ فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحَنوطٍ يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧٠) من حديث عائشة. وقد تقدم.

(٢) جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل. ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم. [البداية (١/ ٥٠)].

(٣) (منها): ما أخرجه الحاكم (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٤) من حديث أبي هريرة. وهو حديث صحيح.
(ومنها) ما أخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة.

مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].
سبحان اللّهِ وبحمده، سبحان اللّهِ العظيم، نستغفر الله.

ومنهم الموكلُ بحفظ العبد في حلّه وارتحالِه، وفي نومه ويقظتِه، وفي كل حالاتِه، وهم المعقِّبات، قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١٠ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما في الآية الأولى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ١١]: والمعقِّبات من الله هم الملائكةُ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدرُ اللّهِ تعالى خلَّوا عنه.

وقال مجاهد[٢]: ما من عبد إلا له ملَكٌ موكلٌ بحفظه في نومه ويقظتِه من الجن والإنسِ والهوامِّ، فما منها شيءٌ يأتيه إلا قال له الملكُ وراءك، إلا شيءٌ أذِن اللّهُ فيه فيُصيبُه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، قال ابنُ كثيرٍ[٣]: أي بدلَ الرحمن، يمتنُّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحِفظِه لهم بالليل والنهارِ وكَلاءَتِه وحراستِه لهم بعينه التي لا تنام. اهـ.

ومنهم الموكلُ بحفظ عملِ العبدِ من خير وشر، وهم الكرامُ الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قولُه عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢١٦ ـ شاكر) عنه.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٢٢).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢٢٤ ـ شاكر) عنه.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٢٢).
(٣) في تفسيره: (٣/ ١٨٨).

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]. فالذي عن اليمين يكتب الحسناتِ، والذي عن الشمال يكتب السيئاتِ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

عن علقمةَ عن بلالِ بنِ الحارثِ المُزنيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الرجلَ ليتَكلم بالكلمةِ من رضوان اللّهِ تعالى ما يظن أن تبلُغَ ما بلغتْ، يكتبُ اللّهُ عز وجل له بها رضوانَه إلى يوم يلقاه. وإن الرجلَ لَيتكلّمُ بالكلمةِ من سَخط اللّهِ تعالى ما يظن أن تبلُغ ما بلغتْ، يكتب اللّهُ تعالى عليه بها سخطَه إلى يوم يلقاه**». فكان علقمةُ يقول: كم من كلام قد مَنَعنيهِ حديثُ بلالِ بنِ الحارث.

رواه أحمدُ[1] والترمذيُّ[2] والنسائيُّ[3] وابنُ ماجه[4]. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وروى البغويُّ[5] عن أبي أُمامةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كاتبُ

---

(١) في «المسند» (٣/ ٤٦٩).
(٢) في «السنن» (٤/ ٥٥٩ رقم ٢٣١٩). وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٢/ ٥٥٥).
(٤) في «السنن» (٢/ ١٣١٣ رقم ٣٩٦٩).
قلت: وأخرجه مالك (٢/ ٩٨٥ رقم ٥) وابن حبان (رقم: ١٥٧٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ٤٥ ـ ٤٦) والحميدي رقم (٩١١).
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً نحوه مختصراً، أخرجه البخاري ومسلم.
وخلاصة القول أن حديث بلال بن الحارث صحيح.
(٥) في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٥٩) **بسند ضعيف.**
قلت: وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩١ رقم ٧٠٥) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ٧٧٦٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) كلهم من طريق عروة بن رويم.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩٠ رقم ٥٠٤٩) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ٧٩٧١) من طريق جعفر بن الزبير.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٢٥ رقم ٧٧٨٧) من طريق ثور بن يزيد كلهم عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال =

الحسناتِ على يمين الرجل، وكاتبُ السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسناتِ أميرٌ على كاتب السيئات، فإذا عمِل حسنةً كتبها صاحبُ اليمين عشراً، وإن عمِل سيئةً قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: دعه سبعَ ساعاتٍ لعله يسبّح أو يستغفر».

وفي الصحيح[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن اللّهَ تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ما لم يتكلَّموا أو يعملوا به».

وفي رواية[2]: «ما لم تعمل أو تَكَلَّمْ به».

وفيه[3] عنه ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتُبوها عليه، فإن عمِلها فاكتُبوها سيئةً. وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبُوها حسنة، فإن عمِلها فاكتُبوها عشراً».

وفي رواية[4]: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها كتبتُها له حسنةً، فإن عمِلها كتبتُها عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضِعفٍ، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتُبْها عليه، فإن عمِلها كتبتُها سيئةً واحدةً».

وفي أخرى[5]: قال الله عز وجل: إذا تحدَّث عبدي بأن يعملَ حسنةً فأنا أكتُبها له حسنةً ما لم يعمل، فإذا عمِلها فأنا أكتُبها بعشر أمثالِها. وإذا تحدَّث بأن يعملَ سيئةً فأنا أغفرُها له ما لم يعمَلها، فإذا عمِلها فأنا أكتُبها له بمثلها».

وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكةُ: ربِّ ذاك عبدُك يريد أن يعملَ سيئةً ـ وهو تعالى أبصرُ به ـ فقال: ارقُبوه، فإن عمِلها فاكتُبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتُبوها له حسنةً، إنما تركها من جرَّاي»[6].

= أحدها وثقوا». وقال في طريق جعفر بن الزبير: فيه جعفر بن الزبير وهو كذاب.
وحسّن الألباني الحديث في «الصحيحة» رقم (١٢٠٩).

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٤٨ رقم ٦٦٦٤)، ومسلم (١/ ١١٦ رقم ١٢٧).
(٢) أخرجها البخاري (١١/ ٥٤٨ رقم ٦٦٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١/ ١١٧ رقم ٢٠٣/ ١٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١/ ١١٧ رقم ٢٠٤/ ١٢٨).
(٥) أخرجها مسلم (١/ ١١٧ رقم ٢٠٥/ ١٢٩) من حديث أبي هريرة.
(٦) تقدم تخريجه.

وقال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أحسن أحدُكم إسلامَه فكلُّ حسنةٍ يعملها تُكتب بعشر أمثالِها إلى سبعمائة ضِعْفٍ، وكلُّ سيئةٍ يعملها تكتب بمثلها، حتى يَلقى اللَّهَ عز وجل»**[1].

وفيه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: **«إن اللَّهَ تبارك وتعالى كتب الحسناتِ والسيئاتِ ثم بيّن ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعمَلها كتبها اللَّهُ عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعمِلها كتبها اللَّهُ عز وجل عنده عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة. وإن همَّ بسيئة فلم يعمَلها كتبها اللَّهُ عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعمِلها كتبها اللَّهُ سيئةً واحدة** ـ زاد في رواية[3] ـ **أو محاها الله، ولا يهلِكُ على الله إلا هالكٌ»**.

قال الحسنُ البَصريُّ[4] رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]: يا ابنَ آدمَ بُسطتْ لك صحيفةٌ، ووُكِّلَ بك ملكانِ كريمان أحدُهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتِك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتِك، فاعمَلْ ما شئت أقلِلْ أو أكثِرْ، حتى إذا متّ طُويتْ صحيفتُك وجُعلتْ في عنقك معك في قبرك حتى تخرُج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

ثم يقول: **«عدَل والله فيك مَن جعلك حسيبَ نفسِك»** اهـ.

ويناسب ذكرَ المعقباتِ والحفظةِ ما روى البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى في (باب قولِ الله عز وجل تعرُج الملائكةُ والروحُ إليه)[6] قال: حدثنا إسماعيلُ حدثني مالكٌ عن أبي الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال:

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (١١/٣٢٣ رقم ٦٤٩١)، ومسلم (١/١١٨ رقم ٢٠٧/١٣١).
(٣) أخرجها مسلم (١/١١٨ رقم ٢٠٨/١٣١).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠) عنه.
(٥) في صحيحه (١٣/٤١٥ رقم ٧٤٢٩) و (٢/٣٣ رقم ٥٥٥).
(٦) رقم الباب: (٢٣).

«يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصرِ وصلاة الفجرِ، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون». ورواه مسلم[1] أيضاً.

وفيهما[2] عن أبي موسى ﷺ قال: «قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ فقال: **إن اللّهَ لا ينام ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القِسْطَ ويرفَعُه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهارِ وعملُ النهارِ قبل عمل الليل**»، الحديث تقدم في العلو. والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنةِ القبرِ وهم مُنكرٌ ونَكيرٌ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرُ النصوصِ في ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثباتَ والتوفيقَ

ومنهم خزَنةُ الجنة ومقدَّمُهم رَضوانُ عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

ومنهم المبشّرون للمؤمنين عند وَفَياتِهم، وفي يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

---

(١) في صحيحه (١/٤٣٩ رقم ٦٣٢).

(٢) أي البخاري ومسلم. ولكن الحديث لم يخرجه البخاري. بل أخرجه مسلم فقط في صحيحه (١/١٦١ رقم ١٧٩).

ومنهم خزنةُ جهنَّمَ عياذاً بالله منها، وهم الزبانيةُ، ورؤساؤهم تسعةَ عشرَ، ومقدمُهم مالكٌ عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر: ٧١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي صحيحِ مسلم[(١)]: **«يؤتى بجهنمَ يوم القيامة لها سبعون ألفَ زمامٍ، كلُّ زمام في يد سبعينَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرّونها»**.

ومنهم الموكلون بالنُّطفة في الرحِم كما في حديث ابنِ مسعودٍ[(٢)] رضي الله عنه قال: «حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ **أن أحدَكم يُجمع خلقُه في بطن أمِّه أربعين يوماً نطفةً، ثم يكون علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يُرسل إليه الملكُ فينفُخُ فيه الروحَ، ويؤمر بأربع كلماتٍ: يكتب رزقَه وأجلَه وعملَه وشقيٌّ أو سعيد»** الحديث. وفي بابه من الأحاديث كثيرٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٨٤ رقم ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وهذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم.

وقال: رفعه وهم. رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً.

قلت: وحفص ثقة، حافظ إمام، فزيادة الرفعِ مقبولة، كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين.

(٢) أخرجه البخاري (١١/٤٧٧ رقم ٦٥٩٤)، ومسلم (٤/٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣).

وفيها: أن الملَكَ يقول: يا ربِّ مخلَّقةٌ أو غيرَ مخلّقة؟ واحدٌ أو توأمٌ؟ ذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أو سعيد؟ ما الرزقُ وما الأجلُ؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملكُ كما أمره اللّهُ عز وجل فلا يُغيّر ولا يُبدّل»[1].

ومنهم حملةُ العرشِ والكروبيون، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. ومفهومُ هذه الآيةِ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أن حملةَ العرشِ ليسوا اليومَ ثمانيةً، ويؤيد ذلك ما روى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسولُ الله ﷺ: «صدق أميةُ بنُ أبي الصَّلتِ[3] في شيء من شعره. فقال:

رجلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينه ... والنَّسرُ للأخرى وليثٌ مُرصدُ

فقال رسول الله ﷺ: «صدق». فقال:

والشمسُ تطلُع كلَّ آخِر ليلةٍ ... حمراء يصبح لونُها يتورّدُ

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٤٧٧ رقم ٦٥٩٥)، ومسلم (٤/٢٠٣٨ رقم ٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك.

(٢) في «المسند» (١/٢٥٦).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/٢٣٣ رقم ١١٥٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (٤/٣٦٥ رقم ١٥٥/٢٤٨٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/١٢٧) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس.
قلت: ولم يصرح بالتحديث عند الثلاثة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر المشهور، ذكره ابن السكن في «الصحابة»، وقال: لم يدركه الإسلام، وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره، وقال: «قد كاد أمية أن يسلم».
انظر: «الإصابة» رقم (٥٥٢ز)، وانظر: الشعراء لابن قتيبة (ص٤٢٩ ـ ٤٣٣) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
* والأبيات في ديوان أمية بن أبي الصلت (ص٣٦٦).

تأبى فما تطلع لنا في رِسْلها ... إلا معذبة وإلا تُجلد

فقال رسول الله ﷺ: «صدق». وهذا إسنادُه جيدٌ[1].

لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضاً ثمانيةٌ، وهو حديثُ العَنانِ الذي رواه أبو داودَ وغيرُه[2] وقد تقدم في العلو، وفيه: **«ثم فوق السماءِ السابعةِ بحرٌ بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهن ورُكَبِهنّ مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرشُ بين أسفلِه وأعلاهُ مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»**.

وله[3] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «إن رسولَ الله ﷺ قال: **«أُذِنَ لي أن أحدِّثَ عن ملك من ملائكة اللهِ تعالى من حَمَلة العرشِ أن ما بين شحمةِ أُذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعِمائةِ عام»**. وقال ابنُ عباس[4] وسعيدُ بنُ جبيرٍ[5] والشعبيُّ[6] وعِكرِمةُ[6] والضحاكُ[7] وابنُ جُريجٍ[8]: ثمانيةُ صفوفٍ من الملائكة. وقال الضحاكُ[9] عن ابن عباس: الكروبيونَ ثمانيةُ أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنسِ والجنِّ والشياطينِ والملائكة.

وفي حديثِ الصُّورِ الطويلِ قال رسولُ الله ﷺ: **«فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوفٌ إذ سمعنا من السماء حسّاً شديداً فهالنا، فينزل أهلُ السماء الدنيا بمِثلَيْ من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ**

---

(١) قاله ابن كثير في تفسيره (٤/٧٨). وقد علمت أن الحديث ضعيف، ولم يكن سنده بالجيد

(٢) تقدم تخريجه في «العلو».

(٣) أي لأبي داود في «السنن» (٥/٩٦ رقم ٤٧٢٧). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عنه كما في «الدر المنثور» (٨/٢٦٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (١٨٩٦٨) عنه.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/٥٨) عنه.
قلت: حديث الضحاك معضل لأنه لم يسمع من صغار الصحابة.

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

بنورهم وأخذوا مَصافّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا، وهو آتٍ، ثم ينزل أهلُ السماء الثانيةِ بمثلَيْ من نزل من الملائكة وبمثلَي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وهو آتٍ. ثم ينزلون على قدْر ذلك من التضعيف، حتى ينزلَ الجبارُ عز وجل في ظُللٍ من الغمام والملائكةُ، فيحمل عرشَه يومئذ ثمانيةٌ، وهم اليومَ أربعةٌ، أقدامُهم في تخوم الأرضِ السُفلى، والأرضُ والسمواتُ إلى حُجَزِهم والعرشُ على مناكبهم، لهم زجَلٌ في تسبيحهم، يقولون سبحان ذي العزةِ والجبَروت، سبحان ذي المُلك والملكوتِ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائقَ ولا يموت. سُبُوحٌ قدُّوسٌ قدُّوس قدُّوس. سبحان ربِّنا الأعلى ربِّ الملائكةِ والروح. سبحان ربِّنا الأعلى الذي يميت الخلائقَ ولا يموت»، الحديث رواه ابنُ جرير[1] والطبرانيّ[2] وغيرُهما.

ومنهم ملائكةٌ سيّاحون يتبعون مجالسَ الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون اللّهَ عز وجل تنادَوا: «هلُموا إلى حاجتكم، فيَحُفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربُهم عز وجل وهو أعلمُ بهم منهم: ما يقول عبادي؟

---

(١) في «جامع البيان» (٢/ج٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) و (١٠/ج١٧/ ١١٠ ـ ١١١) و (١٢/ج٢٤/ ٣٠) و (١٥/ج٣٠/ ١٨٦ ـ ١٨٧) مختصراً ومطولاً.

(٢) في «المطولات» في نهاية «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ رقم ٢٠).
وفي «المعجم الكبير» رقم (٧٨٧٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٢) وقال: «وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك» اهـ.
وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٥٤): «**هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة**، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.
قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم» اهـ.

قالوا: يسبّحونك ويكبّرونك ويَحمَدونك ويمجّدونك»[1]، الحديث تقدم في العلو.

وقال ﷺ: **«وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ اللّهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشِيتْهم الرحمةُ وحفتْهم الملائكةُ وذكرهم الله في من عنده»**، الحديث بطوله في الصحيح[2] عن أبي هريرة.

ومنهم الموكلُ بالجبال، وقد ثبت ذكرُه في حديث خروجِ النبيِّ ﷺ إلى بني عبد ياليلَ وعَودِه منهم، وفيه قولُ جبريلَ له ﷺ: **«إن اللّهَ قد سمع قولَ قومِك لك وما ردُّوه عليك»**. وفيه قولُ ملَكِ الجبال: **«إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين»** فقال ﷺ: **بل استأْن بهم لعل الله أن يُخرِجَ من أصلابهم من يعبُد اللّهَ لا يشركُ به شيئاً»**[3].

ومنهم زُوّارُ البيتِ المعمور الذي أقسم اللّهُ تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراجِ، وهو بيتٌ في السماء السابعةِ بحيال الكعبةِ في الأرض لو سقط لوقع عليها، حُرمتُه في السماء كحرمة الكعبةِ في الأرض، يدخُله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ ثم لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم»، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم. والحديثُ بألفاظه في الصحيحين[4].

ومنهم ملائكةٌ صفوفٌ لا يفتُرون، وقِيامٌ لا يركعون، ورُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون، ومنهم غيرُ ذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٠٨ رقم ٦٤٠٨)، ومسلم (٤/٢٠٦٩ رقم ٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) في صحيح مسلم (٤/٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ٣٢٣١)، ومسلم (٣/١٤٢٠ رقم ١٧٩٥)، من حديث عائشة.

(٤) البخاري (٦/٣٠٢ ـ ٣٠٣ رقم ٣٢٠٧) و (١/١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ١٦٢)، من حديث أنس بن مالك.

روى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذي[2] وابنُ ماجه[3] عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترَون، وأسمع ما لا تسمعون. أطّت السماءُ وحُقّ لها أن تئِطّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا عليه ملكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحِكتم قليلاً ولبكَيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرُشات، ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله تعالى**». فقال أبو ذر: واللَّهِ لَوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعضَد. وقال الترمذي: غريب.

ويروى عن أبي ذر موقوفاً. قلت: وله حكمُ الرفع، ومن أين لأبي ذر ﷺ مثلُ هذا إلا عن توقيف، والله أعلم.

وعن حكيم بن حزام[4] قال: بينما رسولُ الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟** قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «**أسمع أطيطَ السماء وما تُلامُ أن تَئِط، ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وعليه ملكٌ راكعٌ أو ساجدٌ**».

وعن عائشة[5] ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما في السماء الدنيا موضعُ قدمٍ إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ. وذلك قول الملائكة: وما منَّا إلا له مقامٌ معلوم، وإنا لنحن الصافّون، وإنا لنحن المسبِّحون**».

---

(١) في «المسند» (٥/١٧٣).

(٢) في «السنن» (٤/٥٥٦ رقم ٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في «السنن» (٢/١٤٠٢ رقم ٤١٩٠).
قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٤) أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/٢٥٨ رقم ٢٥٠) بسند صحيح.
رجاله كلهم ثقات. وله شواهد من حديث ابن مسعود وعائشة كما يأتي في التعليقة التالية.
انظر: «الصحيحة» رقم (١٠٦٠).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن نصر المروزي (١/ ٢٦٠ رقم ٢٥٣) بإسناد حسن في الشواهد. رجاله ثقات غير الفضل هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٣/٢/٦١) من رواية ثقتين عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
ثم ذكر الحديث الآتي برقم (٢٥٤) وقال: فذكره موقوفاً على ابن مسعود باختصار وهو في حكم المرفوع، وإسناده صحيح. «انظر: الصحيحة» رقم (١٠٥٩).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

وعن العلاء بنِ سعدٍ[1] وقد شهدَ الفتحَ وما بعده أن النبيَّ ﷺ قال يوماً لجلسائه: «**هل تسمعون ما أسمع؟** قالوا: وما تسمع يا رسولَ الله؟ قال: «**أطّت السماءُ وحُقّ لها أن تئط[2]، إنه ليس فيها موضعُ قدم إلا وعليه ملكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجد. وقالت الملائكة:** ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝﴾ [الصافات]».

وعن رجلٍ[3] صحِبَ رسولَ الله ﷺ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «**إن لله تعالى ملائكةً ترعُد فرائصُهم من خيفته، ما منهم ملكٌ تقطر منه دمعةٌ من عينه إلا وقعت على ملك يُصلّي، وإن منهم ملائكةً سجوداً منذ خلق اللّهُ السمواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسَهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكةً ركوعاً لم يرفعوا رؤوسَهم منذ خلق اللّهُ السمواتِ والأرضَ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسَهم نظروا إلى وجه اللّهِ عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتِك**».
وإسناده لا بأس به وهو والذي قبله أخرجهما محمدُ بنُ نصرِ المَرْوزيُّ.

وفي الصحيح[4] عن جابر بنِ سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**ألا**

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ رقم ٢٥٥).
وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٤٤٧ رقم ٥٦٦٢): روى ابن منده من طريق عطاء بن يزيد بن مسعود، به عن سليمان بن عمر بن الربيع، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن سعد ـ من بني ساعدة ـ عن أبيه ـ وكان ممن بايع يوم الفتح ـ أن النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه. الحديث....
وأخرجه ابن عساكر في تاريخه في ترجمة محمد بن خالد، من طريق ابن منده بهذا الإسناد» اهـ.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٧٥) وقال: «**وهذا إسناد غريب جداً**».
قلت: ولكن لمتنه شواهد.

(٢) الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. [النهاية: ١/ ٥٤].

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ رقم ٢٦٠).
وأورده ابن كثيرة في تفسيره (٤/ ٤٧٥) وقال: إسناده لا بأس به.
قلت: فيه عدي بن أرطاة قال عنه الحافظ في «التقريب» (رقم: ٤٥٣٨): مقبول.

(٤) أي في صحيح مسلم (١/ ٣٢٢ رقم ٤٣٠).

تصفُّون كما تصُفُّ الملائكة عند ربِّها؟ فقلنا: يا رسولَ الله وكيف تصُف الملائكةُ عند ربِها؟ قال: «يتِمّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصّون في الصف».

وفيه[1] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «خُلقت الملائكةُ من نورِ العرشِ، وخلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وُصف لكم».

[الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله]

(و) الثالثُ الإيمانُ (بكتبه المنزلةِ) على رسله (المطهرة) من الكذب والزُورِ ومن كل باطلٍ ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [آل عمران: ٨٤] إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازمُ بأن كلّها مُنزلٌ من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبينِ والهدى المستبين، وأنها كلامُ الله عز وجل لا

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦).

كلامُ غيرِهِ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموعُ منه من وراء حجابٍ بدون واسطة، ومنها ما يُسمِعُه الرسولَ المَلكيَّ ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشريِّ، كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

منها ما خطَّه الله بيده عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحفُ الأولى الانقيادُ لها والحكمُ بما فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٤ ـ ٤٩].

وأن جميعَها يُصدِّق بعضُها بعضاً لا يكذبه، كما قال تعالى في الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال في القرآن: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأن كلَّ من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلُّق خطابِه به يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وأن نسْخَ الكتبِ الأولى بعضِها ببعض حقٌّ، كما نُسخ بعضُ شرائعِ التوراةِ بالإنجيل، قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٥٠].

وكما نُسخ كثيرٌ من شرائعِ التوراةِ والإنجيل والقرآن، كما قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف] الآية.

وأن نسْخَ القرآنِ بعضَ آياتِه ببعض حقٌّ كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] الآيات.

وكما قال تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الأنفال: ٦٦]، بعد قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٦٥].

والناسخُ والمنسوخُ آياتٌ مشهوراتٌ مذكوراتٌ في مواضعها من كتب التفسير وغيرِها. وأنه لا يأتي كتابٌ بعده ولا مغير ولا مبدّلَ لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروجُ عن شيء من أحكامه، وأن من كذَّب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآنُ من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غيرَ سبيلِه ولم يقتفِ أثرَه ضلَّ، قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

ثم الإيمانُ بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصّل، فقد سمّى الله تعالى من كتبه التوراةَ على موسى، والإنجيلَ على عيسى، والزّبورَ على داودَ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، والقرآنَ على محمد ﷺ، وذكر صحفَ إبراهيمَ وموسى.

وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مُجملاً في قوله: ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]. فنقول كما أمرنا ربُنا عز وجل: آمنا بما أنزل اللّهُ من كتاب وما أرسل من رسول.

وقال تعالى في القرآن والسنة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامرِه واجتنابِ مناهيه، وتحليلِ حلالِه وتحريمِ حرامِه، والاعتبارِ بأمثاله والاتعاظِ بقَصصه، والعمل بمُحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوفِ عند حدودِه، وتلاوتِه آناءَ الليل والنهار، والذبِّ عنه لتحريف

الغالين وانتحالِ المبطِلين، والنصيحةِ له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها. نسأل الله تعالى أن يرزُقَنا كلَّ ذلك ويوفقَنا له ويُعينَنا عليه ويُثبِّتَنا به وجميعَ إخوانِنا المسلمين، إنه وليُّ التوفيق.

[الركن الرابع: الإيمان برسل الله]

(و) الرابعُ الإيمانُ (برسله) وهم كلُّ من أُوحيَ إليه وأُمر بالتبليغ، أما من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبيٌّ فقط وليس برسول، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ ولا كلُّ نبيٍّ رسولٌ. (**الهداة**) جمعُ هادٍ، والمرادُ به هدايةُ الدعوةِ والدِّلالةِ والإرشادِ إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

وأما هدايةُ التوفيقِ والتسديدِ والتثبيتِ فليست إلا بيد اللّهِ عز وجل هو مقلِّبُ القلوبِ ومصرِّفُ الأمورِ، ليس لمَلَك مقرّبٍ ولا لنبي مرسلٍ تصريفٌ في شيء منهما فضلاً عمَّن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

والإيمانُ برسل الله عز وجل متلازمٌ، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسلِ عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٥٢﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الصف].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾ [آل عمران].

[معنى الإيمان بالرسل]

ومعنى الإيمانِ بالرسل هو التصديقُ الجازمُ بأن اللّهَ تعالى بعث في كل أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى عبادة اللّهِ وحده لا شريكَ له والكفرِ بما يُعبد من دونه، وأن جميعَهم صادقون مصدَّقون بارُّون راشدون كرامٌ بررةٌ أتقياءُ أُمناءُ هُداةٌ مهتدون، وبالبراهين الظاهرةِ والآياتِ الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلَّغوا جميعَ ما أرسلهم الله به، لم يكتُموا منه حرفاً ولم يغيّروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسِهم حرفاً ولم يَنقُصوه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وأنهم كلُّهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن اللّهَ تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلَّم موسى تكليماً، ورفع إدريسَ مكاناً علياً، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، وأن اللّهَ تعالى فضَّل بعضَهم على بعض ورفع بعضَهم على بعض درجات. وقد اتفقت دعوتُهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدينِ وهو توحيدُ اللّهِ عز وجل بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، ونفيُ ما يُضادُّ ذلك أو ينافي كمالَه كما تقدم ذلك في تقرير توحيدِ الطلب والقصد.

وأما فروعُ الشرائع من الفرائض والحلالِ والحرام فقد تختلف، فيُفرض على

هؤلاء ما لا يُفرَض على هؤلاء، ويُخفف على هؤلاء ما شُدّد على أولئك، ويُحرَّم على أمة ما يَحِلّ للأخرى وبالعكس، لحكمةٍ بالغةٍ وغايةٍ محمودةٍ قضاها ربُنا عز وجل ليبلوَكم فيما آتاكم، ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدمَ ونوحاً وإدريسَ وهوداً وصالحاً وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ويوسفَ ولوطاً وشعيباً ويونسَ وموسى وهارونَ وإلياسَ وزكريا ويحيى واليسعَ وذا الكفل وداودَ وسليمانَ وأيوب، وذكر الأسباطَ جملةً، وعيسى ومحمداً ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبَّأنا من أخبارهم ما فيه كفايةٌ وعبرةٌ وموعظةٌ إجمالاً وتفصيلاً ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فُصّل، وإجمالاً فيما أُجمل.

[أول رسل الله نوح وآخرهم محمد]

(أولُهم نوحٌ بلا شكٍّ كما … أن محمداً لهم قد ختما)

(أولهم) يعني أولَ الرسل عليهم السلام **(نوحٌ بلا شك)** وهو نوحُ بنُ لامك بنِ متوشلخ بنِ أخنوخ بنِ مهلاييل بنِ قاين بنِ أنوش بنِ شيثِ بنِ آدمَ عليه السلام.

والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

لأن أمتَه أولُ من اختلف وغيّر وبدّل وكذّب كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]. وإلا فآدمُ قبله كان نبياً رسولاً، وكان الناسُ أمةً واحدة على دينه ودينِ وصيِّه شيثٍ عليه السلام كما قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما وابنُ مسعود[٢] ....

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨ ـ شاكر)، والحاكم (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧). وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قلت: الحديث صحيح، لكنه موقوف على ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وقد تقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٧ ـ شاكر).

وأُبيُّ بن كعب[1] وقَتادةُ[2] ومجاهدٌ[3] وغيرُهم ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية. قالوا: كان بين نوحٍ وآدم عشرةُ قرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللّهُ النبيين مبشِّرين ومنذرين، (كما أن محمداً) ﷺ (لهم) أي للرسل (قد ختما) فلا نبيَّ بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وسيأتي إن شاء الله تعالى تقريرُ ذلك في موضعه من هذا المتن.

[أولي العزم من الرسل خمسة]

(وخمسةٌ منهم أولو العزمِ الأُولى   في سورة الأحزابِ مع شورى تلا)

(وخمسة منهم) أي من الرسل **(أولو)** أي أصحابُ **(العزم)** يعني الحزمَ والجدَّ والصبرَ وكمالَ العقل، ولم يرسل اللّهُ تعالى من رسول إلا وهذه الصفاتُ فيه مجتمعةٌ، غير أن هؤلاءِ الخمسةَ أصحابَ الشرائعِ المشهورةِ كانت هذه الصفاتُ فيهم أكملَ وأعظمَ من غيرهم، ولذا خُصُّوا بالذكر **(في سورة الأحزاب)** يعني قولَه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فذكر تعالى أَخْذَه الميثاقَ على جميع النبيين جملةً، ونص منهم على هؤلاء الخمسةِ: محمدٍ ﷺ وهو خاتَمُهم، ونوحٌ وهو فاتحُهم، وإبراهيمُ وموسى وعيسى وهم بينهما. **(و)** كذا ذكَرهم على وجه التخصيص في سورة **(الشورى)** إذ يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهؤلاء الخمسةُ هم الذين يتراجعون الشفاعةَ بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهيَ إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**» كما سيأتي بيانُ ذلك في موضعه إن شاء الله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٣ ـ شاكر).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٤٩ ـ شاكر).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٢ ـ شاكر).

وروى ابنُ أبي حاتم[1] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ في قول اللّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، قال النبيُّ ﷺ: «**كنت أولَ النبيين في الخلق وآخرَهم في البعث فبدأ بي قبلهم**»، وفيه ضعفٌ. ويُروى مرسلاً وموقوفاً على قتادة.

وللبزار[2] عنه ﷺ موقوفاً عليه قال: «**خيارُ ولدِ آدم خمسةٌ: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمد**» ﷺ وعليهم أجمعين، وخيرُهم محمدٌ ﷺ.

والقولُ بأن أولي العزمِ هم هؤلاء الخمسةُ هو قولُ ابن عباسٍ[3] وقَتادةَ[4] ومن وافقهما، وهو الأشهر.

وقال الكلبي[5]: هم الذين أُمِروا بالجهاد وأظهروا المكاشفةَ مع أعداء الدين.

وقيل[6] هم ستةٌ: نوحٌ وهودٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ وموسى عليه السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهودٍ والشعراء.

وقال مقاتلٌ[7]: هم ستةٌ: نوحٌ صبر على أذى قومِه، وإبراهيمُ صبر على النار، وإسحاقُ صبر على الذبح، ويعقوبُ صبر على فقد ولدِه وذهابِ بصره، ويوسفُ صبر على البئر والسجن، وأيوبُ صبر على الضُرّ.

---

(١) في تفسيره (٩/٣١١٦ رقم ١٧٥٩٤) **بسند ضعيف**.
وقال ابن كثير (٣/٤٨٧) عقب الحديث: «سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم» اهـ.
قلت: ورواية الإرسال عند ابن سعد في «الطبقات» (١/١٤٩) عن قتادة. والرواية الموقوفة عن قتادة أخرجها ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج٢١/١٢٥).

(٢) في المسند (٣/١١٤ رقم ٢٣٦٨ ـ كشف) من حديث أبي هريرة.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٥٤) وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٧٨) عقب الحديث: «**موقوف، وحمزة فيه ضعف**».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عنه كما في «الدر المنثور» (٧/٤٥٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق ـ (رقم: ٢٨٦٢) ـ وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة قال: أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. كما في «الدر المنثور» (٧/٤٥٥).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/٢٧١).

(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/٢٧٢).

(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/٢٧٢).

قلت: وقولُه إسحاقَ صبر على الذبح هو قولٌ مرجوحٌ أو مردود، وإنما كان الذبيحَ إسماعيلُ عليه السلام كما في سورة الصافاتِ[1] وهود[2].

وقال ابن زيد[3]: كلُ الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث اللَّهُ نبياً إلا كان ذا عزمٍ وحزمٍ ورأيٍ وكمالِ عقلٍ، وإنما أُدخلت (مِن) للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم[4]: هم نجباءُ الرسل المذكورون في سورة الأنعام[5] وهم ثمانيةَ عشرَ لقوله تعالى بعد ذكرِهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وروى ابنُ أبي حاتم[6] بسنده عن مسروق قال: قالت عائشةُ ﵂: ظل رسولُ الله ﷺ صائماً ثم طوَاه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم قال: **«يا عائشةُ إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشةُ، إن الله تعالى لم يرضَ من أولي العزمِ من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبرِ على محبوبها، ثم لم يرضَ مني إلا أن يُكلِّفَني ما كلَّفهم فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وإنِّي والله لأصبِرَنَّ كما صبروا جَهْدي، ولا قوة إلا بالله»**.

[الخامس: الإيمان بالمعاد وقيام الساعة]

(وبالمعادِ أيقِنْ بلا ترددِ ... ولا ادَّعا علمٍ بوقتِ الموعدِ)

---

(١) رقم الآية (١٠١ ـ ١٠٥).

(٢) رقم الآية (٧١ ـ ٧٣).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧١).

(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢١٣) ط. دار الحديث.

(٥) راجع الآيات (٨٣ ـ ٨٦).

(٦) في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٧ رقم ١٨٥٨٣). وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٨٥) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤) للديلمي في مسند الفردوس، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.
وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧٢) وفي «شرح السنة» (١٤/ ٢٤٨) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على شرح السنة: «هو في «أخلاق النبي» (ص٢٩٣) لأبي الشيخ، نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان وضعف مجالد بن سعيد».

(لكننا نؤمن من غير امترا ... بكل ما قد صح عن خير الورى)

(من ذكر آياتٍ تكون قبلها ... وهي علاماتٌ وأشراطٌ لها)

(وبالمعاد) وهو المرادُ إلى الله عز وجل والإيابُ إليه (أيقن) استيقن بذلك يقيناً جازماً (بلا تردّد).

هذا هو الركنُ الخامسُ من أركان الإيمان، وهو الإيمانُ باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٧ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٨ ـ ٣٩] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]. الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۞﴾ [المعارج] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] الآيات، وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] إلخ السورة.

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۞﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۞ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞﴾ [المرسلات] إلى آخر السورةِ، والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها، وغيرُها من الآيات بل وغيرُها من السور، وسيأتي إن شاء اللّٰهُ مزيدُ نصوصٍ في اللقاء والبعثِ والنشور.

(و) بـ (لا ادعا) بالقصر، للوزن، وهو مصدر ادَّعى يدّعي ادعاءً (علمِ بوقت الموعد) متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيبِ التي لا يعلمها إلا اللّٰهُ عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. والتي بعدها.

وقال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]. وغيرُها من الآيات.

وتقدَّم في حديث جبريلَ المشهورِ قولُه عليه السلام للنبي ﷺ: **«أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل»**[1] الحديث.

وروى الإمامُ أحمدُ في مسنده[2] عن بُريدةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«خمسٌ لا يعلمها إلا الله عز وجل: إن اللَّهَ عنده علمُ الساعة، وينزل الغيثَ، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت، إن اللَّهَ عليمٌ خبير»**.

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

(٢) (٥/ ٣٥٣) بسند صحيح.

وروى البخاري[1] عن عبد الله بنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مفاتحُ الغيب خمسٌ، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾**».

وفي الصحيحين[2] أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فناداه بصوت جَهْوريّ فقال: يا محمد، قال له رسولُ الله ﷺ: هاؤم ـ على نحوِ من صوته ـ قال: يا محمد، متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إن الساعةَ آتيةٌ فما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها كبيرَ صلاةٍ وصيامٍ، ولكني أُحب اللّهَ ورسولَه. فقال له رسولُ الله: «**المرءُ معَ مَن أحبَ**»، فما فرِح المسلمون بشيء فرحَهم بهذا الحديثِ، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهمُّ في حقهم، وهو الاستعدادُ لوقوع ذلك والتهيُّؤ له قبل نزولِه وإن لم يعرِفوا تعيينَ وقتِه.

ولمسلم[3] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانت الأعرابُ إذا قدِموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعةُ، فينظر إلى أحدث إنسانٍ منهم فيقول: «**إن يعشْ هذا**

= قلت: وأخرجه البزار (٣/ ٦٥ رقم ٢٢٤٩ ـ كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٩) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(١) في صحيحه رقم (٩٩٢ ـ البغا) من حديث ابن عمر، بلفظ: «**مفتاحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلَمُها إلاَّ اللّهُ: لا يعلَمُ أحَدٌ ما يكونُ في غَدٍ، ولا يعلَمُ أحَدٌ ما يكونُ في الأرحَامِ، ولا تعلَمُ نفسٌ ماذا تكسِبُ غَداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموتُ، وما يدري أحدٌ متى يجيءُ المطرُ**».

(٢) وهم المؤلف رحمه في عزو الحديث للصحيحين، فما أخرجاه ولا أحدهما، والذي في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود. البخاري رقم (٥٨١٧ ـ البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤٠).

ومن حديث أبي موسى، البخاري رقم (٥٨١٨ ـ البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤١). والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم: ١٨٦ ـ موارد) مع القصة.

وأخرج الطبراني في «الصغير» (١/ ٩١) والطيالسي في «المسند» (رقم: ١١٦٧) قوله: «المرء مع من أحب»، من حديث صفوان بن عسال.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٢).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٦١ رقم ٦٥١١).

لم يُدركه الهرمُ قامت عليكم ساعتُكم»، يعني بذلك موتَهم الذي يُفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدارِ الآخرة.

وله[1] عن أنسٍ ﷺ أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ عن الساعة فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن يعِشْ هذا الغلامُ فعسى أن لا يُدركه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

وفي رواية[2] أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسولُ الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزْد شَنُوءةَ فقال: **«إن عُمِّر هذا لم يدركه الهرمُ حتى تقوم الساعة»**، قال أنس: ذلك الغلامُ من أترابي.

وفي رواية[3] عن أنس قال: مر غلامٌ للمغيرة بنِ شعبةَ وكان من أترابي، فقال النبيُّ ﷺ: **«إن يؤخَّر هذا لم يُدركْه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

وفي صحيح البخاريِّ[4] عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل الباديةِ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله متى الساعةُ قائمةٌ؟ قال: **«ويلك وما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها إلا أني أُحبّ اللَّهَ ورسولَه. قال: إنك مع من أحببْتَ. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرِحنا يومئذ فرحاً شديداً. فمر غلامٌ للمغيرة وكان من أقراني فقال: إن أُخِّر هذا فلن يُدركَه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

قال ابنُ كثير[5] رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاقُ في هذه الرواياتِ محمولٌ على التقييد بـ(ساعتكم) في حديث عائشة ﷺ.

وقال ابن جرير: أخبرني أبو الزبيرِ أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: قبل أن يموتَ بشهر: **«تسألون عن الساعة، وإنما علمُها عند الله، وأقسم بالله ما على وجه ظهرِ الأرض اليومَ من نفس مَنفوسةٍ تأتي عليها مائةُ سنة»**، رواه مسلم[6].

---

(١) أي لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٣).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).
(٣) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).
(٤) (١٠/٥٥٣ رقم ٦١٦٧).
(٥) في تفسيره (٢/١٠٦).
(٦) في صحيحه (٤/١٩٦٦ رقم ٢٥٣٨).

وفي الصحيحين[1] عن ابن عمرَ مثلُه، قال ابنُ عمرَ: وإنما أراد رسولُ الله ﷺ انخرامَ ذلك القَرنِ.

وروى أحمدُ[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لقِيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي إبراهيمَ وموسى وعيسى، فتذاكروا أمرَ الساعة، قال: فردّوا أمرَهم إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: لا علمَ لي بها، فردّوا أمرَهم إلى موسى، فقال: لا عِلمَ لي بها، فردّوا أمرَهم إلى عيسى فقال عيسى: أما وَجْبتُها فلم يعلمْ بها أحدٌ عز وجل، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجّالَ خارجٌ، قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاصُ، قال: فيُهلكه اللّهُ عز وجل، ثم يرجع الناسُ إلى بلادهم وأوطانِهم، قال: فعند ذلك يخرج يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كل حدَبٍ ينسِلون، فيطأون بلادَهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شرِبوه. قال: ثم يرجع الناسُ إليّ فيشكونهم، فأدعو الله عز وجل عليهم فيُهلِكُهم ويُميتهم، حتى تَجوَى[3] الأرضُ من نتْن ريحِهم. أي تُنتن. قال: فيُنزل اللّهُ عز وجل المطرَ فيجترف أجسادَهم حتى يقذِفَهم في البحر»**.

قال الإمامُ أحمدُ: قال يزيدُ بنُ هارونَ: **«ثم تُنسف الجبالُ وتُمَدّ الأرضُ مدَّ الأديم»**، ثم رجع إلى حديث هُشيم قال: **«ففيما عهد إليَّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعةَ كالحامل المُتِمّ لا يدري أهلُها متى تَفْجَأُهم بولادتها ليلاً أو نهاراً»**. ورواه ابنُ ماجه[4] بنحوه.

---

(١) البخاري (١/ ٢١١ رقم ١١٦)، ومسلم (٤/ ١٩٦٥ رقم ٢٥٣٧).

(٢) في المسند (١/ ٣٧٥) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٦٥ رقم ٤٠٨١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٦١ رقم ١٤٤٠/ ٤٠٨١): «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. مؤثر بن عفارة ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات» اهـ.
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩، ٥٤٥ ـ ٥٤٦) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف ـ وبعضه في مسلم ـ انظر: «الضعيفة» رقم (٤٣١٨).

(٣) تجوى: أي تنتن.

(٤) في السنن رقم (٤٠٨١) كما تقدم.

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: «هؤلاء أكابرُ أولي العزمِ من الرسل ليس عندهم علمٌ بوقت الساعةِ على التعيين، وإنما ردّوا الأمرَ إلى عيسى عليه السلام فتكلّم على أشراطها لأنه ينزِل في آخر هذه الأمةِ منفِّذاً لأحكام رسولِ الله ﷺ، ويقتل المسيحَ الدجالَ ويجعل اللَّهُ هلاكَ يأجوجُ ومأجوجَ ببركة دعائِه، فأخبر بما أعلمه اللَّهُ تعالى به».

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن حذيفةَ قال: سُئل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الساعة فقال: **«عِلمُها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو. ولكن سأُخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنةً وهَرْجاً. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ: الفتنةُ قد عرَفناها فما الهرجُ؟ قال بلسان الحبشة: القتلُ. قال: ويُلقى بين الناسِ التناكرُ فلا يكاد أحدُهم يعرِف أحداً».**

وروى النسائيُّ[3] عن طارق بنِ شهابٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعةِ حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢] الآية». وإسنادُه جيدٌ قوي[4].

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى[5]: فهذا النبيُّ [ﷺ] الأميُّ سيدُ الرسل وخاتِمُهم محمدٌ صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه نبيُّ الرحمةِ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الملحمة والعاقبُ والمُقفِّي والحاشرُ الذي تُحشر الناسُ على قدميه مع قولِه فيما يثبت عنه في الصحيح[6] ومن حديث أنسٍ[6] وسهيلِ بنِ سعدٍ[7] رضي الله عنهما: **«بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين، وقرَن بين إصبَعَيه السبابةِ والتي تليها».** ومع هذا كلِه قد أمره اللَّهُ تعالى أن

---

(١) في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٢) في المسند (٥/ ٣٨٩) بسند صحيح.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠٩) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.
(٣) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٢٠٨) وطارق رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه.
(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٥) في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٦) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٧ رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ رقم ١٣٣/ ٢٩٥١).
(٧) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٧ رقم ٦٥٠٣) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ رقم ١٣٢/ ٢٩٥٠).

يردُّ علمَ وقتِ الساعةِ إليه إذا سئل عنها فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]اهـ.

[الإيمان بكل ما صحَّ سنده عن رسول الله من أمارات وعلامات الساعة]

(لكننا نؤمنُ) ونصدق **(من غير امترا)** من غير شكٍ **(بكلِّ ما قد صح)** سندُه وصَرُح لفظُه **(عن خير الورى)** نبيِّنا محمدٍ ﷺ الذي لا ينطِق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى **(من ذكر آيات)** أمارات **(تكون)** تقع **(قبلها)** قبل الساعة **(وهي)** أي تلك الأماراتُ **(علاماتٌ)** لمجيء الساعةِ وقُربها ودُنوِّها **(وأشراطٌ لها)** أي لاقترابها. وقد أشار القرآنُ إلى قُربها ودنوِّها وكثيرٍ من علاماتها، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] الآيات.

وقد ذكر اللّهُ تعالى أن بعثةَ نبيِّنا ﷺ مِنْ أشراطها كما قال عز وجل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات. وانشقاقُ القمرِ من معجزات نبيِّنا بمكةَ من قبل أن يهاجرَ إلى المدينة.

وذكر تعالى من كبار أشراطِها الدخانَ ونزولَ عيسى لقتل الدجالِ، وخروجَ يأجوجَ ومأجوجَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، وخروجَ دابةِ الأرضِ وغيرَها، كما قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] الآيات.

وقال تعالى في شأن عيسى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى في شأن يأجوجَ ومأجوجَ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وأما الأحاديثُ في أشراط الساعةِ فكثيرةٌ متواترةٌ، وقد تقرّر في حديث جبريلَ[١] على اختلاف ألفاظِه وتبايُنِ طُرقِه ذكرُه ﷺ من أماراتها: أن تلدَ الأمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان، وقد تقدم قولُه ﷺ: «**بُعثتُ أنا والساعةَ كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] وغيرِه عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: «**قام فينا رسولُ الله ﷺ مَقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعةِ إلا حدّث به، حفِظه من حفِظه ونسِيَه من نسيه، قد علِمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسِيتُه فأراه فأذكرُه كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرَفه**».

---

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.
(٢) تقدم تخريجه من حديث أنس وحديث سهيل بن سعد، وهما في الصحيحين.
(٣) (٤/٢٢١٧ رقم ٢٣/٢٨٩١).
قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٤٩٤ رقم ٦٦٠٤).

وفيه[١] عن أبي زيدٍ عمرِو بنِ أخطبَ الأنصاريِّ ﷺ قال: «**صلى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ وصعِد المنبرَ فخطَبَنا حتى حضرت الظهرُ، فنزل فصلى، ثم صعِد المنبر فخطَبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صعِد المنبرَ فخطَبنا حتى غرَبت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ فأعلمُنا أحفظُنا**».

وفيه[٢] عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى يُحسرَ الفراتُ عن جبل من ذهب يقتتل الناسُ عليه، فيُقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون، ويقول كلُ رجلٍ منهم لعلّي أكون أنا الذي أنجو** ـ وفي رواية[٣]: **فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً**».

وفي رواية[٤] عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزِلَ الرومُ بالأعماقِ ـ أو بدَابِقٍ[٥] ـ فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهلِ الأرضِ يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخوانِنا، فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثٌ هم أفضلُ الشهداء عند الله، ويَفتتحُ الثلثُ لا يُفتنون أبداً فيفتتحون قُسطنطينيةَ، فبينما هم يقتسمون الغنائمَ قد علّقوا سيوفَهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطانُ إن المسيحَ قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشامَ خرج، فبينما هم يُعِدّون للقتال يسوّون الصفوفَ إذ أقيمت الصلاةُ، فينزل عيسى ابنُ مريمَ ﷺ فيؤمُّهم، فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب المِلْح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يَهلِك، ولكن يقتله اللّهُ بيده فيُريهم دمَه في حربته**».

والأعماقُ قال في القاموس[٦]: بلد بين حلب وأنطاكيةَ مَصَبُّ مِياهٍ كثيرَةٍ لا

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٧ رقم ٢٥/ ٢٨٩٢).
(٢) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٩ رقم ٢٩/ ٢٨٩٤).
قلت: وأخرجه البخاري (١٣/ ٧٨ ـ ٧٩ رقم ٧١١٩).
(٣) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٢٠ رقم ٣١/ ٢٨٩٤).
(٤) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٢١ رقم ٣٤/ ٢٨٩٧).
(٥) بالأعماق أو بدابق: موضعان بالشام، بقرب حلب.
(٦) المحيط (ص١١٧٧).

تَجِفُّ إلا صَيْفاً، وهو العَمْقُ جُمِعَ بأجْزائِهِ اهـ. وقال أيضاً[1]: دابِقَ كصاحبِ وهاجَرَ قريةٌ بحلب، وفي الأصل: اسمُ نهرٍ، ودُوَيبقُ قريةٌ بقربها.

وفيه[2] عن يُسَيْرِ بنِ جابرٍ قال: هاجتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هجِّيري[3] إلا «يا عبدَ الله بنَ مسعودٍ جاءت الساعة»، قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ ولا يُفرَحَ بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحوَ الشام فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلامِ ويَجْمَعُ لهم أهلُ الإسلام. قلت: الرومَ تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتالِ ردَّةٌ شديدةٌ فيشترطَ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يحجُزَ بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالبٍ وتَفْنى الشُّرطَةُ، ثم يشترط المسلمون شُرْطةً للموت لا ترجع غالبةً، فيقتتلون حتى يحجُز بينهم الليلُ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشُرْطَةُ، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمْسوا فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشرطةُ، فإذا كان اليومُ الرابع نَهَرَ إليهم بقيَّةُ أهلِ الإسلام فيجعل اللّٰهُ الدَّبَرَةَ عليهم فيُقتلون مقتلةً ـ إمّا قال لا يُرى مثلُها، وإما قال لم يُرَ مثلُها ـ حتى إنَّ الطائرَ ليمُرّ بجنباتهم فما يخلُفهم حتى يخِرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأبِ كانوا مائةً فلا يَجِدُونَهُ بقيَ منهم إلاَّ الرجلُ الواحدُ، فبأيِّ غنيمةٍ يفرح أو أيِّ ميراثٍ يقاسَمُ، فبينما هم كذلك إذ سمِعوا ببأس هو أكبرُ من ذلك، فجاءهم الصريخُ أن الدجالَ قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون فيبعثون عشرةَ فوارسَ طليعةً، قال رسولُ الله ﷺ: إني لأعرِف أسماءَهم وأسماءَ آبائِهم وألوانَ خيولِهم، هم خيرُ فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ ـ أو من خير فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ».

وفيه[4] عن حذيفةَ بنِ أسيدِ الغِفاريّ رضي الله عنه قال: **«طلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن**

---

(١) أي الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (ص١١٣٨).
(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٣ رقم ٢٨٩٩).
(٣) ليس له هجيري: أي شأنه ودأبه ذلك. والهجيري بمعنى الهجير.
(٤) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥ رقم ٢٩٠١).

تتذاكر، فقال: ما تَذاكَرون؟ قالوا: نذكر الساعةَ. قال: إنها لن تقوم حتى ترَوا قبلها عشرَ آياتٍ. فذكر الدخانَ، والدجَّالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى بنِ مريمَ ﷺ، ويأجوج ومأجوجَ، وثلاثةَ خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرُد الناسَ إلى محشرهم».

وفي رواية[١]: **«ونار تخرج من قُعْرَةِ عَدنٍ تُرحلُ الناسَ»**، زاد في أخرى[٢]: **«تَنزِل معهم إذا نزلوا وتَقيل معهم حيث قالوا».**

وفيه[٣] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«بادِرُوا بالأعمالِ سِتاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أو الدَّجَّالَ، أو الدَّابَّةَ، أو خَاصَّةَ أحدِكُم، أو أَمْرَ العَامَّةِ.**

وفي رواية[٤]: **«الدَّجَّالُ، والدُّخانُ، ودابةُ الأرضِ، وطلوعُ الشمس من مغربها، وأمرُ العامة، وخُوَيْصة أحدِكُم».**

وقال البخاريُّ[٥] رحمه الله تعالى: «باب لا ينفع نفساً إيمانُها». حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عُمارةُ، حدثنا أبو زُرعةَ، حدثنا أبو هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تقوم الساعةُ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا رآها الناسُ آمن مَن عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ».**

وقال أيضاً[٦] رحمه الله تعالى في كتاب الفتن: **«حدثنا أبو اليماني أخبرنا**

---

(١) لمسلم (٤/٢٢٢٦ رقم ٤٠/٢٩٠١).
(٢) لمسلم (٤/٢٢٢٧) رقم ٤١/٢٩٠١).
(٣) أي مسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٧ رقم ١٤٨/٢٩٤٧).
(٤) لمسلم (٤/٢٢٦٧ رقم ١٢٩/٢٩٤٧).
(٥) في صحيحه (٨/٢٩٧ رقم الباب ١٠).
والحديث أخرجه البخاري (٨/٢٩٧ رقم ٤٦٣٦) و (١١/٣٥٢ رقم ٦٥٠٦)، ومسلم (١/١٣٧ رقم ١٥٧).
(٦) أي البخاري في صحيحه (١٣/٨١ ـ ٨٢ رقم ٧١٢١).

شعيبٌ حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **لا تقوم الساعةُ حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ دعوتُهما واحدةٌ، وحتى يُبعثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلُهم يزعم أنه رسولُ الله، وحتى يُقبضَ العلمُ، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقارب الزمانُ، وتظهرَ الفتنُ، ويكثر الهرجُ ـ وهو القتل ـ وحتى يكثُرَ فيكم المالُ فَيفيضُ حتى يهِمَ ربُّ المالِ: مَن يقبلُ صدقتَه، وحتى يعرِضَه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أربَ به، وحتى يتطاولَ الناسُ في البنيان، وحتى يمرَّ الرجلُ بقبر الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً. ولتقومنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يَطويانه، ولتقومنَّ الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبنِ لِقْحتِه فلا يَطعَمُه، ولتقومنَّ الساعة وهو يَليط حوضَه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رَفع أُكلتَه إلى فيه فلا يَطعَمُها»**.

وفي الصحيحين[1] عن إبراهيمَ التيميِّ عن أبيه عن أبي ذرٍ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمسُ: **«أتدري أين تذهب؟ قلت: اللّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: فإنها تذهب حتى تسجُدَ تحت العرشِ فتستأذِن فيؤذَنُ لها، ويوشك أن تسجُدَ فلا يُقبل منها، وتستأذنَ فلا يؤذنُ لها يقال لها: ارجِعي من حيث جئتِ فتطلُعُ من مغربها، فذلك قوله تعالى:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي زُرعةَ عن عبد اللّهِ بنِ عمروٍ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسَه بعد، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن أولَ الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمسِ من مغربها وخروجُ الدابةِ على الناس ضُحىً، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبتِها فالأخرى على أثرها قريباً»**.

وفيه[3] عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ـ وكانت من المهاجرات الأُوَلِ ﷺ ـ قالت:

---

(١) البخاري (٨/ ٥٤١ رقم ٤٨٠٢) و (٦/ ٢٩٧ رقم ٣١٩٩)، ومسلم (١/ ١٣٨ رقم ١٥٩).
(٢) (٤/ ٢٢٦٠ رقم ٢٩٤١).
(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦١ رقم ٢٩٤٢).

سمعتُ نداءَ المنادي منادي رسولِ اللَّهِ ﷺ ينادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجتُ إلى المسجد فصليتُ مع رسول اللَّهِ ﷺ فكنت في صف النساءِ التي تلي ظهورَ القومِ. فلما قضى رسولُ الله ﷺ صلاتَه جلس على المنبر وهو يضحك فقال: **«لِيلزَمْ كلُّ إنسان مصلاّه. ثم قال: أتدرون لمَ جمعتُكم؟** قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. **قال: إني واللَّهِ ما جمعتُكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتُكم لأن تميماً الداريَّ كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثُكم عن مَسِيحِ الدَّجّالِ.**

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخَم وجُذَامَ، فلعِب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرِبِ الشمسِ فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقِيَتهم دابةٌ أهلبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُلَهُ من دُبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلى هذا الرجلِ في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمّتْ لنا رجلاً فرِقْنا منها أن تكون شيطانةً، قال: فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الديرَ فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناه قطُّ خلقاً وأشدُّه وَثاقاً، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدَرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناسٌ من العرب ركبنا في سفينة بحريةٍ فصادفْنا البحرَ حين اغتلم، فلعِب بنا الموجُ شهراً ثم أرفأنا[1] إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرةَ فلقِينا دابةً أهلبَ[2] كثيرةَ الشعرِ لا يُدرى ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قلنا: وما الجسّاسة؟ قالت: اعمِدوا إلى هذا الرجلِ في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سِراعاً. وفزِعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخلِ بَيْسانَ. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا يُثمِرَ. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية[3]. قالوا:

(١) أرفأنا: أي التجأنا.

(٢) أهلب: الأهلب: غليظ الشعر، كثيره.

(٣) بحيرة طبرية: هي بحر صغير معروف بالشام.

عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرةُ الماء. قال: أما إن ماءَها يوشك أن يذهبَ. قال: أخبروني عن عينِ زُغَرَ[١]. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ، وهل يزرع أهلُها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرةُ الماء، وأهلُها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبيّ الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكةَ ونزل يثرِبَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يَليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إنّ ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه. وإني مُخبرُكم عني، إني أنا المسيحُ، وإني أوشك أن يُؤذنَ لي في الخروج، فأخرُجَ فأسير في الأرض، فلا أدعَ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلةً، غيرَ مكةَ وطيبةَ[٢] فهما محرَّمتان عليّ كِلْتاهما، كلما أردتُ أن أدخُلَ واحدةً أو واحداً منهما استقبلني ملَكٌ بيده السيفُ صَلْتاً[٣] يصدُّني عنها، وإن على كل نقَبٍ منها ملائكةً يحرُسونها. قالت: قال رسولُ الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طَيبةُ، هذه طيبة، هذه طيبة. يعني المدينةَ. ألا هل كنت حدثتُكم ذلك؟ فقال الناسُ: نعم. قال: فإنه أعجبني حديثُ تميمٍ أنه وافق الذي كنت أحدثُكم عنه وعن المدينة ومكةَ، ألا إنه في بحر الشامِ أو بحرِ اليمنِ لا بل من قِبل المشرقِ ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرِق. قالت: فحفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ».

قال النوويُّ[٤] رحمه الله تعالى: الأهلبُ الغليظُ الشعرِ كثيرُه، وسُمِّيت الجسَّاسةَ لتجسُّسها الأَخبارَ للدجال.

وجاء عن عبد الله بنِ عمرو بن العاص أنها دابةُ الأرضِ المذكورةِ في القرآن والله أعلم[٥].

وفيه[٦] عن ابن شهابٍ أخبرني عُروةُ بنُ الزبيرِ أن زينبَ بنتَ أبي سلمةَ

---

(١) عين زغر: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.
(٢) طيبة: هي المدينة. ويقال لها أيضاً: طابة.
(٣) صَلتاً: بفتح الصاد وضمها، أي: مسلولاً.
(٤) في شرحه لمسلم (١٨/ ٨١).
(٥) انظر: شرح النووي (١٨/ ٧٨)، والنهاية (١/ ٢٧٢).
(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٨ رقم ٢/ ٢٨٨٠).

أخبرتْه أن أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ أخبرتْها أن زينبَ بنتَ جحشٍ زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: **«خرج رسولُ الله ﷺ يوماً فزِعاً محمرّاً وجهُه يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه** ـ وحلق بأُصبعه الإبهامِ والتي تليها ـ قالت: فقلت: **يا رسولَ الله أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كَثُر الخبَثُ»**.

وفيه[1] عن النوّاس بنِ سَمعانَ قال: **«ذكر رسولُ الله ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ فخفَّضَ فيه ورفَّعَ حتى ظنَنَّاهُ في طائفة النخلِ، فلما رُحنا إليه عرَف ذلك فينا فقال: ما شأنُكم؟ قلنا: يا رسولَ الله ذكرتَ الدجالَ غداةً، فخفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ حتى ظنَنَّاهُ في طائفة النَّخلِ، فقال: غيرُ الدَّجّالِ أخوَفُني عليكُم، إنْ يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حجِيجُه دونكُم، وإنْ يخرجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسِه، واللّهُ خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌّ قطَطٌ[2] عينُه طافئةٌ كأني أُشبِّهُهُ بعبد العزّى بنِ قَطَنٍ، فمن أدركَهُ منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهف[3]. إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشامِ والعراقِ**

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٥ رقم ١١٠/ ٢٩٣٧).

(٢) قطط: أي شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥ رقم ٢٥٧/ ٨٠٩).

عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: **«من حفظ عَشْرَ آياتٍ منْ أوّلِ سورةِ الكهف، عُصِمَ من الدَّجّال»**.

وفي رواية لمسلم (١/ ٥٥٦ رقم .../ ٨٠٩): **«من آخر الكهف»**.

وأخرجه أبو داود (٤/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ رقم ٤٣٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٥١) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: **«من حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»**.

وفي رواية لأبي داود: **«من حفظ من خواتيم سورة الكهف..»**.

وأخرجه الترمذي (٥/ ١٦٢ رقم ٢٨٨٦) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: **«مَنْ قَرَأَ ثلاثَ آياتٍ من أولِ الكهفِ عُصِمَ من فتنةِ الدَّجّالِ»**. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأشار المباركفوري إلى هذا الخلاف بين الروايات، ثم حاول دفعه فذكر أولاً ما قيل في الجمع بين رواية الترمذي: **«من قرأ ثلاث آيات»**، ورواية الآخرين: **«من حفظ عشر آيات...»** ونقل فيه قولين:

(أحدهما) دعوى النسخ. فقال بعضهم: إن حديث العشر متأخر، ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث، وقيل: حديث الثلاث متأخر، ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر، =

فعاثَ يميناً وعاثَ شمالاً[1]، يا عبادَ اللّهِ فاثبُتوا. قلنا: يا رسولَ الله وما لُبثُه في الأرض؟ قال: أربعونَ يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائرُ أيامهِ كأيامِكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: لا، اقدِروا له قدْرَه. قلنا: يا رسولَ الله وما إسراعُه في الأرض؟ قال: كالغيثِ استدبرَتْه الريحُ، فيأتي على القومِ فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمُرُ السماءَ فتُمطرُ، والأرضَ فتُنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطولَ ما كانت دراً وأسبغَه ضُروعاً وأمدَّه خواصرَ. ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قولَه فينصرف عنهم فيصبحون مُمْحِلين[2] ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم. ويمرّ بالخربة فيقول لها: أخرِجي كنوزَكِ فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحلِ[3]. ثم يدعو رجلًا ممتلئاً شباباً فيضربُه بالسيف فيقطعه جَزْلتين[4] رميةَ الغرَض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلّل وجهُه يضحك.

= واعترض على القول بالنسخ، بأن مجرد الاحتمال لا يحكم به النسخ، وأيضاً أن النسخ لا يدخل في الأخبار.

(القول الثاني): حديث الثلاث في القراءة، وحديث العشر في الحفظ، فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفى وعصم من فتنة الدجال.

ولكن ترد عليه رواية حجاج عند الإمام أحمد (٦/ ٤٤٦) وعند عثمان بن سعيد الداني في «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» (٦/ ١١٨١ ـ ١١٨٢ رقم ٦٥٧) وفيها: **«من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»**.

قلت: والأظهر فيما يبدو لي رواية الآخرين وهم أكثر، على رواية الترمذي وقد انفرد بها.

وأما الاختلاف الثاني فذكر نقلًا عن السيوطي أن ذلك ـ أي العصمة من الدجال ـ من خصائص السورة كلها. فقد روى الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١١) موقوفاً على أبي سعيد الخدري بلفظ: **«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم خرج إلى الدجال، لم يسلط عليه، أو لم يكن عليه سبيل»**. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وانظر شرح النووي لمسلم (٦/ ٩٣)، وتحفة الأحوذي (١٠/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(١) فعاث يميناً وعاث شمالاً: العيث الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي أنه رواه بعضهم: معاثٍ، اسم فاعل، وهو بمعنى الأول.

(٢) المحل، على وزن فحل. الجدب والقحط. والإمحال كون الأرض ذات جدب وقحط. يقال: أمحل البلد إذا أجدب.

(٣) هي ذكور النحل. هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة. لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.

(٤) أي قطعتين.

فبينما هو كذلك إذ بعث اللَّهُ المسيحَ بنَ مريمَ فينزل عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ، بين مهرودتين[1]، واضعاً كفيه على أجنحةِ ملكينِ، إذا طأطأ رأسه قطَر، وإذا رفعه تحدّر منه جُمانٌ كجُمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريحَ نَفسِه إلا مات، ونفَسُه ينتهي حيثُ ينتهي طرفُه. فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّهُ إلى عيسى إني قد أخرجتُ عباداً لي لا يَدَانِ[2] لأحَدٍ بقتالِهم فحرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعثُ الله يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حدَبٍ ينسِلون، فيمر أوائلُهم على بحيرة طبريةَ فيشربون ما فيها، ويمر آخرُهم فيقول: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ. وَيُحْصَرُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه حتى يكون رأسُ الثورِ لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُه، فيرسل الله عليهم النَّغَف[3] في رقابهم فيصبحون فَرْسَى[4] كموتِ نفسٍ واحدة.

ثم يهبِط نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهمُهم ونَتنُهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الله عز وجل، فيرسل اللَّهُ تعالى طيراً كأعناق البُخت فتحمِلهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل اللَّهُ مطراً لا يكنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسِلُ الأرضَ حتى يترُكَها كالزَّلقة[5]، ثم يُقالُ للأرضِ:

---

(١) روي بالدال المهملة والذال المعجمة. والمهملة أكثر. والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة، كما هو المشهور. ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين.

(٢) يدان: تثنية يد. قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة. يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان.

(٣) النغف: هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(٤) أي قتلى، واحدهم فريس، كقتيل وقتلى.

(٥) روي: الزَّلَقَة. وروي: الزُّلفة. وروي: الزَّلَفَة. قال القاضي: وكلها صحيحة. واختلفوا في معناه. فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه: كالمرآة. وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً. شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل: كمصانع الماء. أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء. وقيل: كالصفحة. وقيل: كالروضة.

أنبتي ثمرَكِ ورُدِّي بركتَكِ، فيومئذ تأكلُ العِصابةُ[1] من الرمانة ويستظِلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل حتى إن اللِّقْحَة[2] من الإبل لتكفي الفئامَ[3] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القَبيلةَ من الناس، واللِّقْحة من الغنم لتكفي الفخِذَ من الناس، فبينما هم كذلِكَ إذ بعثَ اللّهُ ريحاً طيبة فتأخذهُم تحتَ آباطِهم فتقبِضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلم، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُر[4]، فعليهم تقوم الساعة».

زاد في رواية[5] بعد قوله: **«لقد كان بهذه مرةً ماءً؛ «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر[6] وهو جبل بيت المقدسِ فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هلم فلنقتُلْ مَن في السماء، فيرمون بنشَّابهم إلى السماء فيرد اللّهُ عليهم نشابَهم مخضوبةً دماً».**

وفيه[7] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: **«أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ الدجَّالَ بين ظَهرانِي الناس فقال: إن الله تعالى ليس بأعورَ، ألا وإن المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ اليمنى كأن عينَه عنبةٌ طافية».**

وفيه[8] عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا وقد أنذر**

---

(١) هي الجماعة.

(٢) بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان، الكسر أشهر. وهي القريبة العهد بالولادة وجمعها لِقح كبركة وبرك. اللَّقوح ذات اللبن. وجمعها لِقاح.

(٣) هي الجماعة الكثيرة.

(٤) يتهارجون فيها تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.
والهرْج، بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته، أي جامعها، يهرَجُها يهرُجُها يهرِجُها بفتح الراء وضمها وكسرها.

(٥) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٥ رقم ٢٩٣٧/١١١).

(٦) الخمر: هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسّره الحديث، بأنه جبل بيت المقدس، لكثرة شجره.

(٧) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٧ رقم ١٠٠/ ١٦٩).

(٨) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٨ رقم ١٠١/ ٢٩٣٣).
قلت: وأخرجه البخاري (١٣/ ٩١ رقم ٧١٣١).

أمتَه الأعورَ الكذابَ، ألا إنه أعورُ وإن ربكم ليس بأعورَ، مكتوب بين عينيه ك ف ر».

وفي رواية[1] قال رسولُ الله ﷺ: «الدجالُ ممسوحُ العين مكتوبٌ بين عينيه كافر ـ ثم تهجّاها ك ف ر ـ يقرأه كلُ مسلم».

وفيه[2] عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله: «لأنا أعلمُ بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدُهما رأيَ العينِ ماءٌ أبيضُ، والآخرُ رأيَ العينِ نارٌ تأجّجُ، فإما أدركَهما أحدٌ فليأتِ النهرَ الذي يراه ناراً وليُغمض ثم ليُطأطِئ رأسَه فيشرب منه، فإنه ماءٌ باردٌ. وإن الدجالَ ممسوحُ العين عليها ظَفَرةٌ غليظةٌ مكتوبٌ بين عينيه: «كافر»، يقرأه كلُ مؤمنٍ كاتبٍ وغيرِ كاتب».

قال النووي[3]: ظَفَرة بفتح المُعجمةِ والفاء، وهي جِلدةٌ تغشى البصَرَ، وقال الأصمعيُ: لَحمةٌ تنبُت عند المآقي.

وفيه[4] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: «حدثنا رسولُ الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو مُحرّمٌ عليه أن يدخُلَ نقابَ المدينةِ، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينةَ فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول له: أشهد أنك الدجالُ الذي حدثنا رسولُ الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتُله ثم يُحييه، فيقول حين يحييه: واللّهِ ما كنتُ فيك قطُ أشدَّ بصيرةً مني الآن. قال: فيريد الدجالُ أن يقتُلَه فلا يُسلّط عليه».

ورواية[5] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرج الدجالُ، فيتوجه قِبَلَهُ رجلٌ من

---

(١) لمسلم في صحيحه (٢٢٤٨/٤ رقم ٢٩٣٣/١٠٣).
(٢) أي في صحيح مسلم (٢٢٤٩/٤ رقم ٢٩٣٤/١٠٥).
(٣) في شرحه لمسلم (٦١/١٨ ـ ٦٢).
(٤) أي في صحيح مسلم (٢٢٥٦/٤ رقم ٢٩٣٨/١١٢).
قلت: وأخرجه البخاري (١٠١/١٣ رقم ٧١٣٢).
(٥) لمسلم في صحيحه (٢٢٥٦/٤ ـ ٢٢٥٧ رقم ٢٩٣٨/١١٣).

المؤمنين، فتلقاه المسائحُ ـ مسائحُ الدجال ـ فيقولون له: أين تعمِد؟ فيقول: أعمِد إلى هذا الذي خرجَ، قال: فيقولُون له: أوَ ما تؤمنُ بربِّنا؟ فيقولُ: ما بربنا خَفاءٌ، فيقولون: اقتُلوه. فيقول بعضُهم لبعض: أليس قد نهاكم ربُكم أن تقتُلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيها الناسُ هذا الدجالُ الذي ذكره رسولُ الله ﷺ. قال: فيأمر الدجالُ به فيُشبَح فيقول: خذوه وشُجّوه، فيُوسِع ظهرَه وبطنَه ضرباً، قال فيقول: أوَ ما تؤمنُ بي؟ قال فيقول: أنت المسيحُ الكذابُ. قال: فيُؤمَر به فيؤشر بالمئشار من مَفرِقه حتى يفرَقَ بين رجليه، قال: ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددتُ فيك إلا بصيرةً. قال ثم يقول: يا أيها الناسُ، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجالُ لِيذبحَه فيُجعلُ ما بين رقبته إلى تَرْقُوَته[1] نُحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيؤخَذ بيديه ورجليه فيُقذَفُ به، فيحسَبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقيَ في الجنة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عند ربِّ العالمين».

وفيه[2] عن النعمان بنِ سالم قال: سمعتُ يعقوبَ بنَ عاصم بنِ عُروةَ ابنِ مسعودٍ الثقفي يقول: سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرٍو وجاءه رجلٌ فقال: ما هذا الحديثُ الذي تحدث به، تقول: إن الساعةَ تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله ـ أو: لا إله إلا الله، أو كلمةً نحوَها ـ لقد هممتُ أن لا أحدِّثَ أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم ستَرون بعد قليلٍ أمراً عظيماً، يُحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يخرج الدجالُ في أمتي فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعثُ اللَّهُ تعالى عيسى بنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ فيطلُبه فيُهلِكهُ. ثم يمكثُ الناسُ سبعَ سنينَ ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللَّهُ عز وجل ريحاً باردةً من قِبَل الشام فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرةٍ من خير ـ أو إيمان ـ إلا قُبِضَت حتى لو أن أحدَكم دخل في كَبد جبلٍ لدخَلَتْه عليه حتى تقبِضَه»**، قال: سمعتُها من رسول الله ﷺ. قال: **«فيبقى**

---

(١) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) أي في صحيح مسلم ٤/٢٢٥٨ ـ ٢٢٥٩ رقم ١١٦/٢٩٤٠).

شرارُ الناس في خِفَة الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرِفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطانُ فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمُرنا؟ فيأمرُهم بعبادة الأوثانِ وهم في ذلك دارٌ رزقُهم، حسنٌ عيشُهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصْغَى لِيتاً ورفع لِيتاً[1]. قال: وأولُ من يسمعه رجلٌ يلُوط حوضَ إبلِه[2]، قال: فيُصعَقُ ويُصعق الناسُ، ثم يُرسل الله ـ أو قال: يُنزل الله ـ عز وجل مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ (نعمان الشاك) فتُنبت منه أجسادُ الناس، ثمّ يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلُمَّ إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسؤولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعثَ النار، فيُقال مِن كم؟ فيقال من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين، قال: فذاك يومُ يجعل الولدان شِيباً، وذلك يومُ يُكشف عن ساق».

وفيه[3] عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيَطأه الدجالُ، إلا مكةَ والمدينةَ، وليس نقَبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكةُ صافّين تحرُسها، فينزل بالسَّبِخة، فترجُف المدينةُ ثلاثَ رجَفاتٍ يخرج إليه منها كلُّ كافر ومنافق».

وفي رواية[4]: «فيأتي سبخةَ الجُرْفِ فيَضرب رُواقَه، وقال: فيخرج إليه كلُّ منافقٍ ومنافقة».

قال النووي[5]: فيضرب رُواقه أي ينزل هناك ويضع ثِقَلَه. والجُرْف قال في القاموس[6]: موضعٌ بقرب المدينة وموضعٌ قربَ مكةَ وموضعٌ باليمن وموضعٌ باليمامة. والمقصود في الحديث هو الأولُ.

---

(١) أصغى ليتاً ورفع ليتاً: أصغى أمال. واللِّيت صفحة العنق، وهي جانبه.

(٢) يلوط حوض إبله: أي يطينه ويصلحه.

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٥ رقم ١٢٣/ ٢٩٤٣).
قلت: وأخرجه البخاري (٤/ ٩٥ رقم ١٨٨١) وأطرافه رقم (٧١٢٤، ٧١٣٤، ٧٤٧٣).

(٤) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٦ رقم .../ ٢٩٤٣).

(٥) في شرحه لمسلم (١٨/ ٨٥).

(٦) المحيط (ص١٠٢٩).

وفيه[1] عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«يتبع الدجّالَ من يهودِ أَصبهانَ سبعون ألفاً عليهم الطيالِسةُ»**.

وفيه[2] عن أم شريكٍ أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: **«لَيفِرّنَّ الناسُ من الدجال في الجبال. قالت أمُ شريك: يا رسولَ الله فأين العربُ يومئذ؟ قال: هم قليلٌ»**.

وفيه[3] عن عمرانَ بنِ حُصينٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«ما بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال»**.

والأحاديثُ في ذكر الدجالِ وصفتِه، والإنذارِ منه والتحذير عنه أكثرُ من أن تُحصى، وأعظمُ من أن تُستقصى. وكذا الأحاديثُ في الفتن والملاحمِ بين يدي القيامةِ وغيرِها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسولُ الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاةٍ فريضةً أو نافلة[4].

وفي الترمذي[5] عن مُحرِز بنِ هارونَ عن عبد الرحمنِ الأعرجِ عن أبي

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ رقم ١٢٤/ ٢٩٤٤).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ رقم ١٢٥/ ٢٩٤٥).

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ ـ ٢٢٦٧ رقم ١٢٦/ ٢٩٤٦).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (١/ ٤١٢ رقم ١٢٨/ ٥٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: **«إذا تشهدَ أحدُكم فليستعذ بالله من أربع. يقولُ: اللهمّ إني أعوذُ بك من عذابِ جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمماتِ، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**.

(٥) في السنن (٤/ ٥٥٢ رقم ٢٣٠٦) وقال: هذا حديث غريب حسن.

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٣٤).

عن محرز بن هارون قال: سمعت الأعرج يحدث عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٤٩٩): محرز بن هارون: متروك.

وقال العقيلي: محرز بن هارون، قال البخاري: منكر الحديث. وقد رُوي هذا الحديث بغير هذا الإسناد من طريق أصلح من هذا» اهـ.

قلت: والطريق التي أشار إليها العقيلي أخرجها الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢١) من طريق عبد الله عن معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر»**.

قال الحاكم: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط =

هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا إلى فقر مُنْسٍ، أو غِنىً مَطْغيٍ، أو هرَم مفنّدٍ، أو الدجالِ فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعةِ فالساعةُ أدهى وأمرُّ**»، ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بنِ هارون. وروى مَعمر[1] هذا الحديثَ عمن سمع سعيداً المَقْبُريَّ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ نحوَ هذا.

[الإيمان بالموت]

(ويدخل الإيمانُ بالموت وما من بعده على العباد حُتما)

(ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر **(الإيمانُ بالموت)** الذي هو المُفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعةُ كلِّ إنسانٍ بخصوصه، ولهذا قال النبيُّ ﷺ في الحديث المتقدمِ: «**إن يعِشْ هذا لم يدركْه الهرمُ قامتْ عليكم ساعتُكم**»[2].

والإيمانُ بالموت يتناول أموراً:

منها تحتُّمه على مَن كان في الدنيا من أهل السمواتِ والأرضِ من الإنس والجنِّ والملائكةِ وغيرهم من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

= الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي

وقال الألباني في «الضعيفة» (٤/١٦٣ ـ ١٦٤) عقب كلام الحاكم والذهبي: «وهو كما قالا في ظاهر السند، ولكني قد وجدت له علة خفية، فإن عبد الله الراوي له عن معمر هو عبد الله بن المبارك، وقد أخرجه في كتابه «الزهد» وعنه البغوي في «شرح السنة» بهذا الإسناد إلا أنه قال: «أخبرنا معمر بن راشد عمن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة...».

فهذا يبين أن الحديث ليس من رواية معمر عن المقبري، بل بينهما رجل لم يُسم. ويؤيد ذلك أنهم لم يذكروا في شيوخ معمر المقبريّ ولا في الرواة عن هذا معمراً، ولو كان ذلك معروفاً لذكروه لجلالة كل منهما، فهذا الرجل المجهول هو علة هذا السند. والله أعلم» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٢١) وهو حديث ضعيف تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وفي الصحيح[(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**أعوذُ بعزتكَ الذي لا إله إلا أنتَ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون**».

ومنها أن كلًّا له أجلٌ محدودٌ وأمدٌ ممدودٌ ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يُقصِر عنه، وقد علم الله تعالى جميعَ ذلك بعلمه الذي هو صفتُه، وجرى به القلمُ بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملَكُ على كل أحدٍ في بطن أمِّه بأمر ربِه عز وجل عند تخليقِ النطفةِ في عينه في أي مكان يكون وفي أي زمان، فلا يزاد فيه ولا يُنقص منه، ولا يُغيّر ولا يبدل عما سبق به علمُ الله تعالى، وجرى به قضاؤُه وقَدرُه، وأن كلَّ إنسان مات أو قُتل أو حُرق أو غَرق، أو بأي حتْفٍ هلك بأجَله لم يستأخرْ عنه ولم يستقدمْ طرفةَ عينٍ، وأن ذلَك السببَ الذي كان فيه حتفُه هو الذي قدره اللّهُ تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه، ولم يكن له بدٌّ منه ولا محيصٌ عنه ولا مَفرٌ له ولا مهربَ ولا فِكاكَ ولا خلاص، وأنّى وكيف وإلى أين ولاتَ حينَ مناصٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، الآية.

---

(١) أي في صحيح البخاري (١٣/٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٦٧/٢٧١٧).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. في مواضعَ من القرآن.

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وغيرُها من الآيات.

وروى مسلمُ بنُ الحجاجِ[١] رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بنِ سُويدٍ عن عبد الله بنِ مسعود قال: قالت أمُ حبيبةَ ﵂: «اللهم متِّعني بزوجي رسولِ الله ﷺ، وبأبي أبي سفيانَ، وبأخي معاوية»، فقال لها رسول الله ﷺ: **«إنك سألت اللّهَ تعالى لآجالٍ مضروبةٍ وآثارٍ موطوءةٍ وأرزاقٍ مقسومة لا يُعجّل شيئاً منها قبل حِلّه ولا يؤخرُ منها يوماً بعد حله، ولو سألت اللّهَ تعالى أن يعافِيَك من عذاب في النار وعذابٍ في القبر لكان خيراً لك»**.

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٥١ رقم ٣٣/٢٦٦٣).

وفي رواية[1]: «قد سألتِ اللّهِ لآجال مضروبةٍ وأيام معدودة وأرزاقٍ مقسومة لن يعجِّلَ شيئاً قبل حلّهِ أو يؤخِّرَ شيئاً عن حله، ولو كُنت سألتِ اللّهَ تعالى أن يعيذَك من عذاب في النار أو عذابٍ في القبر كان خيراً وأفضلَ».

وفي أخرى[2]: «وآثار مبلوغة».

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، يقول: ليس أحدٌ قضيتُ له بطول العمرِ والحياةِ إلا وهو بالغٌ ما قدرتُ له من العمر، وقد قضيتُ ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتبتُ له، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. يقول: كلُّ ذلك في كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بنُ مزاحمٍ.

وأما حديثُ أنسٍ في الصحيحين[4] وغيرِهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يُبسَطَ له في رزقه ويُنسأَ له في أثره فليصِلْ»، فإنه مفسَّرٌ بحديث أبي الدرداءِ رضي الله عنه عند ابنِ أبي حاتم[5] رحمه الله تعالى قال: ذَكرنا عند رسولِ الله ﷺ الزيادةَ في العُمر فقال: «إن الله تعالى لا يؤخِرُ نفساً إذا جاء أجلُها، وإنما زيادةُ العمرِ بالذرية الصالحةِ يُرزَقُها العبدُ فيدعون له مِن بعدِه فيلحَقُه دعاؤهم في قبره فذلك زيادةُ العمر».

ومنها الإيمانُ بأن ذلك الأجلَ المحتومَ والحدَّ المرسومَ لانتهاء كلِّ عمرٍ إليه، لا اطلاعَ لنا عليه ولا علمَ لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيبِ التي استأثر اللّهُ تعالى بعلمها عن جميعِ خلقِه فلا يعلمها إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ

(١) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ ـ ٢٠٥١ رقم ٣٢/ ٢٦٦٣).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢ رقم .../ ٢٦٦٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ ج٢٢/ ١٢٢). وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٤) البخاري (١٠/ ٤١٥ رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ رقم ٢٠/ ٢٥٥٧).
(٥) في تفسيره (٣/ ٥٥٨ ـ كما في تفسير ابن كثير) بسند ضعيف.

﴿غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. وتقدَّمت الأحاديثُ في معناها.

وفي الحديث المشهورِ عند أحمدَ والتِرمذيِّ وغيرِهما عن جماعة من الصحابة[١] قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى قبضَ روحِ عبدٍ بأرض جعل له فيها ـ أو قال بها ـ حاجةً**».

---

(١) منهم: أبي عزة الهذلي، ومطر بن عكامس السلمي، وجندب بن سفيان، وعبد الله بن مسعود.

* أما حديث أبي عزة الهذلي فقد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٣٤) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٦ رقم ٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٤).

وفيه عبيد الله بن أبي حميد متروك الحديث قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٢٨٥) لكن تابعه أيوب.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٨٢) وابن حبان (رقم: ١٨١٥ ـ موارد) والدولابي في «الكنى» (١/ ٤٤) وأحمد (٣/ ٤٢٩) وعنه الحاكم (١/ ٤٢).

قال الحاكم: «صحيح، ورواته عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢١).

* وأما حديث مطر بن عكامس السلمي فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٤٠٠) والحاكم (١/ ٤٢).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢١) وهو كما قالا إن كان أبو إسحاق ـ وهو السبيعي ـ سمعه من مطر؛ فإنه كان يدلس.

* وأما حديث جندب بن سفيان فقد أخرجه الحاكم (١/ ٣٦٧) من طريق الحسن عنه. والحسن هو البصري وهو مدلس أيضاً.

* وأما حديث عبد الله بن مسعود فقد أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٤ رقم ٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٤٦) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٩ رقم ١٠٤٠٣) والحاكم (١/ ٤١ ـ ٤٢) بلفظ: «**إذا كان أجلُ أحدكم بأرضٍ، أثبت الله له إليها حاجة، فإذا بلغ أقصى أثره توفاه، فتقول الأرض يوم القيامة: يا ربِ هذا ما استودعتني**».

قال الحاكم: احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم.

ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢٢).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣١١ رقم ١٥٢٦/ ٤٢٦٣) «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

ومنها ذكرُ العبدِ الموتَ، وجعلُه على باله كما هو الردْمُ بينه وبين آمالِه، وهو المُفضي به إلى أعماله، وإلى الحسن والقبيحِ من أقواله وأفعالِه، وإلى الجزاء الأوفى مِن الحكَم العدْلِ في شرعه، وقدَرِه وقضائِه، ووعده ووعيدِه، فلا يعاقِب أحداً بذنب غيرِه، ولا يهضِمُه ذرّةً من حُسن أعمالِه.

وفي حديث أبي هريرةَ ﷺ عند الترمذيِّ[١] والنَّسائيِّ[٢] وابن حِبانَ[٣] وصححه قال: قال رسولُ الله: «أكثِروا ذكرَ هادِمِ[٤] اللذّات» الموت.

وقال البخاريُّ[٥] رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: بابُ قولِ

---

(١) في السنن (٤/ ٥٥٣ رقم ٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب.
(٢) في السنن (٤/ ٤ رقم ١٨٢٤).
(٣) في صحيحه (٧/ ٢٥٩ رقم ٢٩٩٢) بإسناد حسن.
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٥٨) ونعيم بن حماد في زيادات «الزهد» لابن المبارك رقم (١٤٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣) و (١/ ٣٨٤) والحاكم (٤/ ٣٢١) من طرق.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وسقط من سند الحاكم «محمد بن إبراهيم». وله شواهد من حديث أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب، وزيد بن أسلم، وأبي سعيد الخدري.
* أما حديث أنس بن مالك، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٧٢ - ٧٣) وسنده صحيح.
وصحّحه الضياء المقدسي في المختارة (١/ ٥٢١).
* وأما حديث عبد الله بن عمر، فقد أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧١) وفيه القاسم بن محمد الأزدي لا يعرف بجرح ولا تعديل.
* وأما حديث عمر بن الخطاب، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٥٥) وفي سنده راوٍ مجهول.
* وأما حديث زيد بن أسلم فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٤٥) ومن طريقه البغوي رقم (١٤٤٧) مرسلاً.
* وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩ - ٦٤٠ رقم ٢٤٦٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.
(٤) هاذم اللذات: هي بالذال المعجمة وبالدال المهملة. أي قاطعها، فإن الموت يقطع لذّات الدنيا.
(٥) في صحيحه (١١/ ٢٣٣ رقم ٦٤١٦).

النبيّ ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»، حدثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو المنذر الطفاويُّ عن سليمانَ الأعمشِ، قال: حدثني مجاهدٌ عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**»، وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ. وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

ثم قال[1]: بابٌ في الأمل وطولِه وقولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ـ بمزَحزحهِ بمباعِده ـ وقولِه تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال علي رضي الله عنه: «ارتحلتِ الدنيا مُدبرةً، وارتحلتِ الآخرةُ مُقبلةً، ولكلِّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ، وغداً حسابٌ ولا عملَ».

حدَّثنا صدَقةُ بنُ الفضلِ أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ عن سفيانَ قال: حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خيثم عن عبد اللّهِ رضي الله عنه قال: خط النبيُّ ﷺ خطًّا مربعاً وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيطٌ به أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخططُ الصغارُ الأعراضُ، فإن أخطأه هذا نهشَه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[2].

حدثنا مسلمٌ حدثنا همامٌ عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بن أبي طلحةَ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: خط النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال: «**هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخطُّ الأقربُ**»[3].

---

(١) أي البخاري في «صحيحه» [(١١/ ٢٣٥ رقم الباب ٤)] وأثر علي جاء عنه موقوفاً ومرفوعاً ولم يصح رفعه، انظر: «تغليق التعليق» (٥/١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ رقم ٦٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٦ رقم ٦٤١٨).

ومنها ـ وهو المقصودُ الأعظمُ ـ التأهبُ له قبل نزولِه، والاستعدادُ لما بعده قبلَ حصولِه، والمبادرةُ بالعمل الصالحِ والسعْي النافعِ قبل دُهوم البلاءِ وحلولِه، إذ هو الفيصلُ بين هذه الدارِ وبين دار القرارِ، وهو الفصلُ بين ساعة العملِ والجزاءِ عليه، والحدُّ الفارقُ بين أوانِ تقديمِ الزادِ والقدومِ عليه، إذ ليس بعده لأحد من مُستَعْتَبٍ ولا اعتذار، ولا زيادةٍ في الحسنات ولا نقصٍ من السيئات، ولا حيلةٍ ولا افتداء، ولا درهمٍ ولا دينار، ولا مقعدٍ ولا منزلٍ إلا القبْرَ، وهو إما روضةٌ من رياض الجنةِ أو حفرةٌ من حفر النار إلى يوم البعثِ والجزاءِ وجمْع الأولين والآخِرين، وأهلِ السمواتِ والأرضين والموقفِ الطويلِ بين يدي القويِّ المتين، يوم يقوم الناسُ لرب العالمين، الحكيمِ العليمِ المُقسِطِ العدْل الحكيم، الذي لا يَحيفُ ولا يجور، ولا يَظلِم مثقالَ ذرةٍ، إن ربي على صراط مستقيم.

ثم إما نعيمٌ مقيمٌ في جنات النعيم، وإما عذابٌ أليمٌ في نار الجحيم، وإن لكل ظاعنٍ مَقرّاً، ولكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]. وهذا سؤالُهم الرجعةَ عند الاحتضارِ، وكذلك يسألون الرجعةَ عند معاينة العذاب يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوالِ

وشديدِ الأنكال، والمقامعِ والأغلال، والسلاسل الطُّوال، وما لا يصِفُه عقلٌ ولا يعبّر عنه مقال، ولا يغني بالخبر عنه ضربُ الأمثال، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ إذا وقفوا على ربهم وعُرضوا عليه وهم ناكسوا رؤوسِهم بين يديه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ وهم في غمرات الجحيم، وعذابها الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] وغيرُها من الآيات.

ويجمع كلَّ ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] وغيرُها من الآيات.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندِم**»، قالوا: وما ندامتُه يا رسولَ الله؟ قال: «**إن كان محسِناً ندِم أنْ لا يكونَ ازداد، وإن كان مسيئاً ندِم أن لا يكونَ نزَع**»، رواه الترمذي[1] وغيره.

---

(١) في السنن (٤/٦٠٣ ـ ٦٠٤ رقم ٢٤٠٣) وقال: «هذا حديث إنما نعرفُه من هذا الوجه، ويحيى بن عُبيد اللَّهِ قد تكلم فيه شعبةُ، وهو يحيى بن عُبيد اللَّهِ بنِ مُوهِب مدنيٌّ».
قلت: وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٦٠ ـ ٢٦٦١).
ويحيى بن عبيد بن موهب متروك. وأفحش الحاكم فرماه بالوضع. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٥٩٩).
وأورده المقدسي في «ذخيره الحفاظ» (٤/ ٢١٠٢ رقم ٤٨٦٥).
وضعف الألباني الحديث في ضعيف الجامع رقم (٥١٤٦)، وفي ضعيف الترمذي (٤٢٠)، **وهو كما قال حفظه الله.**

وله[1] عن ابن عباس ﷺ قال: من كان له مالٌ يُبلّغه حجَّ بيتِ ربه، أو تجبُ عليه فيه زكاةٌ فلم يفعلْ سأل الرجعةَ عند الموت. فقال رجل: يا ابنَ عباسٍ اتق الله، فإنما يسأل الرجعةَ الكفارُ، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون]، قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المالُ مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحجَّ؟ قال: الزادُ والبعيرُ».

وقال قَتادةُ[2] في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، قال: كان العلاءُ بنُ زيادٍ يقول: لِيُنزِلْ أحدُكم نفسَه أنه قد حضره الموتُ فاستقال ربَّه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى.

وقال قتادةُ[3]: واللَّهِ ما تمنّى إلا أن يرجِعَ فيعملَ بطاعة الله، فانظُروا أُمنيةَ الكافِرِ المُفرّطِ فاعملوا بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى ابنُ أبي حاتم[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: إذا وُضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعدَه من النار قال فيقولُ: ربِّ ارجعونِ أتوب وأعملُ صالحاً، قال فيقال: قد عُمّرتَ ما كنت مُعمّراً. قال فيضيق عليه قبرُه ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزَع تهوي إليه هوامُّ الأرض وحيّاتُها وعقاربُها.

وروى الإمامُ أحمدُ[5] والنّسائيُّ[6] من حديث أبي بكرِ بن عياشٍ عن الأعمش

---

(١) أي للترمذي في السنن (٥/ ٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣١٦) بسند ضعيف، منقطع.
أبو جَنَاب الكلبي ضعيف لكثرة تدليسه: «التقريب» رقم (٧٥٣٧) ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٦٦) عنه.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٦٦) عنه.

(٤) كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١٤) وابن كثير (٣/ ٢٦٦). وزاد السيوطي في الدر نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت».

(٥) في المسند (٢/ ٥١٢) بسند صحيح.

(٦) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٣٧٤).

=

عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كلُّ أهلِ النار يرى مقعدَه من الجنة فيقول: لو أن الله هداني، فتكونُ عليه حسرةً قال: وكلُّ أهل الجنة يرى مقعدَه من النار فيقول: لولا أن الله هداني، قال: فيكون لهم الشكُر»**.

وقد تقدم حديث أبي هريرةَ ﷺ عند مسلم[1]: **«بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها»** الحديث، وحديثُه عند الترمذيِّ[2]: **«بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا إلى فقرٍ مُنسٍ»** الحديث.

وفي صحيح البخاريِّ[3] عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ»**.

وللحاكم[4] عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال لرجل وهو يعِظه: **«اغتنم خمساً قبلَ خمس: شبابَك قبل هرمِك، وصِحتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك»**. يعني إن هذه الخمسَ أيامَ الشبابِ والصحةِ والغِنى والفراغِ والحياةِ، هي أيامُ العملِ والتأهبِ والاستعدادِ والاستكثارِ من الزاد، فمن فاته العملُ فيها لم يدركْه عند مجيءِ أضدادِها، ولا ينفعه التمنّي للأعمال، بعد التفريطِ منه والإهمال، في زمن الفرصةِ والإمهالِ، فإن بعد كلِّ شبابٍ هرماً،

= وقد أخرج البخاري (٦/٣١٧ رقم ٣٢٤٠) ومسلم (٤/٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦) عن عبد اللّهِ بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات أحدُكم فإنهُ يُعرَضُ عليه مقعدُهُ بالغداةِ والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهلِ الجنة، وإن كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النار»**.

(١) في صحيحه (٤/٢٢٦٦ رقم ٢٩٤٦). وقد تقدم.

(٢) في السنن (٤/٥٥٢ رقم ٢٣٠٦) وقد تقدم. **وهو حديث ضعيف**.

(٣) في صحيحه (١١/٢٢٩ رقم ٦٤١٢).

(٤) في المستدرك (٤/٣٠٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢/١٦ - مع الفيض) للبيهقي في «شعب الإيمان» وحسنه. كلاهما من حديث ابن عباس.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/١٩٨) والبغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٣ رقم ٤٠٢١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (١٧٠).

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢/١٦ - مع الفيض) لأحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان، كلهم عن عمرو بن ميمون مرسلاً.

وقد صحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع» (١/٢٤٣ رقم ١٠٧٧).

وبعد كلِّ صحةٍ سَقماً، وبعد كلِ غنىً فقراً، وبعد كلِّ فراغ شُغلاً، وبعد كلِّ حياةٍ موتاً، فمن فرّط في العمل أيامَ الشبابِ لم يدركْه في أيام الهرم، ومن فرّط فيه في أوقات الصحةِ لم يدركْه في أوقات السَقَم، ومن فرّط فيه في حالة الغنى فلم ينل القُرَبَ التي لم تُنل إلا بالغنى لم يدركْه في حالة الفقر، ومن فرّط فيه ساعة الفراغِ لم يدركه عند مجيءِ الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياةِ لم يدركه بعد حيلولةِ الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوعَ وقد فات، ويطلب الكَرّة وهيهاتَ، وحيل بينه وبين ذلك وعظُمتْ حسَراتُه حين لا مدفع للحسرات.

ولقد حثَّنا اللّهُ عز وجل أعظمَ الحثِّ وحضَّنا أشدَّ التحضيضِ، ودعانا إلى اغتنامِ الفُرَصِ في زمن المُهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه، إذ يقول تعالى في مُحكم كتابِه داعياً عبادَه إلى بابه يا من يسمع صريحَ خطابِه ويتأمل لطيفَ عتابِه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] الآيات، وغيرُها.

[الإيمان بما بعد الموت]

ومنها الإيمان بـ (ما) الذي (من بعده) أي من بعد الموتِ (**على العباد حُتما**) من أحوال الإحضارِ إلى البعث والنشورِ، إلى أن يقضيَ اللّهُ بين عباده ويستقرَّ كلٌّ من الفريقين: فريقٌ في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ما تيسَّر من التقدير على كل أمرِ منها في محله من هذه الأبياتِ الآتيةِ إن شاء الله تعالى، وهذ أولها:

[إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه]

(وإنْ كـلاًّ مُـقـعَـدٌ مـسـؤولُ: ما الربُّ ما الدينُ وما الرسولُ)

(وعند ذا يـثـبّـت الـمـهـيـمـنُ بـثـابـت الـقـولِ الـذيـن آمـنـوا)

(ويـوقـن الـمـرتـابُ عـنـد ذلـكْ بـأنّـمـا مَـوْرِدَهُ الـمـهـالـكْ)

في هذه الأبياتِ إثباتُ المسألةِ العظيمة، وهي إثباتُ سؤالِ القبرِ وفتنتِه وعذابِه ونعيمِه، وقد تظاهرت بذلك نصوصُ الشريعةِ كتاباً وسنةً، وأجمع على ذلك أئمةُ السنة من الصحابة والتابعين فمَن بعدَهم من أهل السنةِ والجماعة، وإن أنكر ذلك بِشْرٌ المريسيُّ[1] وأضرابُه وأتباعُهم من المعتزلة، وحملوا على فاسد فهمِهم قولَ اللّهِ عز وجل: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. وقولَه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياءً في القبور لذاقوا الموتَ مرتين لا موتةً واحدة. وقالوا في الآية الثانيةِ: إن الغرض من سياقها تشبيهُ الكفرة بأهل القبورِ في عدم الإسماع، ولو كان الميتُ حياً في قبره أو حاسّاً لم يستقم التشبيهُ.

قالوا: وأما من جهة العقلِ فإنا نرى شخصاً يُصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهبَ أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياءً ومسألةً، والقولُ لهم بهما مع المشاهدة سفسطةٌ ظاهرةٌ، وأبلغُ منه من أكلته السباعُ والطيورُ وتفرقت أجزاؤُه في بطونها وحواصلِها، وأبلغُ منه من أُحرق حتى يُفتّتَ، وذُرِيَ أجزاؤه المتفتتةُ في الرياح العاصفةِ شِمالاً وجُنوباً وقَبولاً ودَبوراً، فإنا نعلم عدمَ إحيائِه ومسألتِه وعذابِه ضرورة.

هذه خلاصةُ شُبَهِهم الداحضة، ومحصَّلُ آرائِهم الكاسدة، وأفهامِهم الفاسدة، وأذهانِهم البائدة، ولا عجبَ ولا استغرابَ ممن ألحد في أسماء الله وصفاتِه، وجحد ما صرَّح به تعالى في محكم آياتِه، وردَّ ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعالِه وتقريراتِه، وحكّم العقلَ في الشرع، وعارضَ الوحيَ الرحمانيَّ بالحدْسِ الشيطاني، وقدم الآراءَ السقيمةَ، على السنن المستقيمة، وآثرَ الأهواءَ الذميمة على المَحَجّة القويمة، فليس بعجيب ولا غريبٍ ممن هذا شأنُه أن ينكرَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

عذابَ القبرِ وغيرَه من أنباء الغيبِ التي لا يشاهدها.

وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يعرِف الإنسانَ إلا هذا الجسمَ الذي هو الجلدُ واللحمُ والعظمُ والعروقُ والأعصابُ والشرايينُ ونحوُها مما يمتلئ بكثرة الطعامِ والشرابِ فيه، ويخلو بقلّتهما عليه، وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يُقِرّ بموجود إلاّ مسموعاً متكلماً به مُبصراً مشموماً ملموساً، وما له لا يُنكر ذلك وطريقتُه في النصوص أبداً تأويلُ الصريح وتضعيفُ الصحيح، وأنها آحادٌ ظنّيةٌ لا تفيد اليقينَ، وليست بأصل بزعمه عند المحققين.

ولا ذنبَ للنصوص وما نقَم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرّحت بنقض دعواه، وسدّت عليه بابَ مغزاه، وأوجبت عليه نبذَ أقوالِ شيوخِه، وهدمتْ عليه ما قد بناه، وألزمتْه باطّراح كلِ قولٍ غيرَ ما قاله اللّهُ أو رسولُه ﷺ، ونادت عليه بأبلغِ صوت: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والجوابُ عن الشبهة الأولى أن الآيةَ لا تدل على مدّعاهم بوجه، فإنها في صفة أهلِ الجنةِ وما لهم فيها من كمال النعيمِ والخُلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموتَ بل ينعمون ولا يبأسون ويخلُدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذابِ القبرِ الذي ادَّعوه، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة، وما المانعُ من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصاً ليتألَّم الجسدُ بما يتألم به، من دون أن تكونَ حياتُه كالحياة الدنيوية.

بل ما المانعُ من كونها حياةً مستقرةً لا تُشبه الحياةَ الدنيا وهي أعظمُ منها، فحجَبَ اللّهُ تعالى رؤيةَ ذلك عن عباده رحمةً منه بهم، كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتيةِ من الإقعادِ والمخاطبةِ والسؤالِ والجوابِ كِفاحاً، كما يشاء اللّهُ عز وجل، والفتحِ لباب الجنة للمؤمن وفَرْشِه منها، وفتحِ باب النارِ للمرتاب وقمعِه بالمطارق والمرازبِ، وغيرُ ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطُه.

وأيضاً فأهلُ الجنة المشارُ إليهم بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، قد وردت فيها الأحاديثُ الصحيحة أن أرواحَهم تسرح في الجنة في حواصل طيورٍ خُضرٍ، كما روى الإمامُ أحمدُ[1] عن الإمام محمدِ بنِ

---

(١) في المسند (٣٠٨/١٢ رقم ١٥٧١٧ ـ الزين) بسند صحيح.

إدريسَ الشافعيِّ عن الإمام مالكِ بنِ أنسٍ عن الإمام محمدِ بنِ شهابٍ الزُهريِّ عن عبد الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ عن أبيه عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «**إنما نَسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلّق في شجر الجنةِ حتى يُرجعَه اللّهُ تعالى إلى جسده يوم يَبعثُه**».

وفيهم الشهداءُ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. يقول الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهل شعَرتم بذلك يا معاشرَ الزنادقةِ دونهم؟

ويقول تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال اللّهُ تعالى فيهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

والموتةُ الثانيةُ على أحد التفسيرين هي موتُهم بعد فتنةِ القبر، وتفسيرُ الجمهورِ لا ينافي ذلك، فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودِهم، والثانيةَ على الخروج من الدنيا، ولم يعُدّوا نومتَهم بعد الفتنةِ في القبر موتةً مستقلةً لأن حالَ البرزخِ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرةِ، بل هو حاجزٌ بينهما، والتفسيرُ الأولُ محمولٌ على موتتين بعد الوجودِ خلا حالةِ العدمِ المحضِ قبل إيجادهم.

وروى ابنُ أبي حاتم[1] بسنده عن أبي هريرةَ قال: إذا وُضع ـ يعني الكافرَ ـ في قبره فيرى مقعدَه من النار، قال فيقول: ربِّ ارجعونِ أتوبُ وأعملُ صالحاً، قال فيقال: قد عُمِّرتَ ما كنت معمَّراً، قال: فيضيق عليه قبرُه ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزَع، تهوي إليه هوامُّ الأرض وحيّاتُها وعقاربُها.

= قلت: وأخرجه النسائي (٤/١٠٨ رقم ٢٠٧٣) وابن ماجه (٢/١٤٢٨ رقم ٤٢٧١) ومالك (١/٢٤٠ رقم ٤٩) والطيالسي (١/١٥٤ رقم ٧٤٠ ـ منحة) والطبراني في «الكبير» (١٩/٦٤ رقم ١٢١) والحميدي في مسنده (٢/٣٨٥ رقم ٨٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/١٥٦).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٢٦٦) وقد تقدم.

وعن الشبهةِ الثانيةِ الجوابُ من وجهين:

(الأولُ): أن قولَه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. نفيٌ لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمِعَهم، وليس ذلك بمُحال في قدرة اللّهِ أن يُسمِعَهم كما أسمع أهلَ القَليبِ تبْكيتَه ﷺ بقوله ﷺ: **«هل وجدتم ما وعد ربُكم حقًّا»**[(١)] الحديث سيأتي إن شاء الله، وهذا إذا حُمل على نفي مطلقِ السماعِ بالكلية.

(الوجهُ الثاني): أنه لم ينفِ مطلقَ السماع، وإنما نفيُ سماعِ الاستجابةِ، كما يدل عليه قولُه ﷺ في حديث القليبِ[(٢)]: **«ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، ولكنهم لا يُجيبون»**. وبهذا يتضح تشبيهُ الكفارِ بهم، فإن الكفارَ كانوا يسمعون كلامَ النبيِّ ﷺ، ويسمعون منه كلامَ اللّهِ تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماعَ الظاهرَ لهم في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية: ٨]، ولو كان الكفارُ لم يسمعوا مطلقاً، لا سماعَ استجابةٍ ولا مطلقاً لم يكن القرآنُ حجةً عليهم ولم يكن الرسولُ بلّغهم لأنهم ما سمِعوه منه، ولا أفسدَ من قول هذا لازمُه.

وأما شُبهتُهم العقليةُ فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة، فإن الروحَ التي عليها العذابُ أو النعيمُ المتصلُ بالجسم ألمهُ ليس بمُدرَكٍ في الدنيا ولا يعلمه إلا اللّهُ، فمن كان لا يدرك روحَ من يمشي معه ويكلّمُه ويأتمنُه ويعامله، فكيف يدركُه إذا صار من عالم الآخرةِ ليس من عالم الدنيا؟ وأيضاً فاحتجابُ ذلك عن أهل الدنيا من حكمة اللّهِ تعالى البالغةِ ورحمتِه بهم.

وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لولا أنْ لا تَدافَنوا لدعوتُ اللّهَ عز وجل أن يُسمِعَكم من عذاب القبرِ الذي أسمع»**[(٣)].

وأيضاً فأكثرُ أمورِ الإيمانِ اعتقاداتٌ باطنةٌ منا لأمور غائبةٍ عنا، وهي أعلى صفاتِ أهل الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وذلك غائبٌ عنا في الحياة

---

(١)(٢) سيأتي بتمامه وكذلك يأتي تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠ رقم ٦٧/ ٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.
وأخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٠ رقم ٦٨/ ٢٨٦٨) من حديث أنس.

الدنيا، ونحن نعلمه عن الله علمَ اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدارِ صار الغيبُ شهادةً، ورأينا ذلك عينَ اليقين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]. والذي أُحرِقت أعضاؤه وتفرّقت أجزاؤه يجمعه الذي أبدأه من لا أجزاءٍ ولا أعضاء، وسيأتي الحديثُ فيه إن شاء الله.

ولا فرقَ بين من كذّب بجمع هذا، وبين من كذب بجمع الناسِ ليوم لا ريبَ فيه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] الآية.

فيا أيها الطالبُ الحقَّ المتحرّي الإنصافَ، إليك نصوصُ الآياتِ المُحكمةِ والسننِ القائمة، فألقِ لها سمعَك وأحضِرْ قلبَك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغٌ، وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرَضوا عن المحكم ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكمَ بالمتشابه، ولم يردّوا علم ما غرَب عنهم علمُه إلى عالمه، واحمدِ الله تعالى إذ هداك لِما اختلفوا فيه، ووفّقك لِما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية.

قال أئمةُ التفسير: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي إليهم بالضرب والنَّكال وأنواعِ العذابِ حتى تخرج أنفسُهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتُضِر بشَّرته الملائكةُ بالعذاب والنكالِ والأغلالِ والسلاسلِ والجحيمِ والحميمِ وغضَب الرحمن الرحيم، فَتَفَرّقُ روحُه في جسده وتَعصي وتأبى الخروجَ، فتضربهم الملائكةُ حتى تخرجَ أرواحُهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أي اليوم تُهانون غايةَ الإهانة كما كنتم تكذِبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياتِه والانقيادِ لرسله، وسيأتي في الأحاديث كيفيةُ احتضارِ المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله.

ووجهُ الدِلالةِ من هذه الآيةِ أنه إذا كان يُفعل به هذا وهو مُحتضَرٌ بين ظَهْرانِي أهلِه صغِيرهم وكبيرِهم وذكرِهم وأنثاهم وهم لا يرَونَ شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريعِ والتوبيخِ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يَروْن مجردَ احتضاره وسياقِ نفسِه، لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائدَ، فَلأَنْ يُفعل به في قبره ذلك وأعظمُ منه ـ ولا يعلمه من كُشف عنه ـ أولى وأظهر، لأنهم لم يطّلعوا على ما يناله بين أظهُرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالَم غيرِ عالَمِهم ودارِ غيرِ دارِهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين: إما أن يُقِرَّ بما أخبر الله تعالى به في المحتَضَر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحَدَ هذا وهذا فيكفُرَ بتكذيبه الله، ورسولَه، فبشِّرْه بتأويل هذه الآيةِ إذا صار إلى ما صار إليه المكذِّبون.

وقال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وهذه الآية نصُّها في عذاب القبرِ بصريح الأحاديثِ الآتيةِ وباتفاق أئمةِ التفسيرِ من الصحابة فالتابعين فمن بعدَهم، وأن المرادَ بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقةً، وأن من أنكر ذلك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون اللّهُ يفعل ما يشاء.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

روى ابنُ أبي حاتم بسنده[1] عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: ويلٌ لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخُل عليهم في قبورهم حيّاتٌ سودٌ ـ أو دُهْمٌ ـ حيةٌ عند رأسه وحيةٌ عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذابُ في البرزخِ الذي قال اللّهُ تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وتقدَّم حديثُ أبي هريرةَ ﷺ في ذلك قريباً وسيأتي الأحاديثُ فيه.

---

(١) كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١٤).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٦) مسنداً وفيه: علي بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٧٣٤).

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. ذكر العينيُّ[١] هذه الآيةَ في شرح هذا البابِ من صحيح البخاريِّ وقال: فإن الله تعالى ذكرَ الموتةَ مرتين، وهما لا تتحققان إلا أن يكون في القبر حياةٌ وموتٌ، حتى تكونَ إحدى الموتتين ما يتحصل عَقيبَ الحياةِ في الدنيا، والأخرى ما يتحصَّل عَقيبَ الحياةِ التي في القبر اهـ.

قلت: وهذا هو تفسيرُ السُّديِّ[٢] في هذه الآيةِ حيث قال: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم، فخوطبوا، ثم أُميتوا فأُحْيُوا يوم القيامة اهـ. والآيةُ تحتمله، لكن المشهورَ عن ابن مسعودٍ[٣] وابن عباس[٤] والضحاكِ[٥] وقتادةَ[٦] وغيرِهم أن هذه الآيةَ كقوله عز وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقد قدمنا الجمعَ بين هذين التفسيرينِ، ولله الحمد والمنَّة.

وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال ابنُ مسعودٍ وأبو مالكٍ وابنُ جُريجٍ والحسنُ البصريُّ وسعيدٌ وقتادةُ وابنُ إسحاقَ ما حاصلُه[٧]: إن المرادَ

---

(١) لم أجد هذا الكلام في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني، في تفسير سورة المؤمن (١٥/ ٤١٣ ـ ٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٤٨). وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٤٢).

(٣) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢).
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٨) عنه.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٤٦) عنه.

(٦) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٨).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩) فقد ذكر قول كل من: ابن جريج، والحسن البصري، ومحمد ابن إسحاق، وقتادة. =

بذلك عذابُ الدنيا وعذابُ القبر ثم يردُّون إلى عذاب عظيم هو عذابُ النار. وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. قال البراءُ بنُ عازبٍ ومجاهدٌ وأبو عبيدةَ: يعني به عذابَ القبر[1].

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

روى ابنُ أبي حاتم[2] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: إن أرواحَ الشهداءِ في أجواف طيورٍ خُضرٍ تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواحَ وِلْدان المؤمنين في أجواف عصافيرَ تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ في العرش، وإن أرواحَ آلِ فرعونَ في أجواف طيورٍ سُودٍ تغدو على جهنمَ وتروح عليها، فذلك عَرضُها.

وفي حديث الإسراءِ الطويلِ الذي أخرجه البيهقيُّ[3] وابنُ جريرٍ[4] وابنُ أبي حاتمٍ من رواية أبي هارونَ العبديِّ عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

= وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٢/٤١٩): عقب قول قتادة: «وقد روي عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين...».

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٤٧١) عن الثلاثة.

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤/٨٨ - ٨٩) مسنداً. وفيه «ليث بن أبي سليم».
قال ابن حجر في «التقريب» (رقم: ٥٦٨٥): «صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك».
وذكر البغوي في «معالم التنزيل» (٧/١٥٠) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٣١٩) والماوردي في «النكت والعيون» (٥/١٥٩) عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها. فذلك عرضُها.

(٣) في «دلائل النبوة» (٢/٣٩٠ - ٣٩٣).

(٤) في «جامع البيان» (٩/١٥ج/١٣).
في سند البيهقي وابن جرير أبو هارون العبدي. واسمه: عمارة بن جوين، روى عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر. ضعفه شعبة، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وقال النسائي والحاكم: «متروك»، وقال الجوزجاني: «كذاب مفتر».
انظر: المجروحين (٢/١٧٧) والميزان (٣/١٧٣).
قلت: وفي الأحاديث الصحيحة غنية عن هذا الضعيف.

فيه: «ثم انطلق بي إلى خلق كثيرٍ من خلق اللّهِ عز وجل، رجالٌ كلُ رجلٍ منهم بطنُه مثلُ البيت الضخْم مصفّدون على سابلة آلِ فرعونَ، وآلُ فرعونَ يعرضون على النار غدوًا وعشياً، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعونَ أشدَّ العذاب، وآلُ فرعونَ كالإبل المسوَّمةِ يخبِطون الحجارةَ والشجرَ ولا يعقِلون».

وفي حديث عائشةَ[1] في قصة اليهوديةِ التي قالت لها: وقاكِ اللّهُ من عذاب القبر، فأنكرت عائشةُ رضي الله عنها ذلك، فلما رأت النبيَّ ﷺ قالت له، فقال ﷺ: **«لا»**. قالت عائشةُ رضي الله عنها: ثم قال لنا رسولُ الله ﷺ بعد ذلك: **«وإنه أُوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في قُبوركم»**، وسيأتي إن شاء الله قريباً.

قال ابنُ كثيرٍ[2] رحمه الله تعالى: «فيقال: ما الجمعُ بين هذا وبين كونِ الآية مكيةً وفيها الدلالةُ على عذاب البرزخ؟ والجوابُ أن الآيةَ دلت على عَرْض الأرواحِ على النار غُدوّاً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دِلالةٌ ـ يعني تامةً ـ على اتصال تألُّمِها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصّاً بالروح، فأما حصولُ ذلك للجسد في البرزخ، وتألُّمه بسببه فلم يدلّ عليه إلا السنةُ في الأحاديث المَرْضية... وقد يقال: إن هذه الآيةَ إنما دلت على عذاب الكفارِ في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذبَ المؤمنُ في قبره بذنبه».

وهذا الجوابُ هو الراجحُ عندي لما يدل عليه قولُه ﷺ: **«إنما يُفتن يهودُ»**، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمتَه تُفتَن. والجوابُ الأولُ مرجوحٌ لأن الآياتِ أيضاً صريحةٌ في اتصال عذابِ القبرِ بالروح والجسد، وما ليس صريحاً منها فمحتملٌ يُحمل على الصريح إذ لم يجِئ في آيةٍ تخصيصُه بالروح دون الجسدِ ونفيهُ عن الجسد».

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [النحل].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٣٨ رقم ١٠٤٩) وأطرافه رقم (١٠٥٥) و (١٢٧٢) و (٦٣٦٦). ومسلم (٢/٦٢١ ـ ٦٢٢ رقم ٩٠٣).

(٢) في تفسيره (٤/٨٨).

قال ابن كثير[1] رحمه الله تعالى: وهم يدخُلون جهنمَ من يوم مماتِهم بأرواحهم، وينال أجسادَهم في قبورها من حرّها وسَمومِها، فإذا كان يومُ القيامة سلَكت أرواحُهم في أجسادهم وخلّدت في نار جهنم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] الآية. وكذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

[نصوص من السنة في إثبات عذاب القبر]

(فصل) وأما نصوصُ السنة في إثبات عذابِ القبر فقد بلغت الأحاديثُ في ذلك مبلغَ التواتر، إذ رواها أئمةُ السنةِ وحملةُ الحديثِ ونُقادُه عن الجمّ الغفير والجمعِ الكثيرِ من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنسُ بنُ مالكٍ وعبدُ الله بنُ عباسٍ والبراءُ بنُ عازبٍ وعمرُ بنُ الخطاب وابنُه عبدُ الله وعائشةُ أمُّ المؤمنين وأسماءُ بنتُ أبي بكر وأبو أيوبَ الأنصاريُّ وأمُّ خالد وأبو هريرةَ وأبو سعيد الخُدريُّ وسَمُرةُ بن جُندبٍ وعثمانُ وعليٌّ وزيدُ بنُ ثابتٍ وجابرُ بنُ عبدِ الله وسعدُ بنُ أبي وقاص وزيدُ ابنُ أرقمَ وأبو بكرةَ وعبدُ الرحمن بنُ سمرةَ وعبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ وأبوه عمروٌ وأمُّ مبشر وأبو قَتادةَ وعبدُ الله بنُ مسعودٍ وأبو طلحةَ وأسماءُ أيضاً وعبدُ الرحمن بنُ حسنةَ وتميمٌ الداري وحُذيفةُ وأبو موسى والنعمانُ بنُ بشيرٍ وعوفُ بنُ مالكٍ.

فأما حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عياشٌ حدثنا عبدُ الأعلى حدثنا سعيدٌ. قال: وقال لي خليفةُ: حدثنا ابنُ زُرَيع حدثنا سعيدٌ عن قتادةَ عن أنسٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«العبدُ إذا وُضع في قبره وتولّى وذهب أصحابُه حتى إنه ليسمعُ قرعَ نعالِهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجلِ محمدٍ ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسولُه. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك اللّهُ به مقعداً من الجنة»**.

---

(١) انظر: (٤/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) في صحيحه (٣/ ٢٠٥ رقم ١٣٣٨) وطرفه رقم (١٣٧٤).

قال النبيّ ﷺ: «**فيراهما جميعاً. وأما الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيت ولا تَلَيت، ثم يُضرب بِمطرقة من حديد ضَرْبة بين أذنيه فيَصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين**». ورواه مسلم[(١)] من طرُق عن قَتادةَ بنحوه وزاد فيه: «**قال قتادة: وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً ـ يعني المؤمنَ ـ ويُملأ عليه خَضِراً إلى يوم يبعثون**».

ولهما[(٢)] عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**».

ولمسلم[(٣)] عنه ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر الذي أسمع**».

وأما حديثُ عبد الله بنِ عباسٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ حدثنا جريرٌ عن الأعمش عن مجاهدٍ عن طاووس، قال ابنُ عباس ﷺ: «**مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير**»، ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله**»، ثم قال: «**أخذ عوداً رطْباً فكسره باثنتين ثم غَرز كلَّ واحدٍ منهما على قبر ثم قال: لعله يُخفَّف عنهما ما لم يَيْبَسا**»، رواه في مواضعَ من صحيحه[(٤)]. ورواه مسلم[(٥)] أيضاً وغيرهُ[(٦)].

ولهما[(٧)] وللنسائي[(٨)] عنه ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ: «**كان يعلّمهم هذا الدعاءَ**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ ـ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧٠).
(٢) أي البخاري (١١/ ١٧٦ رقم ٦٣٦٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ رقم ٢٧٠٦).
(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٨).
(٤) البخاري (١/ ٣١٧ رقم ٢١٦) وأطرافه: (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥).
(٥) في صحيحه (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ رقم ٢٩٢).
(٦) كأبي داود (١/ ٢٥ ـ ٢٦ رقم ٢٠) والترمذي (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ رقم ٧٠) وابن ماجه (١/ ١٢٥ رقم ٣٤٧)، والنسائي (١/ ٢٨ ـ ٣٠ رقم ٣١).
(٧) أي البخاري ومسلم.
قلت: لم يخرجه البخاري انظر: «تحفة الأشراف» (٥/ ٢٧ رقم ٥٧٥٠) بل أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٣ رقم ٥٩٠) والنسائي (٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ رقم ٥٥١٢) والترمذي (٥/ ٥٢٤ رقم ٣٤٩٤) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢ رقم ٣٨٤٠) وأبو داود (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٢ رقم ٩٨٤).
(٨) في السنن رقم (٥٥١٢) كما في التعليقة المتقدمة.

كما يعلم السورةَ من القرآن، قولوا: اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من عذابِ جهنمَ، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذُ بك من فتنة المسيحِ الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

وأما حديثُ البراءِ بنِ عازبٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بنُ عمرَ حدثنا شُعبةُ عن علقمةَ بنِ مرثدٍ عن سعدِ بنِ عُبيدةَ عن البراءِ بنِ عازبٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا أُقعِد المؤمنُ في قبره أُتيَ ثم شَهِد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، فذلك قولُه:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. رواه في مواضعَ[١] ووافقه عليه مسلمٌ[٢] وغيرهُ.

وروى الإمامُ أحمدُ[٣] عنه ﷺ قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في جنازة

---

(١) أي البخاري (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ رقم ١٣٦٩) وطرفه رقم (٤٦٩٩).

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

(٣) في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٧٣): «هذا الحديث حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح كما تقدم. وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، كذا قال أبو موسى الأصبهاني رحمه الله. والمنهال روى له البخاري حديثاً واحداً. وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمدٍ. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سُمِع من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إليَّ من المنهال.

وزاذان ثقة مشهور ألانه بعضهم. وروى له مسلم حديثين في صحيحه، ورواه البيهقي ـ في «عذاب القبر» رقم (٥٥) ـ من طريق المنهال بنحو رواية أحمد، ثم قال: وهذا حديث صحيح الإسناد، وقد رواه عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء عن النبي ﷺ...» اهـ.

قلت: وأخرج الحديث الطيالسي في المسند رقم (٧٥٣) والآجري في «الشريعة» ص٣٦٧ ـ ٣٧٠، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، وأقرّه الذهبي، وأقرّهما الألباني في «الجنائز» ص٢٠٢).

وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤) و «تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولّما يُلحَد، فجلس رسولُ الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطيرَ، وفي يده عودٌ ينكث به في الأرضَ، فرفع رأسَه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ـ مرتين أو ثلاثاً ـ.

ثم قال: «إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفان الجنةِ وحَنوطٌ من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصَر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسِهِ فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ ـ قال ـ فتخرجُ تسيل كما تسيل القطرةُ مِن فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريحُ الطيبةُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيُفتح له، فيشيّعه مِن كل سماءٍ مقرّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَ عبدي في علّيينَ وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتُهم وفيها أعيدُهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال فتعاد روحُه، فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربيَ الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول ديني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولان له: وما علمُك؟ فيقول قرأتُ كتابَ الله تعالى فآمنتُ به وصدقتُ.

فينادي منادٍ من السماء أنْ صدَقَ عبدي، فأفرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدَّ البصر.

قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ حسنُ الثيابِ طيّبُ الريح فيقول: أبشرْ بالذي يسرُّك، هذا يومُك الذي كنت توعَد، فيقول له: من أنت فوجهُك الوجهُ الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملُك الصالحُ، فيقول: ربِّ أقمِ الساعة، ربِّ أقمِ الساعة، حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: ـ وإن العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ إلى الآخرة نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهم المُسوحُ فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسِه فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرّقُ في جسده فينتزِعُها كما يُنتزع السَّفُودُ من الصوف المبلولِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفةَ عين حتى يجعلوها في تلك المُسوحِ، ويخرج منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثةُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان بأقبح أسمائِه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح فلا يُفتح له.

ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول اللّهُ عز وجل: اكْتبوا كتابَه في سِجّين في الأرضِ السفلى، فيُطرَح روحهُ طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتُعاد روحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماء أن كذَب عبدي، فأفرِشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسَمومِها، ويَضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلف فيه أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثياب مُنتنُ الريحِ فيقول: أبشرْ بالذي يسوؤُك. هذا يومُك الذي كنت توعَد. فيقول: من أنت؟ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملُك الخبيثُ. فيقول: ربِّ لا تُقم الساعة».

زاد في رواية في قصة المؤمن: «حتى إذا خرج روحُه صلَّى عليه كلُ ملكٍ بين السماءِ والأرض وكلُ ملكٍ في السماء، وفُتحت له أبوابُ السماء، وليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يُعرَجَ بروحه مِن قِبَلهم».

وزاد في قصة الكافر: «ثم يقيِّضُ له أعمى أصمَّ أبكمَ في يده مرزبةٌ لو ضُرب بها جبلٌ كان تراباً، فيضربه ضربةً فيصير تراباً. ثم يعيده اللّهُ عز وجل كما كان

فيضربه ضربةً أخرى فيصيح صيحةً يسمعها كلُ شيءٍ إلا الثقلين ـ قال البراء ـ **ثم يُفتح له بابٌ من النار ويُمهد له فِراشٌ من النار»**. ورواه أبو داودَ[1] والنسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3] بنحوه.

وأما حديثُ عمرَ بنِ الخطاب فرواه مسلمٌ[4] من طرق عنه ﷺ قال: **«إن رسولَ الله ﷺ كان يُرينا مصارعَ أهلِ بدرٍ بالأمس، يقول: هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله تعالى»**، قال: فقال عمرُ: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله ﷺ: **«قال فجُعلوا في بئر بعضُهم على بعض، وانطلق رسولُ الله ﷺ، حتى انتهى إليهم فقال: يا فلانُ ابنَ فلانٍ ويا فلانُ ابنَ فلانٍ، هل وجدتم ما وعدكم اللّهُ ورسولُه حقاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني اللّهُ حقاً. قال عمرُ: يا رسولَ الله كيف تكلم أجساداً لا أرواحَ فيها؟ قال: ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، غيرَ أنهم لا يستطيعون أن يردّوا عَلَيَّ شيئاً»**.

ولأبي داودَ[5] والنَّسائيِّ[6] وابنِ ماجَهْ[7] عنه ﷺ: **«أن النبيَّ ﷺ كان يتعوذ من الجُبن والبُخلِ وعذابِ القبرِ وفتنةِ الصَدْر»**.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ فقال البخاري[8] رحمه الله تعالى: «باب الميت يُعرض عليه مقعدُه بالغداة والعشي»: حدثنا إسماعيلُ قال: حدثني مالكٌ عن

---

(١) في السنن (٥/ ١١٤ ـ ١١٦ رقم ٤٧٥٣).

(٢) في السنن، كما في تحفة الأشراف (٢/ ١٥ رقم ١٧٥٨).

(٣) في السنن (١/ ٤٩٤ رقم ١٥٤٨). وهو حديث صحيح.

(٤) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٢ رقم ٢٨٧٣).

(٥) في السنن (٢/ ١٨٨ رقم ١٥٣٩.

(٦) في السنن (٨/ ٢٥٥ رقم ٥٤٤٣) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (١٣٤).

(٧) في السنن (٢/ ١٢٦٣ رقم ٣٨٤٤).

قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٥٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٧٠) والحاكم (١/ ٥٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان (رقم: ٢٤٤٥ ـ موارد).

وهو حديث حسن. مع أن المحدث الألباني حكم عليه بالضعف، والله أعلم.

(٨) في صحيحه (٣/ ٢٤٣ رقم ١٣٧٩) وطرفاه: (٣٢٤٠) و (٦٥١٥).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦) والترمذي رقم (١٠٧٢) والنسائي (٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وابن ماجه رقم (٤٢٧٠) وأحمد (٢/ ٥١، ١١٣).

نافع عن عبدِ الله بنِ عمرَ ﵄ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنةِ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النارِ فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتى يبعثَك اللّهُ يوم القيامة»**.

وله[1] عنه ﵁ قال: **«اطلع النبيُّ ﷺ على أهل القَليب فقال: وجدتم ما وعدَكم ربُكم حقاً؟ فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمعَ منهم ولكن لا يُجيبون»**.

وأما حديثُ عائشةَ أمِّ المؤمنين فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: «بابُ التعوذِ من عذاب القبرِ في الكسوف»: حدثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ عن مالكٍ عن يحيى بنِ سعيدٍ عن عَمْرةَ بنتِ عبد الرحمن عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أن يهوديةً جاءت تسألها فقالت لها: أعاذكِ اللّهُ من عذاب القبرِ، فسألت عائشةُ ﵂ رسولَ الله ﷺ أيعذب الناسُ في قبورهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«عائذاً بالله من ذلك»** - ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله، وفي آخره: - ثم أمرهم أنْ يتعوَّذوا من عذاب القبرِ. ورواه مسلم[3] بنحوه.

وقال البخاري[4] أيضاً: «حدثنا عَبدانُ أخبرني أبي سمعتُ الأشعثَ عن أبيه عن مسروقٍ عن عائشة: ﵂: «أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبرِ فقال: **عذابُ القبر حقٌ** - قالت عائشةُ: فما رأيت رسولَ الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوّذ من عذاب القبر»، ووافقه عليه مسلمٌ[5] وغيرهُ.

---

(١) أي للبخاري (٣/٢٣٢ رقم ١٣٧٠) وطرفاه (٣٩٨٠، ٤٠٢٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٢/٦٤٣ رقم ٩٣٢).

(٢) في صحيحه (٢/٥٣٧ رقم الباب: ٧).
وأخرج البخاري الحديث في صحيحه (٢/٥٣٨ رقم ١٠٤٩) وأطرافه (١٠٥٥، ١٢٧٢، ٦٣٦٦).

(٣) في صحيحه (١/٤١٠ رقم ٥٨٤).

(٤) في صحيحه (٣/٢٣٢ رقم ١٣٧٢).

(٥) في صحيحه (١/٤١١ رقم ٥٨٦).

وقال مسلم[1] أيضاً: «حدثنا هارونُ بنُ سعيدٍ وحَرمَلةُ بنُ يحيى، قال هارونُ: حدثنا ـ وقال حرملةُ: أخبرنا ـ ابنُ وهبٍ، أخبرني يونسُ بنُ يزيدَ عن ابن شهابٍ قال: حدثني عُروةُ بنُ الزبيرِ: أن عائشةَ ﵂ قالت: **دخل عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندي امرأةٌ من اليهود وهي تقول: هل شعرتِ أنكم تُفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسولُ الله ﷺ وقال: «إنما تُفتن يهودُ»**. قالت عائشةُ: فلبثْنا لياليَ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: **«هل شعرتِ أنه أوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في القبور»**. قالت عائشةُ ﵂: فسمعتُ رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر».

وقال[2] رحمه الله تعالى أيضاً: «حدثنا زهيرُ بنُ حربٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ كلاهما عن جريرٍ، قال زهيرٌ حدثنا جريرٌ عن منصور عن أبي وائلٍ عن مسروقٍ عن عائشة ﵂ قالت: دخلتْ عليَّ عجوزان من عُجُز يهودِ المدينة فقالتا: إن أهلَ القبور يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذبتُهما ولم أنعَم أن أُصدقَهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقلت له: يا رسولَ اللَّهِ إن عجوزَين من عُجُز يهودِ المدينة دخلتا عليَّ فزعَمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: **«صدقتَا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائمُ»**، ثم قالت: فما رأيتهُ بعدُ في صلاة إلا يتعوَّذ من عذاب القبر».

ولهما[3] عنها ﵂ أن النبيَّ ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذُ بك من الكسل والهرَمِ والمأثم والمَغرَم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذابِ النار، ومن شر فتنةِ الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقرِ، وأعوذ بك في فتنة المسيحِ الدجّال. اللهم اغسِل عني خطاياي بماء الثلْجِ والبَرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس، وباعذ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرِق والمغرب»**.

ولمسلم[4] عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قولُه ﷺ في خطبته: **«ولقد**

---

(١) في صحيحه (١/ ٤١٠ رقم ٥٨٤).

(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ٤١١ رقم ٥٨٦).

(٣) أي للبخاري (١١/ ١٧٦ رقم ٦٣٦٨)، ومسلم (١/ ٤١١ رقم ٥٨٩).

(٤) في صحيحه (٢/ ٦٢٢ رقم ٩٠٤).

رأيتُ جهنمَ يَحطِم بعضُها بعضاً حين رأيتُموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابنَ لُحيٍّ، وهو الذي سيَّب السوائب».

وأما حديثُ أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: «حدثنا يحيى بنُ سليمانَ حدثنا ابنُ وهبٍ قال أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ أخبرني عُروةُ بنُ الزبير أنه سمع أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ رضي الله عنهما تقول: **قام رسولُ الله ﷺ خطيباً فذكر فتنةَ القبرِ التي يُفتن فيها المرءُ، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً».**

ولهما[2] عنها رضي الله عنها حديثُ الكسوفِ بطوله، وفيه: «**فلما انصرف رسولُ الله ﷺ حَمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما من شيءٍ كنتُ لم أرَه إلا قد رأيتُه في مقامي هذا حتى الجنةَ والنارَ، لقد أُوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في القبور مثلَ ـ أو قريباً من ـ فتنةِ الدجال**». لا أدري أيّتهما قالت أسماءُ ـ «**يُؤتى أحدُكم فيقال: ما علمُك بهذا الرجلِ؟ فأما المؤمنُ ـ أو الموقن،** لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماءُ ـ **فيقول: محمدٌ رسولُ الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجَبْنا وآمنّا واتبعنا. فيقال له: نمْ صالحاً، فقد علِمْناك كنتَ لموقناً، وأما المنافقُ ـ أو المرتابُ،** لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء ـ **فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه**». قوله: «لا أدري أي ذلك إلخ» التردد فيه من فاطمةَ بنتِ المنذرِ الراويةِ عن أسماءَ رضي الله عنها.

وأما حديثُ أبي أيوبَ الأنصاريِّ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا ابنُ المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبةُ قال: حدثني عَونُ بنُ أبي جُحيفةَ عن البراء بنِ عازبٍ عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: «**خرج النبيُّ ﷺ وقد وجبت الشمسُ فسمع صوتاً، فقال: يهودُ تُعذّب في قبورها**»، رواه مسلمٌ[4] من طريق جماعة عن شعبة به.

وأما حديثُ أمِّ خالد، فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا مُعلّى حدثنا وَهيبٌ عن موسى بنِ عُقبةَ قال: «**حدثتني ابنةُ خالدِ بنِ سعيدِ بن العاص أنها سمعَتْ النبيَّ ﷺ وهو يتعوَّذ من عذاب القبر**».

---

(١) في صحيحه (٣/ ٢٣٢ رقم ١٣٧٣).
(٢) أي البخاري (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ رقم ١٨٤)، ومسلم (١/ ٦٢٤ رقم ٩٠٥).
(٣) في صحيحه (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٥).
(٤) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٩).
(٥) في صحيحه (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٦).

وقال[1] في كتاب الدعواتِ: حدثنا الحُميديُّ حدثنا سفيانُ حدثنا موسى بنُ عقبةَ به إلخ.

وأما حديثُ أبي هريرةَ فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبيدُ الله بنُ عمرَ القواريريُّ حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ حدثنا بُديلٌ عن عبد الله بنِ شقيقٍ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: **«إذا خرجت روحُ المؤمنِ تلقّاها ملكان يُصعِدانِها»**، قال حمادٌ: فذكر من طيب رِيحها وذكرَ المِسكَ قال: **«ويقول أهلُ السماء: روحٌ طيبةٌ جاءت من قِبَلِ الأرض، صلى اللّهُ عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تَعمُرينَه. فينطلق به إلى ربه عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجَل. قال: وإن الكافرَ إذا خرجت روحُه»** قال حمادٌ وذكَر من نَتْنها وذكر لعْناً **«ويقول أهلُ السماءِ: روحٌ خبيثةٌ جاءت من قِبَل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل»**. قال أبو هريرة: فردَّ رسولُ الله ﷺ رَيطةً كانت عليه على أنفه هكذا».

ولهما[3] عنه ﷺ قال: **«كان رسولُ اللّهِ ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبرِ، ومن عذاب النارِ، ومن فتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنة المسيحِ الدجال»**.

وقال الترمذي[4] رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في عذاب القبر. حدثنا أبو سلمةَ يحيى بنُ خلَفٍ البصريُّ أخبرنا بشرُ بن المفضّل عن عبد الرحمن بنِ إسحاقَ عن سعيدِ بنِ أبي سعيد المَقْبُريِّ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قُبر الميتُ ـ أو قال أحدُكم ـ أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقان يقال لأحدهما المنكرُ**

---

(١) أي البخاري في صحيحه (١١/ ١٧٤ رقم ٦٣٦٤).
(٢) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٢ رقم ٢٨٧٢).
(٣) أي للبخاري (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٧)، ولمسلم (١/ ٤١٢ رقم ٥٨٨).
(٤) في السنن (٣/ ٣٨٣ رقم ١٠٧١). وقال الترمذي: حديثٌ حسن غريب.
قلت: وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٦٤) وابن حبان (رقم: ٧٨٠ ـ موارد).
وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩١): وقال: «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

والآخرِ النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول ما كان يقول، هو عبدُ الله ورسولهُ أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولهُ. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينوّر له فيه، ثم يقال له نم، فيقول أرجعُ إلى أهلي فأخبرُهم، فيقولان نمْ كنومة العروسِ الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهلِه إليه حتى يبعثَه اللهُ من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعتُ الناسَ يقولون، فقلت مثلَه، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئِمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعُه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثَه من مضجعه ذلك.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا حسينُ بنُ محمدٍ عن ابن أبي ذِئبٍ عن محمد بنِ عمروِ بنِ عطاءٍ عن سعيدِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الميتَ يحضُره الملائكةُ، فإذا كان الرجلُ الصالحُ قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ الطيبةُ كانت في الجسد الطيّب، اخرُجي حميدةً وأبشري برَوْحٍ ورَيحان، وربٌّ غيرِ غضبانَ. قال: فلا يُزال يقال لها ذلك حتى تخرُجَ ثم يُعرَج بها إلى السماء فيُستفتح لها فيقال: مَن هذا؟ فيقال فلان. فيقولون: مرحباً بالروح الطيبةِ كانت في الجسد الطيب، ادخُلي حميدةً وأبشري برَوْحٍ ورَيحان وربٌّ غيرِ غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماءِ التي فيها اللهُ عز وجل.

وإذا كان الرجلُ السوءُ والعياذُ بالله قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ الخبيثةُ كانت في الجسد الخبيث، اخرُجي ذميمةً وأبشري بجحيم وغسّاقٍ وآخرَ من شكْله أزواجٍ، فلا يُزال يقال لها ذلك حتى تخرُجَ ثم يُعرَج بها إلى السماء، فيُستفتح لها فيقال مَن هذا فيقال هذا فلان، فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثةِ كانت في الجسد الخبيث، ارجِعي ذميمةً فإنه لا تفتح لك أبوابُ السماء، فيُرسل من السماء ثم يَصير إلى القبر».

---

(١) في المسند (٤/٣٦٤) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١٣): «هذا إسناد صحيح، رواه النسائي في التفسير وفي الملائكة كما تقدم قبل هذا بحديث.
وله شاهد من حديث البراء بن عازب، رواه أبو داود في سننه» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقال ابن حِبانَ في صحيحه[1]: حدثنا عمْرُو بنُ محمدِ الهمدانيُّ حدثنا زيدُ بنُ أخْزَمَ، حدثنا معاذُ بنُ هشام حدثني أبي عن قتادةَ عن قسام بنِ زهيرٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «إن المؤمنَ إذا قُبض أتَتْه ملائكةُ الرحمةِ بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرُجي إلى رَوح الله، فتخرُج كأطيب ريحِ مِسكٍ، حتى إنه لَيناولُه بعضُهم بعضاً يشمّونه حتى يأتوا به بابَ السماءِ فيقال: ما هذه الريحُ الطيبةُ التي جاءت من قِبَل الأرض؟ ولا يأتون السماءَ إلا قالوا مثلَ ذلك حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين فلهم أشدُّ فرحاً به من أهل الغائبِ بغائبهم.

فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعُوه حتى يستريحَ، فإنه كان في غم، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون ذُهب به إلى أمّه الهاوية. وأما الكافرُ فيأتَيه ملائكةُ العذابِ بمِسْح فيقولون اخرُجي إلى غضب الله تعالى، فتخرج كأنتنِ ريحِ جيفةٍ فيذهب به إلى باب الأرض».

زاد في رواية[2]: «وأما الكافرُ إذا قُبضت نفسهُ وذُهب بها إلى باب الأرضِ تقول خزَنةُ الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتنَ من هذه فيبلغ الأرضَ السُفلى».

وقال حمادُ بنُ سلمةَ عن محمد بنِ عمرَ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: «ذلك إذا قيل له في القبر: مَن ربُّك، وما دينُك، ومن نبيُّك؟ فيقول: ربيَ اللّهُ، وديني الإسلامُ ونبيي محمدٌ ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله فآمنتُ به

---

(١) رقم (٧٣٣ ـ موارد) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه النسائي (٤/٨ ـ ٩ رقم ١٨٣٣) وفي الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (١٠/٢٩٦ ـ ٢٩٧ رقم ١٤٢٩٠)، والحاكم (١/٣٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) بنحوه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي ابن حبان في صحيحه رقم (٧٣١ ـ موارد) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (٧٤١) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) والحاكم (١/٣٥١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وصدقتُ. فيقال له: صدقتَ، على هذا عشتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعث»[1].

وقال ابنُ جريرٍ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهدُ بنُ موسى والحسنُ بنُ محمدٍ قالا: حدثنا يزيدُ أخبرنا محمدُ بنُ عمْروٍ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إن الميتَ ليسمَعُ خفقَ نعالِكم حين تُولّون عنه مُدْبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسِهِ، والزكاةُ عن يمينه والصومُ عن يساره، وكان فِعلُ الخيراتِ من الصدقة والصلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناس عند رجليه، فيُؤتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ، فيؤتى عن يساره فيقول الصيامُ: ما قِبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فِعلُ الخيراتِ: ما قِبلي مدخل، فيقال له: اجلِس، فيجلِس قد مُثّلتْ له الشمسُ قد دنتْ للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أُصليَ، فيقال له: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيتَ هذا الرجلَ الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول، أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم، فيقول أشهد أنه رسولُ اللّهِ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدّقناه، فيقال له: على ذلك حَيِيتَ، وعلى ذلك مُتّ وعليه تُبعث إن شاء الله تعالى. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينوّر له، ويفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظرْ إلى ما أعد اللّهُ لك فيها، فيزداد غِبطةً وسروراً، ثم تُجعل نسمتُه في النسيم الطّيِّب، وهي طيرٌ خُضرٌ يعلق بشجر الجنة، ويُعاد الجسدُ إلى ما بدأ من التراب، وذلك قولُ الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢١٥) بسند حسن.

(٢) في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦) بسند حسن.

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وهناد في «الزهد» رقم (٣٣٨) وابن حبان (رقم: ٧٨١ ـ موارد) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٠٣).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥١ ـ ٥٢) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

ورواه ابنُ حبانَ[١] من طريق المُعتَمر بن سليمانَ عن محمد بنِ عمرٍو، وذكَر جوابَ الكافرِ وعذابَه.

وقال البزارُ[٢] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ بحرِ القراطيسيُّ، حدثنا الوليدُ بنُ القاسم حدثنا يزيدُ بنُ كيسانَ عن أبي حازمٍ عن أبي هريرةَ ـ أحسبَه رفعه ـ قال: **«إن المؤمنَ ينزل به الموتُ ويُعاين ما يعاين، فيودّ لو خرجتْ ـ يعني نفسَه ـ واللّهُ يحبّ لقاءَه. وإن المؤمنَ يصعَد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواحُ المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرضِ، فإذا قال: تركتُ فلاناً في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلاناً قد مات قالوا: ما جيء به إلينا.**

وإن المؤمنَ يجلِس في قبره فيُسأل: مَن ربُّك؟ فيقول: ربيَ اللّهُ عز وجل. ويُسأل: مَن نبيُّك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ نبيي، فيقال: ما دينُك؟ قال: ديني الإسلامُ.

فيفتح له بابٌ في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبرَ فكأنما كانت رقدةً. وإذا كان عدواً لله نزل به الموتُ وعاين ما عاين، فإنه لا يحب أن تُخرجَ روحُه أبداً واللّهُ يبغض لقاءَه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دَرَيت، فيفتح له بابٌ إلى جهنم ثم يضرب ضربةً تسمعها كلُّ دابةٍ إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش»، قلت لأبي هريرةَ: ما المنهوشُ؟ قال: الذي تنهشه الدوابُّ والحياتُ، ثم يضيق عليه قبرهُ. ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليدُ بنُ مسلم، وفي بعض النسخ ابنُ قاسم.

---

(١) في صحيحه (رقم: ٧٨١ ـ موارد) وقد تقدم آنفاً.

(٢) في المسند (١/ ٤١٣ ـ ٤١٤ رقم ٨٧٤ ـ كشف).
وقال البزار: لا نعلم رواه عن يزيد هكذا إلاّ الوليد.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه» اهـ.
وقال الأعظمي عقب كلام الهيثمي: «قلت: في طبقته سعيد بن محمد القراطيسي ذكره السمعاني، وابن الأثير فليحرر» اهـ.
قلت: سعيد بن بحر القراطيسي ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٩٣) ووثقه وليس من رواته الوليد بن مسلم بل هو الوليد بن قاسم كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٣) وكشف الأستار.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ وسلمانَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي الأسودِ حدثنا مُعتمرٌ سمعتُ أبي حدثنا قتادةُ عن عُقبةَ بنِ عبد الغافرِ عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ: **«أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفيمن كان قبلكم ـ قال كلمة، يعني: أعطاه اللَّهُ مالاً وولداً ـ فلما حضرتْهُ الوفاةُ قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ. قال: فإنه لم يَبتئِرْ عند الله خيراً[2] وإنْ يقدرِ اللَّهُ عليه يعذِّبه، فانظُروا إذا متّ فأحرِقوني حتى إذا صِرْت فحماً فاسحَقوني ـ أو قال فاسحكوني ـ فإذا كان يومُ ريحٍ عاصفٍ فاذْروني فيها. فقال نبيُّ اللَّهِ ﷺ: فأخذ مواثيقَهم على ذلك وربي.**

ففعلوا ثم أذرَوْه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كنْ، فإذا هو رجلٌ قائمٌ، قال الله: أيْ عبدي ما حملك على أنْ فعلتَ ما فعلتَ؟ قال: مخافتُك، أو فرَقٌ منك. قال: فما تلافاه أنْ رحِمه عندها»، وقال مرة أخرى: **«فما تلافاه»**، فحدثتُ به أبا عثمان فقال: سمعتُ هذا من سلمانَ، غيرَ أنه زاد فيه: **«اذروني في البحر»** أو كما حدَّث.

وفي رواية له[3] عن أبي سعيد قال: **«ففعلوا، فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتُك. فتلقّاه برحمة»**.

وقال[4] رحمه الله تعالى: «بابُ كلام الميتِ على الجنازة»، حدثنا قتيبةُ حدثنا الليثُ عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ عن أبيه أنه سمع أبا سعيدٍ الخُدريَّ رضي الله عنه يقول رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا وضعت الجنازةُ فاحتمَلَها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّموني قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلَها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ، ولو سمعها الإنسانُ لصَعِق»**.

---

(١) في صحيحه (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥ رقم ٣٤٨١)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٦).
(٢) أي لم يقدم لنفسه خبيئة خير. (د. أحمد الحكمي).
(٣) أي للبخاري (٦/ ٥١٤ رقم ٣٤٧٨).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١١١ رقم ٢٧٥٧).
(٤) أي البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤٤ رقم ١٣٨٠) و (٣/ ١٨١ رقم ١٣١٤) و (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥ رقم ١٣١٦).

وقال الإمامُ أحمدُ[١]: حدثنا أبو عامرٍ حدثنا عبّادُ بنُ راشدٍ عن داودَ بن أبي هندٍ عن أبي نضرةَ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: **«شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازةً، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أيها الناسُ، إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها، فإذا الإنسانُ دُفن وتفرّق عنه أصحابُه جاءه ملكٌ في يده مِطراقٌ من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا اللّهُ وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، فيقول له: صدقْتَ. ثم يُفتح له بابٌ إلى النار فيقول كان هذا منزلكَ لو كفرْتَ بربّك، فأما إذْ آمنتَ فهذا منزلُك، فيَفتحُ له باباً إلى الجنة، فيُريد أن ينهضَ إليه فيقول له: اسكُن اسكُن، ويُفسح له في قبره.**

وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً، فيقول: لا دَريتَ ولا تليتَ ولا اهتديت. ثم يَفتح له باباً إلى الجنة فيقول: هذا منزلُك لو كنتَ آمنتَ بربك، فأما إذْ كفرتَ به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، فيفتح له باباً إلى النار، ثم يَقمَعُه قمعةً بالمطراق فيَصيح صيَحةً يسمعها خلقُ اللّهِ عز وجل كلُهم غير الثقلين». فقال بعضُ القوم: يا رسولَ الله، ما أحدٌ يقوم عليك ملَكٌ في يده مِطراقٌ إلا هِيلَ عند ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: **«يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»**.

ولابن مِردَويه[٢] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] **في القبر»**.

وأما حديثُ سَمُرةَ بنِ جُندبٍ رضي الله عنه، فقال البخاريُّ[٣] رحمه الله تعالى: حدثنا

---

(١) في المسند (٣/٣، ٢٣٣، ٣٤٦) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه البزار (٢/ ٤١٢ رقم ٨٧٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٨) وقال: «رواه أحمد والبزار ـ وزاد: في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ـ ورجاله رجال الصحيح». اهـ.
وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٨٦٥) وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج٣/ ٢١٤).
وهو حديث صحيح، والله أعلم.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٨) وقد تقدم له شواهد.
(٣) في صحيحه (٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ رقم ١٣٨٦).

موسى بنُ إسماعيلَ حدثنا جريرُ بنُ حازم حدثنا أبو رجاءٍ عن سمرةَ بنِ جُندبٍ ﷺ قال: «كان النبيُ ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلةَ رؤيا؟ قال: فإن رأى أحدٌ قصّها، فيقول: ما شاء الله.

فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكني رأيتُ الليلةَ رجلين أتياني فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ، بيده ـ قال بعضُ أصحابِنا عن موسى ـ كلوبٌ من حديد يدخله في شِدقه حتى يبلُغَ قَفاه، ثم يفعل بشدقه الآخرِ مثل ذلك، ويلتئم شدقُه هذا، فيعود فيضع مثلَه.

قلت: ما هذا؟ قالا: انطلقْ، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجعٍ على قفاه، ورجلٌ قائمٌ على رأسه بفِهرٍ ـ أو صخرة ـ فيشرخ به رأسَه، فإذا ضربه تدَهْده الحجرُ، فانطلق إليه ليأخُذَه فلا يرجِع إلى هذا حتى يلتئمَ رأسُه، وعاد رأسُه كما هو فعاد إليه.

قلت: مَن هذا؟ قالا انطلقْ. فانطلقنا إلى ثُقب مثلِ التنّورِ، أعلاه ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ يتوقد تحتَه ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرُجوا فإذا خمدت رجَعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ.

فقلت: من هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجلٌ قائمٌ على وسط النهر ورجلٌ بين يديه حجارةٌ، فأقبل الرجلُ الذي في النهر فإذا أراد أن يخرُج رمى الرجلُ بحجر في فيه فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرُجَ رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان.

فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراءَ فيها شجرةٌ عظيمةٌ وفي أصلها شيخٌ وصِبيانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعِدا بي في الشجرة، أدخلاني داراً لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصِبيانٌ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضلُ، فيها شيوخٌ وشُبّان.

= وأطرافه: [رقم: ٨٤٥، ١١٤٣، ٢٠٨٥، ٢٧٩١، ٣٢٣٦، ٣٣٥٤، ٤٦٧٤، ٦٠٩٦، ٧٠٤٧].

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢٧٥).

قلت: طوّفتماني الليلةَ فأخبراني عما رأيتُ. قالا: نعم، أما الذي رأيتَه يشق شِدقَه فكذابٌ يحدث بالكَذْبة فتُحملُ عنه حتى تبلُغَ الآفاق، فيُصنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة. والذي رأيتَه يشرخ رأسَه فرجلٌ علمه اللّهُ القرآنَ فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيتَه في الثُقب فهم الزناةُ. والذي رأيتَه في النهر آكلوا الربا. والشيخُ في أصل الشجرة إبراهيمُ عليه السلام، والصبيانُ حوله فأولادُ الناس، والذي يوقد النارَ مالكٌ خازنُ النار، والدارُ الأولى التي دخلتَ دارُ عامةِ المؤمنين، وأما هذه الدارُ فدارُ الشهداء، وأنا جبريلُ وهذا ميكائيلُ، فارفع رأسَك، فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مثلُ السحاب، قالا: ذاك منزلُك. قلت دعَاني أدخلُ منزلي، قالوا: إنه بقيَ لك عمرٌ لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلك».

وأما حديثُ عثمانَ ﷺ فقال أبو داودَ(1): حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى الرازيُّ حدثنا هشامُ هو ابنُ يوسفَ عن عبد الله بنِ بُجَيرِ عن هانئٍ مولى عثمانَ عن عثمانَ رضي الله عنه قال: **«كان النبيُّ ﷺ إذا فرَغ من دفن الرجلِ وقف عليه وقال استغفِروا لأخيكم واسألوا له التثبيتَ فإنه الآن يُسأل»**. قال ابنُ حجرٍ: صحَّحه الحاكم.

وأما حديثُ عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ فقال التِّرمذيُّ(2) رحمه الله تعالى:

---

(1) في السنن (٣/ ٥٥٠ رقم ٣٢٢١).
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٣٧٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٦).
وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٢٥٧) إسناده جيد.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(2) في السنن (٥/ ٥٣٧ رقم ٣٥٢٠) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي».
وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (١٥٠٣) ورمز لضعفه.
وكذلك أورده الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣١٢) وضعفه.
قلت: في سنده: قيس بن الربيع «صدوق، تغير لما كبِرَ، وأدخل عليه ابنُه ما ليس من حديثه فحدَّث به»، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٥٧٣).
وعلي بن ثابت الجزري، «صدوق ربما أخطأ، وقد ضعفه الأزديُّ بلا حجة»، قاله الحافظ =

حدثنا محمدُ بنُ حاتمِ المؤدبُ أخبرنا عليُّ بنُ ثابتٍ حدثني قيسُ بنُ الربيع - وكان من بني أسدٍ - عن الأغر بنِ الصباح عن خليفةَ بنِ حُصينٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: «أكثرُ ما دعا به رسولُ الله ﷺ عشيةَ عرفةَ في الموقف: **اللهم لك الحمدُ كالذي تقول وخيراً مما نقول. اللهم لك صلاتي ونسُكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي ولك ربِّ تراثي. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبرِ ووسوسةِ الصدْرِ وشَتاتِ الأمر، اللهم إن أعوذ بك من شر ما تجيء به الريحُ**».

وأما حديثُ زيدِ بنِ ثابتٍ فقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ أيوبَ وأبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ جميعاً عن ابن عُلَيَّةَ. قال ابنُ أيوبَ: حدثنا ابنُ عُليّة قال: وأخبرني سعيدٌ الجَريريُّ عن أبي نَضْرةَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن زيد بنِ ثابتٍ قال أبو سعيد: «**ولم أشهده من النبي ﷺ في حائط لبني النجارِ على بغلة له ونحن معه إذ حادتْ به فكادت تُلْقيه، وإذا أقبُرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعة - قال: كذا كان يقول الجريريُّ - فقال: «مَن يعرفُ أصحابَ هذه الأقبُرِ؟» فقال رجلٌ: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذا الأمةَ تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبرِ الذي أسمع منه». ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النارِ». فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب القبر». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطَن». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطَن. قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجالِ». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال**».

وأما حديثُ جابرِ بنِ عبد اللّهِ، فقال الإمامُ أحمدُ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا

= في «التقريب» رقم (٤٦٩٦).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧).

(٢) في المسند (٣/٣٤٦).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٠٧٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٨) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات» اهـ. =

يحيى بنُ سعيد عن ابن جُريج أخبرني أبو الزبيرِ أنه سأل جابرَ بنَ عبد اللَّهِ عن فتّانَيِ القبرِ فقال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها، فإذا أُدخل المؤمنُ قبرَه وتولى عنه أصحابُه جاء ملكٌ شديدُ الانتهارِ فيقول له: ما كنتَ تقول في هذا الرجلِ؟ فأما المؤمنُ فيقول: إنه رسولُ الله وعبدهُ. فيقول له الملَكُ: انظُر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك اللَّهُ منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدَك الذي ترى من الجنة. فيراهما كِلَيهما. فيقول المؤمنُ: دعوني أُبشّرْ أهلي، فيقال له: اسكُن.

وأما المنافقُ فيُقعَدُ إذا تولى عنه أهلُه فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناسُ. فيقال له: لا درَيت، هذا مقعدُك الذي كان لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدَك من النار».

قال جابر: فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يُبعث كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات، المؤمنُ على إيمانه، والمنافقُ على نفاقه».

ولمسلم[(١)] عنه من حديث الكسوفِ وفيه: «وعُرضت عليَّ النارُ، فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيلَ تُعذَّب في هرة لها ربطتها فلم تُطعِمْها ولم تدعْها تأكلُ من خَشاش الأرض، ورأيتُ أبا ثمامةَ عَمْرَو بنَ مالكٍ يجُرّ قُصْبَه في النار - وفي رواية[(٢)] - لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أن يُصيبَني من لفحها. وحتى رأيت فيها صاحبَ المحجَنِ يجرّ قُصبَه في النار، كان يسرِق الحاجَّ بمِحْجنه، فإذا فطِن له قال: إنما تعلق بمِحجَني، وإن غُفِلَ عنه ذَهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحبةَ الهرةِ التي ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعْها تأكلُ من خَشاش الأرض حتى ماتت جوعاً» الحديث.

وأما حديثُ سعدِ بن أبي وقاصٍ ﷺ فرواه البخاريُّ[(٣)] من عدة طرقٍ عن

= قلت: وأخرج مسلم (٤/٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٨) الجزء الأخير قوله: «يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه».

(١) في صحيحه (٢/ ٦٢٢ رقم ٩/ ٩٠٤).

(٢) في صحيح مسلم (٢/ ٦٢٣ - ٦٢٤ رقم ١٠/ ٩٠٤).

(٣) في صحيحه (١١/ ١٧٨ رقم ٦٣٧٠).

مُصعبِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه ﷺ قال: **«كان النبيُّ ﷺ يعلّمنا هؤلاءِ الكلماتِ كما تُعلّم الكتابةُ: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من أن أُردَّ إلى أرذل العمُر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»**.

وأما حديثُ زيدِ بنِ أرقمَ فقال مسلمُ بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى في صحيحه[1]: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ ومحمدُ بنُ نُمير، واللفظُ لابن نُمَير، قال إسحاقُ أخبرنا ـ وقال الآخران حدثنا ـ أبو معاويةَ عن عاصمٍ عن عبد اللّهِ بنِ الحارث، وعن أبي عثمانَ النَّهديِّ عن زيدِ بنِ أرقمَ ﷺ قال: **«لا أقول لكم إلا كما كان رسولُ الله ﷺ يقول، كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسلِ، والجُبن والبُخلِ والهرم، وعذابِ القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»**، رواه النسائي[2].

وأما حديثُ أبي بكرةَ فأخرجه النسائيُّ[3] ﷺ عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في أثر الصلاةِ: **«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»**.

وأما حديثُ عبدِ الرحمن بنِ سَمُرَةَ فقال أبو عبدِ الله الحكيمُ التِرمذِيُّ في كتابه (نوادرُ الأصولِ)[4]: حدثنا أبي حدثنا عبدُ الله بنُ نافعٍ عن ابن أبي فديك عن

---

(١) (٢٠٨٨/٤ رقم ٢٧٢٢).

(٢) في السنن (٨/ ٢٦٠ رقم ٥٤٥٨) وهو حديث صحيح.

(٣) في السنن (٨/ ٢٦٢ رقم ٥٤٦٥) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٢) ورقم (٥٧٢) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٩) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وأبو داود رقم (٥٠٩٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٢) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٤) (ص٣٢٤).
قلت: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» كما في شرح الصدور (ص١٨٢)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٩) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف» اهـ. =

عبد الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ عن عبد الرحمن بنِ سَمُرةَ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ونحن في مسجد المدينةِ فقال: «إني رأيت البارحةَ عجيباً، رأيت رجلاً من أمتي جاء ملكُ الموتِ ليقبِضَ روحَه، فجاء بِرُّه بوالديه فردَّ عنه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذابُ القبر، فجاءه وُضوؤُه فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتَوَشَته الشياطينُ، فجاءه ذكرُ الله عز وجل فخلّصه من بينهم.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكةُ العذابِ فجاءته صلاتُه. فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً، كلما ورد حوضاً مُنع منه، فجاءه صيامُه فسقاه وأرواه.

ورأيتُ رجلاً من أمتي من بين يديه ظُلمةٌ ومن خلفه ظلمةٌ، وعن يمينه ظلمةٌ وعن شماله ظلمةٌ، ومن فوقه ظلمةٌ ومن تحته ظلمة، وهو متحيِّرٌ فيها، فجاءته حَجّتُه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيتُ رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين فلا يكلِّمونه، فجاءته صلةُ الرحِمِ فقالت: يا معشرَ المؤمنين كلِّموه، فكلَّموه.

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهَجَ النارِ وشرَرَها بيده عن وجهه، فجاءته صدقتُه فصارت له سِتراً على وجهه وظِلاًّ على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانيةُ من كل مكان، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيُه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

ورأيتُ رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبني اللَّهِ حجابٌ، فجاءه حسنُ خُلقِه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل.

= وقال العراقي في «المغني» رقم (٢٤٤٠): «رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق. بسند ضعيف» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

ورأيتُ رجلاً من أمتي قد هوَتْ صحيفتُه من قِبَل شمالِه، فجاءه خوفُه، من الله تعالى فأخذ صحيفتَه فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانُه، فجاءته أفراطُه فثقّلوا ميزانَه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنمَ، فجاءه وجَلُه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعُه التي بكت من خشية اللّهِ في الدنيا فاستخرجته من النار.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط كما ترعُد السَّعفةُ، فجاء حسنُ ظنِه بالله فسَكَّن رعْدتَه ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحَف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاتُه فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط.

ورأيتُ رجلاً من أمتي انتهى إلى باب الجنةِ فغُلّقت الأبوابُ دونه، فجاءته شهادةُ أن لا إله إلا الله ففتحتْ له الأبوابَ وأدخلَته الجنة».

ورواه القُرطبيُّ رحمه الله في تذكرته[1] وقال: هذا حديثٌ عظيمٌ ذكرَ فيه أعمالاً خاصةً تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرِو بن العاص فرواه النسائيُّ[2] عن عمْرِو بنِ شُعَيب عن أبيه عن جده قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الكسلِ والهَرم والمغرمِ والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيحِ الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبرِ وأعوذ بك من عذاب النار»**.

وللحكيم الترمذيّ[3] عنه ﷺ: **«أن رسولَ الله ﷺ ذكر فتّاني القبر، فقال**

---

(١) (١/ ٤٦٨ ـ ٤٧٠ رقم ٧٦٦) وهو حديث ضعيف كما تقدم آنفاً.

(٢) في السنن (٨/ ٢٦٩ رقم ٥٤٩٠). بسند حسن.
وللحديث شواهد في الصحيحين عن عائشة وأنس. فهو بها صحيح إن شاء الله.

(٣) في «نوادر الأصول» (ص٤١) بدون سند.
قلت: أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٢) والآجري في «الشريعة» (ص٣٦٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال=

عمر بنُ الخطابِ ﷺ: أتَرَدُّ لنا عقولُنا يا رسولَ الله؟ قال: نعم كهيئتكم اليومَ. فقال عمر: في فيه الحجرُ».

وروى البغويُّ[1] عنه ﷺ موقوفاً عليه: (إذا تُوفي العبدُ المؤمنُ أرسل اللّهُ عز وجل ملكين، وأرسل إليه بتُحفة من الجنة فيقال لها: اخرُجي يا أيتها النفسُ المطمئنة، اخرُجي إلى رَوح وريحانٍ وربٌّ عنكِ راضٍ. فتخرج كأطيبِ ريحِ مسكٍ وجده أحدٌ في أنفه، والملائكةُ على أرجاء السماءِ يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيبةٌ ـ أو نسمَةٌ طيبة ـ فلا تمرُّ بباب إلا فُتح لها، ولا بملكٍ إلاّ صلّى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمنُ عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيلَ: اذهب بهذه فاجعلْها مع أنفُس المؤمنين.

ثم يؤمر فيُوسَعُ عليه قبرهُ، سبعون ذِراعاً عَرضُه، وسبعون ذراعاً طولُه، ويُنبذ له الرَّيحانُ، وإن كان معه شيءٌ من القرآن كفاه نورُه، وإن لم يكن جُعل له نورٌ مثلُ الشمس في قبره، ويكون مثَلُه مثَلُ العروس ينام فلا يوقظه إلا أحبُّ أهلِه.

وإذا تُوفي الكافرُ أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعةً من بِجادٍ أنتنَ وأخشنَ من كل خشِنٍ، فيقال: يا أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى جهنمَ وعذابٍ أليم، وربٌّ عليكِ غضبانَ).

وأما حديثُ أبيه عمْرو بنِ العاصِ فرواه مسلمٌ[2] في قصة وفاتِه مطوّلاً، وفيه: «**فإذا أنا متُّ فلا تصحَبْني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ الترابَ شناً، ثم أقيموا حولَ قبري قَدْرَ ما تُنحَر جَزورٌ ويُقسَمُ لحمُها، حتى أستأنِسَ بكم وأنظُرَ ماذا أراجع به رُسلَ ربي عزَّ وجل**».

وأما حديثُ أمِّ مبشرٍ فأخرجه عنها ابنُ أبي شيبةَ في مصنفه[3] قالت: دخل

= أحمد رجال الصحيح» اهـ.

قلت: في سنده أحمد ابن لهيعة وفيه كلام، وحيي بن عبد الله المعافري: ليس من رجال الصحيح، وهو حسن الحديث.

(1) في «معالم التنزيل» (٨/ ٤٢٤) عن عبد الله بن عمرو. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٨) رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات».

(2) في صحيحه (١/ ١١٢ رقم ١٢١).

(3) (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤ رقم ٩١٩٦). =

عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجارِ فيه قبورٌ، منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج، فسمعتُه يقول: «**استعيذوا بالله من عذاب القبرِ**»، قلت: يا رسولَ الله! وللقبر عذابٌ؟ قال: «**إنهم لَيُعذَّبون عذاباً في قبورهم تسمعُه البهائم**».

وأما حديثُ أبي قتادةَ ﷺ فقال ابنُ أبي حاتم[1]: حدثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حكيم الأَوْديُّ حدثنا شريحُ بنُ مَسلمةَ حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ عن أبيه عن أبي إسحاقَ عن عامرِ بنِ سعدِ البَجَليِّ عن أبي قتادةَ الأنصاريِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. الآية.

قال: «**إن المؤمنَ إذا مات أُجلِس في قبره فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: اللَّهُ عز وجل. فيقال له: من نبيُّك؟ فيقول: محمدُ بنُ عبدِ الله ﷺ. فيقال له ذلك مرَّاتٍ، ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زُغْتَ، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذْ ثبتَّ.**

وإذا مات الكافرُ أُجلس في قبره فيقال له: من ربُّك، من نبيُّك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناسَ يقولون، فيقال له: لا درَيت. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ. ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذْ زُغت. فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(١) في تفسيره (٧/ ٢٢٤٤ رقم ١٢٢٦٦)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٥٤) مسنداً.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٤٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٤) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد بن محمد بن صدقة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
قلت: لقد عرف الهيثمي شيخه أحمد بن محمد بن صدقة في أحاديث كثيرة، وصحح أحاديثه. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٠) و «التذكرة» للذهبي (٢/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ رقم ٧٤٥) و «بلغة القاصي الداني في تراجم شيوخ الطبراني» (١/ ٧٤ رقم ١٤١).
وخلاصة القول أن سنده صحيح.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ مسعود فقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا جريرٌ عن الحسن بنِ عبيدِ الله عن إبراهيمَ بنِ سُويدٍ عن عبد الرحمنِ بنِ يزيدَ عن عبد الله ﷺ قال: كان نبيُّ اللّهِ ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملكُ لله، والحمدُ لله لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له**»، قال: أراه قال فيهن: «**له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير. ربِّ أسألك خيرَ ما في هذه الليلةِ وخيرَ ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلةِ وشرِّ ما بعدها. ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذاب في القبر**»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**».

حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ حدثنا حسينُ بنُ عليٍّ عن زائدةَ عن الحسن بنِ عبيدِ الله إلخ بنحوه، وفيه «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرِمِ وسوءِ الكِبَرِ وفتنةِ الدنيا وعذابِ القبر**»[2].

وقال النسائيُّ[3]: أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ قال: حدثنا الفضلُ بنُ موسى عن زكريا عن أبي إسحاقَ عن عمرِو بنِ ميمونَ عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: «**كان النبيُّ ﷺ يتعوَّذ من خمس: من البخل، والجبنِ، وسوءِ العُمر، وفتنةِ الصدر، وعذابِ القبر**».

وروى الطحاويُّ[4] عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**أمر بعبد من عباد اللّهِ أن**

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٨٩ رقم ٧٥/٢٧٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٨٩ رقم ٧٦/٢٧٢٣).

(٣) في السنن (٢/٢٥٦ رقم ٥٤٤٦) وهو حديث صحيح.

(٤) في «مشكل الآثار» (٨/٢١٢ رقم ٣١٨٥) بسند حسن.

وأورده ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/٢٣٩). والقرطبي في «التذكرة» (١/٢٧٠ رقم ٤٤٨).

* وأخرجه هناد في «الزهد» رقم (٣٦٢) وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٥٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٤٤) من كلام عمر بن شرحبيل. ورجاله ثقات، ولكنه يرويه أبو إسحاق السبيعي معنعناً وهو مدلس.

* وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/٤٤٣ رقم ١٣٦١٠) من حديث عبد الله بن عمر.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٦٨) وقال: «وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف» اهـ.

يُضربَ في قبره مائةَ جلدةٍ، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدةً فامتلأ عليه قبرُه ناراً». الحديث ذكره العينيُ في شرح البخاريّ واللّهُ أعلمُ بصحته. وعزاه في التبصِرة إلى أبي القاسمِ الحريري، وتقدم عنه قريباً حديثُ أمّ حبيبةَ، وفيه الاستعاذةُ من عذاب القبر.

وأما حديثُ أبي طلحةَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثني عبدُ الله بنُ محمدٍ سمع رَوحَ بنَ عبادةَ حدثنا سعيدُ بنُ أبي عَروبةَ عن قتادةَ قال: ذكر لنا أنسُ بنُ مالكٍ عن أبي طلحةَ: **«إن نبيّ اللّهِ ﷺ أمرَ يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريشٍ فقُذِفوا في طُوىً من أطواء بدْر خبيثٍ مُخبَثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرَصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليومَ الثالثَ أمر براحلته فشُدّ عليها رَحلُها، ثم مشى واتبعه أصحابُه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شَفة الرَكِيّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماءِ آبائِهم: يا فلانُ ابنَ فلانٍ، يا فلانُ ابنَ فلان، أيسُرّكم أنكم أطعتم الله ورسولَه، فإنا قد وجدْنا ما وعدنا رُبنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدَكم ربُكم حقاً؟**

قال فقال عمرُ: يا رسولَ الله ما تُكلِّم من أجساد لا أرواحَ لها؟ قال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم بأسمعَ لِما أقولُ منهم». قال قَتادةُ: أحياهم اللّهُ تعالى حتى أسمَعهم قولَه توبيخاً وتصغيراً ونَقِمةً وحسرةً وندماً.

وأما حديثُ أسماءَ الآخرُ فقال الإمامُ أحمدُ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا حجينُ بنُ المثنى حدثنا عبدُ العزيز بنُ أبي سَلَمةَ الماجَشونُ عن محمد بنِ المنكدرِ قال: كانت أسماءُ ـ يعني بنتَ الصدّيقِ رضي الله عنهما ـ تحدّث عن النبي ﷺ قالت: قال: **«إذا دخل الإنسانُ قبرَه فإن كان مؤمناً أحفّ به عملُه الصلاةُ والصيامُ، قال فيأتيه**

= قلت: ومثله أيوب بن نهيك.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ رقم ٣٩٧٦).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤ رقم ٢٨٧٥).

(٢) في المسند (٦/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) بسند صحيح.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٨٦ رقم ٢٣٠) و (٢٤/ ١٠٥ رقم ٢٨١) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥١) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

المَلَكُ من نحو الصلاةِ فتردُه، ومن نحو الصيام فيردّه، قال: فيناديه: اجلِس، فيجلِس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجلِ؟ يعني النبيَّ ﷺ، قال: مَن؟ قال: محمدٌ. قال: أشهد أنه رسولُ الله. قال فيقول: على ذلك عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعث.

وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملكُ ليس بينه وبينه شيءٌ يردّه فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجلِ؟ قال: أيُّ رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: واللَّهِ ما أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه. قال له الملكُ: على ذلك عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعث. قال ويسلّط عليه دابةٌ في قبره معها سَوطٌ ثمرتُه جَمرةٌ مثلُ عُرفِ البعيرِ تضربه ما شاء الله، صماءُ لا تسمع صوتَه فترحَمَه». والأنسبُ لمكان هذا الحديثِ أن يُنقل عند حديثي أسماءِ الأولين.

وأما حديثُ عبدِ الرحمنِ بنِ حسنةَ فقال أبو داودَ[1]: حدثنا مسدّدٌ حدثنا عبدُ الواحد بنُ زيادٍ حدثنا الأعمشُ عن زيد بنِ وهبٍ عن عبد الرحمنِ بنِ حسنةَ قال: «انطلقتُ أنا وعمرو بنُ العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومعه دَرَقةٌ، ثم استتر بها ثم بال فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبولُ المرأةُ، فسمِع ذلك فقال: ألم تعلموا ما لقيَ صاحبُ بني إسرائيلَ، كانوا إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البولُ منهم فنهاهم فعُذّب في قبره»، ورواه النسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3].

أما حديثُ تميمِ الدّاري فرواه أبو يَعلى[4] الموصِلي بسنده عنه مطولاً بسياق

---

(١) في السنن (١/ ٢٦ رقم ٢٢).
(٢) في السنن (١/ ٢٦ ـ ٢٨ رقم ٣٠).
(٣) في السنن (١/ ١٢٤ رقم ٣٤٦).
وهو حديث صحيح.
(٤) لم أجده في مسند تميم الداري في مسند أبي يعلى المطبوع.
وقد أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) مسنداً.
وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٦٨٣) وبكر بن خنيس صدوق له أغلاط. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٣٩).
وضرار بن عمرو لم أجد له ترجمة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

عجيبٍ ومتينٍ غريب، وغالبُ معناه في الأحاديث الصحيحةِ فلا نطيل بسياقه استغناءً عنه بغيره، ولله الحمدُ والمنّة.

وأما حديثُ حذيفةَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا أبو عَوانةَ عن عبد الملكِ بنِ عُميرٍ عن رُبيعيِّ بنِ حِراشٍ قال: قال عقبةُ لحذيفةَ: **«ألا تحدثنا ما سمعتَ من النبي ﷺ؟ قال: سمعتُه يقول: إن رجلاً حضره الموتُ لما يئس من الحياة أوصى أهلَه إذا متُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أورُوا ناراً حتى إذا أكلتْ لحمي وخلُصتْ إلى عظمي فخذوها فاطحَنوها فذَرُوني في اليم في يومٍ حارٍّ أو راحٍ، فجمعه اللّهُ فقال: لم فعلتَ؟ قال: خشيتُك. فغفر له»**. قال عقبةُ: وأنا سمعتُه يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانةَ حدثنا عبدُ الملك وقال: **«في يوم راحٍ»** وقد تقدمت هذه القصةُ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ[2].

وقد رواها البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى أيضاً من حديث أبي هريرةَ فقال: حدثني عبدُ الله بنُ محمدٍ حدثنا هشامٌ أخبرنا مَعمرٌ عن الزُهريّ عن حميد بنِ عبد الرحمنِ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«كان رجلٌ يسرف على نفسه، فلما حضَره الموتُ قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرِقوني ثم اطحَنوني ثم ذرُوني في الريح، فواللّهِ لئن قدَر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر اللّهُ تعالى الأرضَ فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلتْ، فإذا هو قائمٌ، فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: يا ربِّ خشيتُك حملتْني. فغُفر له»**، وقال غيره: **«مخافتُك يا رب»**، ومحلُّ هذا الحديثِ مع أحاديثِ أبي هريرةَ المتقدمةِ فلينقَلْ إلى هناك.

وأما حديثُ أبي موسى فرواه أحمدُ[4] والتِرمذيُّ[5] وحسنه والحاكمُ[6]

---

(١) في صحيحه (١١/٣١٢ رقم ٦٤٨٠).
(٢) البخاري في صحيحه (١١/٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ٦٤٨١).
(٣) في صحيحه (٦/٥١٤ ـ ٥١٥ رقم ٣٤٨١) وطرفه: (٧٥٠٦).
(٤) في المسند (٤/٤١٤) بسند صحيح.
(٥) في السنن (٣/٣٢٦ رقم ١٠٠٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٦) في المستدرك (٢/٤٧١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/٥٠٨ رقم ١٥٩٤). =

وصحّحه، وهذا لفظُ أحمدَ: عن أبي موسى ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **«الميتُ يعذب ببكاء الحيّ، إذا قالت النائحةُ: واعضُداه، واناصِراه، واكاسِباه، جُبِذَ الميتُ وقيل: أنت عضُدُها، أنت ناصرُها، أنت كاسبُها؟»**. ولفظُ الترمذيِّ: **«ما من ميتٍ يموت فيقوم باكيه فيقول: واجَبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وُكّل به ملكانِ يلهَزانِه: أهكذا كنت؟»**.

وأما حديثُ النعمانِ بنِ بشيرٍ فرواه الشيخانِ البخاريُّ[1] ومسلمٌ[2] عنه ﷺ قال: **«أُغميَ على عبد اللَّهِ بنِ رَواحةَ، فجعلت أختُه عَمْرةُ تبكي: واجَبلاه، واكذا واكذا تعدّد عليه، فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنتَ كذلك؟ فلما مات لم تبْكِ عليه ﷺ»**.

وأما حديثُ عوفِ بنِ مالكٍ فقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثني هارونُ بنُ سعيدٍ الأيْليُّ أخبرني ابنُ وهْب أخبرني معاويةُ بنُ صالحٍ عن حبيبِ بنِ عُبيدٍ عن جُبير بنِ نفيرٍ سمعه يقول: سمعتُ عَوفَ بنَ مالك يقول: **«صلّى رسولُ الله ﷺ على جنازةٍ فحفِظتُ من دعائه وهو يقول: اللهم اغفِر له وارحمْه وعافِه واعفُ عنه وأكرمْ نزُلَه ووسِّع مُدخَله واغسِله بالماء والثلجِ والبَرد، ونقِّهِ من الخطايا كما نقّيْتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس، وأبدِله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخلْه الجنةَ، وأعِذْه من عذابِ القبرِ ومن عذابِ النار»**، قال: حتى تمنّيتُ أن أكونَ ذلك الميتَ.

وفي رواية[4]: **«وقِه فتنةَ القبر وعذابَ النار»**.

= وفيه موسى بن أبي موسى الأشعري: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠١٥) وللحديث شواهد تقدم بعضها، ومنها الذي يأتي.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٧/٥١٦ رقم ٤٢٦٧) وطرفه رقم (٤٢٦٨).

(٢) لم يخرجه مسلم، انظر: تحفة الأشراف (٩/٢٥ رقم ١١٦٢٩).

(٣) في صحيحه (٢/٦٦٢ ـ ٦٦٣ رقم ٨٥/٩٦٣).

(٤) لمسلم في صحيحه (٢/٦٦٣ رقم ٨٦/٩٦٣).

[الأدلة من الكتاب والسنة في لقاء الله في الآخرة]

(وبالـلـقـا والـبـعـثِ والـنـشـورِ وبـقـيـامـنـا مـن الـقـبـور)
(غُـرْلاً حُـفـاةً كـجـرادٍ مـنـتـشـرْ يـقـول ذو الـكُـفـرانِ: ذا يـومٌ عَـسِرْ)

أي ويدخُل في الإيمان باليوم الآخرِ الإيمانُ بلقاء اللّهِ عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] وغيرُها من الآيات.

وفي الصحيح[١] عن عائشة ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءَه، ومن كره لقاءَ اللَّهِ كره اللَّهُ لقاءَه»**، فقلت: يا نبيَّ اللَّهِ أكراهيةَ الموت؟ فكلُّنا نكره الموتَ. فقال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمنَ إذا بُشِّر برحمة اللَّهِ ورضوانِه وجنتِه أحبَّ لقاءَ اللَّهِ فأحب اللَّهُ لقاءَه، وإن الكافرَ إذا بُشِّر بعذاب اللَّهِ وسخطه كرِه لقاءَ الله وكره اللَّهُ لقاءَه** ـ وفي رواية[٢] ـ **والموتُ قبل لقاءِ الله»**.

وفيه[٣] عن شُريحِ بن هانىءٍ عن أبي هريرةَ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحب لقاء اللَّهِ أحبَ اللَّهُ لقاءَه، ومن كره لقاءَ اللَّهِ كره الله لقاءَه»**، قال: فأتيتُ عائشةَ فقلت: يا أمَّ المؤمنين، سمعتُ أبا هريرةَ يذكر عن رسول اللَّهِ ﷺ حديثاً، إن كان كذلك فقد هلكْنا. فقالت: إن الهالكَ من هلك بقول رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحب لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءه، ومن كره لقاءَ الله كره اللَّهُ لقاءه»**، وليس من أحد إلا وهو يكره الموتَ. فقالت: قد قاله رسولُ الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخَص البصرُ وحشْرجَ الصدْرُ واقشعرّ الجِلدُ وتشنجّت الأصابعُ فعند ذلك من أحب لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءَه.

وفيه[٤] عن عبادةَ بنِ الصامتِ وأبي موسى الأشعريّ[٥] عن النبي ﷺ، المرفوعُ من دون شرحِه.

وفيه[٦] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: **«قالوا: يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا**

---

(١) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥ ـ ٢٠٦٦ رقم ١٥/ ٢٦٨٤).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٦ رقم ١٦/ ٢٦٨٤).
(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٦ رقم ١٧/ ٢٦٨٥).
(٤) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥ رقم ١٤/ ٢٦٨٣).
قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٧).
(٥) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٧ رقم ١٨/ ٢٦٨٦).
قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٨).
(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٩ رقم ١٦/ ٢٩٦٨).

يومَ القيامة؟ قال: هل تُضارّون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا لا. قال: فهل تضارُّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربِكم إلا كما تضارّون في رؤية أحدِهما.

قال فيَلقى العبدَ فيقول أيْ: قل ألم أُكرِمْك وأسوّدْك وأزوّجْك وأسخّرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْك ترأَسُ وتربَعْ؟ فيقول بلى. قال: فيقول: أفظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟، فيقول: لا، فإني أنساك كما نسِيتَني.

ثم يلقى الثانيَ، فيقول: أي قل، ألم أكرمْك وأسوّدك وأزوجك وأسخّر لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترأسُ وتربع؟ فيقول: بلى أي ربِّ، فيقول: أفظننتَ أنك ملاقيّ؟ فيقول لا. فيقول: فإني أنساك كما نسِيتَني.

ثم يلقى الثالثَ فيقول له مثلَ ذلك فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصلّيتُ وصُمتُ وتصدّقتُ، ويُثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذاً. قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدَنا عليك. ويتفكر في نفسه مَن الذي يشهد عليّ؟ فيُختم على فيه ويقال لفخِذه ولحمِه وعظامِه: انطِقي، فتنطِق فخِذُه ولحمُه وعظامُه بعلمه، وذلك ليُعذَرَ من نفسه، وذلك المنافقُ، وذلك الذي يسخَط الله عليه».

وفي حديث القُرّاءِ أصحابِ بئرِ مَعُونةَ[1]: «**بلّغوا قومَنا عنا أنْ قد لَقِينا ربَّنا فرضِيَ عنا ورضِينا عنه**».

ورُوي أنه كان قرآناً فُنسخت تلاوتُه. والآيات والأحاديثُ في إثبات لقاءِ الله عز وجل كثيرةٌ جداً، ومن كذَّب بذلك كفر.

[الإيمان بالبعث والنشور]

(والبعثِ والنشور) أي ويدخُل في الإيمان باليوم الآخِر ـ الإيمانُ بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيلَ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقر].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٨ رقم ٦٧٧) من حديث أنس بن مالك.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ [الأنعام] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤٧ ـ ٤٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٧ ـ ٩٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ١٩ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ

ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم] الآيات إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى

قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى عن كفر عاد: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ

فِي ٱلْآخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٦٤ - ٨٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ - إلى قوله - ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ٦ - ١١] الآيات - إلى قوله - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٥ - ٢٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ

كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم] الآيات. وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١٠ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ١١ ـ ٢٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦] الآيات.

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ١ - ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] إلى آخر السورة. **وسورة الواقعةِ بتمامها.**

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٦ - ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. الآيات. **وسورة الحاقة بكمالها.**

وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج].

وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة].

وجاء جوابُه في الحديث: «**بلى إنه على كل شيءٍ قدير**»(١).

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» رقم (٧٣٨٥) وأبو داود (١/ ٥٥٠ ـ ٥٥١ رقم ٨٨٧) والترمذي (٥/ ٤٤٣ رقم ٣٣٤٧) والحاكم (٢/ ٥١٠).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾، فليقل آمنا بالله.**

ومن قرأ: ﴿والتين والزيتون﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

ومن قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾، فليقل: بلى.

قال إسماعيل: فذهبت أنظر هل حفظ؟ وكان أعرابياً، فقال: يا ابن أخي، أظننت أني لم أحفظه! لقد حججت ستين حجة ما منها سنة إلا أعرف البعير الذي حججت عليه!!».

قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لجهالة الراوي التابعي الذي لم يسم. اهـ.

وقال الترمذي: «هذا حديث إنما يُروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى» اهـ.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

وقال ابن كثير (٤/ ٤٨٢) وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له: من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة.

وحكم الألباني على الحديث بالضعف في ضعيف أبي داود رقم (١٨٨) وضعيف الترمذي رقم (٦٦٢) وغيرهما، **وهو كما قال حفظه الله.**

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] الآياتُ، بل السورةُ بتمامها، وجميعُ السوَرِ التي بعدها: **المرسلاتِ، والنبأ، والنازعاتِ، وعبسَ، والتكويرُ، والانفطارُ، والمطففين، والانشقاقُ، والطارقِ، والغاشيةِ، والفجرِ، والبلدِ، وغيرُها من السور، بل القرآنُ كلُه** من فاتحته إلى خاتمته مملوءٌ بذكر أحوالِ اليوم الآخرِ وتفاصيلِ ما فيه، وتقريرِ ذلك بأصدقِ الأخبارِ وضرب الأمثالِ للاعتبار والإرشادِ إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبرَ في بدَنه ويستدلَّ به على إعادته، وكذلك إحياءُ الأرض بعد موتِها فيُحْييها تعالى بالمطر فتصبحُ مُخْضرَّةً تهتز بعد موتِها بالقَحط، وهمودِها وخمودِها واسودادِها، فإذا أنزل عليها الماءَ اهتزتْ وربتْ وأنبتتْ من كل زوجٍ بهيج، ولهذا يذكُر إحياءَ الموتى بعد ذكر إحيائِه الأرضَ ليستدلَّ من له قلبٌ شهيدٌ على الآجل بالعاجل، وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وأما الأحاديثُ في هذا البابِ فكثيرةٌ جداً، وقد تقدم كثيرٌ منها في مواضعَ متفرِّقة، وقال البخاريُ[(١)] رحمه الله تعالى: «**حدثنا أبو اليمانِ حدثنا شعيبُ حدثنا أبو الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «قال الله: كذبني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبُه إياي فقولُه لن يعيدَني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته. وأما شتمُه إيايَ فقولُه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمدُ لم ألدْ ولم أولدْ ولم يكن لي كفواً أحدٌ**».

وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى في مسنده[(٢)] «**حدثنا أبو المغيرةِ حدثنا حَريزٌ حدثني عبدُ الرحمن بنُ ميسرةَ عن جُبير بنِ نُفَيرٍ عن بشير بنِ جِحاشٍ قال: إن رسولَ الله ﷺ: «بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعَه، قال رسولُ الله ﷺ:**

---

(١) في صحيحه (٨/ ٧٣٩ رقم ٤٩٧٤).

(٢) في المسند (٤/ ٢١٠) بسند حسن رجاله كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن ميسرة، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) قال ابن المديني: «مجهول، لم يرو عنه غير حريز. وقال أبو داود: شيوخ حريز كلهم ثقات. وقال العجلي: شامي تابعي، ثقة» اهـ.

قال الله تعالى: **بُنيَّ آدمَ أنّى تُعجزني وقد خلقتُك مثلَ هذه، حتى إذا سويتُك وعدَلتُك مشيتَ بين بُردَيك وللأرض منك وئيدٌ، فجمعتَ ومنعتَ، حتى إذا بلغَت التراقيَ قلتَ أتصدق، وأنى أوانُ الصدقة**». ورواه ابنُ ماجه[1] عن أبي بكرِ ابنِ أبي شيبةَ عن يزيدَ بنِ هارونَ عن حَريزِ بن عثمان به.

وقال ابن أبي حاتم[2]: حدثنا عليُ بنُ الحسينِ بنِ الجُنيد حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا عثمانُ بنُ سعيدِ الزياتُ عن هشيم عن أبي بشرٍ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن العاصَ بنَ وائلٍ أخذ عظماً من البطحاء ففتّه بيده ثم قال لرسول اللّهِ ﷺ: أيُحيي اللّهُ هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، يُميتك الله ثم يحييك ثم يُدخلك جهنمَ**»، قال: ونزلت الآيات من آخر يسٓ.

وروى مسلمٌ[3] من طريق مَعمرٍ عن همّام بنِ مُنَبهٍ قال: هذا ما حدثنا أبو هريرةَ عن رسول اللّهِ ﷺ، فذكر أحاديثَ، (منها): وقال رسولُ الله ﷺ: «**إن في الإنسان عظماً لا تأكلُه الأرضُ أبداً فيه يُركّب يوم القيامة. قالوا: أيُّ عظمٍ هو يا رسولَ الله؟ قال: عَجْبُ الذنب**».

وفيه[4] من طريق أبي الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ

---

(١) في السنن (٢/ ٩٠٣ رقم ٢٧٠٧).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٦٥ رقم ٩٦٠/ ٢٧٠٧)، «قلت: ليس لبسر عند ابن ماجه سوى هذا الحديث، وليس له رواية في شيء من الكتب الخمسة. وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات، رواه أحمد في مسنده من حديث بسر، وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة» اهـ.
قلت: وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٩٩).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٢) في تفسيره (١٠/ ٢٣٠٣ رقم ١٨١٢٦).
وفي سنده «عثمان الزيات» قال ابن حجر في «التقريب»: رقم (٤٤٧٣) لا بأس به.
قلت: لقد تابعه عمرو بن عون عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٧١ رقم ١٤٣/ ٢٩٥٥).

(٤) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧١ رقم ١٤٢/ ٢٩٥٥).

قال: «كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلا عجْبَ الذنب، منه خُلق وفيه يُرَكَّبُ».

وقال[١] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاء حدثنا أبو معاويةَ عن الأعمش عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بين النفختينِ أربعون ـ قالوا: يا أبا هريرةَ أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنةً؟ قال أبيت. ثم يُنزل اللَّهُ من السماء ماءً فينبتُون كما ينبُت البقلُ، قال: وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذنب، ومنه يُركب الخلقُ يوم القيامة».

ورواه البخاريُّ[٢] عن عمرَ بن حفصٍ عن أبيه عن الأعمشِ بمعناه، دون قوله: «ثم يُنزل الله تعالى من السماء ماءً».

وتقدم حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو قريباً[٣] وفيه: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً. قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوضَ إبلِه، قال فيصعَقُ ويُصعق الناسُ، ثم يرسل اللَّهُ ـ أو قال يُنزل الله ـ مطراً كأنه الطَّلُّ ـ أو الظِّلّ ـ نعمانُ الشاكُّ ـ فتنبُت منه أجسادُ الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناسُ، هلُموا إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسئولون، قال ثم يقال: أخرِجوا بعثَ النار، فيقول: مِن كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين، قال: فذلك يومُ يجعل الوِلدان شِيباً، وذلك يوم يُكشف عن ساق».

وفي الصحيح[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني أولُ من يرفع رأسَه بعد النفخةِ الآخرةِ، فإذا أنا بموسى متعلقٌ بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة».

وفي حديث الصورِ الآتي قريباً[٥] إن شاء الله: «ثم يُنزل الله عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر اللَّهُ السماءَ أن تُمطِرَ، فتُمطرُ أربعين يوماً حتى يكونَ الماءُ

---

(١) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١ رقم ١٤١/ ٢٩٥٥).
(٢) في صحيحه (٨/ ٥٥١ ـ ٥٥٢ رقم ٤٨١٤) وطرفه: ٤٩٣٥.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أي صحيح البخاري (٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٣).
(٥) سيأتي بكماله وتخريجه.

فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تنبُتَ، فتنبُتُ كنبات الطراثيثِ ـ أو كنبات البقْلِ ـ حتى إذا تكاملت أجسادُهم فكانت كما كانت، قال اللّهُ عز وجل: لِيَحْيَ حملةُ العرش، فيَحْيَون. ويأمر اللّهُ عز وجل إسرافيلَ فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه ثم يقول: لِيَحْيَ جبريلُ وميكائيلُ، فيحْيَيان. ثم يدعو اللّهُ بالأرواح لِيُؤتى بها، تتوهَج أرواحُ المسلمين نوراً وأرواحُ الكافرين ظُلمةً، فيقبِضُها جميعاً ثم يُلْقيها في الصور، ثم يأمر اللّهُ تعالى إسرافيلَ أن ينفُخَ نفخةَ البعث، فينفخ نفخةَ البعثِ، فتخرج الأرواحُ كأنها النحلُ قد ملأت ما بين السماءَ والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجِعنّ كلُ روح إلى جسده، فتدخُل الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد فتدخُل في الخياشيم ثم تمشي في الإجساد كما يمشي السُمُّ في اللديغ، ثم تنشق الأرضُ عنهم، وأنا أولُ من تنشقّ الأرضُ عنه، فتخرجُون سِراعاً إلى ربكم تنسِلون» الحديث.

[حديث لقيط بن عامر الطويل عن علم الغيب]

وروى الإمامُ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ في مسند أبيه[1] وفي كتاب السنة[2] له قال: كتب إليَّ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ محمد بنِ حمزةَ بنِ مُصعبِ بنِ الزُبيرِ الزُّبيريُّ: كتبتُ إليك بهذا الحديثِ وقد عرضتُه وسمعتُه على ما كتبتُ به إليك، فحدِّث بذلك عني، قال: حدثني عبدُ الرحمنِ بنُ المُغيرةِ الحزاميُّ قال: حدثنا

(١) (٤/١٣ ـ ١٤).

(٢) (٢/٤٨٥ ـ ٤٨٩ رقم ١١٢٠).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/٢١١ رقم ٤٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٦٣٦).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٣٨ ـ ٣٤٠) وقال: «رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات. والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً» اهـ.
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/٢٨٩): «إسناده ضعيف. وقد سبق الكلام عليه عندما ساقه المصنف ببعض متنه رقم (٥٢٤)» اهـ.
وقال الألباني أيضاً في المكان الذي أشار إليه: «إسناده ضعيف. دلهم بن الأسود وجده عبد الله بن حاجب، قال الذهبي: لا يعرفان. قلت: ومثلهما عبد الرحمن بن عياش الأنصاري وهو السمعي القبائي لم يوثقه غير ابن حبان. وفي «التقريب»: مقبول» اهـ.

عبدُ الرحمن بنُ عياشِ الأنصاريُّ عن دَلْهمِ بنِ الأسودِ بن عبد الله بنِ حاجبِ بنِ عامرِ بنِ المُنتفقِ العقيليِّ عن أبيه عن عمه لقيطِ بنِ عامرِ أنه خرج وافداً إلى رسول اللّهِ ﷺ ومعه صاحبٌ له: نُهَيكُ بنُ عاصمِ بنِ مالكِ بنِ المنتفق، قال لقيطٌ: خرجتُ أنا وصاحبي حتى قدِمنا على رسول اللّهِ ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداةِ، فقام في الناس خطيباً فقال: «**أيها الناسُ ألا إني قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعةِ أيام، ألا لتسمعوا اليومَ، ألا فهل امرؤٌ بعثه قومُه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسولُ اللّهِ ﷺ؟ ألا ثَمَّ رجلٌ لعله يُلهيه حديثُ نفسِه أو حديثُ صاحبِه أو يلهيه ضالٌّ، ألا إني مسئولٌ، هل بلَّغتُ؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلِسوا. فجلس الناسُ، وقمتُ أنا وصاحبي حتى إذا فرَغ لنا فؤادُه ونظرُه قلت: يا رسولَ الله ما عندك من علم الغيبِ؟ فضحك فقال: ضنّ ربك بمفاتيحِ خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا اللّهُ عز وجل، وأشار بيده، فقلت: ما هنّ يا رسولَ الله؟ قال: علمُ المنية، قد علم متى منيةُ أحدِكم ولا تعلمونه. وعلم المنيِّ حين يكون في الرحِم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما في غدٍ، قد علم ما أنت صانعٌ ولا تعلمُه. وعلم يومَ الغيث، يشرف عليكم أزْلين[1] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غَوثَكم إلى قريب.**

قال لقيطٌ: فقلت لن نعدَم من رب يضحك خيراً يا رسولَ الله.

قال: وعلم يومَ الساعة. قلنا: يا رسولَ الله علِّمنا مما تعلِّم الناسَ وتَعْلَم، فإنا مِن قَبيل لا يُصدِّق تصديقَنا أحدٌ، من مذْحِجَ التي تدنو علينا، وخثْعمَ التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تلبَثون فيها ما لبِثتم، ثم يُتوفى نبيُّكم، ثم يُبعث الصيحةَ، فلَعَمرُ إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكةُ الذين مع ربك، فأصبح ربُك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلادُ، فأرسل ربُك السماءَ تهضِب من عند العرشِ، فلَعَمرُ إلهك ما تدع على ظهرها من مصرَعِ قتيلٍ ولا مَدفِنِ ميتٍ إلا شَقّت القبرَ عنه حتى تُخلِفَه من عند رأسِه، فيستوي جالساً، فيقول ربُك: مَهْيَم، لِما كان فيه، يقول: يا ربِّ أمسِ اليومَ ـ لعهده بالحياة يحسَبه حديثاً بأهله.

(١) الأزل: الشدة والضيق والجرب. (د. أحمد الحكمي).

فقلت: يا رسولَ الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزّقنا الرياحُ والبلاءُ والسباع؟ قال: أُنبئك بمثل ذلك في آلاء اللّهِ، الأرضُ أشرف عليها وهي في مَدَرة بالية، فقلتَ لا تحيا أبداً، ثم أرسل اللّهُ عليها السماءَ فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شَرَبَةٌ واحدةٌ، ولعَمرُ إلهِك لهو أقدرُ على أن يجمعَكم من الماء على أن يجمعَ نباتَ الأرضِ فتخرُجون من الأصواء[1] ومن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظرُ إليكم.

قال قلت: يا رسولَ الله كيف ونحن ملءُ الأرض وهو شخصٌ واحدٌ ينظر إلينا وننظرُ إليه؟ قال: أُنبئُك بمثل هذا في آلاء اللّهِ، الشمسُ والقمرُ آيةٌ منه صغيرة وترَونها وترَيانِكم ساعةً واحدة ولا تُضامون في رؤيتهما.

قلت: فما يفعل بنا رُبنا إذا لقِيناه؟ قال: تُعرَضون عليه باديةً له صفحاتُكم لا تخفى عليه منكم خافيةٌ، فيأخذ ربُك عز وجل بيده غَرفةً من ماء فينضَح بها قِبلَكم، فلعمرُ إلهِك ما يُخطئ وجهَ أحدٍ منكم منها قطرةٌ، فأما المسلمُ فتدع وجَهه مثل الرّيطةِ البيضاءِ، وأما الكافر فينضحه ـ أو قال فينطحه ـ تمثل الحميمَ الأسود، ألا ثم ينصرف نبيُكم ويتفرق على أثره الصالحون فيسلُكون جِسراً من النار يطأ أحدُكم الجمرةَ يقول حسن يقول ربك عز وجل أو إنّهْ، ألا فتطلُعون على حوض نبيِّكم على أظمأِ واللّهِ ناهلةٍ قطُ ما رأيتَها، فلعمرُ إلهك ما يبسُط أحدٌ منكم يَده إلا وقع عليها قدَحٌ يطهره من الطَوْف والبولِ والأذى، وتُحبس الشمسُ والقمر فلا ترَون منها واحداً.

قال قلت: يا رسولَ الله فيمَ نُبصر؟ قال: بمثل بصرِك ساعتَك هذه، وذلك مع طلوع الشمسِ في يوم أشرق الأرضُ وواجهت به الجبارَ. قال: قلت: يا رسول الله فبمَ نُجزي من حسناتنا وسيئاتِنا؟ قال ﷺ: الحسنةُ بعشر أمثالِها، والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفوَ.

قال قلت: يا رسولَ الله ما الجنةُ وما النارُ؟ قال لعمر إلهِك إن النارَ لها سبعةُ أبوابٍ ما منها بابان إلا يسير الراكبُ بينهما سبعين عاماً. قلت: يا رسولَ الله فعلام

---

(١) الأصواء: القبور. أصلها من الصوى وهي الأعلام. (د. أحمد الحكمي).

نطلَع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مُصفى، وأنهارٍ من خمر ما بها صُداع ولا ندامةٌ، وأنهارٍ من لبن لم يتغيرٌ طعمهُ وماءٍ غيرِ آسِنٍ، وفاكهة، ولعَمرُ إلهِك ما تعلمون وخيرٌ من مثله معه وأزواجٌ مطهرة. قلت: يا رسولَ الله أوَ لنا فيها أزواجٌ ومنهن المُصلَحاتُ؟ قال: المصلحاتُ للصالحين، وفي لفظ الصالحاتُ للصالحين تلَذّونهن ويلَذّونكم مثلَ لذّاتكم في الدنيا غيرَ أن لا تَوالُدَ، قال لَقيطٌ: فقلت يا رسولَ الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يُجِبْه النبي ﷺ.

قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ علامَ أبايُعك. فبسط النبيُّ ﷺ يدَه وقال: على إقام الصلاةِ وإيتاء الزكاةِ وزيالِ المشرك وأنْ لا تُشركَ بالله إلهاً غيرَه.

قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ وإن لنا ما بين المشرقِ والمغرب؟ فقبض رسولُ الله ﷺ يدَه وظن إني مشترطٌ ما لا يُعطينيهِ.

قال قلت: نحِلُّ منها حيث شئنا ولا يَجني على امرئ إلا نفسُه.

فبسط يده وقال: لك ذلك تحِلّ حيث شئتَ ولا يجني عليك إلا نفسُك. قال فانصرفْنا عنه ثم قال: ها إنّ ذَينِ، ها إن ذين (مرتين)، من اتقى الناسَ في الأولى والآخرة. فقال له كعبُ بنُ الخِدارية أحدُ بني بكرِ بنِ كلابٍ: مَن هم يا رسولَ الله؟ قال: بنو المُنتفِق، بنو المنتفق أهلُ ذلك منهم قال: فانصرفنا.

وأقبلتُ عليه فقلت: يا رسولَ الله هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجلٌ من عُرْض قريشٍ: واللّهِ إن أباكَ المنتفقَ لفي النار. قال فكأنه وقع حرٌّ بين جلدِ وجهي ولحمِه مما قال لأبي على رؤوس الناسِ، فهمَمْتُ أن أقولَ: وأبوك يا رسولَ الله، ثم إذا الأخرى أجملُ فقلت: يا رسولَ اللّهِ وأهلُك؟ قال: وأهلي، لعَمرُ الله حيث ما أتيتَ على قبر (كافر) عامريّ أو قرشيّ أو دَوسي قل: أرسلني إليك محمد، فأبشِرْ بما يسوؤك، تُجرّ على وجهك وبطنِك في النار.

قال قلت: يا رسولَ الله وما فَعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يُحسنُون إلا إياه، وكانوا يحسبَون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ: ذلك بأن الله بعث في آخر كلّ سبعِ أممٍ نبياً فمن عصى نبيّه كان من الضالّين، ومن أطاع نبيّه كان من المهتدين».

ورواه إمامُ الأئمة محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ[1] قال: حدثنا محمدُ بنُ

(١) في «التوحيد» (ص١٨٦ ـ ١٩٠) وقد تقدم الكلام عليه آنفاً.

منصورِ الجوازُ أبو عبد الله قال: حدثنا يعقوبُ بنُ عيسى الزهريُّ قال: حدثنا عبدُ الرحمن بنُ المغيرةِ بنِ عبدِ الرحمن قال: حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عياشٍ الأنصاريُّ ثم السَّمعيُّ عن دَلْهم بن الأسودِ بنِ عبدِ الله عن أبيه عن عمه لَقيطِ بنِ عامرٍ أنه خرج وافداً إلى رسول اللّهِ ﷺ ومعه نُهَيكُ بنُ عاصمِ بنِ مالكِ بنِ المنتفِقِ، قال: فقدِمنا المدينةَ لانسلاخ رجبٍ، فصلَّينا معه صلاةَ الغداةِ، فقام رسولُ الله ﷺ في الناس خطيباً، وذكر الحديثَ بنحو ما تقدم معَ مغايرةٍ في بعض الألفاظ.

[تعليق الحافظ ابن القيم على حديث لقيط بن عامر]

وقال الحافظُ ابنُ القيم بعد أن ساقه في الهدي[1] عن زوائد المسندِ: «هذا حديثٌ كبيرٌ جليلٌ تنادي جلالَتُه وفخامتُه وعظمتُه على أنه قد خرج من مشكاة النبوةِ لا يُعرف إلا من حديث عبدِ الرحمن بن المغيرةِ بنِ عبد الرحمن المدَنيِّ، رواه عنه إبراهيمُ بنُ حمزةَ الزُبيريُّ وهما من كبار علماءِ المدينةِ ثقتانِ محتَجٌّ بهما في الصحيح، احتج بهما إمامُ أهلِ الحديثِ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ، ورواه أئمةُ السنةِ في كتبهم وتلقَّوه بالقَبول وقابلوه بالتسليم والانقيادِ ولم يطعن أحدٌ منهم فيه ولا في أحد من رواته.

فممن رواه الإمامُ ابنُ الإمامِ أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبل في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، وقال: كتب إليَّ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ مصعبِ بنِ الزبير الزُبيري: كتبتُ إليك بهذا الحديثِ وقد عرضتُه وسمعتُه على ما كتبتُ به إليك فحدِّثْ به عني.

ومنهم الحافظُ الجليلُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عمرٍو النبيلُ في كتاب «السنة» له.

ومنهم الحافظُ أبو أحمدَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ سليمانَ العسّالُ في كتاب «المعرفة».

ومنهم حافظُ زمانِه ومحدثُ أوانِه أبو القاسم سليمانُ بنُ أحمدَ الطبراني في كثير من كتبه.

---

(١) أي «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ٦٧٧ ـ ٦٨٦).

ومنهم الحافظُ أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ حبانَ أبو الشيخ الأصبهانيُّ في كتاب «السنة».

ومنهم الحافظُ ابنُ الحافظِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ مِنْدَه حافظُ أصبهانَ.

ومنهم الحافظ أبو بكر أحمدُ بنُ موسى بنِ مِردَويهِ.

ومنهم حافظُ عصرِه أبو نُعيم أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ إسحاقَ الأصبْهاني وجماعةٌ من الحفاظ سواهم يطول ذكرُهم.

وقال ابنُ مِندَه: روى هذا الحديثَ محمدُ بنُ إسحاقَ الصنعانيُّ، وعبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرُهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماءِ وأهلِ الدين جماعةٌ من الأئمة منهم أبو زُرعةَ الرازيُّ وأبو حاتمٍ وأبو عبد اللّهِ محمدُ ابنُ إسماعيلَ ولم يُنكره أحدٌ ولم يتكلم في إسناده، بل روَوه عليه سبيل القَبولِ والتسليم، ولا ينكر هذا الحديثَ إلا جاهلٌ أو متجاهلٌ أو مخالفٌ للكتاب والسنة. هذا كلامٌ أبي عبد الله بنِ مندَه.

قلت: وقال ابنُ كثيرٍ[1] بعد إيرادِه في الوفود: «هذا حديثٌ غريبٌ جداً، وألفاظُه في بعضها نَكارةٌ، وقد أخرجه الحافظُ البيهقيُّ في كتاب «البعثِ والنشور»، وعبدُ الحقِّ الإشبيليُّ في «العاقبة»، والقُرطبيُّ في كتاب «التذكرةِ في أحوال الآخرة». انتهى.

[تفسير ابن القيم لغريب مفردات حديث لقيط بن عامر]

قلت: وقد تكلم ابنُ القيم عن غريب بعض مفرداتِه فقال رحمه الله تعالى: قولُه: «تَهضِبُ» أي تُمطر. و«الأصواء» القبورُ. و«الشرَبةُ» بفتح الراءِ الحوضُ الذي يُجمع فيه الماء، [وبالسكون الحنظة][2]، يريد أن الماءَ قد كثُر فمن حيث شئتَ

---

(١) في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٤). وقال ابن كثير: «وسيأتي في كتاب البعث والنشور إن شاء الله تعالى» اهـ.

(٢) في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨): [وبالسكون والياء: الحنظلة].

تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبّه الأرضَ بخُضرتها بالنبات بخُضرة [الحِنطةِ][1] واستوائِها.

وقوله «حس» كلمةٌ يقولها الإنسانُ إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤمله، قال الأصمعي: وهي مثلُ أوّه. وقوله: يقول عز وجل «أوْ إنَّهْ»، قال ابنُ قتيبةَ: فيه قولانِ أحدُهما أن يكون بمعنى نعم، والآخرُ أن يكون الخبرُ محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول: و«الطَّوف» الغائط، وفي الحديث: «لا يُصلِّ أحدُكم وهو يُدافعُ الطَّوْفَ والبوْلَ»، و«الجسر» الصراط. وقولُه: فيقول ربُك «مَهيم» أي ما شأنُك وما أمرُك وفيمَ كنت؟.

وقوله: «يشرف عليكم أزْلين» الأزلُ - بسكون الزاي - الشدة، والأزِلُ على وزن الكتِفِ هو الذي قد أصابه الأزْلُ واشتد به حتى كاد يقنَط. وقوله: «فيظَلُّ يضحكُ» هو في صفات أفعالِه سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيءٌ من مخلوقاته كصفات ذاتِه. وقد وردت هذه القصةُ في أحاديثَ كثيرةٍ لا سبيلَ إلى ردها كما لا سبيلَ إلى تشبيهها وتحريفِها، وكذلك «فأصبح ربُك يطوف في الأرض» هو من صفات فعلِه كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] و«ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا»[2] - «ويدنو عشيةَ عرفةَ فيباهي بأهل الموقفِ الملائكةَ»[3]. والكلامُ في الجميع صراطٌ واحدٌ مستقيمٌ: إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تحريفٍ ولا تعطيل.

وقوله: «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موتَ الملائكةِ جاء في حديث صريحٍ إلا هذا وحديثَ إسماعيلَ بنِ رافعٍ الطويلِ في الصُّور، وقد يُستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: «فلعَمرُ إلٰهك» هو قسمٌ بحياةِ الربِّ جل جلاله، وفيه دليلٌ على جواز الإقسام بصفاتِه وانعقادِ اليمينِ بها، وأنها قديمةٌ، وأنه يُطلق عليه منها أسماءُ

(١) في «زاد المعاد» (٦٧٨/٣): [الحنظلة].

(٢)(٣) تقدم تخريجهما في أحاديث النزول.

المصادرِ ويوُصف بها. وذلك قدرٌ زائدٌ على مجرد الأسماءِ وأن الأسماءَ الحسنى مشتقةٌ من هذه المصادرِ، دالةٌ عليها.

وقوله: **«ثم تجيء الصائحة»** هي صيحةُ البعثِ ونفختُه. وقوله: **«حتى يُخلِفَ من عند رأسه»** هو من أخلف الزرعُ إذا نبت بعد حصادِه، تشبيهُ النشئةِ الأخرى بعد الموتِ بخلاف الزرْعِ بعد ما حُصد وتلك الخَلْفةِ من عند رأسه كما ينبُت الزرعُ. وقوله: **«فيستوي جالساً»** هذا عند تمامِ خِلقتِه وكمالِ حياتِه، ثم يقول بعد جلوسِه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامةِ إما راكباً وإما ماشياً.

وقوله: **«يقول يا رب أمس اليوم»** استقلالاً لمدة لُبْثِهِ في الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمسِ أو بعض، يوم فقال اليومَ يحسب أنه حديثُ عهدٍ بأهله، إنه إنما فارقهم أمسِ أو اليوم.

وقولُه: **«كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياحُ والبلاءُ والسباع»**؟ وإقرارُ رسولِ الله ﷺ له على هذا السؤالِ ردٌّ على مَن زعم أن القومَ لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائقَ الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأن أفراخَ الصابئةِ والمجوسِ من الجهمية والمعتزلةِ والقَدَرية أعرفُ منهم بالعمليات. وفيه دليلٌ أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يُشكل عليهم من الأسئلة والشُبهات، فيُجيبهم عنها بما يُثلج صدورَهم وقد أورد عليه ﷺ الأسئلةَ أعداؤُه وأصحابُه، أما أعداؤُه فللتعنّت والمغالبة، وأما أصحابُه فلِلفَهم والبيانِ وزيادةِ الإيمان، وهو يجيب كلًّا على سؤاله، إلا ما لا جوابَ عنه كسؤال عن وقت الساعة. وفي هذا السؤال دليلٌ على أنه سبحانه يجمع أجزاءَ العبدِ بعد ما فرّقها ويُنشِئُها نشأةً أخرى، أو يخلُقه خلقاً جديداً كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه.

وقوله: **«أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله»** آلاؤُه نِعمُه وآياتُه التي تَعرّف بها إلى عباده.

وفيه إثباتُ القياس في أدلة التوحيدِ والمَعادِ، والقرآنُ مملوءٌ منه.

وفيه أن حُكمَ الشيءِ حكمُ نظيرِه، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجزَ قدرتُه عن نظيره ومثلِه، فقد قرر اللَّهُ سبحانه أدلةَ المعاد في كتابه

أحسنَ تقريرٍ وأبينَه وأبلغَه، وأوصله إلى العقول والفِطَر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً في حكمه، تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً.

وقولُه في الأرض: «أشرفتَ عليها وهي مَدَرةٌ بالية» كقوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، ونظائرهُ في القرآن كثيرةٌ.

وقولُه: «فتنظرون إليه وينظر إليكم» فيه إثباتُ صفةِ التجلّي لله عز وجل وإثباتُ النظرِ له وإثباتُ رؤيتِه في الآخرة ونظرِ المؤمنين إليه.

وقوله: «كيف ونحن ملءُ الأرض وهو شخصٌ واحد»، قد جاء هذا الحديثِ وفي قوله في حديث آخرَ: «لا شخصَ أغيرُ من الله»[1]، والمخاطبون بهذا قومٌ عربٌ يعلمون المرادَ منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهُه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرفُ عقولاً وأصح أذهاناً وأسلمُ قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوعَ الرؤيةِ عِياناً برؤية الشمسِ والقمرِ تحقيقاً لها ونفياً لتوهّم المجازِ الذي يظنه المعطّلون.

وقوله: «فيأخذ ربُك بيده غَرفةً من الماء فينضَحُ بها قِبَلَكم»، فيه إثباتُ صفة اليدِ لله عز وجل بقوله، وإثباتُ الفعل الذي هو النضْحُ. و«الرَّيطة» الملاءة. و«الحُمم» جمع حُمَمة وهي الفحمة.

وقوله: «ثم ينصرف نبيكم»، هذا انصرافٌ من موضع القيامة إلى الجنة.

وقوله: «ويَفْرَق على أثره الصالحون»، أي يفزعون ويمضون على أثره.

وقوله: «فتطّلعون على حوض نبيِّكم»، ظاهرُ هذا أن الحوضَ من وراء الجسرِ فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسرَ.

وقد روى البخاريُّ[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «بينا أنا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣٦/٢ رقم ١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة. وعلقه البخاري (٣٩٩/٣ رقم الباب ٢٠) بصيغة الجزم.

(٢) في صحيحه (٤٦٥/١١ رقم ٦٥٨٧).

قائمٌ على الحوض إذا زُمرة، حتى إذا عرفتهُم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال لهم: هلُم، فقلتُ: إلى أين؟ فقال: إلى النار واللَّهِ. قلت: ما شأنهُم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلُص منهم إلا مثلُ هَمَلِ النَّعَم». قال فهذا الحديثُ مع صحته أدلُّ دليلٍ على أن الحوضَ يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراطَ إنما هو جسرٌ ممدودٌ على جهنمَ فمن جازه سَلِم من النار.

قلت: وليس بين أحاديثِ رسولِ الله ﷺ تعارُضٌ ولا تناقضٌ ولا اختلاف، وحديثُه كلُه يُصدّق بعضه بعضاً، وأصحابُ هذا القولِ إن أرادوا أن الحوضَ لا يُرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراطِ فحديثُ أبي هريرةَ هذا وغيرُه يردّ قولهم، وإن أرادوا أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصراطَ وقطعوه بدا لهم الحوضُ فشربوا منه فهذا يدل عليه حديثُ لقيطٍ هذا وهو لا يناقض كونَه قبلَ الصراط، فإن قولَه: «طولُه شهرٌ وعَرضُه شهر»، فإذا كان بهذا الطولِ والسَّعةِ فما الذي يُحيل امتدادَه إلى وراء الجسرِ فيرِدُه المؤمنون قبلَ الصراطِ وبعده، فهذا في حيز الإمكانِ، ووقوعُه موقوفٌ على خبر الصادقِ، واللَّهُ أعلم.

وقولُه: «واللَّهِ على أظمأ ناهلةٍ قطُّ»، الناهلةُ العِطاشُ الواردون الماء، أي يرِدونه أظمأ ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراطِ، فإنه جسرُ النار وقد وردوها كلُهم فلما قطعوه اشتدّ ظمأُهم إلى الماء فوَردوا حوضَه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة.

وقوله: «تُحبس الشمسُ والقمر»، أي تختفيان فتَحتبِسان ولا يُرَيانِ، والاحتباسُ التواري والاختفاء، ومنه قولُ أبي هريرةَ: «فانحبستُ».

وقولُه: «ما بين البابين مسيرةُ سبعين عاماً»، يحتمل أن يريدَ به ما بين الباب والبابِ هذا المقدارُ، ويحتمل أن يريد بالبابين المِصْراعين.

ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدُهما: أنه لم يصرّحْ فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرةَ أربعين عاماً، والثاني أن المسافةَ تختلف باختلاف سُرعةِ السيرِ فيها وبُطْئِه. واللَّهُ أعلمُ.

وقولُه في خمر الجنة: «ما بها صُداعٌ ولا ندامة»، تعريضٌ بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمالِ، وحصولِ الشرِّ الذي

يوجبه زوالُ العقل، و«ماءٍ غيرِ آسِنٍ» هو الذي لم يتغير بطول مُكثِه.

وقوله في نساء الجنة: «غيرَ أنْ لا توالُدَ»، قد اختلف الناسُ هل تلد نساءُ أهلِ الجنة؟ على قولين: فقالت طائفةٌ: لا يكون فيها حَبلٌ ولا وِلادة، واحتجت هذه الطائفةُ بهذا الحديثِ، وبحديث آخرَ أظنه في المسند وفيه: «غير أن لا مَنيَّ ولا منية»[1].

وأثبتت طائفةٌ من السلف الوِلادةَ في الجنة واحتجت بما رواه الترمذيُّ في جامعه[2] من حديث أبي الصديقِ الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ إذا اشتهى الولدَ في الجنة كان حملُه ووضعُه وسِنُّه في ساعة كما يشتهي» قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، ورواه ابنُ ماجه[3].

قالت الطائفةُ الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادةِ في الجنة فإنه علّقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويلُ إسحاقَ بنِ راهُويه حكاه البخاريُّ عنه، قالوا: والجنةُ دارُ جزاءٍ على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاءِ، قالوا: والجنةُ دارُ خلودٍ ولا موتَ فيها، فلو توالد فيها أهلُها على الدوام والأوابدِ لما وسِعَتْهم، وإنما وسعتْهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفةُ الأخرى عن ذلك كلِه وقالت: «إذا» إنما تكون للمُحقَّق وقوعُه لا المشكوكِ فيه، وقد صح أنه سبحانه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١١٣ رقم ٧٤٧٩) من حديث أبي أمامة. أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: «دحاماً دحاماً ولكن لا مني ولا منية».
قلت: في سنده «خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك» «ضعيف مع كونه كان فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين» قاله: الحافظ في «التقريب» رقم (١٦٨٨).
وأخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» عن أبي أمامة أيضاً. وفي سنده: «علي بن يزيد الألهاني» ضعيف. «التقريب» رقم (٤٨١٧).
* وقوله: ولا مني ولا منية: أي: لا إنزال ولا موت.
وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٦٨٤ التعليقة رقم (١).

(٢) أي في سننه (٤/ ٦٩٥ رقم ٢٥٦٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في السنن (٢/ ١٤٥٢رقم ٤٣٣٨).
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٩، ٨٠) والدارمي (٢/ ٣٣٧) وابن حبان في (رقم: ٢٦٣٦ ـ موارد) وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم: ٥٨٧).
قلت: للحديث شواهد ومتابعات.
وخلاصة القول أن الحديث حسن غريب كما قال الترمذي، والله أعلم.

يُنشئ في الجنة خلقاً ليُسكِنهم إياها بلا عمل، قالوا: وأطفالُ المسلمين أيضاً فيها بغير عملٍ، وأما من حيث سعتِها فلو رُزق كلُّ واحدٍ منهم عشرةُ آلافٍ من الولد وسِعتْهم، فإن أدناهم من ينظُر في ملكه مسيرةَ ألفيْ عامٍ.

وقوله: «**يا رسولَ الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون**»، لا جوابَ لهذه المسألة؛ لأنه إن أراد أقصى مدةِ الدنيا وانتهائِها فلا يعلمه إلا اللَّهُ، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخولِ الجنة والنار فلا تعلم نفسٌ أقصى ما يُنتهى إليه من ذلك، وإن كان الانتهاءُ إلى نعيم وجحيم؛ ولهذا لم يُجبْه النبيُّ ﷺ.

وقولُه في عقد البَيْعة: «**وزيال المشرك**» أي مفارقتَه ومعاداتَه فلا تجاورُه ولا تواليه، كما جاء في الحديث الذي في السنن: «**لا تُرى ناراهما**»[1] يعني المسلمين والمشركين.

وقوله: «**حيث ما مررتَ بقبر كافرٍ فقل: أرسلني إليك محمدٌ**»، هذا إرسالُ تقريعٍ وتوبيخٍ، لا تبليغِ أمرٍ ونهيٍ. وفيه دليلٌ على سماعِ أصحابِ القبورِ كلامَ الأحياء، وخطابِهم لهم، ودليلٌ على أن من مات مشركاً فهو في النار وإن مات قبل البِعثة، لأن المشركين كانوا قد غيّروا الحنيفية دين إبراهيمَ واستبدلوا بها الشِركَ وارتكبوه، وليس معهم حجةٌ من الله به، وقُبحُه والوعيدُ عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسلِ كلِّهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبارُ عقوباتِ الله لأهله متداوَلةٌ بين الأمم قَرناً بعد قرْنٍ، فلله الحجةُ البالغةُ على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطَر عبادَه عليه من توحيد ربوبيتِه المستلزمِ لتوحيد إلٰهيّتِه وأنه يستحيل في كل فِطرةٍ وعقلٍ أن يكون معه إلهٌ آخرٌ، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرةِ وحدها، فلم تزل دعوةُ الرسلِ إلى التوحيد في الأرض معلومةً لأهلها، فالمشركُ يستحق العذابَ بمخالفته دعوةَ الرسل. والله أعلم» اهـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥ رقم ٢٦٤٥) والترمذي (٤/ ١٥٥ رقم ١٦٠٤) والنسائي (٨/ ٣٦ رقم ٤٧٨٠).

من حديث جرير بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»، **قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تَرَاءى نارَاهما»** بسند حسن.

وله طريق آخر بإسناد صحيح عند أحمد (٤/ ٣٦٥) والبيهقي (٩/ ١٣) بلفظ: «**وتفارق المشرك**».

وقال الألباني: حديث صحيح دون جملة «العقل».

فَصل
[منكرو البعث على أربعة أصناف]

ثم مُنكرو البعثِ على أربعة أصنافٍ:

صنفٌ أنكروا المَبدأَ والمَعادَ، وزعَموا أن الأكوانَ تتصرف بطبيعتها فتُوجَد وتَعدَم بأنفسها، ليس لها ربٌ يتصرف فيها، إنما هي أرحامٌ تدْفَع وأرضٌ تبلع، وهؤلاء هم جمهورُ الفلاسفةِ الدهريةِ والطبائعية.

والصنفُ الثاني من الدهرية طائفةٌ يقال لهم الدَّوْريةُ، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن في كل سنةٍ وثلاثين ألفَ سنةٍ يعود كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مراتٍ لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذَّبوا المنقول، قبّحهم اللَّهُ تعالى. وهاتان الطائفتان يعُمُّهم قولُه عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولهذا عن السلف الصالحِ فيها تفسيران:

الأولُ: معنى قولِهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت الآباءُ ويحيى الأبناءُ هكذا أبداً، وهو قولُ الطائفةِ الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عَنوا كونَهم يموتون ويحيون هم أنفسَهم، ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حسابَ ولا جزاءَ، بل ولا موجِدَ ولا مُعدِمَ ولا محاسب ولا مُجازِيَ، وهذا قولُ الدَّورية.

الصنف الثالث: الدهريةُ من مشركي العربِ ومن وافقهم، وهم مُقِرّون بالبَداءة وأن الله تعالى ربُّهم وخالقُهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، فأقرّوا بالبَداءة والمُبْدِئ، وأنكروا البعثَ والمَعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرةَ الصحيح: **«وأما تكذيبُه إياي فقولُه لن يُعيدَني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليّ من إعادته»**(١).

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

والصنفُ الرابعُ: ملاحدةُ الجهمية ومَن وافقهم، أقرّوا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسلُ عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالمَ يعدَمُ عدَماً مَحضاً، وليس المعادَ هو بل عالَمٌ آخرُ غيرُه، فحينئذ تكون الأرضُ ـ التي تُحدّث أخبارَها، وتخبر بما عُمل عليها من خير وشر ـ ليست هي هذه، وتكون الأجسادُ التي تُعذَّب وتجازَى وتشهد على من عمِل بها المعاصيَ ليست هي التي أُعيدت بل هي غيرُها، والأبدانُ التي تنعم في الجنة وتُثاب ليست هي التي عمِلت الطاعةَ ولا أنها تحوّلت من حال إلى حال، بل هي غيرُها تبتدأ ابتداءً محضاً، فأنكروا معادَ الأبدانِ وزعَموا أن المعادَ بدَاءةٌ أُخرى!.

وما أحسن ما قاله ابنُ القيِّم رحمه اللّهُ فيهم في كافيته[1]:

وقضى بأن اللّهَ يجعل خلقَه ... عدَماً ويقلِبُه وجوداً ثاني
العرشُ والكُرسيُ والأرواحُ والـ ... أملاكُ والأفلاكُ والقَمرانِ
والأرضُ والبحرُ المحيطُ وسائرُ الـ ... أكوانِ من عَرضٍ ومن جُثمان
كلٌّ سيُفنيه الفناءُ المحضُ لا ... يبقى له أثرٌ كظلٍ فانِ
ويُعيد ذا المعدومَ أيضاً ثانياً ... محضُ الوجود إعادةً بزمان
هذا المَعادُ وذلك المَبدا لدى ... جَهْم وقد نسَبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابنَ سينا والأُلى ... قالوا مقالتَه إلى الكفران
لم تقبل الأذهانُ ذا وتوهموا ... أن الرسولَ عناه بالإيمان
هذا كتابُ الله أنّى قال ذا ... أو عبدُه المبعوثُ بالبرهان
أو صَحبُه من بعده أو تابعٌ ... لهمو على الإيمان والإحسان
بل صرَّح الوحيُ المُبينُ بأنه ... حقاً مُغيِّرُ هذه الأكوان
فيبدل اللّهُ السماوات العُلى ... والأرضَ أيضاً، ذانِ تبديلان
وهما كتبديل الجلودِ لساكني النـ ... يرانِ عند النُضجِ من نيران
وكذاك يقبِضُ أرضَه وسماءَه ... بيديه ما العَدَمانِ مقبوضان
وتحدِّث الأرضُ التي كُنا بها ... أخبارَها في الحشر للرحمن

---

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، شرحها وحققها: الدكتور: محمد خليل هراس (١/ ٣٣ ـ ٤٤).

وتظل تشهد وهي عدلٌ بالذي من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيَشهدُ العدمُ الذي هو كاسمه لا شيءَ هذا، ليس في الإمكان
لكن تُسوَّى ثم تُبسط ثم تشـ ـهد تُبدَل وهي ذاتُ كيان
وتُمَدّ أيضاً مثلَ مدّ أديمنا من غير أوديةٍ ولا كُثبان
وتَقيءُ يوم العَرض من أكبادها كالأسطوان نفائسَ الأثمان
كلٌّ يراه بعينه وعِيانِه ما لامرئ بالأخذ منه يدان
وكذا الجبالُ تُفتّ فتًّا مُحكَما فتعودُ مثلَ الرملِ ذي الكُثبان
وتكون كالعِهن الذي ألوانه وصباغُه من سائر الألون
وتُبَسّ بسّاً مثلَ ذاك فتنثني مثلَ الهَباءِ لناظر الإنسان
وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ قد فُجِّرت تفجيرَ ذي سلطانِ
وكذلك القمرانِ يأذَنُ ربُّنا لهما فيجتمعان يلتقيان
هذي مُكوَّرةٌ وهذا خاسفٌ وكلاهما في النار مطروحان
وكواكبُ الأفلاكِ تُنثَر كلُّها كلآلئٍ نُثرت على ميدان
وكذا السماءُ تُشقّ شقًّا ظاهراً وتمور أيضاً أيّما مَوران
وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ذا المُهْل أو تكُ وردةً كدهان
والعرشُ والكرسيُّ لا يُفنيهما أيضاً وإنهما لمخلوقان
والحورُ لا تفنى كذلك جنةُ المأوى وما فيها من الوِلدان
ولأجل هذا قال جهمٌ إنها عدَمٌ ولم تُخلق إلى ذا الآنِ
والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى أجسادُهم حُفظت من الديدان
ما لِلبِلى بلحومهم وجسومِهم أبداً وهم تحت الترابِ يدان
وكذاك عَجْبُ الظهرِ لا يَبْلى، بلى منه تُركَّب خِلْقةُ الإنسان
وكذلك الأرواحُ لا تَبلى كما تَبلى الجسومُ ولا بلى اللُّحمانِ
ولأجل ذلك لم يُقِرَّ الجهمُ ما الأرواحُ خارجةٌ عن الأبدان
لكنها من بعض أعراضٍ بها قامت وذا في غاية البُطلان
فالشأنُ للأرواح بعد فراقِها أبدانَها واللّهُ أعظمُ شان
إما عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ قد نعِمَتْ بالرَّوح والريحان
وتصير طيراً سارحاً معَ شكلِها تجني الثمارَ بجنة الحَيَوان

وتـظـل واردةً لأنـهـارٍ بـهـا حتـى تـعـودَ لـذلـك الـجُـثـمـانِ
لـكـنّ أرواحَ الـذيـن اسـتُـشـهـدوا فـي جـوف طـيـرٍ أخـضـرٍ ريّـان
فـلـهـم بـذاك مِـزيـةٌ فـي عـيـشـهـم ونـعـيـمِـهـم لـلـرُوح والأبـدان
بـذلـوا الـجـسـومَ لـربـهـم فـأعـاضـهـم أجـسـامَ تـلـك الـطـيـرِ بـالإحـسـان
ولـهـا قـنـاديـلٌ إلـيـهـا تـنـتـهـي مـأوى لـهـا كـمـسـاكـن الإنـسـان
فـالـروحُ بـعـد الـمـوتِ أكـمـلُ حـالـةً مـنـهـا بـهـذي الـدارِ فـي جـثـمـان
وعـذابُ أشـقـاهـا أشـدُّ مـن الـذي قـد عـايـنـتْ أبـصـارُنـا بـعِـيـان
والـقـائـلـون بـأنـهـا عـرَضٌ أبَـوا ذا كـلَّـه تـبًّـا لـذي نُـكـران
وإذا أراد الـلَّـهُ إخـراجَ الـورى بـعـد الـمـمـاتِ إلـى الـمَـعـاد الـثـانِ
ألقى على الأرض التي هم تحتها والـلَّـهُ مـقـتـدرٌ وذو سـلـطـان
مـطـراً غـلـيـظـاً أبـيـضـاً مـتـتـابـعـاً عَـشـراً وعـشـراً بـعـدهـا عَـشـران
فتظل تنبُت منه أجسامُ الورى ولـحـومُـهـم كـمـنـابـت الـريـحـان
حـتـى إذا مـا الأمُّ حـان ولادُهـا وتـمـخّـضـت فـنـفـاسُـهـا مُـتَـدان
أوحى لها ربّ السما فتشقّقتْ فـبـدا الـجـنـيـنُ كـأمـل الـشـبّـانِ
وتـخـلّـت الأمُّ الـوَلـود وأخـرجـت أثـقـالـهـا أنـثـى ومـن ذُكـران
والـلَّـهُ يُـنـشـئ خـلـقَـه فـي نـشـأةٍ أخـرى كـمـا قـد قـال فـي الـقـرآن
هـذا الـذي جـاء الـكـتـابُ وسـنـةُ الـهـ ـادي بـه فـاحـرص عـلـى الإيـمـان
مـا قـال إن الـلَّـهَ يُـعـدم خـلـقَـه طُـرّاً كـقـول الـجـاهـلِ الـحـيـران

[شرح أبيات ابن القيم المتقدمة]

قولُه: «**هذا المعاد وذلك المبدا لدى جَهْمٍ**» تقدم تقريرُه، وتقدم ترجمةُ جهْمٍ وبيانُ مذهبِه وعمن أخذه ومَن أخذ عنه[1].

وقوله: «**وهْو الذي قاد ابنَ سينا**» هو أبو عليّ بنِ سينا[2]، واسمُه الحسنُ بنُ عبدِ الله، وهو رئيسُ الفلاسفةِ ومهذِّبُ مذهبِهم، له كتابُ (الإشارات) الذي هذَّب

(١) تقدم التعريف بجهم وبالجهمية وغير ذلك.
(٢) تقدم التعريف به.

فيه مذهبَ أرِسْطو[1] وقرّبه قليلاً إلى الأديان، وكان ـ فيما ذكر ابنُ القيم ـ يقول بقدم العالَم وإنكارِ المَعاد ونفْي علمِ الربِّ تعالى وقدرتِه وخلقِه العالَم وبعثه مَن في القبور، وكان ابنُ سينا هذا تفقّه مذهبَ الفلاسفة من كتب الفارابيّ[2] أبي نصرٍ التركيِّ الفيلسوف، وكان الفارابيُّ هذا قبّحه اللّٰهُ يقول بالمَعاد الرُوحاني لا الجثمانيّ، ويخصص بالمعاد الأرواحَ العالِمةَ لا الجاهلة، وله مذاهبُ في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفةَ مِن سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابنُ سينا ونصره.

وقد رد عليه الغزاليُّ[3] في (تهافت الفلاسفة) في عشرين مجلساً له، كفّره في ثلاث منها وهي قولُه بقدم العالم، وعدمِ المَعاد الجثماني، وقولُه: إن اللّٰهَ لا يعلم الجُزئيات، وبدّعه في البواقي. قال ابنُ كثيرٍ: ويقال إنه تاب عند الموتِ، فاللّٰهُ أعلمُ.

قوله رحمه الله: **«والألى قالوا مقالتَه إلى الكفران»**، يعني بذلك أتباعَ ابنِ سينا وأنصارَ زندقتِه، ومن أكبرهم وأشهرِهم النصيرُ الطوسيُّ[4] واسمُه محمدُ بنُ عبدِ الله، ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنه انتَدب لنصر مذهبِ ابنِ سينا والذبِّ عنه، وقام في ذلك وقعد، وشرح إشاراتِه وكان يسمّيها فيما يزعُمون قرآنَ الخاصة، ويسمي كتابَ الله تعالى قرآنَ العامة، وردَّ على الشهرستاني[5] في مصارعته ابنَ سينا بكتاب

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام أبو حامد) حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، من تصانيفه «تهافت الفلاسفة» و «الوجيز» في فروع الفقه الشافعي. و «المستصفى» في «أصول الفقه».
ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٠٥هـ).
[النجوم الزاهرة (٥/٢٠٣) ومعجم المؤلفين (١١/٢٦٦ ـ ٢٦٩)].

(٤) يراجع لحقيقة النصير الطوسي التعليق على «المنتقى من ميزان الاعتدال» (ص٢٠) (د. أحمد الحكمي).

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، نسبة إلى بلدة «شهرستان، مسقط رأسه ومثوى رفاته. =

سماه «مصارعة المصارع»، قال: وقفْنا على الكتابين، نص فيه أن اللَّهَ تعالى لم يَخْلُق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث مَن في القبور. وذكر عنه أنه تعلم السِحرَ في آخر الأَمرِ فكان ساحراً يعبد الأصنامَ، إلى أن قال: وبالجملة فكان هذا الملحدُ هو وأتباعُه من الكافرين بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر.

قلت: وكان الطوسيُّ هذا فيما ذكر أهلُ التاريخ وزيراً لهولاكو خان وهو الذي بنى الرصَدَ بَمراغةَ ورتب فيه الحكماءَ من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم، ونقل إليها أوقافَ المسلمين من النفقات والمكاتبِ وغيرِها.

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: «إنه عمِل الرصدَ بمدينة مَراغةَ سنة سبعٍ وخمسين وستمائة، فعمِل دارَ حكمةٍ ورتَّب فيها فلاسفةً ورتَّب لكل واحدٍ في اليوم والليلة ثلاثةَ دراهمَ. ودارَ طبٍّ فيها للطبيب في اليوم دِرهمانِ، ومدرسةً لكل فقيهٍ في اليوم درهم، ودارَ حديثٍ لكل محدّثٍ نصفُ درهمٍ في اليوم».

وقد أطال ابنُ القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجع. وأما هولاكو خان ملكُ التتارِ الذي كان الطوسيُّ وزيراً له فذكر ابنُ كثيرٍ[2] هلاكَه في سنة أربعٍ وستين وستمائة وقال: «كان ملكاً جباراً كفَّاراً لعنه الله تعالى، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددَهم إلا الذي خلقهم، وسيجازيه على ذلك شرَّ الجزاء. كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجتُه ظَفَر خاتونَ قد تنصّرت، وكانت

= ولد في الراجح سنة (٤٧٩هـ) وتوفي في شعبان سنة (٥٤٨هـ). وبذلك يكون قد عاش قرابة السبعين سنة.

والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول أشعري، يذب عن آراء الفلاسفة، وقال فيه ابن السمعاني: «إنه كان متهماً بالميل إلى أهل القلاع - يعني الإسماعيلية - والدعوة إليهم، غال في التشيع».

من مؤلفاته: «الملل والنحل» و «مصارعة الفلاسفة» وغيرهما.

انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٧٣ - ٢٧٥) و «لسان الميزان» (٥/ ٢٦٣) و «الشذرات» (٤/ ١٤٩).

(١) في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٢٨).

(٢) في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٢).

تفضّل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلُها من أفراخ الفلاسفةِ لهم عنده وجاهةٌ ومكانةٌ، وهو كان يترامى على محبة المعقولاتِ ولا يتصور منها شيئاً. وإنما كان هِمّتُه في تدبير المُلك وتملُّكِ البلاد شيئاً فشيئاً، حتى أباده اللّهُ في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاثٍ وستين ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله تبارك وتعالى».

وقولُ ابنِ القيّم رحمه الله:

بل صرّح الوحيُ المبينُ بأنّه   حقاً مغيِّرُ هذه الأكوانِ. إلخ

يشير بذلك إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآيات، وإلى ما في الصحيحين[(١)] من حديث أبي حازم عن سهل بنِ سعدٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«يحشر الناسُ يوم القيامة على أرض بيضاءَ عفراءَ كقُرْصة النَقِيِّ ليس فيها مَعْلمٌ لأحد»**.

وفي صحيح البخاريِّ[(٢)] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تكون الأرضُ يوم القيامةِ خُبزةً واحدةً يتكَفؤُها الجبارُ بيده كما يتكفأ أحدُكم خبزتَه في السفر نُزلاً لأهل الجنة»**.

وفي صحيح مسلم[(٣)] عن عائشة ﷺ أنها قالت: أنا أولُ الناسِ سأل رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، **قالت: قلت: أين الناسُ يومئذ يا رسولَ الله؟ قال: «على الصراط»**.

وفيه[(٤)] من حديث اليهوديِّ الذي سأل رسولَ الله ﷺ: أين يكون الناسُ يوم تبدل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«هم في الظُلمة دون الجِسر»** الحديث.

---

(١) البخاري (١١/ ٣٧٢ رقم ٦٥٢١)، ومسلم (٤/ ٢١٥٠ رقم ٢٧٩٠).

* النَقِيّ: بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من الغش والنخال. قاله الخطابي.

(٢) (١١/ ٣٧٢ رقم ٦٥٢٠).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٥١ رقم ٢٧٩٢).

(٣) في صحيحه (٤/ ٢١٥٠ رقم ٢٧٩١).

(٤) أي في صحيح مسلم (١/ ٢٥٢ رقم ٣١٥).

ولابن جريرٍ الطبريِّ[1] رحمه الله تعالى عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه أن حَبْراً من اليهود سأل النبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ إذ يقول الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين الخلقُ عند ذلك؟ فقال: **«أضيافُ الله، فلن يُعجِزَهم ما لديه»**، ورواه ابنُ أبي حاتم[2] أيضاً.

وفي حديث الصُّورِ الطويل[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يبدِّل اللّهُ الأرضَ غيرَ الأرضِ والسمواتِ، فيبسُطُها ويَمُدُّها مدَّ الأديمِ العُكاظيِّ، لا ترى فيها عِوجاً ولا أمْتاً، ثم يزجُر اللّهُ الخلقَ زجْرةَ فإذا هم في هذه المُبْدَلة»**. وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: وتُمد أيضاً مثلَ مدِّ أديمِنا إلخ البيت.

وقوله: **وهما كتبديل الجلودِ لساكني النيران إلخ**، يشير إلى قول اللّهِ تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. ووجهُ المشابهةِ بين التبديلين أن جلودَ الكفارِ كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت، ومعنى قوله: «غيرَها» أي صارت غيرَها لِعَوْدها بعد ما نضِجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصيَ في الدنيا، وبها تُجازَى في الآخرة.

وقال ابنُ عباس[4] رضي الله عنهما يُبدَّلون جلوداً بيضاً أمثالَ القراطيسِ، يعني تُجدَّد لهم الجلودُ التي نضِجت كذلك لِيتجدَّدَ لهم العذابُ أبداً والعياذُ بالله، وكذلك تبديلُ الأرضِ والسمواتِ، هو تغييرُها من حال إلى حال وإلا فهي هيَ. والله أعلم.

وقولُه رحمه الله تعالى: **وكذلك يقبِض أرضَه وسماءَه بيديه إلخ**. يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٢) في تفسيره (٧/ ٢٢٥٣ رقم ١٢٣١٢) بسند ضعيف لضعف ابن أبي مريم.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/ ١٤٢) عن ابن عمر.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٦) عن ابن عمر وعزاه لابن أبي حاتم.

وفي الصحيحين[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من الأحبار إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فقال: يا محمدُ إنا نجد أن اللّهَ عز وجل يجعل السمواتِ على إصبَع، والأرَضين على إصبع، والشجرَ على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملِكُ. فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وللإمام أحمدَ[2] والترمذيِّ[3] رحمهما الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ يهوديٌ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يومَ يجعل اللّهُ سبحانه وتعالى السماءَ على ذِهِ؟ وأشار بالسبابة، والأرضَ على ذه، والجبالَ على ذِهِ، وسائرَ الخلق على ذه، كلُ ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وفي الصحيحين[4] أيضاً عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يقبِض اللّهُ تعالى الأرضَ ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقول: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرض**».

وفيهما[5] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «**إن اللّهَ تبارك وتعالى يقبِض يومِ القيامة الأرَضينَ على إصبع وتكون السمواتُ بيمينه ثم يقول: أنا الملك**».

---

(١) البخاري (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥١ رقم ٤٨١١)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦).

(٢) في «المسند» رقم (٢٢٦٧ ـ شاكر) وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف حسين بن حسن الأشقر.
قلت: تابعه محمد بن الصلت عند الترمذي.

(٣) في «السنن» (٥/ ٣٧١ رقم ٣٢٤٠). وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلاّ من هذا الوجه» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) البخاري (٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٧).

(٥) أي في البخاري (١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨).

وفي لفظ لمسلم[1]: «**يأخذ الله تبارك وتعالى سماواتِه وأرضه بيده ويقول: أنا الملك ـ ويقبِض أصابعَه ويبسُطُها ـ أنا الملك، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أسفلِ شيءٍ منه حتى إني لأقولُ أساقطٌ هو برسول اللَّهِ ﷺ**».

ولفظ أحمدَ[2] رحمه الله تعالى عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: «إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرأ هذه الآيةَ ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسولُ الله ﷺ يقول هكذا بيده يحرّكها يُقبل بها ويُدبر: **يمجّد الربُّ نفسَه: أنا الجبارُ أنا المتكبرُ أنا الملكُ أنا العزيزُ أنا الكريم، فرجَف برسول اللَّهِ ﷺ المِنبرُ حتى قلنا لَيخِرَّنَّ به**».

ولابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي اللَّهُ السمواتِ السبعَ بما فيها من الخليقة، والأرضين السبعَ بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كلَّه بيمينه، يكون ذلك كلُه في يده بمنزلة خَرْدلة.

وقوله رحمه الله تعالى: «**وتحدّث الأرضُ التي كنا بها أخبارَها إلخ**»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة].

وروى الإمامُ أحمدُ[4] والترمذيُّ[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ

---

(١) في صحيحه (٤/٢١٤٨ رقم ٢٥/٢٧٨٨).

(٢) في المسند (٢/٧٢) بسند صحيح.

(٣) في تفسيره (١٠/٣٢٥٦ رقم ١٨٤١٠) وانظر: «الدر المنثور» (٧/٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٤) في المسند (٢/٣٧٤).

(٥) في السنن (٤/٦١٩ رقم ٢٤٢٩) و(٥/٤٤٦ رقم ٣٣٥٣).

قلت: وأخرجه النسائي في التفسير (رقم ٧١٣) وابن حبان (رقم: ٢٥٨٦ ـ موارد) والحاكم (٢/٢٥٦) و(٢/٥٣٢) وصححه، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثاني بقوله: «يحيى هذا منكر الحديث، قاله البخاري». وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٨/٥٠٢) وفي «شرح السنة» (١٥/١١٧ رقم ٤٣٠٨) كلهم من حديث سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبُري عن أبي هريرة.

وله شاهد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/٦٥ رقم ٤٥٩٦) من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ونعمًا إن استقمتم وحافظوا على الوضوء، فإن خير عملكم الصلاة، وتحفّظوا من الأرض فإنها=

هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قال: «أتدرون ما أخبارُها؟ قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإن أخبارَها أن تشهَدَ على كل عبدٍ أو أَمةٍ بما عمِل على ظهرها، أن تقولَ عمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا. فهذا أخبارُها»، ثم قال التِرمِذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

وفي معجم الطبرَانيِّ[١] من حديث ابنِ لَهيعةَ، حدثني الحارثُ بنُ يزيدَ سمع ربيعةَ الجرشيّ أن رسولَ الله ﷺ قال: «تحفَّظوا من الأرض فإنها أُمُّكم، وإنه ليس من أحد عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مُخبِرَةٌ».

وقال البخاريُّ[٢] رحمه الله تعالى: «أوحى لها وأوحى إليها، ووحَى لها ووحَى إليها واحد». وكذا قال ابنُ عباس.

وعنه[٣] ﷺ قال: «قال لها ربُّها قولي فقالت».

وقال مجاهد[٤]: «أوحى لها أي أمرَها».

وقولُه رحمه الله تعالى:

وتَقيءُ يومَ العَرضِ من أكبادها كالأُسطوان نفائسَ الأثمان

كلٌ يراه بعينه إلخ. يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وإلى ما رواه مسلمٌ[٥] رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرةَ

= أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة».
وربيعة الجرشي هذا مختلف في صحبته ـ كما في «التقريب».
وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤١): «وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف».
وانظر: «الكافي الشاف» (ص١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٥٠). و«الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) «الكبير» (٥/ ٦٥ رقم ٤٥٩٦) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وربيعة الجرشي مختلف في صحبته. وقد تقدم تخريجه والكلام عليه في التعليقة المتقدمة.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).
(٣) أي عن ابن عباس أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٦٦).
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٦٧).
(٥) في صحيحه (٢/ ٧٠١ رقم ١٠١٣).
* أمثال الأسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود. وشبهه بالأسطوانة لعظمه.

ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُلقي الأرضُ أفلاذَ كبدِهَا أمثالَ الأُسطوانِ من الذهبِ والفضَّة، فيجيءُ القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارقُ فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدي، ثم يدَعونَهُ فلا يأخذونَ منه شيئاً».

وقولُه: «وكذا الجبالُ تُفتّ فتاً مُحكماً إلخ»، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه].

وقولِه عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، الآية.

وقولِه عز وجل: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة].

وقولِهِ عز وجل: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

وفي آية القارعة ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقولِه عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

وقولِه عز وجل: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

وقولِه عز وجل: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وقولِه عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وما في معانيها من الآيات.

قال ابنُ عباس[١] ﵄: سأل رجلٌ من ثَقيفٍ رسولَ الله ﷺ: كيف تكون الجبالُ يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥]، أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، أي يُذهبها عن أماكنها، ويُسيّرها تسييراً فيذرُها أي الأرضَ قاعاً صفصفاً أي بسطاً واحداً،

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٤) و «روح المعاني» للألوسي (١٦/ ٢٦١).

والقاعُ هو المنبسطُ المستوي من الأرض، والصفصَفُ الأملسُ. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]: أي لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابيةً ولا صَدْعاً ولا أَكَمةً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً. كذا قال ابنُ عباس[١] وعِكرِمةُ[٢] ومجاهدٌ[٣] والحسنُ البصْريُّ والضحاك وقَتادةُ وغيرُ واحدٍ من السلف رحمهم اللَّهُ تعالى»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، أي قائمةً وواقفةً ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨] أي تسير سيرَ السحابِ حتى تقعَ على الأرض.

قال البغوي[٥] رحمه الله تعالى: «وذلك أن كلَّ شيءٍ عظيم وكلَّ جمعٍ كثيرٍ يقصُر عنه البصرُ لكثرته وبُعدِ ما بين أطرافِه، فهو في حُسبان الناظر واقفٌ وهو سائرٌ، كذلك سيرُ الجبال لا يُرى يوم القيامةِ لعِظَمها، كما أن سيرَ السحابِ لا يُرى لِعظمه وهو سائرٌ».

وقال ابنُ عباس ومجاهدٌ وعِكرِمةُ وقَتادةُ وغيرُهم في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]: أي فُتِّتتْ فتّاً[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢) بسند منقطع علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢).

(٤) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).

وقال الطبري (٩/ج١٦/ ٢١٣): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف من كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم عوج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذٍ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار.

وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم،... فالواجب إذا كان ذلك معنى «الأمت» عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض...» اهـ.

(٥) في «معالم التنزيل» (٦/ ١٨٣).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٣).

* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) أثر ابن عباس بسند منقطع.
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) أثر مجاهد.
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) أثر عكرمة.

وقال عطاءٌ ومجاهدٌ ومقاتلٌ: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول[1].

قال سعيدُ بنُ المسيِّب والسُدّيُّ: كُسِرت كسراً.

وقال الكلْبيُّ: سُيِّرتْ على وجه الأرضِ تسييراً.

وقال الحسن: قُلعت من أصلها فذَهبتْ. ونظيرُها: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

وقال ابنُ كَيسانَ: جُعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخةً طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦] غباراً متفرّقاً كالذي يُرى في شعاع الشمسِ إذا دخل الكُوّةَ وهو الهَباءُ.

وقال أبو إسحاقَ عن الحارث عن عليٍّ[2] رضي الله عنه ﴿هَبَاءً مُّنۢبَثًّا﴾: كرهَج الغُبار يسطَع ثم يذهب فلا يبقى منه شيءٌ.

وقال العَوفي عن ابن عباس[3]: الهَباءُ يطير من النار إذا أضرمت، يطير منه الشررُ، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عِكرِمةُ[4]: المنبثُّ الذي قد ذرَّته الريحُ وبثّته.

وقال قَتادةُ[5]: هباءً منبثاً، كيبيس الشجرِ الذي تذروه الرياحُ.

وقال مجاهدٌ وعِكرِمةُ وسعيدُ بنُ جبير والحسنُ وقتادةُ وعطاءٌ الخُراساني والضحّاك والسُدي: «العِهْنُ الصوفُ»[6].

وقال البغوي[7]: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عِهنٌ إلا للمصبوغ.

(١) انظر: «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٧).
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٣٠٣) بسند ضعيف.
الحارث هو الأعور صاحب علي، كذّبه الشعبيُّ في رأيه، ورُمِيَ بالرَّفض، وفي حديثه ضعف، وليس له عند النسائي سوى حديثين. «التقريب» رقم (١٠٢٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩) بسند ضعيف.
(٤) ذكره ابن كثير (٤/٣٠٣).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩).
(٦) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/٥٨٠).
(٧) في «معالم التنزيل» (٨/٥١٣).
وفيه: «كالصوف المندوف».

وقال الحسن: كالصوف الأحمرِ، وهو أضعفُ الصوف. وقال: المنفوشُ: المندوف.

وقال ابنُ كثير[1]: المنفوش الذي قد شرَع في الذهاب والتمزّق. وقال في قوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]: أي تصير ككُثبان الرملِ بعدما كانت حجارةً صمّاء[2].

وقال البغوي[3]: «رملاً سائلاً. قال الكلبيُّ: هو الرملُ الذي إذا أخذتَ منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهَلْتُ الرملَ أُهِيلُه هيلاً إذا حركتُ أسفلَه حتى انهال من أعلاه». وقال: ﴿نُسِفَتۡ﴾ [المرسلات: ١٠] قُلعت من أماكنها[4].

وقال ابنُ كثير[5]: «ذُهب بها فلا يبقى لها عينٌ ولا أثرٌ». وقال[6] في: ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]: «أي يخيل إلى الناظر أنها شيءٌ، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عينٌ ولا أثر». وقال[7] في: ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الطور: ١٠]: «تذهب عن أماكنها وتزول» ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف: ٤٧]: أي باديةً ظاهرةً ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد، ولا مكانٌ يواري أحداً، بل الخلقُ كلُّهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ.

قال مجاهدٌ وقتادة: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف: ٤٧]: لا حَجَر فيها ولا غيَابة. وقال قتادة أيضاً: «لا بناءَ ولا شجرَ»[8].

وقال البغوي[9]: ﴿فَدُكَّتَا﴾ كُسِرتا ﴿دَكَّةٗ﴾ كسْرةً ﴿وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقة: ١٤]. قال:

---

(١) في تفسيره (٤/ ٥٨٠).
(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٧).
(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٦).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٤).
(٥) في تفسيره (٤/ ٤٩٠).
(٦) أي ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٩٤).
(٧) أي ابن كثير في تفسيره (٣/ ٩٢).
(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٩٢).
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ج١٥/ ٢٥٧) أثر مجاهد.
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ج١٥/ ٢٥٧) أثر قتادة.
(٩) في «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٩).

وأولُ ما تتغير الجبالُ تصير رملاً مَهيلاً، ثم عِهْناً منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

وقولُه رحمه الله تعالى: **وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ، قد فُجّرت إلخ**، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

«قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس: فجّر اللَّهُ تعالى بعضَها في بعض.

وقال الحسن: فجّر اللَّهُ تعالى بعضَها في بعض فذهب ماؤُها.

وقال قتادة: اختلط عذْبُها بمالحها.

وقال الكلبي: مُلئت»[1].

وقوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. قال ابن عباس: أُوقدتْ فصارت ناراً تضطرم.

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: يعني فُجّر بعضُها في بعض، العذْبُ والمِلْحُ، فصارت كلُها بحراً واحداً.

وقال الكلبي: مُلئت.... وقيل: صارت مياهُها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن: يَبِست. وهو قولُ قتادةَ، قال: ذهب ماؤُها فلم يبق فيها قطرةٌ»[2].

والمعنى المتحصّلُ من أقوالهم رحمهم الله أنها يُفجّر بعضُها في بعض فتمتلئُ، ثم تُسجّر ناراً فيذهبُ ماؤُها، ولهذا جمع ابنُ القيمِ رحمه الله تعالى بينهما فقال: «مسجورةٌ قد فُجّرت»، واللَّهُ تعالى أعلم.

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٣).
* أخرج أثر ابن عباس ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥) بسند منقطع.
* أخرج أثر الحسن ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥).
* أخرج أثر الكلبي ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧). وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٩).
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر الكلبي.
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر الحسن.
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر قتادة.

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك القمرانِ يأذن ربُّنا لهما فيجتمعان» إلخ**، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة]. وقولِه ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. خسَف: أظلم وذهب نورُه وضَوؤُه. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي صارا أسودين مُكَوَّرَيْن كأنهما ثورانِ عَقيرانِ.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباسٍ[(١)] ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]: أظلمت. وقال العَوفي[(٢)] عنه: ذهبت.

وقال مجاهدٌ[(٣)]: اضمحَلَّت وذهَبت: وكذا قال الضحاكُ[(٣)].

وقال قتادةُ[(٣)]: ذهب ضوؤُها.

وقال سعيدُ بنُ جبير[(٣)]: كُوِّرت غُوِّرت.

وقال ربيعُ بنُ خثيم[(٣)]: رُميَ بها.

وقال أبو صالح[(٣)]: أُلقِيَتْ. وعنه[(٣)] أيضاً: نُكّست.

وقال زيدُ بنُ أسلمَ: تقع في الأرض.

وقال ابنُ جريرٍ[(٣)]: «والصوابُ عندنا من القول في ذلك أن التكويرَ جمعُ الشيءِ بعضِه على بعض، ومنه تكويرُ العِمامةِ، وجمعُ الثيابِ بعضُها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جُمع بعضُها إلى بعض ثم لفّتْ فرُميَ بها، وإذا فُعل بها ذلك ذهب ضوؤُها».

ولابن أبي حاتمٍ[(٤)] عن أبي عباس ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال: يكوِّر اللّهُ الشمسَ والقمرَ والنجومَ يوم القيامة في البحر، ويبعث الله تعالى ريحاً دَبوراً فيُضرمها ناراً. وكذا قال عامرٌ الشعبيّ.

ولابن أبي حاتمٍ[(٥)] عن ابن يزيدَ بنِ أبي مريمَ عن أبيه أن رسولَ اللّهِ قال في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤) عنه **بسند منقطع**.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤) **بسند ضعيف**.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤).
(٤) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٧) مسنداً.
(٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٧) مسنداً.
قلت: **هذا الأثر مرسل** لأن «يزيد بن أبي مريم» تابعي انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

قول اللَّهِ تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال: «كُوِّرت في جهنَم».

وللبخاري[١] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«الشمسُ والقمرُ يُكوَّران يوم القيامة»**.

وللبزار[٢] عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«إن الشمسَ والقمرَ ثوران في النار عَقيرانِ يوم القيامة»**.

وقولُه رحمه الله تعالى: **«وكواكبُ الأفلاكِ تُنثر كلُها إلخ»**، يشير إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]. وقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]: أي مُحيَ نورُها وذهب ضَوؤُها. وانكدرت: «تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائرُ إذا سقط عن عُشّه.

قال الكلبيُّ وعطاءٌ: تُمطر السماءُ يومئذ نجوماً فلا يبقى نجمٌ إلاّ وقع»[٣].

وقولُه رحمه الله تعالى: **«وكذا السماءُ تُشق شقاً ظاهراً وتمورُ» إلخ**، يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وقولِه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقولِه: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقولِه عز وجل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]. وقوله عز وجل:

---

(١) في صحيحه (٦/ ٢٩٧ رقم ٣٢٠٠). وفيه «مُكوَّران» بدل «يُكوَّران».

(٢) لم أجده في «كشف الأستار» كما أن مسند أنس في البحر الزخار، المعروف: بمسند البزار لم يطبع حتى الآن.
وقد أخرجه أبو يعلى في المسند (٧/ ١٤٨ رقم ٤١١٦/١٣٦١) والطيالسي في المسند رقم (٢٢٨٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٩٣) من طرق عن درست بن زياد، عن يزيد الرقاشي عن أنس به **بإسناد ضعيف جداً لضعف يزيد الرقاشي**، انظر: «التقريب» رقم (٧٦٨٣). ودرست بن زياد كان منكر الحديث جداً، انظر: «المجروحين» (١/ ٢٩٣).
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»**، أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٣) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره دون قوله «عقيران»، والله أعلم.

(٣) ذكر ذلك البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٦).

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قولُه: ﴿ٱنشَقَّتِ﴾: أي صارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ عن ابن عباس[١]: تغّير لونُها، وعنه[٢] قال: كالفرَس الوَرْدِ. وقال أبو صالح[٣]: كالبِرْذَون الوَرْد.

وحكى البغويُّ[٤] وغيرُه: «أن الفرسَ الوردَ تكون في الربيع صفراءَ وفي الشتاء حمراءَ، فإذا اشتد البردُ اغبرّ لونُها، فشبه السماءَ في تلوُّنها عند انشقاقِها بهذا الفرسِ في تلوُّنه».

﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ «قال الضحاكُ ومجاهدٌ وقتادةُ والربيعُ[٥] هو جمعُ دُهن، شبه السماء في تلونها بلون الوردْ من الخيل، وشبه الوردةَ في اختلاف ألوانها بالدُهن واختلاف ألوانِه.

وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ[٦]: كالدُّهان: كعصير الزيتِ يتلوّن في الساعة ألواناً.

وقال مقاتلٌ[٧]: كدُهن الوردِ الصافي.

وقال ابنُ جريج[٨]: تصير السماءُ كالدُّهن الذائبِ، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنمَ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١) **بسند ضعيف.**
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١).
(٤) في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٥) ذكر أقوالهم البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٨) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).

وقال ابن عباس[1] والكلبيُّ[2]: كالدِّهان أي كالأديم الأحمرِ، وجمعه دُهنة ودُهن.

وقال عطاءٌ الخراسانيُّ[3]: كلون الدُّهنِ في الصفرة.

وقال قتادةُ[4]: هي اليوم خضراءُ، ويومئذ لونُها إلى الحمرة يومٌ ذو ألوان.

وقال ابنُ كثير[5] رحمه الله: «تذوب كما يذوب الدُّرْديُّ والفِضةُ في السبْك، وتتلون كما تتلون الأصباغُ التي يُدهن بها، فتارةً حمراءُ وصفراءُ وزرقاءُ وخضراءُ، وذلك من شدة الأمرِ وهولِ يوم القيامةِ العظيم».

وللإمام أحمدَ[6] عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يُبعث الناسُ يوم القيامة والسماءُ تطِشّ عليهم»**.

قال الجوهري: الطَشُّ المطرُ الضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

«قال ابنُ عباس وقَتادةُ: تتحرك تحريكاً، وعنه: هو تشقّقُها.

وقال مجاهد: تدور دوراً.

وقال الضحاك: استِدارتُها وتحرُكها لأمر اللّهِ وموجُ بعضها في بعض، وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ أنه التحركُ في استدارة»[7].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١).

(٥) في تفسيره (٤/ ٢٩٥).

(٦) في المسند (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧). **بسند ضعيف.**

قلت: وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٩٩ رقم ١٢٨٦/ ٤٠٤١).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه عبد الرحمن بن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن سند الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٨).

* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١) **بسند منقطع.** =

وقال عطاءٌ الخراساني[1]: تختلف أجزاؤها بعضُها في بعض، وقيل تضطرب.

وقال البغوي[2]: «تدور كدوَران الرَّحى وتتكَفأ بأهلها تَكَفُّؤَ السفينة» قال: «والمورُ يجمع هذه المعانيَ كلَّها: فهو في اللغة الذهابُ والمجيء والتردّدُ والدورانُ والاضطراب».

وقال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٦] عن علي قال: تنشق السماءُ من المجرَّة، رواه ابنُ أبي حاتم[3]، «والملَك اسمُ جنسٍ ـ أي الملائكة ـ على أرجاء السماءِ.

قال ابنُ عباس: على ما لم يُرَ منها أي حافاتِها. وكذلك قال سعيدُ بنُ جبيرٍ والأوزاعيُّ.

وقال الضحاك: أي أطرافِها.

وقال الحسنُ البصْريُّ: أبوابِها.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ: على ما استرَقَّ من السماء ينظُرون إلى أهل الأرض»[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]: متشقِّقٌ. «قال الحسنُ وقتادةُ أي بسببه من شدته وهولِه»[5].

= * أثر قتادة أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر ابن عباس الثاني أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر الضحاك أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٧).
(٢) في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٧).
(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤١).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤١).
* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٥٨).
* أثر سعيد بن جبير أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٥٨).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٧).

و﴿فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، قال ابن كثيرٍ[1]: «أي انفطرت وانشقّت وتدلّتْ أرجاؤُها، ووهَتْ أطرافُها».

وقوله رحمه الله: **«والعرشُ والكرسيُّ لا يُفنيهما إلخ»**، وكذا قولُه: **«والحُورُ لا تَفنى كذلك جنةُ المأوى إلخ»**. يعني أن هذه الأشياءَ مخلوقةٌ للبقاء لا للفناء، والمخلوقُ للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء اللَّهِ إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنةَ ونعيمَها ودوامَها وخلودَ أهلِها فيها، وذكرَ النارَ وجحيمَها ودوامَ عذابِها وخلودَ أهلِها فيها في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، وسيأتي ذكرُ ما تيسر منها.

وقد جاء في تفسير قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

أن المرادَ بذلك الشهداءُ والحورُ العِين ورَضْوانُ وزبانيةُ العذاب، وقد قال الإمامُ أحمدُ في ذلك: إنه هو اعتقادُ السلفِ الصالحِ. قال فإن احتجّ مبتدعٌ بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، قيل إن المرادَ كلُ شيءٍ كُتب عليه الهلاكُ والفناءُ هالكٌ فانٍ. ويؤيد ذلك الاستثناءُ المذكور في سورة الزُمَر، وأيضاً فإن الجنةَ دارُ مقام وسرورٍ وسلامةٍ، والموتُ ضدُّ ذلك فكيف يُكتب على مَن فيها موتٌ. وكذا جاء في العرش أن اللَّهَ يأمره أن يُأخذَ الصورَ من إسرافيلَ عليه السلام عند موتِه كما في حديث الصورِ الطويل.

وقولُه: **«ولأجل هذا قال جهمٌ إنها عدمٌ إلخ»**، يعني أن لِجَهْم إلحاداً في آيات اللَّهِ جميعِها، فكما ألحد في آيات الأسماءِ والصفاتِ ألحد أيضاً في آيات الوعدِ والوعيدِ، وجحد وجودَ الجنةِ والنارِ الآن، وكذلك الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فيهما، وقضى أيضاً بفَنائهما وأنهما يَفنَيان ومَن فيهما، وذلك بخلاف النصوصِ القويمةِ والفِطَر المستقيمةِ كما سيأتي إن شاء الله.

وقولُه رحمه الله:

والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى	**أجسادُهم حُفِظت من الديدان إلخ**

---

(١) في تفسيره (٤/ ٤٩٠).

يشير إلى ما في السنن[1] وغيرها[2] وصححه ابنُ حبان[3] من حديث أوسِ بنِ أوسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن أفضلَ أيامِكم يومُ الجمعة، فيه خُلق آدمُ، وفيه قُبض، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتَكم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسول اللَّهِ كيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أرِمْتَ؟ قال يقولون: بَلِيتَ. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**.

وقال ابنُ وهبٍ: أخبرني عمْرو بنُ الحارثِ عن سعيد بنِ أبي هلالٍ عن زيد ابنِ أيمنَ عن عُبادةَ بنِ نَسيّ عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أكثِروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهودٌ تشهده الملائكةُ، وإن أحداً لا يصلي عليَّ إلا عُرضَت عليَّ صلاتُه حتى يفرُغَ. قال: قلت وبعد الموتِ؟ قال: إن اللَّهَ حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**، ورواه ابنُ ماجة[4] بإسناد جيد[5].

---

(1) أبو داود رقم (١٠٤٧) و(١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١ - ٩٢) وابن ماجه رقم (١٠٨٥) و(١٦٠٦).

(2) كأحمد في «المسند» (٤/ ٨) والدارمي (١/ ٣٦١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٥١٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٥٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٨) وإسماعيل القاضي رقم (٢٢) والحاكم (٢٧٨) وقال: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي.
قلت: **هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي الأشعث الصنعاني، وهو «شراحيل بن آدة» لم يخرج له البخاري في «صحيحه»، وإنما أخرج له في «الأدب المفرد»**.

(3) في صحيحه (٣/ ١٩٠ - ١٩١ رقم ٩١٠).
قلت: وصححه ابن خزيمة رقم (١٧٣٣) وحسنه المنذري والحافظ ابن حجر وصححه النووي في «الأذكار».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
* أرَمْتَ: على وزن ضَرَبْتَ، أي بليت.

(4) في السنن ١/ ٥٢٤ رقم ١٦٣٧).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٥٤٥ رقم ٥٩٦/ ١٦٣٧): **«هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع في موضعين»**. عبادة بن نسي روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلائي. وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسلة، قاله البخاري» اهـ.

(5) قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١ رقم ٢٤٨٦).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، إلا أن لمتنه شواهد.

وفي رواية للطبراني[1]: «ليس مِن عبدٍ يصلي عليَّ إلا بلغني صلاتُه. قلنا: وبعد وفاتِك؟ قال: وبعد وفاتي، إن اللَّهَ عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياء».

والأحاديثُ في بلوغ صلاتِنا إليه، وعَرْضِ أعمالِنا عليه كثيرةٌ جداً، وبعضُها في الصحيحين لكن بدون ذكرِ الأجساد[2].

وقد ثبت أيضاً في أجساد الشهداء أنها لا تَبْلَى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدَّدٌ حدثنا بشرُ بنُ المفضَّل حدثنا حسينٌ المعلِّمُ عن عطاءٍ عن جابرٍ قال: «لما حضَر أُحدٌ دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أُراني إلا مقتولاً في أول مَن يُقتل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وإني لا أترُك بعدي أعزَّ عليَّ منك غيرَ نفسِ رسولِ الله ﷺ، وإن عليَّ دَيناً فاقضِ واستوصِ بأخَواتك خيراً. فأصبحنا وكان أولَ قتيل، فدفَنْتُ معه آخرَ في قبره، ثم لم تطِبْ نفسي أن أترُكَه مع آخرَ، فاستخرجتُه بعد ستة أشهرٍ فإذا هو كَيومَ وضعتُه هيئة غيرَ أذنِه».

ولأصحاب السننِ[4] عنه ﷺ من حديث طويل، وفيه: «فبينا أنا في خلافة معاويةَ بنِ أبي سفيانَ إذ جاءني رجلٌ فقال: يا جابر بنَ عبدِ الله، واللّهِ لقد أثار أباك عمّالُ معاويةَ، فبدا فخرج طائفةٌ منه. فأتيتُه فوجدتُه على النحو الذي دفنتُه، لم يتغير إلا ما لم يدَع القتلُ أو القتيل».

وللبيهقي[5] عنه ﷺ قال: «لما أجرى معاويةُ العينَ عند قتلى أحدٍ بعد

---

(١) لم أعثر عليه عند الطبراني في الكبير المطبوع.

(٢) انظر: «فضل الصلاة على النبي ﷺ» لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي. تحقيق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن قيم الجوزية. تخريج وتعليق الشيخ شعيب الأرنوؤوط والشيخ عبد القادر الأرنؤوط.

(٣) في صحيحه (٣/ ٢١٤ رقم ١٣٥١).

(٤) أبو داود (١/ ٥١٤ رقم ٣١٦٥) والترمذي (٤/ ٢١٥ رقم ١٧١٧) والنسائي (٤/ ٧٩) وابن ماجه (١/ ٤٨٦ رقم ١٥١٦) من حديث جابر مختصراً. وأخرجه مطولاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣). وهو حديث حسن.

(٥) في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١) بسند حسن، إلا أن فيه قول حماد: «وزادني صاحبٌ لي في الحديث: «فأصاب قدم حمزة فانبعث دماً»» من غير سند.

أربعين سنةً استُضرِخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المِسحاةُ قدمَ حمزةَ فانبعث دماً».

وفي رواية ابنِ إسحاقَ[1] عنه قال: «**فأخرجناهم كأنما دُفنوا بالأمس**».

وذكر الواقديُّ[2] أن معاويةَ لما أراد أن يُجرِي العينَ نادى مناديِه: من كان له قتيلٌ بأُحد فليشهدْ، قال جابرٌ: فحفرنا عنهم فوجدتُ أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته، ووجدنا جارَه في قبره ـ عَمْرُو بنُ الجَموحِ ـ ويدُه على جُرحه، فأُزيلت عنه فانبعث جُرحه دماً. ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المِسك، ﷺ أجمعين، وذلك بعد ستٍ وأربعين سنةً من يوم دُفنوا. وفي ذلك آثارٌ كثيرة.

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك عَجْبُ الظهر لا يبلى إلخ**»، يشير إلى حديث أبي هريرةَ المتقدمِ قريباً وفيه: «**وليس من الإنسان شيءٌ إلا سيَبلى، إلا عظماً وهو عَجْبُ الذنب، ومنه يُركّب الخلقُ يوم القيامة**»[3].

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك الأرواحُ لا تَبلى إلخ**»، يشير إلى ما تقدم ذكرُ بعضِه قريباً من الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ، من أن الأرواحَ ليست هي مطلقُ حياةِ الجسمِ العارضة، بل هي حقيقةٌ أخرى مستقلةٌ يُعمِّر الجسدُ بحلولها فيه ويَفسُد بخروجها منه، وهي النَسَمةُ التي يموت الإنسانُ بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقةٌ، وأنها تُنفَخ وتُقبَض وتصعَد وتهبِط، وأنها بعد مفارقتِها الجسدَ إما أن تُنعَّم أو تعذّب، وإما أن تُفتَحَ لها أبوابُ السماء حتى يُنتهَى بها إلى الله، أو تُغلقَ دونها، فيُذهبُ بها إلى سِجِّين والعياذُ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمدُ، وأنها تُجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيلَ إذا أمره اللّهُ، فتطير كلُ روحٍ إلى جسدها الذي كانت تُعمّرُه في الدنيا حتى تدخُلَه وتدِبُّ فيه دبيبَ السُمِّ في اللَّديغ حتى يقومَ بشراً سوياً، وأنها بعد خروجِها من الجسد تُكلَّمُ وتتكلم وتسأل وتُجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتابِ والسنة، وأما كيفيةُ الروحِ وكُنهها فليس لبشر العلمُ به

---

(١) عزاه إليه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١) وقال محققه: نقله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٣) عن المصنف.

(٢) في «المغازي» (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وفيه مجاهيل مع ما في الواقدي من كلام.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

ولا الاطلاعُ عليه، ولهذا لما سألت اليهودُ النبيَّ ﷺ عنه[1] أنزل الله تعالى جوابَهم: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقولُه رحمه الله تعالى:

«ولأجل ذلك لم يُقِرَّ الجهمُ ما الأرواحُ خارجةٌ من الأبدانِ
لكنها مِن بعض أعراضٍ بها إلخ»

يعني أن مذهبَ الجهمِ في الروح هو مذهبُ الفلاسفةِ الحائرين أن الروحَ ليس شيئاً يقوم بنفسه بل عَرَضٌ، والعرضُ في اصطلاحهم هو ما لا يستقِلّ ولا يستقِرّ، فمنزلةُ الروحِ عندهم من الجسد كمنزلة السمعِ من السامع والبصَرِ من المُبصِر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصرُ والسمعُ والذاتُ التي يقوم بها موجودةٌ، فجحدوا أن لكون النفس التي هي الروحُ شيئاً قائماً بنفسه، وأنه يُنفخ في الجنين في بطن أمِّه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، وجحدوا كونَها شيئاً يُساق ويُنزَع عند الموتِ ويُعرج بها إلى الله عز وجل فيُفتحُ لها أبوابُ السماء إن كانت محسنةً أو تُغلَقُ دونها إن كانت مسيئةً، وأنّ روحَ الأنبياءِ والمؤمنين في الرفيق الأعلى، وأرواحَ الكفارِ في سجّين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسلَ اللّهُ به رسلَه، فضلّوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

وقولُه رحمه الله تعالى:

«فالشأنُ للأرواح عند فراقِها أبدانَها واللّهُ أعظمُ شان»

يعني أنه أعظمُ شأناً من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبرُ عِياناً، والغيبُ شهادةً والمستورُ مكشوفاً، والمُخبأُ ظاهراً، فليس الخبرُ كالمعاينة، ولا علمُ اليقينِ كعين اليقين، فالمُصدّقُ يرى ويجد مِصداقَ ما جاء به النصُّ كما علِمَه

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٢٣ رقم ١٢٥) وأطرافه رقم (٤٧٢١) و(٧٢٩٧) و(٧٤٥٦) و(٧٤٦٢).
ومسلم (٤/ ٢١٥٢ رقم ٢٧٩٤) من حديث ابن مسعود.

وتيقّنه، فيزداد بُشرى وفرحاً وسروراً، والمكذّبُ يرى ويجد حَور تكذيبِه بذلك، وغِبّ ما جناه على نفسه ويذوق وبالَ أمرِه، وكلٌّ يُفضي إلى ما قدّم.

وقولُه: «إما نعيم أو عذاب إلخ»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

سبحانَ اللّهِ وبحمده سبحان اللّهِ العظيم، وغيرُ ذلك مما في معناه من الآيات. وقدَّمنا منها جُملةً، وقدَّمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضارِ والبرزخِ وما يتعلق بذلك ما يبلُغ حدَّ التواتر، فليُرجَع إليه، ولله الحمدُ والمنة.

وقولُه رحمه الله: «وتصير طيراً سارحاً مع شكلها إلخ»، يشير إلى حديث كعبِ بنِ مالك المسلسلِ بالأئمة: «نسمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلقُ في شجر الجنة حتى يرجعَه اللّهُ إلى جسده يوم يبعثُه»[1].

وقولُه رحمه الله تعالى: «لكنّ أرواحَ الذين استُشهدوا في جوف طيرٍ أخضرٍ إلخ» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. الآيات وما في معناها.

وفي الصحيح[2] من حديث الأعمشِ عن عبد اللّهِ بنِ مُرَّةَ عن مسروقٍ قال:

---

(١) وهو حديث صحيح.
أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٤٠) عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.
ومن طريق مالك أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥) والنسائي (٤/ ١٠٨) وابن ماجه رقم (٤٢٧١) والآجري في «الشريعة» (ص٣٩٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٥٦) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٣) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١٢٠).
وأخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ و ٤٦٠) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٢) من طرق عن الزهري وانظر: «الصحيحة» رقم (٩٩٥).

(٢) في صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢ رقم ١٨٨٧).

سألنا عبدَ الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قال إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أرواحُهم في جوف طير خُضرٍ لها قناديلُ معلّقةٌ بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى القناديل، فاطلع إليهم ربُّهم عز وجل اطلاعَة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاثَ مراتٍ، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يَسألوا قالوا: يا ربِّ نريد أن تَرُدَّ أرواحَنا في أجسادنا حتى نُقتلَ في سبيلك مرةً أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُركوا**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وإذا أراد اللّـهُ إخـراجَ الـورى	**بعـد الـممـاتِ إلـى مـعـاد ثـانِ**
ألقى على الأرض التي هم تحتها	**مطَراً غليظاً أبيضاً متتابعاً ـ إلخ**

يشير إلى حديث عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ[1] ﵄ بطوله وفيه: «**ثم يرسل اللّهُ ـ أو قال يُنزل الله ـ تعالى مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظِلُّ، فتنبُت منه أجسادُ الناس**»، الحديث.

وفي حديث الصُّور الطويل[2]: «**ثم يُنزل اللّهُ عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر اللّهُ السماءَ أن تُمطِرَ أربعين يوماً حتى يكون الماءُ فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تنبُتَ فتنبُت كنبات الطراثيثِ أو كنبات البقْلِ**»، وهو الذي عناه بقوله: «عشراً وعشراً بعدها عشرانِ».

وقوله: «**أوحى لها ربُّ السما فتشققت إلخ**»، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، وقوله: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

قال ابن عباس[3]: بُحِثَتْ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٥٥٨ رقم ٢٩٤٠).

(٢) تقدم تخريج الحديث.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٨٥) بسند منقطع.

وقال السدّي[1]: تُبعثر: تُحرِّك فيخرُجُ مَن فيها.

وقال البغوي[2]: «بُحثت وقُلب ترابُها وبُعث مَن فيها من الموتى أحياءً، يقال: بَعثرتُ الحوضَ وبحثرْتُه إذا قلبتُه فجعلتُ أسفلَه أعلاه». وقال[3] في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأُخرج ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] أي من الأموات.

وقوله: «وتخلّت الأم الولود إلخ»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

«قال مجاهدٌ وسعيدٌ وقَتادةُ: ألقتْ ما في بطنها من الأموات وتخلّت منهم»[4].

وقولُه: «وأخرجتْ أثقالَها إلخ»، يشير إلى قوله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٢ ـ ٥].

قال ابنُ كثير[5] رحمه الله: يعني ألقت ما فيها من الموتى، قاله غيرُ واحدٍ من السلف. وقد تقدم تفسيرُها بإلقائها أفلاذَ كِبدِها أمثالَ الأسطُوان.

وقال البغوي[6] رحمه الله: أثقالَها: موتاها وكنوزُها فتُلقيها على ظهرها.

وقولُه رحمه الله: «واللّهُ ينشي خلْقَه» أي هم أنفسَهم لا غيرَهم بعد موتِهم «في نشأة أخرى إلخ»، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم]. فهذه هي النشأةُ الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧]، وهو البعثُ بعد الموتِ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٣).
(٢) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٥).
(٣) أي البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠٩).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٢١).
* أخرج أثر مجاهد ابن جرير في «جامع البيان (١٥/ ج٣٠/ ١١٤).
* أخرج أثر قتادة ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ج٣٠/ ١١٤).
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٦).
(٦) في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠١).

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة]، وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث.

والمقصودُ أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسَهم ويجمعهم بعد ما فرّقهم وينشُرهم بعد ما مزّقهم، ويُعيدهم كما خلقهم، وقد علم اللّهُ ما تنقُص الأرضُ منهم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله: «ما قال إن الله يُعدِم خلقَه إلخ»، أي لم يقل اللّهُ تعالى ولا رسولُه ﷺ إنه يعدمهم العدمَ المحضَ ويأتي بغيرهم. ولا إن المُثابَ غيرُ من عمِل الطاعاتِ في الدنيا، ولا إن المعذبَ غيرُ مَن مَرَدَ على المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، بل قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرَهم كما يقوله الزنادقةُ قبّحهم اللّهُ تعالى. وقال رسول الله ﷺ: **«فتخرُجون من الأصواء ومن مَصارعكم»**، ولم يقل إنه غيرُكم الذي يخرجُ. والكلام في هذا الباب يطول جداً، والنصوصُ فيها لا تحصى كثرةً، وإنما أشرنا إلى بعضٍ مِن كلّ، ودِقٍّ من جُلّ، وقطرةٍ من بحر، واللّهُ المستعان.

إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سُقنا من نونية ابنِ القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصارِ والإنجاز، ولله الحمدُ والمِنة. ولنرجعْ إلى شرح أبياتِ المتْن المذكور.

تم الجزء الثاني ولله الحمد
من كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
ويليه الجزء الثالث والأخير وأوله
[الإيمان بالنفخ في الصور]

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم.

ثالثاً: فهرس الموضوعات.



أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الثاني
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم
في الجزء الثاني
من كتاب «معارج القبول»

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثاني من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الثامن:

الفصل التاسع:

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

